

مكتبة  
الشيخ  
الشيخ

الشيخ

الشيخ

الشيخ

الشيخ

الشيخ



32101 018013357

---

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

---

*This book is due on the latest date  
stamped below. Please return or renew  
by this date.*

---



موسوعة الإمام المهدي  
الكتاب الثاني

# تلخيص الغيبة الكبرى

يتكفل فهمًا إسلاميًا جديدًا لفقيه الإمام  
المهدي (عليه السلام) ومشرائط ظهوره وعلاماته  
وتكليف الفرد المسلم خلال ذلك

تأليف  
محمد الصدر



Emam Ali Public Library

اصفهان - اول جابان احمد آباد  
تلفن ۸۱۰۰۰ - ۸۲۰۰۰

# مكتبة الامام امير المؤمنين العامة اصفهان - ايران

تعتبر مدينة اصفهان من العواصم العلمية والادبية ذات التاريخ الواضح الاصيل القديم ، التي كانت لها السهم الوافر في تنمية الحركة الفكرية في الاقطار الاسلامية والعربية فقد تخرجت من مدارسها الكثير من الرجال والفقهاء ، و المحققين والعابرة والمحدثين ، الذين دوخوا العالم و غير وامير التاريخ ، و دفعوا الشخصية العلمية الاسلامية الى قمة المجد و الخلود والتكامل ، وذلك بفضل حوزاتها و مدارسها الفاضلة بدوى العلم ، غير انها مع قدمها في التاريخ لم تكن لها مكتبة تنمض حركاتها الفكرية بصورة عامة مع وجود كثرة في مكتباتها الخاصة ، الا انها لم تكن تفني من جوع ولم تسد ذلك الفراغ العلمي الحادث ، من اثر عدم وجود مكتبة عامة . . . و المكتبة لها الاثر البالغ الجلي في تنمية الافكار والمقول ، و مناعة الشخصية العلمية بصورة خاصة .

ان هذا البلد العلمي والادبي التاريخي السحيق ، المقعم بالفقهاء والادباء والاساتذة كان مفتقرا الى مكتبة عامة تجمع شمل العاملين في الحقول الفكرية ، الى ان قبض الله تعالى لها رجل العلم والعمل ، العلامة الحجة المجاهد و المناير المحاسب في سبيل الله . . . الحاج السيد جمال الفقيه الاصفهاني . . . فشر سواعد الجهد والجد والنشاط ، فاقنتي قطعة ارض في قلب مدينة اصفهان بمساحة ١٧٥ متر ، وراح يبذل الجهد في تشييدها ، و تدعيم كيانها على صو خرائط هندسية ، واصول متطورة ، و هندسة فريدة فذة على نهج حديث و اصول حضارى انيق ، يقع في ثلاث طوابق تحتوى قاعات للمطالعة و القاء المحاضرات و غرف التأليف والضيافة ، والطباعة والنشر و التدريس والدراسة ، و كتبها مزودة بمكيفات التوية ، حسب الفصول الاربعة بحيث نجد فيها المرافق الصحية والمشتلات الحديثة في غاية الاتقان والبراعة والجمال .



لقد أصبح رواد العلم في داخل اصقهان و خارجه ، تنتظر بفارغ الصبر ذلك اليوم السعيد الذي تفتح فيه ابواب هذا المعهد العلمي ( باب مدينة علم الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ) بعد ان جلب لها من الاقطار الاسلامية والعربية انفس المطبوعات ، والمخطوطات ، واثن المصادر والمراجع وهي بعد لم تفتح .

ان المكتبة هذه تجتاز مراحل البناء والتشييد بخطى واسعة مزد هره ، والامل وطيد ان تفتح للمطالعين في الغريب العاجل ان شاء الله . . . مع الدعاء الاكيد لموسى سها الحجة . . . بطول العمر والتسديد والتوفيق ، والله من وراء القصد . . . ففي الوقت الذي نرف البشري هذه نرجوا من العلماء والمؤلفين تزويد المكتبة بمآثرهم الحية الفكرية وتضافهم العنصرة .

ان المكتبة قامت خلال دور البناء بطبع الكتب التالية والبحوث القيمة في شتى المجالات وهي :

- ١- موسوعة الامام المهدي (ع) ١ - ٢
  - ٢- معالم الحكومة في القرآن الكريم .
  - ٣- معالم التوحيد في القرآن الكريم
  - ٤- الامام الصادق والمذاهب الاربعه
  - ٥- معالم النبوة في القرآن الكريم ١ - ٣ .
  - ٦- الشؤون الاقتصادية في القرآن والسنة .
  - ٧- خلاصة عبقات الانوار - حديث النور
  - ٨- الكافي في الفقه تاليف الفقيه الاقدم ابي الصلاح الحلبي .
  - ٩- الوافي في الحديث لآية العظمي فيض الكاشاني .
  - ١٠- اسنى المطالب في مناقب علي بن ابي طالب لشمس الدين الجزري الشافعي
  - ١١- نزل الاربابا صبح من مناقب اهل البيت الاطهار . للحافظ محمد البدخشاني .
  - ١٢- بعض مؤلفات الشهيد الشيخ مرتضى المطهري .
  - ١٣- الغيبة الكبرى .
  - ١٤- يوم الموعود .
- كما ان لديها كتب اخرى تحت الطبع و ستصدر بالتوالي ان شاء الله تعالى .

اداره المكتبه

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة على أشرف الخلق محمد وآله الطاهرين

بحث تمهيدي:

في إنقسام الغيبة

- ١ -

لا شك أن للمهدي (ع) غيبتين اثنتين. وهذا من واضحات الفكر الإمامي، بل من قطعياته التي لا يمكن أن يرقى إليها الشك. ووافقهم عليه بعض علماء العامة. وقد وردت في ذلك الروايات في مصادر الفريقين.

روى السيد البرزنجي<sup>(١)</sup> عن أبي عبد الله الحسين بن علي عليها السلام أنه قال: لصاحب هذا الأمر - يعني المهدي عليه السلام - غيبتان. إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات وبعضهم ذهب. ولا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره.

وأخرج النعماني<sup>(٢)</sup> بإسناده عن إسحاق بن عمار قال سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد (ع) يقول: للفاطم غيبتان إحداهما طويلة والأخرى قصيرة. فالأولى يعلم مكانه فيها خاصة من شيعته. والأخرى لا يعلم مكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه.

وأخرج<sup>(٣)</sup> عن إبراهيم بن عمر الكناسي قال سمعت أبا جعفر الباقر (ع) يقول: إن لصاحب هذا الأمر غيبتين.

---

(١) الاشاعة لأشراط الساعة، ص ٩٣.

(٢) الغيبة، ص ٨٩.

(٣) المصدر ص ٨٩.



وأخرج<sup>(١)</sup> عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله (ع) كان أبو جعفر (ع) يقول، لقائم آل محمد غيبتان إحداهما أطول من الأخرى، فقال: نعم... الحديث. وأخرجه الطبرسي في أعلام الوري<sup>(٢)</sup> أيضاً...

وأخرج النعماني أيضاً<sup>(٣)</sup> عن محمد بن مسلم الثقفي عن الباقر أبي جعفر (ع) أنه سمعه يقول: إن للقائم غيبتين. يقال في إحداهما: هلك، ولا يدرى في أي واد سلك.

وأخرج أيضاً عن المفضل بن عمر قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: إن لصاحب هذا الأمر غيبتين، في إحداهما يرجع إلى أهله، والأخرى يقال: هلك في أي واد سلك.

وأخرج الشيخ<sup>(٤)</sup> عن حازم بن حبيب عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: يا حازم إن لصاحب هذا الأمر غيبتين، يظهر في الثانية. إن جاءك من يقول: أنه نفّض يده من تراب قبره، فلا تصدقه.

إلى غير ذلك من الأخبار، وهي كثيرة وكافية للإثبات التاريخي.

## - ٢ -

ولفهم هذه الأخبار أطروحتان رئيسيتان:

الأطروحة الأولى:

وهي الموافقة للفهم غير الإمامي للمهدي (ع) الفاتل: بأن المهدي رجل يولد في زمانه فيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وهي: إن الغيبتين منفصلتان يتخللهما ويفصل بينهما ظهور للناس. ويكون الظهور بعد الغيبة الثانية هو يوم الثورة الكبرى. وتكون مدة كلتا الغيبتين معددة

---

(١) المصدر، ص ٩.

(٢) أنظر ص ٤١٩.

(٣) الغيبة، ص ٩٠ وكذلك الذي يليه.

(٤) أنظر الغيبة، ص ٢٦١.

بسنين قليلة. . . توجيهها مصالح وقتية محددة ترجع إلى شخص المهدي (ع) أو إلى مصلحة انتصاره بعد الظهور.

وهذه الأطروحة هي المعنية لا خيار في تعديلها، طبقاً لهذا الفهم غير الامامي. . . لوضح عدم إمكان وجود الغيبة الطويلة، مع العمر المحدد من الستين.

وهذه الأطروحة هي التي فهمها البرزنجي<sup>(١)</sup> من هذه الأخبار حين قال: وهاتان الغيبتان - والله أعلم - ما مر آنفاً أنه يخطي بجبال مكة ولا يطلع عليه أحد. قال: ويؤيده ما روي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، أنه قال: يكون لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض هذه الشعاب، وأوما بيده إلى ذي طوى. أقول: ولم يذكر البرزنجي الغيبة الثانية.

### الأطروحة الثانية

وهي الموافقة للفهم الإمامي للمهدي (ع) القائل: بأن المهدي حي منذ ولادته في القرن الثالث الهجري إلى حين ظهوره في اليوم الموعود.

وهي الأطروحة التي فهمها العلماء الاماميون بشكل عام، ونص قدمائهم على مضمونها بشكل خاص. وهي من ضروريات مذهبهم.

قال النعماني<sup>(٢)</sup> هذه الأحاديث التي يذكرونها: إن للقائم عليه السلام غيبتين، أحاديث قد صحت عندنا بحمد الله. وأوضح الله قول الأئمة عليهم السلام وأظهر برهان صدقهم فيها.

فأما الغيبة الأولى، فهي التي كانت السفراء فيها بين الامام وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين موجودي الأشخاص. . . وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها وتصرفت مدتها. والغيبة الثانية هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط، للأمر الذي يريده الله هو التدبير الذي يحضيه في الخلق بوقوع التمهيص والامتحان. . . وهذا زمان ذلك قد حضر. . . الخ كلامه.

(١) الأشاعة، ص ٩٣.

(٢) الغيبة، ص ٩١/٩٠.

وقال المعيد في الارشاد<sup>(١)</sup>: وله قبل قيامه غيتان: إحداهما أطول من الأخرى، كما جاءت بذلك الأخبار. فأما القصرى منها، مد وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء بالوفاة، أما الطولى فهي بعد الأولى، وفي آخرها يقوم بالسيف.

وقال الطرسي<sup>(٢)</sup>: فانظر كيف حصلت الغيتان لصاحب الأمر على حسب ما تضمنت الأخبار السابقة. أما غيته الصغرى منها فهي التي كان فيها سفراؤه موجودين وأوانه معروفين، لا تختلف الإمامية القائلون بإمامة الحسن بن علي (ع) فيهم... إلخ كلامه.

وقال ابن الصاغ<sup>(٣)</sup>: وهو مالكي المذهب -: وله قبل قيامه غيتان. إحداهما أطول من الأخرى. فأما الأولى فهي القصرى، فممنذ ولادته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته. وأما الثانية، وهي الطولى، فهي التي بعد الأولى في آخرها يقوم بالسيف. قال الله تعالى: لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون

إلى غير ذلك من الأقوال التي يطول المقام بقلها

وقد سبق أن عرفنا في التاريخ السابق، وسريده في هذا التاريخ توضيحاً... مقدار الفرق بين الغيتين الكبرى والصغرى وتتلخص العروق فيما يلي

أولاً: قصر مدة العية الصغرى، إذ كانت حوالي السنين عاماً. بخلاف العية الكبرى، فإنها غير معروفة الأمد، باعتبار جهل بموعد ظهور المهدي (ع) ثانياً: اقتران العية الصغرى بالسفارة الخاصة، القائمة بين المهدي (ع) وقواعده الشعبية، وانقطاع ذلك في العية الكبرى.

ثالثاً: انتهاء أمد العية الصغرى بوفاة السفير الرابع علي بن محمد السعري. وأما الكبرى، فلا زالت سارية المفعول، وتنتهي بيوم الظهور الموعود.

(١) انظر، ص ٣٢٦

(٢) اعلام الوري، ص ٤١٦

(٣) الفصول المهمة ص ٣٠٩

رابعاً إن المشاهدين للمهدي (ع) خلال غيبته الصغرى، أكثر سعة مهمة عنهم في غيبته الكبرى.

ويمكن أن يكون العرق الأول، هو سبب تسمية الغيتين بالصغرى والكبرى . حيث تكون الأولى قصيرة والأخرى طويلة كما يمكن أن يكون العرق الأخير هو سبب التسمية، ويكون المقصود هو قلة الاحتجاب في الصغرى وكثرته في الكبرى.

وعلى ذلك فالغيتان متصلتان لا يفصل بينهما ظهور

وقد سبق في التاريخ السابق<sup>(١)</sup>، أن عرفنا الحكمة الأساسية من إيجاد الغيبة الصغرى، وهو التمهيد الذهني لوجود الغيبة الكبرى في الناس. إذ لو بدأ المهدي (ع) بالغيبة المطلقة فجأة، وبدون إنداد وإرهاص، لما أمكن إثبات وجوده في التاريخ فتقطع حجة الله على عباده

وستعرف في هذا التاريخ تفصيلاً وحة الحكمة من وجود الغيبة الكبرى، سواء ما يعود إلى المهدي نفسه أو إلى المحصلين من أصحابه أم إلى الشريعة كلها من حيث ما يعود عليها من الخير في اليوم الموعود

### ٣

وبالمقدار الذي تكتسبه الغيبة الكبرى من أهميه وصعوبة وعمق في المدى البعيد . يكون التركيز عليها في الأحبار

فيما يكون التركيز على الغيبة الصغرى قليلاً كالحديث الذي أخرجه الصدوق عن أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال - في المهدي (ع) - يعيب عنكم شحوصه ولا يحمل لكم تسميته وقد عرفنا في التاريخ السابق أن حرمة التسمية خاصة بعصر الغيبة الصغرى.

.. نجد أن التركيز على الغيبة شديد في الأحبار.

---

(١) انظر تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٦٣٠ وغيرها

أُحْرَحَ النعماني<sup>(١)</sup> عن أبي عبد الله (ع) في حديث، قال فيه . والله ليعيس سبباً<sup>(٢)</sup> من الدهر، وليحملن حتى يقال مات أو هلك، بأي واد سلك ولتصين عليه أعين المؤمنين ليكفأن كتكفىء السفة في أموح البحر، حتى لا يبحو إلا من أخذ الله ميثاقه، وكتب الإيمان في قلبه وأيده بروح منه الح الحديث، وذكر له عدة أمانيه.

وهذا، بالنص هو الذي سيحدث في عصر الغيبة الكبرى على ما سسمع في هذا التاريخ.

وأُحْرَحَ أيضاً<sup>(٣)</sup> عن موسى بن جعفر عليه السلام، أنه قال . إذا فقد الخامس من ولد السامع فإله الله في أديانكم، لا يريلكم عنها فإنه لا بد لصاحب هذا الأمر من عية، حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به إمد هي عمة من الله يمتحن الله بها خلقه. . . الحديث.

وأُحْرَحَ<sup>(٤)</sup> عن أبي الحارود عن أبي جعفر (ع) قال . قال لي يا أبا الحارود، إذا دار العلك، وقالوا مات أو هلك وبأي واد سلك، وقال الطالب له أن يكون ذلك، وقد بليت عظامه بعد ذلك، فدرجوه الحديث.

وعن<sup>(٥)</sup> أبي عبد الله إن القائم إذا قام يقول الناس أن ذلك وقد بليت عظامه

وعن<sup>(٦)</sup> أبي عبد الله أنه قال إذا فقد الناس الإمام، مكثوا سناً لا يدرون أياً من أي . ثم يظهر الله عز وجل لهم صاحبهم

وعنه (ع)<sup>(٧)</sup> قال: كيف أنتم إذا صرتم في حال لا يكون فيها إمام هدى ولا علماً يرى. . . الحديث.

(١) الغيبة، ص ٧٦

(٢) السب يأتي لغة بمعنى الدهر والبرهة من الزمان

(٣) الغيبة، ص ٧٨

(٤) المصدر، ص ٧٨

(٥) المصدر والمصنفه

(٦) المصدر، ص ٨١

(٧) المصدر والمصنفه

وأخرج الصدوق<sup>(١)</sup> عن الحسين بن علي عليه السلام في حديث له عيبة يرتد فيها أقوام ويشت على الدين فيها آخرون. فيؤذن ويقال لهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. أما أن الصابر في عيبته على الأذى والتكذيب بمرلة المجاهد بين يدي رسول الله وآله الطاهرين الأخيار.

وعن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال. . . ثم تمتد العيبة بولي الله الثاني عشر . . . إن أهل زمان غيبت، القائلين بإمامته والمستطرين لظهوره، أفصل من أهل كل زمان، لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به العيبة عندهم بمرلة المشاهدة. وحملهم في ذلك الزمان بمرلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف. . . الحديث.

#### - ٤ -

فهذه هي الأحبار التي تدل على أهمية العيبة في المدى البعيد وأما الأحبار التي تدل عليها بشكل مباشر، فكثيرة:

أما الغيبة الصغرى، فبدل عليها كل أحبار السمراء الأربعة والوكلاء والمعارضين المحرفين والتوقيعات الصادرة عن المهدي (ع) وكل من رآه منذ ولادته إلى نهاية ذلك العصر . . . إلى غير ذلك من الأحبار التي سمعها تفصيلاً في التاريخ السابق.

وأما العيبة الكبرى، فبدل عليها ما سذكره من أحبار المشاهدة وأحبار التمهيص وأحبار الانتظار وفصل المستطرين وأحبار علامات الظهور، وما دل على فساد الزمان وإسحراف أهله، وغير ذلك، فأما جميعاً مرتبطة ارتباطاً عصوياً بعصر الغيبة الكبرى على ما سنعرف.

#### - ٥ -

ويعمجموع هذه الأدلة، نستطيع أن نفي الأطروحة الأولى التي ذكرناها في

(١) إكمال الدين المصنوع، وكذلك الذي بعده



الفقرة الثانية من هذا البحث.

وذلك لوصوح أنها لا تسجـم مع شيء من هذه الأدلة :

أما أحبار العيبة الصعري، فواضح، باعتار أن الأطروحة الأولى لا تدعي وجود السفراء والوكلاء والمعارضين والتوقعات خلال الغيبة الأولى. بل لم يثبت عن هذه الأطروحة أنها تدعي أن العيبة الأولى أصغر من الثانية، في المدة أو في درجة الاحتماء.

وأما أحبار العيبة الكبرى، فلما ستعرفه من أن أي شيء من التمهيص والانتظار وعلامات الطهور، لا يمكن أن يحدث إلا في دهر طويل وكذلك لا معنى لأخبار المشاهدة وهي متواترة مضمومتاً، مع الاحتفاء القليل الذي يمتد مثلاً لخمس سنوات أو عشر

مضافاً إلى أن ما تقول به الأطروحة الأولى من ظهور المهدي بين الغيبتين... مما لا يفهم وجهه إذ يبقى التساؤل عن أنه لماذا يظهر إذا لم يكن عازماً على أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

فإن قال قائل : أنه يظهر بعد العيبة الأولى ليقوم بمهمته الكبرى، لأنه يتخيل وجود فرص النجاح، وحيث أنها غير موجودة في الواقع، فإنه يفشل في مهمته، فيحتفي مرة ثانية ليظهر بعد ذلك فيقوم بمهمته حبر قيام.

نقول. إن عهدة هذا القول على مدعيه، إذ يتصور المهدي (ع) قاصر التدبير والتعكير من الواسحي الاجتماعية والسياسة والعسكرية، بحيث يمكن أن يسيطر عليه حيال كادب. أما المهدي الذي ذكره الله تعالى ليومه الموعود، وخطط لنجاح مهمته تحظيلاً مضبوطاً عميقاً، على ما سنسمع، فهو قائد عالمي، من المستحيل أن يقع في مثل هذه الأوهام.

- ٦ -

هذا، وقد نرى أئمة الهدى عليهم السلام، يخاطبون الناس على قدر عقولهم، كما هو المعروف في كل كلام بليغ. فهم يأخذون المستوى العقلي والثقافي والإيماني

لمجتمعهم بنظر الاعتار حين يتحدثون عن المهدي (ع) وإذا كان المخاطب والسامع ذا مستوى عال، كان الجواب عميقاً ومفصلاً، وإذا كان ذا مستوى واطئ، كان الجواب مختصراً وباطراً إلى زاوية معينة متجنباً الخوض الكامل في الجواب... طبقاً لهذا القانون.

أخرج النعماني<sup>(١)</sup> والصدوق<sup>(٢)</sup> عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال - في كلام له - : يا بني عقلكم تصعب عن هذا وأحلامكم تضيق عن حله. ولكن أن تعيشوا فسوف تتركوه.

وطبقاً لهذا الاتجاه سمع الأحبار التالية :

أخرج النعماني<sup>(٣)</sup> عن أبي عبد الله (ع) أنه قال. لو قد قام القائم لأنكره الناس، لأنه يرجع إليهم شايأً موقفاً... وإن من أعظم السلية أن يخرج إليهم شايأً وهم يحسبونه شيخاً كبيراً.

وهذا الخبر صادق تماماً، لأن المهدي (ع) سوف يظهر شايأً. كما أن من البلاء العظيم والامتحان العميق أن يخرج شايأً، إذا كانوا يفكرون كونه شيخاً كبيراً. ولكنه لم يقل أنهم يفكرون فعلاً بذلك، ومن هنا يكون الاختصار في العطاء.

إن هذا الخبر يوحي بوضوح أن مدة الغيبة سوف لن تتجاوز مدة العمر الطبيعي الذي يكون به الفرد شيخاً، غير أن الله تعالى سوف يحبط للمهدي شايأه خلال هذه المدة. وهذا العطاء مسجّم مع تلك الذهية التي لا يمكن أن تستوعب بحال، العمر الطويل الذي يمتد مئات السنين.

ومن الواضح أن الناس سوف لن يحسبوه شيخاً، إذ مع تنادي العمر مئات السنين، يتفنى من الذهن مفهوم الشيخوخة تماماً، ويبقى تطور شكل الإنسان بالقدرة الالهية وحدها، تلك القدرة التي حطته هذا المقدار من السنين.

---

(١) الغيبة، ص ٧٨

(٢) انظر الاكمال المخطوط.

(٣) الغيبة، ص ٩٩

وسهو ذلك الخبر السابق عن الإمام موسى بن جعفر (ع) الذي يقول فيه:  
ولكن أن تعيشوا فسوف تدركوه. فإنه من المؤكد أنهم لو عاشوا لأدركوه، ولو  
استلزم عيشهم أن يبقوا في الحياة مئات السنين. ولكنه لم يقل أنهم سوف يعيشون  
فعلاً إلى عصر الظهور.

غير أن الانطباع الأولي لأهل ذلك العصر، عن هذا الحديث، هو أن الظهور  
يمكن أن يحدث خلال عمر طبيعي للإنسان... أو أنه يحدث كذلك فعلاً.

وأخرج الصدوق<sup>(١)</sup> عن زرارة عن الإمام الباقر (ع) أنه قال: إن للقائم غيبة  
قبل ظهوره قلت: ولم. قال: يخاف. وأوماً إلى بطنه. قال زرارة: يعني القتل.  
وعن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: للقائم غيبة قبل قيامه، قلت: ولم. قال:  
يخاف على نفسه الذبح.

وهذا صحيح إلا أنه لم يحدد مقدار الغيبة ولا انقسامها، تبعاً لمستوى  
السامعين.

وأخرج العمادي<sup>(٢)</sup> عن أبي جعفر بن محمد بن علي عليهما السلام أنه قال:  
يكون لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض هذه الشعاب. وأوماً بيده إلى دي  
طوى... الحديث.

وقد احتج البرزنجي<sup>(٣)</sup> بهذا الحديث لأجل استبعاد الفهم الإمامي للمهدي.  
ولا بد أن يكون مراده أن الغيبة بين الشعاب لا تكون إلا خلال العمر الطبيعي  
للإنسان.

وهذا المصموم وإن ناقشاه في التاريخ السابق<sup>(٤)</sup>. إلا أنه يمكن القول  
بصحته، بعد النزول - جدلاً - عن تلك المناقشة. ولا يكون الخبر منافياً مع الفهم  
الإمامي بحال. لوضوح أنه يمكن أن تتصور المهدي (ع) ساكناً في الشعاب

---

(١) انظر الإكمال الموطود، وكذلك الذي يليه

(٢) الغيبة، ص ٩٥

(٣) الأشاعة، ص ٩٣

(٤) تاريخ الغيبة الصغرى، ص ١٦٠

والبراري والقفار طيلة عيته مها طالت . ولا يتعين كونها غيبة ذات مدة قليلة ، كما هو معلوم .

وقد سمعنا في التاريخ السابق<sup>(١)</sup> ما روي عن الإمام المهدي (ع) نفسه ، فيما قاله لعلي بن المازيار . يا ابن المازيار ، أبي أبو محمد عهد إلي أن لا أجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم ولهم الخزي في الدنيا والآخرة ولهم عذاب اليم . وأمرني أن لا أسكن من الجبال إلا أوعرها ، ومن اللاد إلا عفرها .

إذن فمن الممكن أن يكون المراد من كلا الخبرين ، مضمون واحد غير أن هذا المضمون لم يثبت تاريخياً ، كما سمعنا في التاريخ السابق ، ويستصح بحلاء في القسم الأول من هذا التاريخ

## - ٧ -

بقيت علينا بعض الاستفهامات التي قد تثار حول بعض ما سبق .

### الاستفهام الأول :

إن بعض الأحبار ، التي رويناهما في الفقرة الأولى من هذا البحث ، دلت على أن العيبة الطويلة ، تحدث قبل القصيرة . كقوله في بعضها : للفائم عيتان إحداها طويلة والأخرى قصيرة . وقوله في الخبر الآخر : إحداها أطول من الأخرى وهذا ما دل على ما ذكرناه .

وجوابه . إن المراد من ذلك ، الإحساس عن وجود العيتين . وأما تقديم الغيبة الطويلة بالذكر ، فاعتبار أهميتها لا باعتبار سبقها الزمني على العيبة الأخرى . وقد قال في نفس الخبر : فالأولى يعلم بمكانه الخاصة من شيعته ، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه في ديه . وهو نص بتقديم الغيبة الصغرى التي تتصف بقلة الاحتجاب على صاحبها .

### الاستفهام الثاني :

قوله في بعض تلك الأحبار : يظهر في الثانية فإنه دال على أنه (ع) يظهر

---

(١) المصدر والمصنف

خلال الغيبة الثانية فكيف يصح ذلك؟.

وجوابه: أن هذه المكرة التي فهمها السائل تتضمن نهافاً في التصور، لتنافي الغيبة مع الطهور، فلا معنى لأن يظهر وهو غائب. وإنما المراد أنه يظهر بعد انتهاء الغيبة الثانية. كما هو معلوم.

#### الاستفهام الثالث:

قوله في بعض تلك الأحبار: إن لصاحب هذا الأمر غيبتين في إحداهما يرجع إلى أهله. وهو دال على أن المهدي (ع) خلال الغيبة الصغرى يرجع إلى أهله. فما معنى ذلك؟.

وجوابه: أننا سمعنا في التاريخ السابق<sup>(١)</sup> أن الإمام المهدي (ع) كان ساكناً في دار أبيه في سامراء ردهاً من عصر غيبته الصغرى. وهو دار أهله بطبيعة الحال، كما نطق هذا الخبر.

وبحتمل أن يكون المراد إعطاء فكرة قلة الاختفاء خلال الغيبة الصغرى، مشهاً بمن يخرج من أهله ويعود. ومن هنا يقول في الخبر - بالنسبة إلى الغيبة الكبرى - . والأحرى يقال: هلك في أي واد ملك.

#### الاستفهام الرابع:

سمعنا المعيد فيما سبق يقول: فأما القصرى منها، مد وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته. وكذلك قال ابن الصباغ.

على حين سمعنا من التاريخ السابق<sup>(٢)</sup> أن أول الغيبة الصغرى هو يوم وفاة الإمام العسكري (ع) والد المهدي (ع). وليس أولها ولادة المهدي نفسه. . وإن كان محتجاً فعلاً خلال حياة أبيه. فأبي الوجهين هو الصحيح؟

وجوابه: إن الوجه الذي اختراه في التاريخ السابق هو الصحيح، وهو بدء الغيبة الصغرى، بوفاة الإمام العسكري (ع)، وقد سبق أن برهنا عليه هناك.

---

(١) انظر تاريخ الغيبة الصغرى، ص ٤٤٣

(٢) المصدر السابق، ص ٤

ويكل ذلك، يترهن انقسام الغيبة إلى صغرى وكبرى، بالمفهوم الإمامي .  
وإذا كان هذا من صفات المهدي (ع) ولم ينسجم إلا مع المفهوم الإمامي ، بتعين  
الأخذ بهذا المفهوم بالخصوص .

وطبقاً لذلك، كتبنا فيما سبق تاريخ الغيبة الصغرى أولاً، ونكتب الآن تاريخ  
الغيبة الكبرى، وهو هذا الكتاب الذي بين يديك .





## مقدمة

الغية الكبرى هي الرمان الذي يبدأ بانتهاه الغية الصغرى، بالاعلان الذي اعله الإمام المهدي عليه السلام، عام ٣٢٩ للهجرة، بانتهاه السفارة ويده الغية الثامنة وأنه لا ظهور إلا بإذن الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

وهو الذي ينتهي بيوم الطهور الموعود الذي يزرع فيه نور الإمام المهدي عليه السلام، وتسعد البشرية بلقائه ليخرجها من الظلمات إلى النور، ويملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

ومعه تكون الآن معاصرين لهذه الفترة التي يؤرخها، وميقى الناس معاصرين لها، حتى يأذن الله تعالى بالفرح.

والإسلام والمسلمين يبرون في هذه الفترة بأصعب الظروف التي عاشوها، بل التي عاشها أهل سائر الأديان السماوية، بشكل عام. باعتار ما تتصف به من خصائص ومميزات يجعلها من أحرع الأحوال في مطلق الاسلام بالسعة إلى ما سبقها وما يلحقها من الدهور.

### الخصيصة الأولى.

وهي الرئيسية التي تعطي هذه الفترة شكلها المعتاد وهي: ان المسلمين منقطعون بالكلية عن قائدهم وموجههم وإمامهم، لا يجدون إلى رؤيته والتعرف عليه سبيلاً، ولا إلى الاستعانة من أعماله وأقواله طريقاً. ولا يجدون له وكيلاً أو سفيراً خاصاً، ولا يسمعون عنه بياناً ولا يرون له توقيعاً، كما كان عليه الحال

---

(١) انظر تاريخ الغية الصغرى، ص ٤١٥ وما بعدها وص ٦٣٣ وما بعدها

خلال الغيبة الصغرى إذ في هذه الفترة التي يؤرجحها يكون كل ذلك قد انقطع بشكل عام.

وبذلك تتميز هذه الفترة عن سائر الفترات في عمر الإسلام والمسلمين فهي تختلف عن زمان وجود النبي (ص) و زمان الأئمة الاثني عشر عليهم السلام و زمان ظهور المهدي عليه سلام بوجه واحد والموجه خلال تلك الفترة دون هذه الفترة. وتختلف عن زمان الغيبة الصغرى بوجود لسماء للمهدي (ع) و صدور اليبات والتوقيعات عنه، خلال تلك الفترة، دون هذه الفترة التي يؤرجحها

#### الخصيصة الثانية

سيادة الظلم والخور في الأرض بمعنى احصار لإسلام نظامه العادل عن المجتمعات الشريفة، وما تعاقبه الشريعة - سحنة لذلك - من أحواء التعسف والانحراف والظلم والخور.

وبذلك تتميز هذه الفترة عن زمان سيادة انظام لإسلامي الكامل، وهو ما كان في زمان وجود النبي (ص) وإقامته لدولة الحق، وما سيكون عند ظهور الإمام المهدي (ع) وإقامته لدولة الحق أيضاً

وتشترك فترة الغيبة الكبرى، بهذه الخصيصة، مع كل أرمسة احصار الإسلام - ولو احصاراً حثيثاً - عن واقع الحياة كآرمسة الخلفاء الأمويين والعباسيين. وإن كانت ظروفها المتأخرة أشد وأقسى مما قبلها من حيث سيادة المبادئ المادية وقسوة الظلم والتعسف، وتهديد الشريعة بالقضاء بالخراب العالمية الثالثة.

#### الخصيصة الثالثة تأكد الامتحان الإلهي ووصوحه

إن كل فرد - على الإطلاق - يواجه في هذه الفترة مزلق ثلاثة، تشكل خطراً على دينه وعلى دنياه، ويمقدار ما يبدله من تضحية وما يملكه من قوة في الإرادة، فإنه يستطيع أن يضمن معادته وحسن مستقبله ويواجهه في الامتحان الإلهي المزلق الأول.

ما يواجهه الإنسان من شهوات وبوارع ذاتية طيعية، تتطلب منه الاشباع

بإخاخ، ولا يسكن صوتها إلا بالإشباع التام وهي تتطلبه من أي طريق كان، لا  
تعين لصاحبها الطريق المشروع خاصة بل يمكنها أن تطلق لصاحبها العنان فلا  
يبصر ما بين يديه من قوايين وتقاليد وأديان وحدود

وهذا المزلق غير خاص بعصر العيبة الكبرى، ولكنه فيها أكد وأشد تأثيراً  
باعتبار ريادة الأعراء وتليس الاحراف باللوس لمطقي الرثف  
المزلق الثاني.

مواجهة الإنسان لصروب الاصطهاد ونصعظ والصعوبات التي يواجهها في  
طريق الحق والإيمان مما يحتاج في مكافحته إلى قوة في لارادة وعزم عن  
التضحية

وهذا المزلق يواجه الفرد في زمن انحسار الإسلام عن واقع الحياة بما في ذلك  
زمان العيبة الكبرى  
المزلق الثالث

مواجهة الإنسان لصروب الشك في وجود إمام القنن المهدى عليه  
السلام، كما طال الزمان وسعد شخص الإمام عن واقع حياته، وطغت عن  
فكر الإنسان المبادئ المادية التي تسعد عن حساب علم الروح، وكل ما هو  
غير محسوس ولا منظور.

وهذا المزلق، يواجهه فرد في زمان عيبة الإمام عليه السلام وخاصة في  
عبته الكبرى التي يعدم فيها سفره وبالأخص بعد لهضة الأوروبية المادية  
وبدء عصر الاستعمار وطعنات لثير لمادي العالمي الحرف

وعمقار ما يتطلع فرد من يحصل انبعاث صد هذه لثاراب، ولصمود  
لفكري أمامها، وانتركز على مفاهيم لإسلام وبراهينه، فإنه يستطيع أن يصمم  
سعادته عند الله عز وجل في الدنيا والآخرة

وكل هذه المزالق الثلاثة، تحتتم بإخاخ وتأكيد، في عصر العيبة الكبرى  
بشكل واضح وصريح ومن هنا كان الامتحان الإلهي لصلاحية الفرد إسلامياً  
وقوه إرادته بمبدأ، كان شديد الوقع كبير التأثير صعب الاختيار ومن هنا ورد في  
بعض النصوص عن أئمة الهدى عليهم سلام حين سئل عن موعد ظهور

المهدي (ع): لا والله حتى تمحصوا، ولا والله حتى تعربلوا، ولا والله حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد<sup>(١)</sup>.

وهذا الامتحان الإلهي إما شرع وأبجز وليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة<sup>(٢)</sup> فإن من يشقى ويحرف، يكون مقتنعاً بصواب رأيه وعمله، فيهلك شقياً محرفاً، يستحق الدعة الإلهية والخسران الأبدى. وأما من سعد بإيمانه نتيجة للامتحان، فإن إيمانه يكون صلباً قوياً محصاً، بمعنى كونه ثابتاً رغم الظلم والطغيان، ونتيجة للصمود والانتصار وهو من أعظم وأرفع الإيمان فيحيى كل منهما ببينة، ويهلكان عن بينة.

### صفة البحث ومصابه

إن تاريخ الغيبة الكبرى، من حيث حوادثه العامة لعله من أوضح التواريخ وأسهلها تحيلاً، لأنه من التواريخ القريبة أو المعاصرة التي لا رلنا بعيشها وممارس حوادثها.

إلا أن تاريخ هذه الفترة، فيما يخص المهدي عليه السلام، من أشد العموص والتعقيد، وصعوبة الاستنتاج، لما يشير إليه من العوامل من الباحث الذي يطرق هذا الباب سوف يواجه عدداً صحيحاً من الأسئلة لا بد من الجواب عليها، ليكون البحث بحثاً تاريخياً مطبوعاً واعياً إسلامياً. وأما مع إهمال بعضها أو قسم منها، فإننا سواجه مראعات أو فجوات تاريخية مؤسفة. ومن هنا تكون وظيفة الباحث تحصيل الجواب على أكثر الأسئلة - على الأقل - لينتم لنا التاريخ المظم الكامل الواعي.

من الأسئلة التي بواجهها التساؤل عن مكان الإمام المهدي (ع) في عيشته الكبرى، وطريقة حياته، وأساس عيشه الاعتيادية، وهل يواجه الناس، ومق بواجههم، وماذا يقول لهم، وما هي سياسته العامة أمام المجتمع بشكل عام، ونجاء قواعده الشعبية المؤمنة به، بشكل عام، ونجاء الدين يقابلونه بشكل خاص.

(١) انظر الحديث وايضاح الامتحان الاولي في داخل هذا الكتاب

(٢) الامال: ٤٧/٨

وكيف يقضي وقته الطويل في خلال هذه السنين المترامية والقرون المتطاولة .

وهل هو متزوج وله ذرية أم لا ؟ وإذا كان متزوجاً فمن هي زوجته ، وأين هم أولاده ؟ . وإذا لم يكن متزوجاً ، فهل يمكنه الزواج ، ومتى يتزوج ؟

ثم أنه هل من المستطاع تخمين وقت ظهوره إجمالاً ؟ وما هي العلامات التي نعرف بها قرب وقت الظهور . وهذه العلامات الواردة في الأحبار ، ما الذي يصح منها وما الذي لا يصح . وما هو الأسلوب الواعي الذي يمكن أن نعلم به من هذه العلامات . . إلى غير ذلك من الأسئلة الكثيرة المتنوعة

والجواب على عدد من هذه الأسئلة ، وإن كان ممكناً على صوء ما وردنا من الأخبار عن المعصومين عليهم السلام ومن الأخبار التي تضمنت مشاهدة الإمام عليه السلام . إلا أن عدداً آخر من الأسئلة لم يرد جوابه في رواية عن الإطلاق ، أو ورد جوابه عامصاً مجملاً ، أو بشكل قام الدليل العقلي أو الشرعي على فساده وبطلانه .

ومن هنا نستطيع أن نلخص عوامل التعقيد والغموض في هذا البحث في العوامل التالية .

### العامل الأول :

ضآلة أو اعدام الدليل الصالح للجواب على بعض الأسئلة ، كما أشرنا ، كالإشارة إلى مكانه أو طريقة حياته أو تحديد سياسته العامة تجاه الآخرين . . . كما نسمع .

### العامل الثاني :

إن بعض ما وردنا من الأحبار ، قام الدليل على بطلانها ، واقتضت القواعد العقلية أو الشرعية بطلانها . وذلك نتيجة لعدم الوعي ، والاحتراف الذي عاشه بعض الرواة نتيجة تأثيرهم بعوامل الشر السائدة في عصور العيبة الكبرى ومن هنا كان لا بد من أخذ الأحبار بحذر ، والفرار إليها بمطار النقد .

### العامل الثالث :

إن أغلب بل جميع ما وردنا من الأحبار مما يصلح تاريخياً لهذه الفترة ، لا نجدها تواجه المشكلة المطروحة بصراحة أو تعطينا الجواب بوضوح . بل نراها

بجميع أساليبها وحقوقها تحيط المهدي (ع) سبابة من القدس والغموض، بحيث لا يمكن الكلام المباشر عنه، أو الخوض في حاله وكأنه لا بد من إعطاء صورة واحدة من حياة وقسم صغير من واقع، لا يكاد يسم من جوع أو يقبي عن سؤال ومن هنا يضطر الباحث إلى استئمام ما وراء الحوادث والنظر إلى لدلالات المعيدة، ومحاولة إيجاد النظر الجموعي إلى الأحبار وتكوين نظرة عامة موحدة عن الجميع، قائمة على أساس صحيح من حيث قواعد الإسلام

### العامل الرابع .

عدم مشاركة المسلمين من إخواننا العامة في هذا الحقل فاهم روي في ميلاده ورووا في ظهوره، إلا أنهم لم يسوا ست شعة تجاه أحبار العية الكبرى، ما عدا بعض النادر من أحبار مشاهدتهم للمهدي خلال هذه الفترة

والعذر هم في ذلك واضح عقائدياً، وذلك لأنهم لا يرون وجود المهدي خلال هذه الفترة، بل يذهب أكثرهم إلى أن المهدي شخص يولد في وقت المعين عند الله تعالى ليملا الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً

وأما نحن، فحين نفهم الدليل على حياته من حيث إماكنها وتحققها، فيفتح الكلام عن العية الكبرى سحياً موهراً بما فيها من حقائق وتاريخ أما هذا الدليل المشار إليه فهو موكول إلى أجزاء آتية من هذه الموسوعة وأما الترييح فهو مما يتكفنه هذا الكتاب

ويكاد الكلام أن يخصص فيما ورد من طرق الامامية من الأحبار، فيكون عددها - ولا شك - أقل بكثير مما لو شاركت أحبار العامة بإمدادها بصاً أو معنى

إلا أن ذلك مما لا يكاد يحمل بغرضاً من هذا البحث، فإن العرض الأساسي منه هو إثبات الفكرة الكاملة عن الإمام المهدي (ع) كما تعتقدها قواعده الشعبية، وكما تقتضيها قواعد العقل والإسلام، الحالية من الروايت والخبروات والاشراعات. ليري منكرها - من أي صنف كانوا من البشر - مقدار ما في الفكرة الإمامية عن المهدي من عدالة ووعي إسلاميين.

ومعه، فيسعي الاقتصاد على ما ورد في طرف من أحبار وعي ألسة مؤرخينا من كلام، حتى تبرر الصورة المطلوبة من خلال ذلك، دون زيادة أو تحريف. مع



صم القليل مما ورد من أحاد العامة صاحبة لتاريخ هذه الفترة، فإنه يكون أيضاً محظاً للاستدلال والاعتماد، عندما يجرى بحثه بعد التمحيص.

### تدليل هذه المصاعب:

يكون تدبيل الصعوبات المهيبة الناتجة عن هذه العوائق، بإيجاد مخرج معين وقاعدة عامة يمكن تطبيقها والاستفادة منها في جميع الموارد، وتحصيل الجواب الشافي عن كل سؤال على أساسها.

ولمحقق المصاعب يدي مسر عليه، هو أن السؤال التاريخي، له صورتان إحداهما أن يوجد في الأحاد ما يصلح أن يكون جواباً عنه، وثانيهما أن لا يوجد في الأحاد شيء من ذلك ويقع الحديث عن كل من الصورتين مستقلاً

### الصورة الأولى:

ما إذا كان الجواب على السؤال التاريخي، موحوداً في الأحاد فهي مثل ذلك لا بد من النظر الفاحص الناقد الممحض، وعرضه على القواعد العامة العقلية والشرعية وحيداً، فلا يحلو أمره أما أن يسحبه معها أو لا يسحبه وعلى كلا التقديرين فأما أن يوجد له معارض من الأحاد أو لا يوجد، إذن يكون للجواب عدة حالات

### الحالة الأولى:

أن يكون مضمون الخبر أو العدد من الأحاد، الصالح لتدليل مشكلة التاريخية، مسحوباً مع القواعد العامة العقلية والشرعية، ولا يكون له معارض فأخذ به ونسب عليه. ولا إشكال في ذلك.

ونقص بالاسحاح مع القواعد، مجرد عدم اساق بين مضمون الخبر وبينها بمعنى أنه لا توجد قاعدة عامة نافذة له أو دالة على بطلانه وأما الاسحاح بمعنى الاتفاق معها في المضمون، فهو غير محتمل، لأن شأن القواعد العامة عدم التعرض إلى الموارد الخاصة والخصائص التفصيلية فتبقى درجة إثبات الخبر لمضمونه بمقدار ما له من قوة إثبات واعتبار ووثقه في الروي وتربط في المدلول، وتعدد في انقول التاريخية ووجود الشواهد والقرائن على صحتها ونحو ذلك

ولا بد - على هذا المستوى - من جمع الأخبار، والظر إلى موارد انعاقها واختلافها، وما تستقل ببيانها بعض الأخبار دون بعض، لكي يستج من ذلك نظرية متكاملة تدل عليها سائر الأخبار ولا يافيها شيء منها. لكي تصلح أن تكون هذه الأطروحة أو النظرية جواباً شافياً عن السؤال التاريخي أو المشكلة المطروحة.

#### الحالة الثانية:

أن يكون مضمون الخبر، خالياً عن المعارض، إلا أنه معارض مع القواعد العامة العقلية أو الشرعية. ومن المعلوم - في مثل ذلك - لزوم طرحه وعدم الأخذ به.

إلا أننا نود أن نشير إلى أن الساقط من الخبر يكون محدداً بحدود المدلول الباطل، دون غيره. فلو احتوت رواية واحدة على مضمون باطل ومضمون صحيح، أخذنا بالصحيح ورفضنا الباطل، ولا يستدعي رفض بعضها رفض الجميع.

وعلى أي حال، فلو سقط مضمون الخبر، ولم يصلح لحل المشكلة، ولم يكن غيره موجوداً، كان المورد - في الحقيقة - خالياً عن الإثبات التاريخي، فيدرج في الصورة الثانية الآتية.

#### الحالة الثالثة -

أن يكون مضمون الخبر معارضاً بمثله، فكان لدينا على السؤال التاريخي جوابان متعارضان في الأخبار. فأي من الجوابين أو الخبرين نقدم؟ هذا له عدة أشكال:

#### الشكل الأول -

أن يكون أحد الخبرين منسجماً مع القواعد العامة دون الآخر. فنأخذ بالمنسجم بطبيعة الحال، وندع الآخر، لأن انسجام الخبر مع القواعد يكون مرجحاً له في مورد التعارض.

#### الشكل الثاني:

أن يكون كلا الخبرين المتعارضين غير منسجمين مع القواعد العامة، فيتعين

طرحهما معاً، ويبقى السؤال خالياً عن الجواب، فيندرج في الصورة الثانية الآتية

**الشكل الثالث.**

أن يكون كلاهما متسجمين مع القواعد العامة، أي أنها لا تنافي أيأً مـبها ففي مثل ذلك لا بد من الرجوع إلى القرائن الخاصة للترجيح، ككثرة الأخبار في أحد الحائسين أو اعتصاده بقول أخرى، ونحو ذلك، وإن لم توجد مثل هذه القرائن فلا بد من الالتزام بتساقط المضمومين. فيكون المورد كأنه حال عن الآخر يعجز كل مـبها عن الاثبات التاريخي فيندرج السؤال في الصورة الثانية الآتية.

ونكرر هنا أيضاً، أن سقوط بعض مـداليل الخير نتيجة للتعارض، غير موجب لسقوط جميع ما دلت عليه من مضامين.

**الصورة الثانية:** ما إذا كان المورد حالياً عن الجواب في الأخبار بالمرة، أو كان الخير الدال على وجوبه ساقطاً عاجزاً عن الاثبات، لفساده بحسب القواعد العامة أو نتيجة للتعارض، بالنحو الذي أوضحناه في الصورة الأولى.

وفي مثل ذلك يبقى المورد حالياً عن الجواب، ويمكن اعتباره فجوة تاريخية مؤسمة بالنسبة إلى الأخبار وينحصر تحصيل الجواب عليه من القواعد العامة والقرائن المرتبطة بالمورد ثم نصوع للجواب (أطروحة) معينة بمحنة الصدق، ونقيم من هذه القواعد والقرائن مؤيدات لها. فيتعين الأحد هذه الأطروحة بصفتها الحل الوحيد للمشكلة

**فكرة من مباحث الكتاب:**

إذا اتضح هذا المنهج وصح، يكون في الامكان أن ندخل في تفاصيل تاريخ العيبة الكبرى، مقسمين البحث إلى أقسام ثلاثة.

**القسم الأول**

في تاريخ شخص الإمام المهدي (ع) خلال هذه الفترة، وما يتصف به من خصائص وصفات.

**القسم الثاني:**

في سرد الحوادث والصفات التي تكون للانسانية عامة وللمجتمع المسلم

خاصة، بحسب ما ورد في الأخبار، وما تقتضيه القواعد العامة

### القسم الثالث

في علائم الظهور لواردة في الأحبار ومحاولة فهمها فهماً واعياً مطعماً، على ضوء  
المهج السابق

وهذا لا بد أن يشير إلى تعدد ما كما عمله في تاريخ العبة الصعري من إعطاء  
فكرة عن التاريخ العام للفترة التي تعرض لها قبل التكلم من تاريخها الخاص  
المقصود فإن فترة العبة الصعري حيث كتب محدوده أمكن صبط تاريخها العام،  
في فصل معين وأما فترة العبة الكري، فتقسم إلى مستقل وإلى ماصر،  
بالنسبة إلى عصرها الخاص. أما المستقل فلا يعلمه إلا الله عز وجل وأما الماصي  
فلو اتسع المجال لصبط تاريخ طوله حوالي ألف ومئة سنة، لأمكن أن يتصدى  
لذلك إلا أن ذلك خارج عن طوق البحث الفردي، مهما راد واتسع. فضلاً عن  
المبني على اختصار.

عل أن للعدد المثقف الاعتيادي فكرة كافية عن التاريخ الحديث في الألف سنة  
المعاصرة. وهي وإن كانت فكرة مختصرة إلا أنها كافية في التقديم لهذا البحث، ولا  
تحتاج إلى أكثر من ذلك لندرة ارتباط التاريخ الخاص بالمهدي (ع) خلال هذه  
الفترة بالحوادث العامة. بخلاف ما كان عليه الحال في زمن الأئمة المعصومين (ع)  
والغية الصعري من زيادة الارتباط



## القسم الأول

### تاريخ شخص الامام المهدي

من حيث مكانه ومعيشتة وتكليفه الشرعي بحفظ الشريعة الإسلامية،  
ولقائه مع الناس وقضائه لحوائجهم، والكلام عن ذريته، وغير ذلك.  
والكلام حول ذلك يقع ضمن فصول متعددة





## الفصل الأول

### في السر الأساسي لغية المهدي (ع)

ونريد به الأسلوب الأساسي الذي يتبعه عليه السلام في احتجابه عن الناس ونجاته من براثن الظلم وبمعرفتنا لهذا الأسلوب، سيهل علينا الجواب على عدد كثير من الأسئلة التي تثار في العصور الآتية، إن شاء الله تعالى.

وبواجه في بادئ الأمر، في أسلوب احتجابه أطروحتين أساسيتين:

#### الأطروحة الأولى - أطروحة خفاء الشخص.

وهي الأطروحة التقليدية المتعارفة المذكورة في دهر عدد من الناس، وتدل عليه ظواهر بعض الأدلة على ما سسمع. وهي أن المهدي (ع) يجتمعي جسمه عن الأنظار، فهو يرى الناس ولا يرويه، وبالرغم من أنه قد يكون موجوداً في مكان إلا أنه يُرى المكان حالياً منه.

أخرج الصدوق في اكمال الدين<sup>(١)</sup> بإساده عن الريان بن الصلت، قال: سمعته يقول: مثل أبو الحسن الرضا (ع) عن القائم (ع)، فقال: لا يرى جسمه ولا يسمى باسمه.

وأخرج بإساده عن الصادق جعفر بن محمد (ع) في حديث: قال: الخامس من ولد السابع يعيب عنكم شخصه ولا يحل لكم تسميته.

---

(١) انظر الاخير الثلاثة في المصدر المطبوع

وأحرج أيضاً بإساده عن عبيد بن ررارة قال سمعت أبا عبد الله (ع) يقول:  
يعقد الناس امامهم ويشهد الموسم فيراهم ولا يروه

وهذه الأطروحة هي أسهل افتراض عملي لاحتجاب الإمام المهدي (ع) عن  
الناس وبحته من ظلم الظالمين. فانه في احتجائه هذا يكون في مأمن قطعي حقيقي  
من أي مطاردة أو تكيل، حيثما كان على وجه السبيل.

وهذا لاحتفاء يتم عن طريق الاعمار الإلهي، كما تم طول عمره لدى  
السس المتطاوئة بالاعمار أيضاً وكان كلا الأمرين لأجل حفظ الإمام المهدي (ع)  
عن الموت والاحتدار، لكي يقوم بمسؤولية الإسلامية الكبرى في اليوم الموعود

وحيث نعم بالدليل القطعي في الإسلام أهمية هذا اليوم الموعود عبد الله عز  
وجل وعهد رسوله، فانه اليوم الذي يتحقق به العرص الأساسي من خلق  
البشرية، عن ما سنعرف، وتتعد به آمال الأسياء والمرسدين، وتكمل جهودهم  
بالساح، بوجود المجتمع للعادل والجار دولة الحق. كما أما سرهم<sup>(١)</sup> على أن  
الأهداف الإلهية المهمة، إذا توقف وجودها على المعجزة، فان الله تعالى يوحد لها  
محالة، من أجل تحقيق ذلك الهدف المهم

١. يعتقد كما هو المعروف في هذا التاريخ - بولادة الإمام المهدي (ع)  
لحجبه عن العامة، سرهم لهذا بوصوح كيف ولماذا تعلق العرص الإلهي  
بمحطة معينة كما معنى بطون عمره فإذا كانت صباهته منحصرة باحتفاء  
شخصه لرم عن الله عز وجل نبي هذه المعجزة وفاء بعرضه الكبير.

وبصف هذه الأطروحة الأولى، قائلة: بأن هذا الاحتجاب قد يرول أحياناً،  
عدم بوجد مصلحة في رواه. كما لو أراد المهدي (ع) أن يقابل شخصاً من الشر  
لأجل أن يقضي له حاجة أو يوجه له توجيهاً أو يذره إداراً. فان المقابلة تتوقف  
على رؤيته، ولا تتم مع الاختفاء.

ويكون مقدار ظهوره للناس محدوداً محدوداً لمصلحة، فان قصت أن يظهر  
للناس ظهوراً تاماً لكل رائبي تحقق ذلك، واستمرت الرؤية بمقدار أداء عرصه من

---

(١) انظر لمعزة في القهوم الإسلامي، مخطوط للمؤلف

المقدلة. ثم يحتجب فجأة فلا يراه أحد، بالرغم من أنه لم يعادر المكان الذي كان فيه. وإذا اقتضت ظهوره لشخص دون شخص تعين ذلك أيضاً، إذ قد يكون انكشافه للآخرين خطراً عليه.

وعلى ذلك تحمل كل أخبار مشاهدة المهدي (ع) خلال عيته، حتى ما كان خلال العية الصغرى، وخاصة فيما سمعاه في تاريخ العية الصغرى<sup>(١)</sup> بأن المهدي (ع) ظهر لعمه جعفر الكذاب مرتين؛ ثم احتجى من دون أن يعلم أين ذهب. فإنه يعطي أن الاحتفاء كان على شكل هذه الأطروحة

وأما أخبار المشاهدة خلال العية الكبرى، معصها ظاهر في الدلالة على ذلك، بل منها ما هو صريح به بل أن بعض هذه الأخبار تتوسع، فتنسب الاحتفاء إلى مرسة الذي يركبه وحادمه الذي يخدمه، بل حتى الصراف الذي يحول عليه شخصاً لأخذ المال<sup>(٢)</sup>.

وأود أن أشير في هذا الصدد إلى أن هذه الأطروحة في عي عما سره بعض مؤرخي العامة على المعتقدين بعية المهدي (ع) من أنه برل إلى السرداب واحتجى فيه ولم يظهر كما سبق أن ناقشنا ذلك في تاريخ العية الصغرى<sup>(٣)</sup>. وأن أخبار مشاهدة المهدي (ع) في كل من عيته الصغرى والكبرى مجمعة على مشاهدته في أماكن أخرى وعلى أي حال، فهذه الأطروحة في عي عن ذلك، بوصوح إمكان احتفاء المهدي (ع) شخصه في أي مكان، ولا يحصر ذلك في السرداب بطبيعة الحال.

وسبأتي في الفصول الآتية، ما يصلح أن يكون تكملة للتصور المترط للمهدي (ع) بحسب هذه الأطروحة.

## الأطروحة الثانية أطروحة خفاء العنوان

ويريد به أن الناس يرون الإمام المهدي (ع) شخصه بدون أن يكونوا عارفين

(١) نظر من ٣١٤

(٢) أنظر النجم الثاقب، ص ٣٥٦

(٣) نصير، ص ٥٦٣

أو ملتصين إلى حقيقته.

فإننا سبق أن عرفنا من تاريخ العمية الصفري، أن المهدي (ع) ربه أبوه محتجياً عن الناس، إلا القليل من الخاصة الذين أراد أن يطلعهم على وجوده ويشت لهم إمامته بعده ثم ازداد المهدي (ع) احتجاجاً بعد وفاة أبيه وأصبح لا يكاد يتصل بالناس إلا عن طريق سعرائه الأربعة غير عدد من الخاصة المأمونين الذين كانوا باحثين عن الخلف بعد الإمام العسكري عليه السلام، كعلي بن مهزيار الأهوازي وغيره. وكان المهدي (ع) يؤكد عليهم في كل مرة الأمر بالكتمان والخلر.

وكلما تقدمت السنين في العمية الصفري، وتقدمت الأجيال، قلّ الذين عاصروا الإمام العسكري عليه السلام وشاهدوا إمام المهدي (ع)، حتى انقرضوا. ووجدت أجيال جديدة لا تعلم من أسلوب اتصالها بالإمام (ع) إلا الاتصال سعيه، على أفصل التقادير. وكان هذا الخيل - شكل عام - جاهلاً بالكلية بسحنة وشكل إمامه المهدي (ع)، بحيث لو واجهوه لم عرفوه البتة إلا بإمامته دلالة قطعية على شخصيته.

ومن هنا تيسر له - كما علمنا في ذلك التاريخ - فرصة السفر إلى مختلف أنحاء البلاد كمكة ومصر، من دون أن يكون ملتبساً لخطر أحد.

وهذا ما نعيه من حفاء العوان. فإن أي شخص يراه يكون عافلاً بالمرّة عن كونه هو الإمام المهدي (ع). وإنما يرى فيه شخصاً عادياً كسائر الناس لا يلفت النظر على الإطلاق.

ويمكن للمهدي (ع) أن يعيش في أي مكان يختاره وفي أي بلد يفصله مسين متطورة، من دون أن يلفت إلى حقيقته نظر أحد. وتكون حياته في تلك الفترة كحياة أي شخص آخر يكتسب عيشه من بعض الأعمال الحرة كالتجارة أو الزراعة أو غيرها. ويبقى على حاله هذه في مدينة واحدة أو عدة مدن، حتى يأذن الله تعالى له بالفرح.

ويمكن الاستدلال على هذه الأطروحة، انطلاقاً من راويتين:

## الزاوية الأولى.

الأحبار الواردة بهذا الصدد منها: ما أخرجه الشيخ الطوسي في العيبة<sup>(١)</sup> عن السفير الثاني الشيخ محمد بن عثمان العمري أنه قال. والله إن صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كل سنة يرى الناس ويعرفهم ويرونه ولا يعرفونه.

والمقصود بصاحب هذا الأمر. الإمام المهدي (ع)، والمراد بالموسم موسم الحج والرواية واضحة الدلالة على عدم احتفاء الشخص ومقتربة بالقسم بالله تعالى تأكيداً وصادرة من سفير المهدي (ع) وهو أكثر الناس اطلاعاً على حاله. ومنها: ما ورد عن السفير من قوله حول السؤال عن اسم الامام المهدي (ع). وإذا وقع الاسم وقع الطلب<sup>(٢)</sup>.

فانه ليس في طلب الحكام للمهدي (ع) ومطاردتهم له، أي خطر ولا أي تأثير، لو كانت الأطروحة الأولى صادقة وكان جسم المهدي (ع) محتجباً، إذ يستحيل عليهم الوصول إليه وإنما يبدأ الخطر والنهي عن الاسم تحجباً للمطاردة طبقاً للأطروحة الثانية فإنه ما دام عنوان المهدي (ع) واسمه مجهولين، يكون في مأس عن المطاردة، وأما إذا وقع الاسم وعرف العنوان، لا يكون هذا الأمر متحققاً ويكون احتمال المطاردة قوياً.

ومنها ما ورد من التوقيع الذي حرق من المهدي (ع) إلى سفيره محمد بن عثمان رضي الله عنه يقول فيه. فاسم إن وقفوا على الاسم أداعوه، وإن وقفوا على المكان دلوا عليه<sup>(٣)</sup>

فانه لو صدقت الأطروحة الأولى لم يكن رؤية المهدي (ع) في أي مكان عن الإطلاق، ولم يكن في الدلالة على أي مكان خطر أصلاً وإنما يكون الخطر موجوداً طبقاً للأطروحة الثانية.

ومنها: ما قاله أبو سهل النوبختي حين مثل فليل له. كيف صار هذا الأمر

---

(١) انظر المصدر ص ٢٢٩

(٢) نفس المصدر، ص ٢١٩

(٣) المصدر، ص ٢٢٢

إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دولك، فقال. هم أعلم وما احتاروه ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناطهم. ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وصغفتي الحجة على مكانه لعلّي كنت أدل على مكانه. وأبو القاسم فلو كانت الحجة تحت دبله وفرص بالمقاريض ما كشف الدليل عنه<sup>(١)</sup>

ومن الواضح أنه لا معنى لكل هذه الاحتياطات والتحفظات مع صحة الأطروحة الأولى أي احتواء شخص المهدي عليه السلام وإنما لا بد من ذلك مع صحة الأطروحة الثانية، فإن الدلالة على المكان مستلزم لاكتشاف العنوان والقائل لهذا الكلام هو أبو سهل الوبحي الذي كان من جلالته القدر والوثاقة بحيث كان من المحتمل أن يكون هو السمر عن الإمام (ع) ومن هنا سئل في هذه الرواية عن عص النظر عنه وإبداله بالشيخ ابن روح.

فهذه جملة من الأخبار الدالة على صحة الأطروحة الثانية، وبطلان الأولى. إلى آخر غيرهما لا يطيل الحديث سردها

#### الزاوية الثانية

قد بين المعجرات الذي يقول إن المعجزة إنما تحدث عند توقف إقامة الحق عليها، وأما مع عدم هذا التوقف، وإمكان إبحار الأمر بدون المعجزة فإنا لا نحدث بحال. كما برهنا عليه في محله<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن حفظ الإمام المهدي (ع) وبقاءه مما يتوقف عليه إقامة الحق بعد ظهوره. فلو توقف حفظه على إقامة المعجزة بإحتماله شخصياً لزم ذلك إلا أن هذا غير لازم لما عرّفناه من كفاية حماء العنوان في إحراز العرص المطلوب وهو حفظه من كيد الأعداء. وسذكر فيما يلي بعض الإيضاحات لذلك ومن هنا تكون معجزة احتفائه بلا موضوع، ويتعين الأخذ بالأطروحة الثانية

ومن أجل تنظيم هذه الأطروحة فكرياً وبرهانياً، لا بد من الجواب عليها

(١) مصدر، ص ٢٤٠

(٢) نظر المعجزة في الفهوم الاسلامي، المخطوط

## السؤال الأول.

إذا كان المهدي (ع) ظاهراً شحصه للناس، وهم لا يعرفونه، فكيف لا يلتفتون إليه طوال السنين، وهم يرونه نائياً لا يموت، على حين يموت غيره من الناس.

وفي هذا السؤال عملة عن الأسلوب الذي يمكن للمهدي (ع) أن يتخذه تلافاً لهذا المحذور. فإنه لو عاش في مدينة واحدة حقبة طويلة من الزمن لا تكشف أمره لا بحالة ولكنه - بطبيعة الحال - لا يعمل ذلك، بل يقضي في كل مدينة أو منطقة، عدداً من السنين تكون كافية لقاء عملة الناس عن حقيقته.

فلو كان يقضي في كل مدينة من العالم الإسلامي خمسين عاماً، لكان الآن قد أكمل مكثاً اثنتين وعشرين مدينة وتوحد في العالم الإسلامي أصصاف ذلك من المدن التي يمكن للمهدي (ع) أن يسكنها ناعاً. كما يمكن أن يعود إلى نفس المدينة التي سكنها، بعد مضي جيلين أو أكثر وانقراض من كان يعرف شحصه من الناس.

ومن البسيط جداً ألا يشته الناس إلى عمره خلال السنوات التي يقضيها في بلدتهم فإن هناك نوعاً من الناس، تصادف مهم العدد غير القليل، تكون سمحتهم ثبات التقاطيع على مر السنين ولو فرصاً - في الأطروحة - كون المهدي (ع) عن هذا العرار، لم يكن لبشر العجب بين الناس، بعد أن يكونوا قد شاهدوا عدداً غير قليل من هذا القليل.

ثم حين يمر الزمان الطويل، الذي يكون وجود المهدي (ع) فيه ملغاً للطر ومثيراً للانشاء، يكون المهدي (ع) قد عاود هذه المدينة بطريق اعتيادي جداً إلى مدينة أخرى ليسكن فيها حقبة من السنين وهكذا.

## السؤال الثاني

أنه كيف تتم المقابلة مع الإمام (ع)، على الشكل الوارد في أحبار المقالة؟ وكيف يجتمعي الإمام بعدها؟

أما حدوث المقابلة، فهي غاية الساطعة، فإنه عليه السلام إذ يرى المصلحة في مقابلة شحص، فإنه يكشف له عن حقيقته أما بالصرحة، أو بالدلائل التي تدل

عليه في النتيجة، لكي يعرف الفرد أن الذي رآه هو المهدي (ع) ولو بعد حين .  
 والمهدي (ع) يحتاج في إثبات حقيقته لأي فرد إلى دليل، لجهل الناس جهلاً مطلقاً بذلك وهو يعبر عن معجزة يقيمها الإمام (ع) في سبيل ذلك، وهذه المعجزة تقوم في طريق إثبات الحجة على المكلفين، فتكون ممكنة وصحيحة، وهي طريق محصر لاثبات ذلك، كما هو واضح، إذ بدوها يحتمل أن لا يكون هو المهدي (ع) على أي حال.

والغالب في أخبار المشاهدة أن الفرد لا يتنه إلى حقيقة المهدي (ع) إلا بعد فراقه، ومضي شيء من الزمان. لأن الفرد لا يستطيع أن يشخص أن ما قام به المهدي (ع) أو ما قاله هو من المعجزات الخاصة به، إلا بعد مفارقه بمدة . وبذلك يضمن المهدي (ع) خلاصه من الاطلاع الصريح المباشر على حقيقته في أثناء المقالة، فتندفع عنه عدة مصاعفات محتملة

وأما أنه كيف يجني المهدي (ع) بعد انتهاء المقالة، فذلك أطروحتان، من الممكن له تطبيق أي منهما.

الأولى : الاحتفاء الشخصي الاعجازي فيما إذا انحصر طريق التخلص به، فيكون مطابقاً مع قانون المعجزات.

الثانية : وهي المتحققة على الأغلب في ظروف اللقاء المنقولة لنا في أخبار المشاهدة، سواء ما وقع منها في عصر العينة الصغرى أو ما يقع في العينة الكبرى وهو الاحتفاء بطريق طبيعي، لعدم انحصار التخلص بالمعجزة بل كان المهدي (ع) يرجي هذا الأمر سحراً عادياً جداً غير ملتبس للنظر كما لو أصبح رقيقاً في السفر مع بعض الأشخاص ثم يفارقه<sup>(١)</sup> أو يبقى المهدي (ع) في مكانه ويسافر عنه الشخص الآخر<sup>(٢)</sup> أو أن المهدي يوصل شخصاً إلى مأمه من متاهة وقع فيها ثم يرجع ولا يلتفت ذلك الشخص إلى حقيقة منقده إلا بعد دهابه<sup>(٣)</sup>. ويكون

(١) انظر الفية للشبح الطوسي، ص ١٨١

(٢) انظر النجم الثاقب، ص ٣٠٦

(٣) انظر المصدر، ص ٣٤١ وغيرها



لغفته هذه الأثر الكبير في سهولة وسرعة احتفاء المهدي عنه ومع إمكان الاحتفاء الطبيعي، يكون الاحتفاء الأعماري ملا موضوع.

ويستطيع المهدي (ع) أن يخطط بمقابلته نحواً من الأسلوب، يتيح عملة الرائي عن كونه هو المهدي (ع) في أثناء المقابلة وإنما يتوصل إلى الالتفات إلى ذلك بعدها ويقيم دلائله بحيث لا تكون ملغية للطر أثناء وقوعها، وإي يحتاج الالتفات إليها إلى شيء من الحساب والتفكير، لا يتوفر - عادة - إلا بعد احتفاء المهدي. وهذا هو الدبدن الذي يطفه الإمام (ع) في أغلب المقابلات

وهذا التخطيط المسبق الذي يقوم به المهدي (ع) يعنيه عن التفكير في طريقة الاختفاء عند المقابلة. وإن كان لا يعدم - بعض النظر عن الاحتفاء الأعجازي - مثل هذه الطريقة. ولش كما يرى في كل زمان أشخاصاً عارفين بطرق الاحتفاء السريع، لمحتلف الأعراض، كالبحث عن المحرمين أو الهرب من العقاب. أو عن مقابلة الدائن، أو غير ذلك فكيف بالإمام المهدي (ع) صاحب القابليات غير المحدودة الذي يستطيع بها أن يحكم العالم كله، والمعد لذلك من الله تعالى إعداداً خاصاً.

### السؤال الثالث:

إن من يرى المهدي (ع)، فسوف يعرفه شخصه، وسيعرفه كلما رآه وهو ما يؤدي بالمهدي (ع) تدريجاً إلى إنكشاف أمره وانتفاء عيشته المتمثلة بحمراء عوانه والجهل بحقيقته. إذ من المحتمل للرائي أن يجر الأحرير بذلك، فيعرفون حقيقته ويكشف أمره

ويمكن الانطلاق إلى الجواب على مستويات ثلاثة:

### المستوى الأول:

إن الفرد الذي يحظى بمقابلة المهدي (ع) لس يكون إلا من خاصة المؤمنين المتكاملين في الاخلاص - على الأعلب - ومثل هذا الفرد يكون مأموراً على إمامه (ع) من النقل إلى الأحرير. فإن الناس لا يعتمدون من هذا الشخص أنه رأي المهدي وعرفه، وله الحرية في أن يقول ذلك أو أن يستره، أو أن يدي بعض الحادث ويحمي البعض الآخر، فالقادر الذي يحقق به مصلحة العية والستر على

إذا لم يكن الرائي مأموناً، فيما إذا اقتضت المصلحة مقابلته، فقد يكون بعيد المرار جداً، ويكون المهدي (ع) عالماً سلفاً بأنه لن يصادفه في مدينته أو في الأماكن التي يطرّفها طينة حياته. ومعه فيكون الخطر المشار إليه في السؤال عبر ذي موضوع

### المستوى الثالث :

إذا كان الرائي قريباً في مكانه من المنطقة التي يسكنها المهدي (ع) ولم يكن مأموناً، فانه يحتاج المهدي إلى تخطيط معين لتعادي الخطر المذكور

ولعل أوضح تخطيط واقفه إلى الأذهان هو أن يعبر ربه الذي يعيش به عادة بين الناس ليقابل العرد المطلوب سري حديد ومن هنا يرى الاسم المهدي (ع) - على ما دلت عليه الروايات - يقابل الناس بأرياء مختلفة. فهي عدد من المروت يكون مرتدياً عقلاً وركناً حملاً أو فرساً وفي مرة على شكل فلاح يحمل المحل، وأخرى على شكل رجل من رجال الدين «المعويين»<sup>(١)</sup> وهذا أحسن ضمان لعدم التفات الناس إلى شخصيته المتمثلة بربه العادي

على أن المقالات تفترق في جملة من الأحيان، بأشكال من الضرورة والخرق عند العرد، وهي الضرورة التي يريد المهدي (ع) إزالتها، على ما سسمع، ومثل هذا العرد يصعب عليه، وهو في حالته تلك تمير سحة الإمام (ع) بشكل يستطيع أن يشخصه بعد ذلك، خاصة وهو في ربه التكري

وهناك أساليب أخرى، يمكن اتخادها في هذا الصدد، لا يسعى أن نطيل بها الحديث.

ولو فرض أنه احتاج الأمر وانحصر حفظ الإمام عليه السلام بالاعجار بطريق الاحتفاء الشخصي، لو قابله العرد الرائي مرة ثانية، لكان ذلك ضرورياً ومنعياً أو تكون المعجزة على شكل بيان الرائي لسحة الإمام (ع) بعد المفايلة.

(١) راجع ذلك في النعم الثاقب في عدد من مواضع الكتاب

هذه ثلاثة أسئلة مع أجوبتها تضع الملامح الرئيسية على أطروحة حفاء  
العنوان. ومباني لما العديد من الايضاحات والتطبيقات في العصور الآتية

وعرفنا أيضاً كيف تترجم هذه الأطروحة في مقابل الأطروحة الأولى، من  
حيث أن باستطاعة الامام المهدي (ع) أن يحتجب عن الناس بشكل طبيعي لا  
إعجاز فيه، ما لم يتوقف احتجاجه على الإعجاز، طبقاً لقانون المعجرات. وإذا تم  
ذلك يكون الالتزام باحتجائه الشخصي الدائم، بالمعجزة، منقياً بهذا القانون،  
ويسمي تأويل أو نفي كل خبر دال عليه

كما أن هذه الأطروحة الثانية، هي التي تسجم مع التصورات العامة التي  
تخدهاها في فهم الأسلوب العام لحياة الامام المهدي (ع) في عيشه الصعري.



وبود أن تشير في حاشية هذه الأطروحة إلى نقاط ثلاث:

#### النقطة الأولى:

أنا إذ نعرف أن المهدي (ع) متى استطاع الاحتجاب بشكل طبيعي، فإن  
المعجزة لا تساهم في احتجاجه. لا يستطيع - على البعد - مقتضيات الظروف  
والأحوال التي يمر بها المهدي (ع) في كل مقابلة. وهل كان بإمكانه أن يحتمي  
شكل طبيعي، أو يتعين عليه الاحتفاء الاعجاري

فمثلاً. ان لاحتجائه بعد مقابله لحقير الكذاب مرتين، احتمالين، هما  
احتماؤه الشخصي أو احتماؤه الطبيعي، بحسب الظروف التي كان يعيشها  
المهدي (ع) يومئذ. وأما بدء هذه المقابلة فلا حاجة إلى افتراض كونه إعجازياً،  
بأي حال، كما ذهب إليه رولندسن<sup>(١)</sup>، بل يمكن أن يكون طبيعياً اعتيادياً.

وعلى أي حال، فبعض الروايات، يمكنها أن تعطينا الطرف الذي تنتهي به  
المقابلة حيث يتضح من بعضها إمكان الاحتجاب الطبيعي، كما سبق أن مثلنا.

---

(١) انظر عقيدة الشيعة، ص ٢٢٧

بيما يتصح من بعضها تعين الاحتجاب الاعجازي أحياناً. كما متسمع في مستقبل هذا التاريخ.  
النقطة الثانية.

في الالامع إلى الانتحاء المتصور لما يحصل بالمعجزة من أثر يوجب احتفاء الجسم على الناظر، بالرغم من اقتضاء القوانين الكونية لحصول الرؤية  
مقول: إن المعجزة أما أن تتصرف في الرائي أو في المرئي فتصرفها في الرائي هو جعله بنحو يعجز عن إدراك الواقع الذي أمامه. فيرى المكان حالياً عن الإمام المهدي (ع) مع أنه موجود فيه بالفعل. فلو تعين بحسب المصلحة المألومة والغرض الإلهي، أن يراه شخص دون شخص، كان ينظر من يراه اعتيادياً، ونظر من لا يراه محجوباً بالمعجزة. وكذلك أيضاً التصرف في الخواص الأخرى كالسمع واللمس وغيرها، وقد تحتجب بعض خواص الفرد دون بعض، فبسمع صوت المهدي (ع) من دون أن يراه<sup>(١)</sup>.

ومرق الأطروحتين الرئيسيتين بالنسبة إلى الاعجاز الإلهي هو أن الأطروحة الأولى ترى أن هذا الاعجاز هو الأمر الاعتيادي الدائم والثابت لكل الناس، بالنسبة إلى حياة المهدي (ع) حال عيته الكرى. وإثما تحتاج مقلته إلى استثناء عن هذا الدوام. على حين ترى الأطروحة الثانية أن الأمر الاعتيادي الدائم هو انكشاف جسم المهدي (ع) للناس وإمكان معاشرته معهم وبحاجة احتفاء شخصه إلى استثناء لا يحدث إلا عند توقف حفظ الامام المهدي (ع) عليه

وأما تصرف المعجزة في المرئي أي الواقع الموضوعي القابل للرؤية. فأوضح طريق لذلك هو أن تحول المعجزة دون وصول الصورة البورية الصادرة عن جسم المهدي (ع) أو ذبذباته الصوتية، وعبر ذلك عما تنقله الخواص الخمس. تحول دون وصولها إلى الرائي أو السامع. ومعه يكون الفرد عاجزاً أيضاً عن الإحساس بالواقع الموضوعي الذي أمامه.

وهناك أكثر من نحو واحد، متصور للمعجزة في عمل الكلام، وهي تحتاج إلى

(١) البحار، ج ٣، ص ١٤٦

بحث فلسفي وعيزيائي مطول، فيكون الأحمى أن يضرب عنه صمخاً تخاشياً  
للتطويل.

النقطة الثالثة :

أنه ساعد الإمام المهدي (ع) في غيسته عوامل نفسية أربعة متحققة لدى الناس  
عل اختلاف نحلهم واتجاهاتهم، مما جعل عليهم من المنع التصدي للبحث عنه  
لأجل الاستمادة مه أو التكيل به.

العامل الأول :

الهل بشكله وهيته جسمه جهلاً تاماً وهو عامل مشترك بين أعدائه ومحبيه.

العامل الثاني :

إنكاره من قل غير قواعده الشعبية مما فهم سائر الحكام الطالين الذين يمثل  
المهدي رمز الثورة عليهم وإزالة نظمهم من الوجود. فهم في إنكارهم له مرتاحين  
عن مطاردته، وهو مرتاح من مطاردتهم

العامل الثالث :

إرتكار صحة الأطروحة الأولى عد عدد من قواعده الشعبية، أخذاً بطواهر  
الأخبار التي سمعهاها إذ مع صحتها لا يكون هناك سبل إلى معرفته بل يستحيل  
الاحساس بوجوده، إلا عن طريق المعجرة، وهي لا تتحقق إلا للأوحدي من  
الناس.

العامل الرابع :

الإيمان بعناية الله تعالى له وحفظه ليومه الموعود فمضى تعلقت المصلحة  
بالمقابلة مع المهدي (ع) كان هو الذي يريدنا ومنى لم تنعق بها المصلحة،  
فالأصلح للإسلام والمسلمين ألا تتم المقابلة وإن تحرق المرء المؤمن إليها شوقاً  
ومن ها يكون المرء الاعتيادي في حالة يأس من مقاتله والتعرف إليه



## الفصل الثاني

التكليف الاسلامي للإمام المهدي (ع) في غيبه الكبرى. وما يقوم بتنفيذه تجاه الإسلام والمسلمين من أعمال نافعة ومصالح كبرى

ينقسم تكليف الإمام عموماً في الإسلام عند ظهوره وعدم وجود المانع عن عمله، إلى عدة أقسام:

### القسم الأول:

وحوب توليه رئاسة الدولة وقيادة الأمة، بمعنى تطبيق الأطروحة الكاملة للعدل الاسلامي عن وجه الارض والأحد بالارمة العليا للمجتمع لأجل صمدان هذا التطبيق.

### القسم الثاني:

وحوب الدعوة الإسلامية، بمعنى إدخال المجتمع الكامل في بلاد الإسلام، أما بالحرب أو بالصلح أو بغيرهما.

### القسم الثالث:

وحوب الحفاظ على المجتمع المسلم ضد العدو الخارجي، والدفاع عن بيضة الإسلام بالمرس والنهيس

### القسم الرابع:

وحوب الحفاظ على المجتمع المسلم ضد الانحراف وشيوع الفساد في العقيدة أو السلوك بالتوجيه الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتلبيح تعاليم الإسلام.

وهذه الأقسام الأربعة، تجب وجوباً مطلقاً في أي مكان وزمان، يجب أن يبذل الإمام والأمة في سبيلها أقصى ما يستطيع وتستطيع.

القسم الخامس:

وهو خاص بصورة عمر الإمام عن جملة من الأعمال السابقة، لكونه يعيش في مجتمع محرف يطارده ويراقبه ويعرله عن الأعمال الاجتماعية والسياسية، كما كان عليه حال أئمتنا عليهم السلام - بشكل عام - . وقد حملنا عن بعض جواب ذلك صورة واضحة في تاريخ العية الصغرى

هي مثل ذلك يكون عمل الإمام - كما رأيت في ذلك التاريخ - مكرساً - في الأغلب - على الحفاظ على قواعد الشريعة ومواليه، وعلى حسن علاقتهم بالآخرين وحسن تلقبهم تعاليم الدين وتطبيقهم أحكام الإسلام

نعم، إن وحد الإمام طريقاً أحياناً إلى القيام ببعض الأعمال الإسلامية على نطاق واسع وكان المانع مرتعاً عنه في ذلك العمل، وجب عليه انحرافه، وكان ذلك العمل أوسع من قواعد الشريعة وشاملاً خبره لكل بلاد الإسلام.

القسم السادس:

وجوب إعانة الملهوف وإعانة المصطر وهو تكليف عام لا يختص بالإمام عليه السلام، بل يهم كل مسلم نعم، قد يحول العجز عن الاعانة أو وحرد عمل أو هدف إسلامي أهم، فيسقط وجوبها، كما قرر في محله بحسب القواعد الإسلامية.

إذا علمنا هذه الأقسام، وعلمنا أن الإمام المهدي (ع)، يجب عليه بالنظر الأولي كل هذه الأمور حملة وتفصيلاً، يجب أن يؤدي منها ما يستطيع إليه سبيلاً شأنه في ذلك شأن أي إمام آخر وقد أدى الأئمة من آئاته عليهم السلام، ما استطاعوا من هذه التكليف، وتركوا ما عجزوا عنه، أو اقتضت المصالح الإسلامية العليا تركه.

أما الإمام المهدي (ع) نفسه، فهو مدحور للقيام بدولة الحق في اليوم الموعود، وهو من أعظم الأهداف الإلهية، يرتبط بأصل حلقه البشرية ووجودها على ما سببره عليه في مستقبل هذا التاريخ وقد علمنا من القواعد العامة بما فيها قانون المعجرات بأن الأهداف العلية تتقدم على أي شيء آخر، فكل ما تتوقف



على حدوثه فانه يحدث لا محالة وكل ما يتوقف على انتعائه وانعدامه فانه ينتهي لا محالة، سواء كان ذلك من أمور الكون أو من أحكام الشريعة

فإذا نظرنا إلى هذا الهدف المهم، الذي دحر المهدي (ع) له، وجدنا أن أموراً عديدة يتوقف على حدوثها كوجود المهدي (ع) وعيته، والمعجزة التي تتكفل طول بقائه، والمعجزة التي تتكفل احتماؤه الشخصي أحياناً لصيته من الأخطار كما نجد أن أموراً يتوقف اليوم الموعود على انتعائها فمن ذلك في جانب الأحكام: أن كل حكم شرعي يكون تطبيقه منافياً مع حفظ الإمام المهدي أو غيبه وبالتالي يكون منافياً مع وجود اليوم الموعود نفسه، فان هذا التطبيق يكون ساقطاً شرعاً عن الإمام، ولا يجب عليه امتثال الحكم وتنفيذه. وأما الأحكام الشخصية كوجوب الصلاة والصوم، أو العامة كوجوب الأمر بالمعروف - مثلاً - على ما مسمع، فلا موجب للالتزام بسقوطها، بل تكون شاملة له ويجب عليه تنفيذها لعرض استطاعته ذلك، باعتبار عدم منافاتها مع عيته وهدفه.

إذا علمنا ذلك، استطعنا أن نحكم بوصوح سقوط التكليف بأي واحد من الأقسام السابقة، إذا كان مستلزماً لاكتشاف أمره وروال غيبه وهذا واضح إلى حد كبير في الأقسام الثلاثة الأولى، فانه مستلزم لذلك عادة، إلا أن يفترض كونه قائداً أو موجهاً شخصية ثانوية يعرف بها غير صحة الحقيقة على ما سيأتي.

وبغض النظر عن ذلك، تكون الأطروحتان الرئيسيتان للعبية، مختلفتين في المدلول:

أما ساء على صحة أطروحة حماة الشخص، فكل الأقسام يتمتع عليه القيام بها، إلا ما كان خلال الأحوال الاستثنائية التي تنم فيها المقابلة مع الآخرين. لو صوح أنه حال احتمائه لا يمكنه القيام بأي عمل.

وقد يحظر في الدهر، أنه يمكن للمهدي (ع) الظهور التام، والقيام بسائر الأعمال وتطبيق كل الأحكام.

والجواب: أن هذا قبل أوامه لا يكون ممكناً أولاً: لانه موط يادن الله تعالى لا يادن المهدي عليه السلام وثانياً: لأن لانتصاره في يوم ظهوره شرائط معينة على

ما معروف وبدون تحقق هذه الشروط لا يمكن الانتصار وبالتالي لا يتحقق الهدف  
الاسمي المطلوب. إذن فلا بد من تأجيل الظهور الكامل إلى حين تحقق تلك  
الشروط، ولا تجوز المداخلة إليه في الظروف غير المدروسة وتحت المساسات الطارئة.

بعم، يبقى احتمال واحد، على تقدير صحة الأطروحة الأولى، وهو إمكان  
الاكثار من المقابلات والظهورات المتقطعة وهي وإن كانت استثناء من احوال  
الاعتيادي للمهدي (ع) إلا أنها تنصص - على أي حال - تطبيقاً للحكم الإسلامي  
وانقداً للاد الإسلام من عدد من المطالم التي تقع فيها فلهذا لم يحدث ذلك  
واقصرت المقالات على قليل من الموارد نسبياً

وهذا السؤال لا يحل له جواب ساء على صحة الأطروحة الأولى، لعدم تعرض  
الامام المهدي (ع) لأي خطر، باعتبار إمكان احتمائه في اللحظة التي يشاء ومعه  
يكون تطبيق الحكم الشرعي ممكناً بالنسبة إليه، فيكون واحداً عليه. على حين لم  
يحدث ذلك بالكثرة المطلوبة حرماً، وإلا لاشتهر أمره وشاع وهذا بمسه يدل على  
بطلان هذه الأطروحة، إذ عدم قيام الإمام المهدي (ع) بذلك يدل على عدم  
وجوبه عليه، وحيث أسا رها بوجود التكليف عليه على تقدير صحة الأطروحة،  
إذن فالقول بصحتها مستلزم للقول بتقصير الإمام المهدي (ع) في تطبيق أحكامه.  
وهو واضح البطلان، إذن فهذه الأطروحة باطلة

وهناك مناقشات وجدل، يعود إلى هذا الأمر بحسب عدم الاطالة في ذكره.



وأما بناء على صحة الأطروحة الثانية، كما هو الصحيح . فهذا الاحتمال  
الذي كنا ناقشه، وهو إمكان الاكثار من الظهورات والمقابلات يكون واضح  
المسند، بل هو منتف موصوعاً لأن تعدد الظهور بكثرة يؤدي إلى تعرف الكثيرين  
على حقيقته وانكشاف أمره، ومن ثم يكون منافياً مع غيبته وقد عرف أن كل أمر  
مناف للعبة لا يمكن حدوثه، فل تحقق شرائط اليوم الموعود

وقد يحظر في الدهر بأن تحيطاً دقيقاً يمكن أن يقوم به المهدي (ع) في كل  
مقابلة، كفي عدم انكشاف أمره، وجوانه بأن كثرة الظلم وتمدد حاجات الناس  
وضروراتهم، يوجب كثرة الظهور وكثرته تكون موحية لإلغاء النظر إليه بحول لا

يفيد معه تخطيط دقيق.

كما قد يحظر في الدهن . بأن المهدي يمكنه إحياء شخصه بالمعجزة في أوقات الخطر إذن فليظهر للعمل مؤقتاً، ثم فليحتف متى استدرمت المصلحة ضرورة الاحتفاء

وهذه الفكرة لها عدة أجوبة أهمها أمران

### الأمر الأول:

إن معنى ذلك توقف تنفيذ الأحكام الشرعية على المعجزة لأن تعيذه من قبل المهدي (ع) مستلزم عادة لوقوعه في الخطر، نتيجة لاجتراف المجتمع، فيكون مستلزماً لاحتفائه الاعجازي وبحر معلم، بحسب القواعد الإسلامية، إن كل حكم شرعي إذا توقف على المعجزة لم يكن تنفيذه واجباً، إلا ما يمت إلى أصل الإسلام بصلته، كإثبات السوة أو الإمامة أو إقامة دولة الحق. ومن الواضح أن الحكم الشرعي بوجوب إعانة المصطر - مثلاً - لا يمت إلى أهل الإسلام بصلته، فلا يكون واجباً.

### الأمر الثاني:

أنه لو تعددت ظهورات المهدي (ع) فسوف يعرفه الكثيرون بمجرد رؤيته، فيلزمه الاختفاء قبل أن تسح له فرصة العمل وهذا معناه أن كثرة الظهور في أي زمان تمنع عن مواصلة أي شكل من أشكال العمل.



وعلى أي حال، فالعمل المتصور للإمام المهدي (ع) بناء على ما هو الصحيح من صحة الأطروحة الثانية... على قسمين: عمل يقوم به بصفته الحقيقية، بحيث يمكن للمرد نسبته إليه ولو بعد انتهاء العمل وعمل يقوم به حال كونه مجهول الحقيقة، يعيش في المجتمع كفرد عادي، شخصية ثانوية، في إسم آخر وحرقة ومكان غير ملفت لأي نظر

أما العمل بصفته الحقيقية، في تعيد ما يمكنه تنفيذه من الأقسام السابقة للتكاليف الإسلامية، فحالاه هو ما سبق أن قلناه قبل أسطر وقد رأينا أنه من غير

المحتمل أن يكون المهدي (ع) شرعاً مكيناً بذلك، لتعذر العمل عليه بهذه الصفة، طناً لكلنا الأطروحتين.

لا يبقى - بعدها - إلا الأعمال التي أعوت عنها أخبار المشاهدة في العينة الكبرى، مما يمت إلى القسمين الأخيرين من التكاليف بصفة، على ما سيوضح عند دراسة المقالات في مستقبل هذا التاريخ. فإن هذا العدد من المقالات لا يباقي غرضه ولا يخل بغيته.

وأما عمله بصعته فرداً اعتيادياً في المجتمع، فهذا ما لا دليل على بغيته محال، بل استطاع الاستدلال عليه، كما سبق، حساً من ذلك إمكان العمل بالنسبة إليه، وعدم منافاته مع عيته وحفاء عنوانه محال، فيكون واجباً عليه، كأبي فرد آخر من المسلمين يجب عليه أن يؤدي أي عمل ممكن في مصلحة الإسلام وهو أعلى وأولى من يلتزم بوطاعة أحكام الإسلام

ومن هنا لا يمكن أن يتصوره عليه السلام إلا قائماً بواجبه في أي قسم من الأقسام السابقة انصبت المصلحة في تعيده. كهداية شخص أو جماعة من الكفر إلى الإسلام أو من الانحراف إلى الوعي أو من الظلم إلى الاعتدال، أو جعل المواعيد الظلم القائم في المجتمع، في تأثيره على الإسلام والمسلمين عامة وصد قواعده الشمية خاصة إلى غير ذلك، وما أدرنا كيف سيصح حال المجتمع المسلم لو سحب الإمام (ع) لظمه وكف أعماله إلى أي درجة من الضلال والظلم يمكن أن يبلغ.

على أنما سنحتمل في كل عمل خيري عام أو سنة اجتماعية حسنة أو فكرة إسلامية جديدة، أو نحو ذلك من الأمور سنحتمل أن يكون وراءها أصعب عمل من تحرك من قبل الإمام المهدي (ع) وأنه هو الذي زرع بذرة الأولى في صدر أو عمل أحد الأشخاص أو الجماعات بحيث أنتجت أكلها في كل حين بإذن ربها وهذا الاحتمال لا ينافي له، بتقدير صدق أطروحة حفاء العنوان وبمجرد الاحتمال يكفينا بهذا الصدد، بصعته أطروحة محتملة تسجيم مع الأدلة العامة والخاصة، كما ذكرنا في المقدمة.

وهذا هو المراد الحقيقي الواعي من الصوص الواردة عن المهدي (ع) نفسه، والتي تثبت قيامه بالعمل الساع بوصوح.

فمن ذلك قوله المشهور وأما وجه الانتفاع بي في عييتي، فكالاتفاع بالشمس  
إذا عيها عن الأنصار السحاب<sup>(١)</sup> وأصاف عليه السلام وأبي لأمان لأهل  
الأرض كما أن المحوم أمان لأهل السماء

فالسحاب كناية عن حفاء العوان. والشمس كناية عن التأثير النافع المنع في  
المجتمع بعد وصوح أن العمل الذي يمكن للمهدي (ع) تفيدته مع جهل الناس  
بحقيقته وعنوانه - أي في عبثه - ، أقل بكثير مما يستطيع القيام به حال ظهوره  
وإعلان أمره.

وهذا المفهم هو المعين لهذا الحديث الشريف، ساء على أطروحة حفاء  
العوان لا ما ذكروه<sup>(٢)</sup> من التفسيرات التي يرجع بعضها إلى وجود تشريعي  
فلسفي للإمام (ع)، وبعضها إلى أسحاء تقديرية من النفع. وإذ ذكر علماءنا  
الأسقون إنما من باب وصيق الحقائق وعدم الالتفات إلى هذا المفهم الواقعي.

نعم، يتعين التصير إلى تلك التفسيرات ساء على أطروحة حفاء الشخص.  
حيث يتعذر العمل على المهدي (ع) إلا بالمقدار القليل الذي تدل عليه أحسن  
المشاهدة - كما عرفنا - ، مما لا يكاد يكفي أن يكون معاً عاماً مشاهداً لنفع الشمس  
وإن عيها لسحاب فلا بد - والحال هذه - من الأحد في فهم النص تلك  
التفسيرات ولكنها حيث قلنا سلطان هذه الأطروحة، يتعين أن نأخذ بمفهمنا  
الواقعي لهذا الحديث.

ومن ذلك ما روي عن المهدي (ع) محاطاً لقواعده الشعبية أنا غير مهملين  
لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم. ولولا ذلك لزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء  
فاتقوا الله جن حلاله وطاهروا على انثاشكم من فتنة قد أنافت عليكم، يهلك  
فيها من هم أجله، ويحصى عنها من أدرك أمه<sup>(٣)</sup>.

ومن يعلم أن وقوفه (ع) ضد الأعداء ونزول اللأواء - وهي الشدائد - ، لا

(١) الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٨٤ وغيرها

(٢) انظرها في بيان مفصل لصاحب البحار في ج ١٢، ص ١٢٩.

(٣) الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٢٣

يكون إلا بالعمل المشمر والجهد الحقيقي على الصعيدين العام والخاص. وخاصة، وهو يأمرنا بمظاهرتة أي معاوته وموافقة على إخراجنا من الفسنة والسجاة من الهلكة. فان على كل فرد مسؤولية تامة في ذلك، ولا تنحصر المسؤولية بالقائد، كما هو واضح، بل أن شعوره بالمسؤولية لا يكاد يكون مشمراً من دون شعور شعبه ورعيته بمسؤوليتهم تجاه قائدهم ومذنبهم أيضاً.

إذن، فهو عليه السلام يحمل هم شعبه ومواليه، يتذكرهم دائماً ويعمل على حفظهم ودرء المخاطر عنهم باستمرار، بمقدار ما يمكنه أن يؤديه من عمل، تماماً كما عرفنا عن آثاته عبيهم السلام، وكما عرفناه في حلال عينه الصعري. عاية الفرق أن تلك الأعمال كانت منه ومن آثاته (ع) بالصفة الحقيقية هم. وأما عمله خلال هذه الفترة، فليست هذه الصفة، وإنما بصفته فرداً اعتبارياً في المجتمع.

ولكن الإمام المهدي (ع) يتوحي في موارد عمله وجود شرطين أساسيين، إن اجتماعاً كان في إمكانه أن يتصدى للعمل، وإن تحلف أحدهما ترك العمل لا محالة، وأبقى الواقع على واقعه.

### الشرط الأول:

أن لا يؤدي به عمله إلى 'كشف أمره وانشاء عينه' إذ من الواضح أن المهدي (ع) حين يقوم بالأعمال العامة الإسلامية، بصفته فرداً عادياً في المجتمع، يمكنه أن يستمر بها إلى حد معين ليس بالقليل ولكنه لولم اسمه واشتهر صيته، به شخصيته الثانوية، لكأن هناك احتمال كبير في انكشاف حقيقته واقتصاص سره لا أقل من أن يتسبب الناس إلى عموم من سبه وجهالة أصله، فيوصلوا بالفحص والسؤال إلى حقيقته، أو يحتملوا ذلك على الأقل، وهو ما لا يريده الله تعالى أن يكون.

إذن فعمل المهدي (ع) لا بد أن يقتصر على الحدود التي لا تؤدي إلى انكشاف أمره، فيدقق في ذلك ويخطط له، وهو الخير الالهي وبحسب لكل عمل حسانه وأي عمل عمن أن التدخل فيه يوجب الانكشاف اسحب عنه، مهما ترتبت عليه من نتائج، لأن الحفاظ سره ودحره للوم الموعود، أهم من جميع ما يتركه من أعمال

ولكن هذا لا يتنافى تأثيره في الأعمال الإسلامية الخيرة التي يراها سائدة في المجتمع . وذلك لإمكان أن يكون هو المؤثر في تأسيسها حال صغرها وضآلة شأنها، وقد أودعها إلى المخلصين الذين يأخذون بها ويدعون أوارها، بدون أن يلتفتوا أو يلتفت إلى حقيقة عمله، بقليل ولا كثير.

### الشرط الثاني:

أن لا يؤدي عمله إلى التحلف والقصور في تربية الأمة، أو احتلال شرائط يوم الظهور الموعود

بيان ذلك: أما אשרنا أن ليوم الظهور الموعود شرائط سوف تتعرض لها تفصيلاً في مستقبل هذا التاريخ ولكل شرط من تلك الشروط أسبابه وعقله. تلك الأسباب التي تتولد وتنشأ في عصر ما قبل الظهور حتى ما إذا آتت أكلها وأثرت تأثيرها بتحقيق تلك الشروط وإحارها، كان يوم الظهور قد آن أوانه وتحققت أركانه.

والمهدي عليه السلام، حيث يعلم الشرائط والأسباب، مكلف - على الأقل - بحماية تلك الأسباب عن التحلف أو الانحراف، لئلا يتأخر تأثيرها أو ينحفض عما هو المطلوب اتباعها إن لم يكن مكلفاً بادكاه أوارها والسير الخيث في تقدم تأثيرها.

ومن أهم شرائط اليوم الموعود: أن تكون الأمة ساعة الظهور على مستوى عال من الشعور بالمسؤولية الإسلامية، والاستعداد للتصحية في سبيل الله عز وجل. أو على الأقل، أن يكون فيها العدد الكافي من يحمل هذا الشعور ليكون هو الحندي الصالح الذي يصرب بين يدي المهدي (ع) ضد الكفر والانحراف، ويسبي ساعده المقتول العدد الإسلامي المشرق ويكون الجيش المكون من مثل هذا الشخص هو الجيش الرائد الوعي الذي يملأ الأرض بقيادة المهدي (ع) قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وإذا كان ذلك من الشرائط، فلا بد من توفر أسبابه في زمن ما قبل الظهور، في عصر العيبة الكبرى، والمحافظة على هذه الأسباب

وإن السبب الرئيسي الكبير لتولد الوعي والشعور بالمسؤولية الإسلامية

والإقدام على التصحية لدى الأمة، هو مرورها بعدد مهم من التجارب القاسية والظروف الصعبة وإحساسها بالظلم والتعسف رشحاً كبيراً من الرمس حتى تستطيع أن تفهم نفسها وأن تشخص واقعها وتشعر بمسؤوليتها فان هذه الصعوبات كالمرد الذي يجلو الذهب ويجعل السكين نافداً فان الأمة - في مثل ذلك - لا تجلذ إلى الهدوء والسكون، بل تضطر إلى التمكير بأمرها وبلورة فكرتها وتشخيص آلامها وأماها وتشعر بتجو وجداي عميق سهولة التصحية في سبل الأهداف الكبيرة ووجوبها إذا لم الأمر ونادى صادي الجهاد.

وتلك الأمة الواعية هي التي تستطيع أن تصرّب قدماً بين يدي الامام المهدي (ع) وأن تؤسس العدل المنتظر في اليوم الموعود دون الأمة المحرقة المتداعية، أو الأمة المعرلة المنحثة وسيأتي لذلك ايضاحات عديدة وسنسمع له شواهد كثيرة من الكتاب والسنة.

فإذا كان مرور الأمة بظروف الظلم والتعسف ضرورياً لتحقيق شرط اليوم الموعود، ومثل هذا الشرط يجب رعايته والحفاظة عليه إذن فالمهدي (ع) بالرغم من أنه يحس بالأسى لمرور شعبه وفواعله بمثل هذه الظروف القاسية، إلا أنه لا يتصدى لإرالتها ولا يعمل على تغييرها، تقديماً لمصلحة اليوم لموعود على أهل هذا اليوم المرحود

وأما ما لا يكون من الظلم دحيلاً في تحقيق ذلك الشرط، وكان الشرط الأول لعمل المهدي (ع) متوقفاً فيه أيضاً، فان لإمام المهدي (ع) يتدخل لإرأته ويعمل على رفعه، بموجب التكليف الشرعي الإسلامي المتوخه إليه

وبحق - الذين لا يعيش بظلم المهدي (ع) وأهدافه - يكاد نكون في جهن مطلق، من حيث تشخيص أن هذا الظلم هل له دخل في تحقيق شرط الظهور أو لا ما عدا بعض موارد التحميم منه يحتاج إلى نظر بعيد يمتد خلال السير إلى يوم الظهور وهذا النظر معتمد لدى أي فرد في العالم ما عدا المهدي (ع) نفسه فيعود تشخيص ذلك إليه، بما وهبه الله تعالى من ملكات وقابليات على شخيص الداء والقيادة نحو الدواء.





أود الإشارة في نهاية هذا الفصل إلى عدة نقاط :

### النقطة الأولى :

إن ما ذكرناه قبل الحطة، من وجود بعض أشكال الظلم منتج لشرط يوم الظهور، وهو وعي الأمة وشعورها بالمسؤولية .. وان المهدي (ع) لا يقف حائلاً ضد هذا الظلم ولا يعمل على رفعه .. لا يمكن أن يدعي وجوب الاقتداء بالمهدي (ع) في ذلك أو أن لنا به أسوة حسنة في ذلك، فيجب إهمال الظلم يعتك بالأمة بدون أن نحاول إصلاحه أو نحول دون تأثيره  
لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً، للفرق بين تكليفنا الشرعي وتكليفه وبين مسؤوليتنا ومسؤوليته .

بيان ذلك أن كلا الشرطين اللذين عرفناهما لعمل المهدي (ع) غير موجودين فيما، فيكون تكليفنا الإسلامي أوسع بكثير من هذه الجهة من تكليف الإمام المهدي (ع) خلال غيبته .

أم الشرط الأول: وهو عدم انتهاء العبة والمحافظة على ستر العنوان .. فمن الواضح عدم توفره فيما بل هو من محتصاته عليه السلام .

وأما الشرط الثاني . وهو ألا يحول العمل ضد الظلم المؤثر في إيجاد شرط الظهور فمن الواضح أن المهدي (ع) إذا حال دون تحقق هذا الظلم، فسوف يحول دون حدوث الوعي عند الأمة، فيبقى شعورها متلداً وترينها قاصرة، وبالتالي يكون الشرط المطلوب متعذر الوجود

وأما نحن إذ نشعر بالظلم فكافح صده أو نحطط لأجل دحره ودفعه، لا نكون قد حللنا دون وعي الأمة، بل أن كفاح الأمة بنفسه وجهادها ضد مشاكلها والامها من أهم العناصر التي تنظم إلى الشعور بالظلم فتحدث الوعي لدى الأمة ويكمل عندها الشعور بالمسؤولية ذلك العمل الذي يعطي دروساً في التوضيحية وحكمة في التدبير الاجتماعي، يؤهل الأمة شتاً فشيئاً إلى تحقيق الشرط المأمول .  
ومعه يكون الكفاح ضد الظلم، بهذا الاعتبار، فصلاً عن الاعتبارات

الأخرى، لازماً ومطلوباً في الإسلام من كل المسلمين ما عدا المهدي (ع) نعم، ستكون الأمة وقائدها متضامنة ضد كل أنواع الظلم بعد أن يحصل الشرط المطلوب، ويبقى الظلم المتأخر مستأنفاً لا حاجة إليه فيقوم عليه الإمام المهدي (ع) بالسلاح لإزالته من الوجود وذلك هو يوم الظهور.

### النقطة الثانية:

إن عمل المهدي (ع) في المجتمع، في حدود ما تقتضيه أطروحة حفاء الموان، يمكن أن يتصف بعدة صفات:

فعمله نافذ وباجع ومؤثر دائماً، وإعما الاحقاق إذا حصل فإنه يحصل نتيجة لقصور أو تقصير غيره في العمل فإما لم يفهم أهمية عمله من كونه عسواً في جمعية حيرية مثلاً أو متولياً لوقف عام مثلاً، وإن كان ذلك ممكناً ومهماً إلا أن الأهم من ذلك هو كونه الرائد المؤسس لأعمال الخير العامة، ودفع الشر والظلم - بما لا يكون مؤثراً في شرط اليوم الموعود - بمعنى أنه عليه السلام، بعد أن يعرف أهمية العمل الخير أو أحطار العمل الظالم بالنسبة للمجتمع المسلم، فإنه يتسبب إلى إيجاد ما هو خير ورفع ما هو ظلم.

وهو بذلك يستعمل حكته وبراسته لتوحي أقرب الطرق وأصلحها وأكبرها تأثيراً. وقد يسبق عمله وجود العمل الظالم نفسه كالذي رأيناه من المهدي (ع) نفسه في عيته الصمري أكثر من مرة، حيث سمعاه يبكي وكلاءه عن قصص أي شيء من الأموال، فامثلوا أمره من دون أن يعلموا السب. ثم انتضح أن السلطات قد أمرت بدس الأموال إلى الوكلاء، فمن قصص مهم مالا قضوا عليه<sup>(١)</sup> وبذلك فشل هذا المخطط الظالم ومن يعمل مثل ذلك مرة أو مرات، يمكنه أن يعمل متى يشاء.

أما لو استلزم إزالته للظلم ظهوره لبعض الأفراد، على حقيقته، فهو مما قد يحصل تبعاً لظروف خاصة وتخطيط خاص، سوف ندرسه في بعض المصوّل المقتلة. وأما إذا لم تتوفر تلك الظروف ترك المهدي (ع) الظلم على حاله، لعدم

(١) انظر تاريخ الغيبة الصمري، ص ٦٠٣

توفر الشرط الأول من الشرطين السابقين

وعلى أي حال، فالتسبة إلى العمل الخير الصالح، يستطيع المهدي أن يقع فرداً أو حامية للقيام به، أو يشجع أناساً مندفعين تلقائياً للقيام بمثله، ويؤيدهم التأييد الكافي، ويحاول أن يرفع الموانع عن تقدم عملهم واردها. كل ذلك من دون أن يفترض عصباً فعلياً مشاركاً في شيء من الأعمال. ومعه تكون الأعمال بطبيعتها، بالرغم مما أوجد لها المهدي (ع) من فرص النجاح، قابله للاحقاق أو الفيق تبعاً لفصول أصحابها القانمين بها أو تقصيرهم بحسب أو عملياً

وأما بالنسبة إلى العمل الظالم، فهو يتسبب إلى رفعه أو التقليل من تأثيره، إما بمحاولة إقناع الفاعل على الارتداد عنه أو الصعق عليه أو إخراج مصالحه بنحو يصغر معه عمله ويصيق أو سحق بعدم تأثيره أساساً أو بهدكاء أوار الثورة أو الاحتجاج عليه من قبل الآخرين.

### النقطة الثالثة.

هاك كلام لرويلدس حول الإمام المهدي (ع)، فيها يخصص ما نحن فيه من الموضوع. يتبنى المهدي فيه بعدم الالتفات إلى أصحابه وقواعده الشعبية، وعدم رفع الظلم عنهم وهو بذلك يريد أن يستتبع عدم وجوده، إذ لو كان موجوداً، فهو شخص يشعر بالمسؤولية والعطف تجاه أصحابه، فهو لا يحالة رافع للظلم عنهم أو مشاركتهم في العمل ضده مع أنه لم يعمل ذلك، بالرغم من أن المظالم في التاريخ كثيرة وشديدة، إذن فهو غير موجود

وهو وإن لم يصرح بهذه النتيجة، ولكنه يوحي بها إيجاباً واثباتاً، حين يقول:

وفي القرن التالي لعبة الإمام «ستلم النوبيون رمام السلطة الرسمية فبدلوا جهوداً كبيرة لتوحيد الطائفة الشيعية وتقويتها، كثناء مشاهدتها وجمع أحاديثها وتشجيع علمائها ومعتنديها ومع ذلك فلم يظهر الإمام المنتظر في هذا القرن الذي كانت الطائفة الشيعية تتمتع فيه بحسن الحال»

ومرّ قرن آخر دالت فيه دولة حماة الشيعية من النوبيين ولكن الإمام بقي في (غيبته الكبرى)

ومرّ قرن ثالث يمتاز بالظلم والثورات وتحكم الماليك. ولكن الإمام الذي كانوا يرجون ظهوره لم يظهر

وحاء دور الحروب الصليبية التي اشترك (آن البيت) فيها دون أن يكون لهم إمام فمن الخاسر الإسلامي، كانت السلطة لإعلان الجهاد تحصر بيد بني العباس والفاطميين المارقين في مقاومة الحيوّش العاربه للشعوب المسيحية بالاسم في أوروبا، ولكن الإمام أحرّ ظهوره

وبعد مرور أربعة قرون على وفاة أحر الوكلاء في القرن الثالث عشر - يعني الميلادي - احتاج، بعرة المعول بلاد إيران يقتلون ويهدمون بقسوة لا مثيل لها وبالرغم من التحريض والألام فإن (صاحب الزمان) المنتظر مازع انصبر لم يظهر وحتى في انتهاء القرن السادس على زمن شيوخ أدريجان والدولة الصفوية الجديدة، لم تنصل الإمام العائب بشعته إلا بالطيف! فكان يظهر هؤلاء الملوك، كما يدعون! (١)

وبالرغم من أن في هذا الكلام عدة نقاط محتاجة لاعاده النظر، إلا أن أهم الآن ملاحظة الإشكال الرئيسي الذي يثيره، وهو استبعاد وجود الإمام من عدم ظهوره عند الحاجة لأجل رفع الظلم عن قواعده الشعبية خاصة، والمسلمين عامة. وقد تصحّ الجواب عن ذلك مما سبق أن قناه متمثلاً في عذه وحده

أولاً: أما يجب أن لا نتوقع من الإمام المهدي (ع) الظهور بكس، تحت أي ظرف من الظروف، باعتباره مدحوراً بشر، بعدل الكامل في العام كله، لا لرفع المعالم الوقتية أو الاتصال بأشخاص معينين وقد عرفنا أن الإسراع بالظهور قبل أوانه يوجب جرماً فشل التخطيط الإلهي لليوم الموعود لأن بحاجة موطّ شروط معينة وظروف خاصة لا تتوفر فل اليوم الموعود حرماً وقد عرفنا أن كل ما أعاق عن بحاجة لا يمكن وجوده بحسب إرادة الله تعالى وإرادة المهدي (ع) نفسه، مهما كان الطرف مهماً وصعباً.

ثانياً: أما نحمل - عل الأقل - أن المهدي (ع) يرى أن بعض الظلم الذي كان

(١) عبيد شيمه لروندس، ص ٣٤٨ - ٣٤٩

ساري المفعول خلال التاريخ، كالحروب الصليبية مثلاً، غير فائلة للإزالة من قلبه حال العية بحال ولا يمنع التخطيط السري أو العمل الاعتيادي، بصفته فرداً عادياً، في إزالتها... لقوة تأثيرها وصرابة اندفاعها ومعه يصح الإمام المهدي (ع) حال عيته عاجراً عن رفع هذا الظلم، فيكون معذوراً عن عدم التصدي لرفعه طبقاً للقواعد الإسلامية ولوظيفة الواجبة الصحيحة

ثالثاً إن حملة من موارد الظلم الساري في المجتمع، لا تتوفر فيه الشرط الأول من الشرطين السابقين اللذين ذكرناهما لعمل المهدي (ع)، فلا يعمل المهدي لإزالته بطبيعة الحال وهو ما إذا كان العمل ملازماً لانكشاف أمره وانتفاء عيته.

رابعاً إن حملة من موارد الظلم، لا تتوفر فيه الشرط الثاني من الشرطين السابقين، باعتبار أن وجوده مسبب لانتشار الوعي في الأمة وشعورها بمسؤولية الذي هو أحد الشروط الكرى ليوم الطهور وقد قلنا بأن مثل هذا الظلم وإن وحب على الأمة الكفاح لإزالته، إلا أن الإمام المهدي (ع) لا يتسبب لرفعه، لأن في رفعه إزالة للشرط الأساسي ليوم الموعود، وهو ما لا يمكن تحقيقه في نظر الإسلام

إذن فمئات أحياء الظلم الساري المفعول في التاريخ لا بحالة مدرج تحت أحد هذه الأقسام، فإذا كان المهدي (ع) قد عمل لإزالتها فقد حالف وظيفته الإسلامية ومسؤوليته الحقيقية، ولا أقل من احتمال ذلك، لأجل المهدي (ع) على الصحة إذن فليس هناك أي تلام بين وجود المهدي وبين وقوفه ضد هذه الأحياء من الظلم والشرور، حتى يمكن لروبلدس أن يستنتج من عدم وقوفه ضد الظلم، عدم وجوده.

وأما الأحياء الأخرى من الظلم، فقد قلنا بأن تكليفه الشرعي ووظيفته الإسلامية، تقتضي وقوفه ضده وحيلولة دونه بصفته فرداً عادياً في المجتمع، كما أوضحناه. إذن فهو يقف ضد الظلم في حدود الشروط الخاصة الإسلامية، كيف وهو على طول الخط يمثل المعارضة الصامدة ضد الظلم والطغيان



## الفصل الثالث

### في الحياة الخاصة للمهدي (ع)

تُؤكل ما يعود إلى شحصه عليه السلام من الأمور حال غيبته الكبرى

ويمكن الكلام عن ذلك في صمن عدة أمور .

#### الأمر الأول:

هل لإمام المهدي (ع) متروح وله درية أم لا

ويمكن بيان ذلك على مستويين، باعتبار ما تقتضيه القواعد العامة، أولاً، وما تقتضيه الأحبار الخاصة ثانياً

المستوى الأول فيما تقتضيه القواعد العامة المتوفرة لدينا

وهذا مما يختلف حاله على إحتلاف الأطروحتين الرئيسيتين اللتين عرصاصهما فيما سبق .

أما الأطروحة الأولى أطروحة حفاء الشحص، فهي - بنفس الطر عن الأخيار الخاصة الآتية - تقتضي أن لا يكون المهدي متروحاً، وأن يبقى غير متروح طيلة عيته . ولا عرانة في ذلك، فإن كل ما ساق عيته ويعرضه للمحظر يكون وجوده غير جائز، فيكون رواجه غير حائر، لوصوح مساهاته مع عيته ولرومه لإكتشاف أمره . إذ مع حفاء شحصه لا يمكنه الزواج بطبيعة الحال عادة . وأما مع ظهوره واكتشاف أمره، فهو المحذور الذي يجب تحجبه ويغل بالعرض الأسمى من وجوده

وأما إفتراض أنه يكشف لزوجه فقط، بحيث تراه وتخالطه من دون كل الناس، فهو وإن كان ممكناً عقلاً، إلا إنه بعيداً كل البعد عن التطبيق العملي بحيث يقطع بعدم إمكانه فإن هذه الزوجة يجب أن تكون قبل زواجها من حصة الخاصة بالمؤمنين الموثوقين إلى أعلى الدرجات، بحيث لا يكون في مقاستها إياه وإطلاعها على حقيقته أي خطر. ومثل هذه المرأة تكاد تكون معدومة بين النساء، إن لم تكن معدومة فعلاً... فضلاً عن أن يجد في كل جيل امرأة من هذا القبيل.

إذن فقآؤه طيلة عيته أو في الأعم الأغلب منها بدون رواج، ضروري لحفظه وسلامته إلى يوم ظهوره الموعود، فيكون ذلك متعباً عليه. لو أحداً بالاطروحة الأولى.

وأما على الأطروحة الثانية. أطروحة حماء العنوان، فكل هذا الكلام الذي رأيناه يكون بدون موضوع فإن المهدي (ع) وإن كان من المتعذر عليه إيجاد الزواج بصحته الحقيقية، لما قلناه من عدم وجود المرأة الخاصة بالمؤمنين بالحو المطلوب. ولكن رواجه بصفته فرداً عادياً في المجتمع، أو شخصيته لثابتة، ممكن ومن أيسر الأمور، بحيث لا تطلع الروجة على حقيقته طول عمرها. فإن بدا التشكيك يعزو دهن المرأة في بعض تصرفاته أو عدم ظهور الكبر عليه بمرور الزمان... أمكن للمهدي (ع) أن يحطط تحطيطاً بسيطاً بطلاقها وإبعادها عن نفسه، أو معاداة المدينة التي كان فيها إلى مكان آخر، حيث يعيش رديحاً آخر من الرمس، وقد يتزوج مرة أخرى. وهكذا.

وإذا أمكن رواجه، أمكن القول بتحقيقه، وإن الإمام المهدي عليه السلام متزوج في غيبته الكرى بالفعل. وذلك لأن فيه تطبيقاً للسنة المؤكدة في الإسلام والأوامر الكثيرة بالرواح والحث العظيم عليه والهي عن تركه، والمهدي أولى من يشع السنة الإسلامية وبخاصة إذا قلنا بأن المعصوم لا يترك المستحب ولا يفعل المكروه مهما أمكن، والترتبا بعصمة المهدي (ع) كما هو الصحيح فيتعين أن يكون متزوجاً، بعد أن توصلنا إلى إمكان زواجه وعدم منافاته مع إحتجانه

وإذا سربا مع هذا التصور، أمكن أن نتصور له في كل جيل، أو في أكثر الأجيال ذرية متجددة تتكاثر بمرور الزمن، ولكنها تجهل بالمرء بأنها من نسل الإمام المهدي (ع)، لأنه لا يكشف حقيقته أمام زوجته وأولاده الصليين، فكيف



بالأجيال المتأخرة من ذريته.

إلا أن أمامنا شيئاً واحداً يحول بيننا وبين التوسع في هذا الافتراض، إن لم يكن برهاناً على إنتفاء الدرية أصلاً - وهو - إن وجود الدرية ملازم عادة لإكتشاف أمره والإطلاع على حقيقته. فإن السير القليلة بل العشرين والثلاثين منها قد تمضي مع جهل زوجته وأولاده بحقيقته، كما أنه يمكن التخلص من الروحة حين يبدو عليها بوادر الإلتفات ولكن كيف يمكن التخلص من الدرية؟ فإنهم أو بعضهم - على أقل تقدير - يكونون أحرص الناس على مشاهدة أبيهم وملاحقته أينما ذهب. ومعه يكون دائماً تحت رقابته ومشاهدتهم. ومن ثم لا يمكنه الحفاظ على سره العميق زمناً متراًمياً طويلاً. فإنهم بعد مصي الخمسين أو السبعين عاماً، سوف يلاحظون بكل وضوح عدم ظهور إمارات المشيب والشيخوخة على والدهم، وأنه بقي شاباً على شكله الأول. ومن ثم يحتفلون على الأقل كونه هو المهدي (ع)، أو أنه مرد شاد لا بد من الفحص عنه والتأكد من حقيقته وبالتفحص ومدومة السؤال، لا بد أن يتوصلوا إلى الاحتمال على أقل تقدير وهذا مناف مع عيته وكنهه أمره. وأما لو بقيت ذريته تراقبه، ولو شخصيته الثانية، عدة أجيال، فيكون إكتشاف أمره بمقدار من الوضوح.

وأما افتراض أنه يعيش مع زوجته وأولاده، ويظهر عليه المشيب فعلاً، ثم أنه ينحفي ويتحول شكله إلى الشاب تارة أخرى عن طريق المعجزة، لكي يستأنف حياة روحية جديدة وهكذا. فهو افتراض عاطل ترد عليه عدة اعتراضات أهمها منافاته مع قانون المعجرات، فإن زواج المهدي ووجود الدرية لديه لا يمت إلى إهداية الإلهية بصفة، لكي يمكن أن تقوم المعجزة من أحده

إذن فلا بد من الإلتزام، بعدم وجود الدرية للمهدي (ع) بالسحر المائي لعيبته أما بإعدام الدرية على الإطلاق، أو بوحود القليل من الدرية التي تجهل حال نسبها على الإطلاق، كما يجمله الآخرون، ولعلنا نصادف بعضاً منهم، ولكن إثبات نسبه في عداد المستحيل.

فالمحصل من القواعد العامة، هو أن المطلوب أن يكون الإمام المهدي (ع) منزوحاً بدون درية لا لقصر فيه بل ولا في روحته، بل لإشاعة الله تعالى ذلك،

أو تعتمد المهدي (ع) له، إحتفاظاً بسرّه ومحافظة على أمره.

المستوى الثاني. فيما تدل عليه الأحبار من وجود الروجة والأولاد للمهدي (ع) ونحن نواجه هذا الصدد شكلين أو طائفتين من الأحبار:

### الشكل الأول:

الأحبار الدالة على رواجه ووجود الدرية له، سحو يحمل من حيث كون ذلك حاصلًا في زمان العيبة أو بعد الظهور، ومن حيث كونه بعنوانه الواقعي أو بشخصيته الثانية. ومنعروف فيما يأتي أنه لا بد من تخصيص هذه لأحبار، فيما بعد الظهور، أو في حال العيبة شكل لا يكون مسباً لإكتشاف أمره وانتفاء عيبته

### الشكل الثاني:

الأحبار الدالة على رواجه ووجود الدرية له في عيبته الكبرى وهي ثلاث روايات.

الأولى: ما رواه الخاق السروي قدس سره في السجم الثاقب عن كتاب العيبة للشيخ الطوسي وكتاب العيبة للحماي. قال: رويًا بطريق معتر عن الفصل من عمره، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إن لصاحب هذا الأمر عيتين، إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات وبعضهم يقول: قتل. وبعضهم يقول: ذهب. فلا يبقى على أمره من أصحابه إلا نهر يسير لا يطلع على موضعه أحد من ولده ولا غيره، إلا المولى اندي بي أمره<sup>(١)</sup>

الثانية: رواية كمال الدين الإساري، التي سذكر مصمومها في الأمر الرابع الآتي<sup>(٢)</sup>

الثالثة: رواية زين الدين المدرابي، وهي مشبهة لدروية الثانية، من عدة نواح، على ما سري في الفصل الآتي<sup>(٣)</sup>

(١) السجم الثاقب، ص ٢٢٤ وعية الشيخ، ص ١٠٢

(٢) السجم الثاقب، ص ٢١٧

(٣) المصدر، ص ٢٨٤، وانظر البحار ص.

إلا أن شيئاً من هذه الروايات، لا يصح الإستدلال به، بمعنى أنها، لو تمت من ناحية السند، لا تكاد تثبت أكثر وأوسع مما اقتضته القواعد العامة التي عرفناها على المستوى الأولي.

### أما الرواية الأولى، فلا تصح لعدة وجوه: الوجه الأول:

أنه لا دليل على وجود ذكر الولد في هذه الرواية. فإن كلا من الشيخ الطوسي والشيخ العمادي برواياتهما بعض واحد. إلا أن الشيخ الطوسي قال: لا يطلع على موضعه أحد من ولده ولا غيره<sup>(١)</sup> والشيخ العمادي روى: من ولي ولا غيره<sup>(٢)</sup>. ومع تهافت سحر الرواية فيما هو عمل الشاهد، لا يمكن المصير إلى الإستدلال بها.

#### الوجه الثاني:

أنه على تقدير الإعتراف بوجود كلمة الولد في الرواية، فإنها لا تكاد تدل على أمر زائد على ما اقتضته القواعد بناء على الأطروحة الثانية. فإنه يمكن أن يكون للإمام المهدي (ع) درية لا تعرف حقيقة أبيها، بمقدار لا يصل الأمر إلى إنكشاف أمره وديوع سره، كما سبق أن عرفنا. أو يكون المهدي (ع) قد حصل في بعض الأجيال، على روجة موثوقة عرفت حقيقته وصات سره وسرته عن ذريته.

أما وجود ولد أو درية يعاشرونه ويعرفونه، فهو معنى بنص الرواية، كما هو معنى بمقتضى القواعد.

ثالثاً. أننا محتمل على الأقل، أن المراد بقوله لا يطلع على موضعه أحد من ولده ولا غيره المسألة في بيان ريادة الخفاء بمعنى أنه حتى لو كان له ولد أطلع على حقيقته فصلاً عن غير الولد. وهذا يحججه لا يكون دليلاً على وجود الولد فعلاً، كما هو واضح. وإحتمال هذا المعنى يكفي لإسقاط الإستدلال بالرواية، فإنه إذا دخل الإحتمال بطل الإستدلال

(١) غيبة الشيخ، ص ١٠٢

(٢) غيبة النعماني، ص ٨٩

وأما الروايان الأحيوتان، التي سنسمعهما، فالمقدار المشترك من مدلوليهما، هو أن المهدي (ع) ساكن خلال عيشه الكبرى في بعض الحرر المجهولة من الحرر الأبيض المتوسط . متزوج وله ذرية . وقد أسس هناك مجتمعاً إسلامياً نموذجياً مكوناً من أولاده والأحبار من أتباعهم وأصحابهم . وهو يعيش في ذلك المجتمع محتجاً، في الوقت الذي يتولى الرئاسة العامة أولاده وذريته

وسأتي التعرض إلى تفاصيل المصموم بمقدار الحاجة، مع إيضاح نقاط لصعب فيه . ويكفي في حدود عمل الاستدلال المأقشة من ناحيتين :

أولاً: إن كلا الروايين لا تكادان تصحان أساساً، لإبنائهما على الأساس الذي تقوم عليه الأطروحة الأولى، كما سنوضحه عند التعرض إلى تفاصيلها وهو أساس سبق أن أقصا الرهان على بطلانه .

ثانياً: انه على تقدير صحتهما، فهما لا يدلان على شيء رثد عما اقتضته القواعد العامة . فان غاية ما تدلان عليه هو افتراض ان الإمام المهدي (ع) قد وجد في بعض الأجيال امرأة صالحة موثوقة عرفته ومترت أمره وحجته عن دريته . وقد علم دريته بإتساعهم إليه من دون أن يروه أو يعرفوا مكانه . وبالجملة يكفي في صدق هاتين الروايتين وقوع الرواج للمهدي (ع) مرة واحدة خلال الأجيال، وهو مما لم تنه القواعد العامة، كما هو معلوم

إذن فهم نجد من الروايات، ما يصلح للإستدلال به على مصموم زائد على ما عرفناه في القواعد العامة .

### الأمر الثاني :

في مكان المهدي (ع) في عيشه الكبرى .

سبق أن سمعنا في تاريخ العبة الصعري<sup>(١)</sup>، أن المهدي (ع) قد لمحمد بن إبراهيم بن مهريار حين قابله . يا ابن المازيار! أبي أبو محمد عهد إلي أن لا أحاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم ولهم الخزي في الدنيا والآخرة ولهم عذاب أليم وأمرني أن لا أسكن من أحيال إلا وعرها، ومن البلاد إلا عفرها . الخ كلامه

(١) انظر ص ٥٨٢ وغيره

وهو دال على تعيين مكان المهدي (ع) في البراري والقفار النائية . . سواء في ذلك عصر غيبته الصغرى، وعصر عيته الكبرى . وسواء أخذنا بأطروحة خفاء الشخص أو أطروحة خفاء العنوان . فإنه منسجم مع كلتا الأطروحتين

ولا اننا ذكرنا أن هذا وإن كان محتملاً في نفسه، إلا أنه مناف مع أعداد من الروايات الدالة على وجوده بكثرة في أماكن أخرى . أهمها روايات المشاهدة في العية الصغرى وأحبار المشاهدة الكبرى . إلا على بعض العروض النادرة أو الإعجازية التي نحن في غنى عن افتراضها، والمهدي (ع) في غنى عن إتحادها، فإن المعجزة لا تقع إلا عند توقف إقامة الحجة عليها، كما سبق .

إذاً تجزئاً هذه الرواية يبقى الكلام في تشخيص مكان المهدي (ع) نارة بحسب القواعد العامة التي تقتضيها الأطروحتان الرئيسيتان، وأخرى بحسب الأحبار الخاصة التي يمكن الاستدلال بها في هذا الصدد

أما الأطروحة الأولى أطروحة خفاء الشخص فهي تقتضي الجهل المطبق بمكانه عليه السلام، إلا ما يكون عند مشاهدته حين تقتضي المصلحة ذلك

وأما الأطروحة الثانية . أطروحة خفاء العنوان، فقد سبق أن أوضحنا إمكان أن يعيّن الإمام المهدي (ع) في أي مكان شاء ويذهب إلى أي مكان يريد، من الخواصر أو السودي من البر أو البحر أو الجو، من دون أن يلفت إلى نفسه نظراً أو يكشف سرّاً كما أوضحنا أنه لا يسعى أن يتصور له مكاناً واحداً مستمراً أو عاباً طيبة عيته . لأن ذلك ملالمة عادة لالتفات الناس إلى حقيقته وإنهاء عيته بل هو - لا محالة - يورع مكانه بين السدان، لكي يعد عن نفسه الشكوك .

وأما بحسب الروايات الخاصة، فواجه بها عدة أحبار .

الأول خير المفصل من عمر، السابق الذي يقول فيه لا يطلع على موضعه أحد من ولده ولا غيره إلا المولى الذي بي أمره

الثاني - رواية كمال الدين الأساري، التي أشربنا إليها

الثالث - رواية زين الدين المازندراني، السابقة

وتشترك هاتان الروايتان في شأن أن المهدي (ع) يسكن في بعض الخزر المجهولة في البحر الأبيض المتوسط . وكأن في هذا تطبيقاً لما ورد في رواية ابن

مهيزار من انه لا يسكن في الجبال إلا وعمرها ومن البلاد إلا عمرها، وأن لا يجاور  
قوماً عصب الله عليهم ولعنهم!

وقد سبق أن ذكرنا، وسياقي أنصاً، بأن هاتين الروايتين متبتان على الأساس  
الذي تنتهي عليه الأطروحة الأولى، ومعه تكون باطلة وغير معتبرة حملة وتفصيلاً  
الرابع ما ورد عن أبي بصير عن الإمام الباقر (ع) إنه قال لا بد لصاحب  
هذا الأمر من عولة، ولا بد في عرلته من قوة وما ثلاثين من وحشة ويعم المرسل  
طية<sup>(١)</sup>.

ويشترك هذا الخبر مع الخبر الأول في الدلالة على انعزال الإمام المهدي (ع)  
وبعده عن الناس، ويتعارضان من حيث أن الأخير شت أن جماعة من الناس في  
كل حين يعرفون المهدي ويتصلون به ويرفعون عنه الوحشة، وهذا ما يفصيه الخبر  
الأول بوصوح حيث يقرر عدم إطلاع أحد عن موضعه حتى ولده، إلا المولى الذي  
يبي أمره ويستقل الخبر الأخير على تعيين مكان المهدي (ع) في طيبة، وهي مدينة  
الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

هذه نقاط ثلاث، يسمي أن يقع الكلام عنها، ويحسن من أجل صسط  
السياق، أن نبدأ بالآخيرة.

### النقطة الأولى:

حول ما دل عليه خبر أبي بصير من سكنى المهدي في مدسة  
الرسول (ص).

وهذا أمر ينافيه ما ورد في خبر إس مهيزار من اختصاص مكان  
المهدي (ع) في الراري والفصير كما يباي ما ورد في أحبار المصلاات في  
المبشرين الصغرى والكبرى، كما ذكرنا، من وجود المهدي (ع) في أماكن أخرى  
من العالم. ومع هذه المسألة لا تكاد تكون رواية أبي بصير قابلة للإثبات أو  
الإستدلال

---

(١) غير الشيخ الطوسي، ص ١٠٢

ولو عصصا الطر عن ذلك، لم نجد أن سكان المدينة مباح للقواعد العامة التي عرفناها. سواء أحدا بأطروحة حماء الشخص أو بأطروحة حماء العوان. أما على أطروحة حماء الشخص، فمن الممكن أن نقرض سكانها حال حمائهم في المدينة نفسها، بدون لزوم أي إشكال أو صعوبة.

وأما على أطروحة حماء العوان، فيسعى أن نحصل هذه السكينة بما إذا لم تستند إنكشاف أمره أو إلتفات الناس إلى أمره لما سبق أن عرفناه من أن سكان المنطقة في البلد الواحد يكون مطية لذلك فلا بد أن نقرض به يعود إلى سكانها بين حيل وحيل أو نحو ذلك، بحيث لو راجعنا المعدل العام لزمان العينة الكبرى، رأينا مكانه الأعلى هو المدينة المورة وقد سبق أن عرفنا أن مثل هذا الأسلوب في سكينة المدن لا يكون مطية للإنكشاف.

ولعل هذا الأسلوب بحال المهدي (ع) ونحوه، من حيث أنه يود محورة قبر جده الأعظم رسول الإنسانية (ص)، والقرب إلى مكان الحج ليتسنى له القيام به كل عام ويحاطة وإن أغلب سكان المدينة المورة في أغلب أحوال التاريخ الإسلامي، إن لم يكن كلها، من المكربين لوجوده أصلاً. وهو مما يسهل له الحفاظ على حماء عوانه ودوام عينه.

### النقطة الثانية.

هنا نختلف فيه الروايات من المصنوع، حول أن المهدي (ع) هل يعاشر بعض الناس أولاً.

وعند الموارنة بين الأمرين، لابد من عرصهما على القواعد العامة التي عرفناها وسوف نحمل نتيجة الموارنة طعناً للأطروحتين الرئيسيتين السابقتين. أما لو أحدا بأطروحة حماء الشخص، فسوف يرجح الأحاد برواية المفصل من عمر وإن لم تكن مطابقة لها تماماً لدلالة الرواية على إنكشاف المهدي (ع) للمولى الذي يلي أمره، وهو يناي الإلتزام الكامل بهذه الأطروحة. وأما لو أحدا بأطروحة حماء العوان، فسوف يرجح الأحاد برواية أبي بصير، وإن لم تكن مطابقة لها تماماً لدلالة الرواية على إنحصار المعارضين بالمهدي (ع) والمعارضين له ثلاثين، في كل حيل، بحيث لولاهم لكان في وحدة موحشة

وهذا ما يستلزم عن إقترانه بناء على هذه الأطروحة (د) يمكن للمهدي (ع) أن يعاشر أي شخص كما عرفنا. نعم، يمكن أن يكون لثلاثين حصيرة الإطلاع على حقيقته، وهو أمر لطيف، إلا أنه لا يستلزم عدمهم وجود الوحدة الموحدة على أي حال

### النقطة الثالثة:

فيما تشترك فيه الروايتان من النص على إعتزال المهدي (ع) عن الناس وهذا يمكن حمله على أحد وجهين:

الوجه الأول. أن يفسر بالإعتزال السبي، يعني إعتزاله بصفته الحقيقية، وإن كان مرتبطاً بالناس بصفته فرداً عادياً في المجتمع. وهذا الوجه قريب من أطروحة حفاء العنوان إلا أنه يخالف لكلتا الروايتين في طاهرهما، كما يتضح لمن قراهما.

### الوجه الثاني.

أن يعترف بعزله عليه السلام، بشكل مطلق وهذا أقرب إلى أطروحة حفاء الشخص، فإنها تستلزم العزلة المطلقة ولكنه لا يناهز الأطروحة الأخرى لإمكان أن يرى المهدي (ع) حال اعتزاله من دون أن تعرف حقيقته.

إلا إذا عرفنا أنه لا حاجة إلى اعتزال مثل هذه العزلة مع حفاء العنوان. إن لم تكن بنفسها ملقاة لسطر والتساؤل عن حقيقة هذا الفرد المعزل وعن سبب اعتزاله، مما يثير حوله الإنشاء.

فإذا لم يصح الوجه الأول، كما لم يصح الوجه الثاني انطلاقاً من أطروحة حفاء العنوان، الصحيحة، لم يمكن القول بصحة المصموم المشترك بين الروايتين، وإن كان مدعياً رواية إس مهريار أيضاً

### الأمر الثالث:

ما ورد من تسوية أولاده وسكهم وأعمالهم.

تنص رواية الاساري المشار إليها، إن للحجة المهدي (ع) عدة أولاد في



الجزر المجهولة في البحر الأبيض المتوسط.

أحدهم: طاهر بن محمد بن الحسن. وهو يحكم إحدى تلك الجزر المسماة بالزاهرة<sup>(١)</sup>.

ثانيهم: قاسم بن محمد بن الحسن. وهو يحكم الجزيرة المسماة بالرائقة<sup>(٢)</sup>.

ثالثهم: إبراهيم بن صاحب الأمر. وهو يحكم بلدة هناك تسمى بالصافية<sup>(٣)</sup>.

رابعهم: عبد الرحمن بن صاحب الأمر. وهو يحكم بلدة بإسم طلوم<sup>(٤)</sup>.

خامسهم: هاشم بن صاحب الأمر. وهو يحكم بلدة بإسم عناطيس<sup>(٥)</sup>.

وكلهم يحكمون تحت الإشراف العام لأبيهم صاحب الأمر المهدي (ع). وإن لم تدل الرواية على أنهم يرونه ويحتمون به أولاً.

وحيث أن الحادثة المروية بهذه الرواية مؤرخة بتاريخ القرن السادس الهجري<sup>(٦)</sup>، فيكون قد مضى على ولادة الإمام المهدي (ع) حوالي الأربعمائة سنة. ولا نحتمل طول عمر أولاده ولا زوجته بالشكل الخارج عن الطبيعي من أعمار الآخرين من الناس. إذن، فلو صحت الرواية، يتعين أن يكون قد تم زواجه ووجود أولاده في مثل ذلك العصر. وقد سبق أن ذكرنا أن ذلك إنما يتم فيما لو كان المهدي (ع) قد وجد امرأة موثوقة في أعلى درجات الإخلاص، بحيث تعرفه وتساعد على إخماء نفسه حتى على أولاده، وإن كانت قد لا تخفي عنهم إنتسابهم إليه.

أما زواجه في العصور المتقدمة على ذلك، أو في العصور المتأخرة عنه، أو

(١) الحم الثاقب، ص ٢٢٠ - ٢٢١

(٢) من المصدر، ص ٢٢٢

(٣) و (٤) و (٥) المصدر والمصنف

(٦) المصدر، ص ٢١٧

وجود ذرية له فيها، فلا تعرض له الرواية. فيبقى محولاً على مقتضى القواعد السابقة.

وأما صحة هذه الرواية، فقد سقت الإشارة إلى عدم صحتها، وسيأتي تفصيل ذلك الأمر الآتي.

وأما رواية الماربراني المشابهة لها في المضمون، فهي مؤرخة في القرن السابع الهجري. تدل على وجود عدة جرائر في البحر الأبيض أيضاً أكبرها المسماة بـ (الخضراء) بحكمها نائب حاص عن الإمام المهدي (ع)، يسمى بمحمد ويلقب شمس الدين، وهو من ذرية المهدي، وبنيها حمزة آء<sup>(١)</sup> لكن لا يتصح انتسابه إلى أي من الأولاد السابقين

ولعل هناك شيء من البعد في تسلسل حمزة أجيال خلال قرون من الزمن، إلا بتقدير تعدد رواحه أو سرعة تاسل أولاده

والظاهر من هذه الرواية عدم وجود أولاد المهدي (ع) المشيرين بل من بعدهم أيضاً، وإلا لما أصبح حفيده الخامس حاكماً هناك، دوهم وخاصة وإن الرواية تنص على أن آءه أفضل منه، بقرينة عدم مشاهدته للإمام (ع)، وأما آءه فقد سمع صوته ولم ير شخصه، وأما حذو فقد رأى شخصه وسمع صوته<sup>(٢)</sup> وكلما كان الفرد أقرب «ونشاطاً بالمهدي (ع) دل ذلك على ريادة في فصله وإخلاصه

وحساب هذه الرواية، من حيث أصل صحتها واعتبارها، موكول إلى الأمر الرابع الآتي.

### الأمر الرابع:

تأسيس المهدي (ع) في عينه الكبرى مجتمعاً إسلامياً نموذجياً. أو عدم صحة ذلك

(١) البحار، ج ١٣، ص ١٤٦

(٢) المصدر والصحة السابقة

يدل على تأسيسه لمثل هذا المجتمع، الروايتان المشار إليهما فيما سبق  
للانساري والمازندراني . وتنمية سائر القرائن الأخرى من عقلية وعقلية على ما  
يأتي.

ويود أن يدرس فيما يلي الخصائص العامة الفكرية والاجتماعية والعلمية  
والسياسية لهذا المجتمع المودحي، وما أنتجته هذه الخصائص فيه من مستوى  
من الرفاه والإزدهار في الزراعة والتجارة.

ولا يخفى أننا بعد أن ناقش في أصل ثبوت هاتين الروايتين وصحتها،  
فسوف لن تبقى لهذه الخصائص قيمة من وجهة نظر إسلامية موضوعية، إلا  
باعتبارها صحيحة في نظر الراوي وبحسب فهمه الخاص. وإنما ندرسها الآن  
بصفتها بمثابة لوجه نظر بعض المسلمين تجاه شكل المجتمع الإسلامي والدولة  
الإسلامية عامة والنظام المهدي خاصة وسنطلق بعد ذلك إلى تطبيقه على  
القواعد والأدلة الإسلامية الحقة.

تتفق الروايتان. على أن هناك مدناً كبيرة وكثيرة على ساحل البحر، وربما  
كانت في بر إحدى القارات، وربما كانت في حرائر صحمة في أحد البحار  
وتنص رواية المازندراني على أنه هو البحر الأبيض المتوسط. وإن هذه الجزائر  
هي السبب في تسميته بالبحر الأبيض لأنها محاطة بماء أبيض صاف كماء  
الفرات يختلف لونه عن لون سائر ماء البحر، إذا وردت فيه سفن الكفار  
والمحاريب عرفت بقدرة الله تعالى وبركة الإمام المهدي عليه السلام.

وتشكل هذه المجموعة رقعة مهمة من الأرض، لأن إحدى المدن تعد  
عن الأخرى بمقدار مسير إثني عشر يوماً أو خمسة عشر يوماً، سحراً أو براً،  
بوسائل النقل التي كانت سائدة يومئذ في القرنين السادس والسابع الهجريين  
وهي مسافة تكون بالتقريب مثل ما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة في الحجاز  
أو بين البصرة وبعداد في العراق.

وبالرغم من سعة هذه المساحة، فإنها مبنية بالسائتين والقرى، التي قد  
تصل إلى ألف ومائتي قرية لكل مدينة ومعها يمكن تقدير سكانها بما لا يقل  
عن عشرة ملايين من البشر فتكون بذلك دولة متوسطة الحجم، يمكن أن

تشكل المجتمع النموذجي الإسلامي على أحسن طرار

وتتصف هذه المجموعة بالجمال الطبيعي والرفاه الاقتصادي إلى حد بعيد، بحيث تخون اللغة لسان الراوي في وصفه ويكفيها من ذلك أن أكثر دورها منية بالرخام الشفاف، ويحيط كل مدينة مئات المزارع والساتين ذات الهواء الطلق والفواكه العديدة.

وتنص رواية الأنباري بأن الدثاب والعم يعيشون في هذه المزارع بصداقة ولفة وإن الساع والهوام مطلقو السراح ما بين الناس، من دون أن يصروا أحداً أو يوجوا حادثاً أو مرضاً.

وتشتمل المدن على أسواق كثيرة فيها من الامتعة المعروضة ما لا يوصف ولا يتأمل. وفيها حاملت كثيرة. وفيها مسجد أعظم يجتمع الناس لإقامة الصلاة وتوجد حول المدينة أسوار وقلاع وأبراج عالية من جهة البحر، لأجل أن تزداد منعة وقوة.

وأما دين الشعب الساكن في هذه البلاد، فهو الإسلام على المذهب الإمامي الإثنا عشري.

وأما أخلاقهم الكريمة، فحدث عنها ولا حرج، يصعبها الأساري بأنها أحسن أخلاق على وجه الأرض فهم في الأمانة والتدين والصدق بلا مثيل، وكلامهم حال من اللغو والعيبة والسفاهة والكذب والسمية. ويؤدون الحقوق المالية الشرعية. وتسود معاملاتهم روح الثقة وحسن الظن إلى حد يقول السائح لمشتري زن لنفسك وحد، فإن أخذك لحقك غير متوقف على وجودي. وبمجرد أن يعلن المؤذن دخول وقت الصلاة، يترك الناس أعمالهم ويتوجهون رجالاً ونساء إلى أدائها.

وتتصف مجتمعات هذه المدن بالتصاميم والإلحاح، فإذا احتاحت بعض الحرر أو المدن إلى مساعدة، أو كانت حالية من الزراعة، أرسلت إليها الميرة والصنائع الكثيرة، من المدن الأخرى الخافلة بالخير والبركات، تسرعاً دون مقابل.

وبحكم هذه المجتمعات حاكم واحد، كما في رواية المازندراني، أو عدة حكام، كما في رواية الأساري. منصوبين من قبل الإمام المهدي عليه السلام، بحيث يعتبر أهم حاكم نائياً خاصاً له عليه السلام. ومن ثم فهو يقيم صلاة الجمعة، لتحقيق شرط وجوبها، وهو وجود الإمام المعصوم أو نائبه الخاص.

وهو الذي يقيم صلاة الجماعة في كل وقت، وهو الذي يفتي الناس بالمسائل الشرعية، ويقضي بينهم. بل تنص رواية المازندراني أنه يدرس العلوم العربية وأصول الدين والفقه الذي تلقاه عن صاحب الأمر المهدي عليه السلام. وهو الذي يجادل عن المذهب إن لزم الأمر، ويكون حذاله حاداً وصريحاً، ويكون هو الظاهر في الخدال على خصمه على طول الخط. وله من الكرم وحسن الضيافة الشيء الكثير.

وقد سبق أن عرفنا أساء عدد من حكام تلك البلاد. وقد كان منهم خمسة من أولاد المهدي (ع) نفسه، في رواية الأساري، وواحد من أحفاده في رواية المازندراني.

يطع الحاكم هناك من قبل شعبه إطاعة تامة، وله فيهم الكلمة البائية، وله في قلوبهم المهابة والوقار. وقد يجبر بما يسفي أن يكون جاهلاً به عادة، كاسم الشخص المسافر الطاريء على البلاد، فيكون هذا آية صدقه وأساس حكمه وليس هو اختاراً بالغيب وإنما يرويه عن الإمام المهدي (ع) ولو بالواسطة، والإمام المهدي (ع) عالم بتعاليم الله عز وجل إياه، بالالهام أو نحوه. ومن هنا يقول الراوي: فقلت. ومن أين تعرفني باسمي واسم أبي؟ قال. أعلم أنه قد تقدم إليّ وصفتك وأصلك ومعرفة اسمك وشخصك وهيتك واسم أبيك رحمه الله<sup>(١)</sup> وإنما تقدم ذلك إليه من المهدي عليه السلام.

والمهدي (ع) يسكن في تلك المجتمعات نفسها نحو معزل لا يراه حتى الحكام أنفسهم بالرغم مما يتصعون به من إحلاص ووثاقة وإذا خرج إلى الحج أو إلى أي مكان آخر، فإنه يعود إليها تارة أخرى.

(١) البحار، ج ١٣، ص ١٤٠

وهو يعطي تعليماته للحاكم عن طريق المراسلة، فيما يحتاجه من الت في أمور الناس من المحاكمات وغيرها، كما تنص على ذلك رواية الماربراي. وبذلك يكون له الاشراف المباشر على سائر هذه الدولة المودجية، ويبقى ذكره فيها حياً وقانونه نافذاً. وتترى الأجيال على الاحلاص له وانتظار فرجه، وهو أمر عام بين سائر أفراد الشعب هناك إلى حد لا يكادون يقسمون إلا به في كلامهم الاعتيادي فهذا هو الوصف العام لهذا المجتمع المودجي الذي دلت عليه هاتان الروايتان. إلا أنهما لا يمكن أن يكون لهما جانب من الصحة على الإطلاق وذلك لوجود عدة اعتراضات نذكر منها ثلاثة رئيسية:

### الاعتراض الأول:

إن الكرة الأرضية الآن، بل فيما قبل الآن مرت بعدة فروع، قد عرفت شراً شراً ومسحت متراً متراً، وأطلع الناس على حقاياها ورواياتها. وبالرغم من ذلك لم يجد أحد تلك المناطق ولا أطلع على وجود تلك الحرائر والمدن ولو كانت موجودة لعرفت يقيناً، ولكانت من أهم العالم الاسلامي إذن فهي غير موجودة قطعاً.

وأما الرعم بأنها برمتها محتبة عن الاطوار، كما هو حال المهدي نفسه، لو صحت أطروحة حصه الشخص. فهو ما حاول بعض الباحثين أن يقوله<sup>(١)</sup> مستشهداً بسعة قدرة الله تعالى، وما روي من أن رسول الله (ص) كان أحياناً يختفي عن كفار قريش في أثناء صلاته.

إلا أن هذا الاستدلال يشك في الامكان العقلي لاختفاء هذه المدن، ولكنه لا يثبت وقوعه فعلاً. ونحن نعترف بسعة قدرة الله تعالى على ذلك وما هو أهم منه وأوسع إلا أننا نفي وقوع ذلك خارجاً، ونثبت الفرق بين اختفاء المهدي (ع) والسبي (ص) من ناحية، واختفاء هذه المدن من ناحية أخرى.

من اختفاء المهدي (ع) والسبي (ص) إما يتحقق لتوقف حياتهما عليه تلك الحياة المدحورة لهداية الناس واكمال الحجة عليهم، فيتكون الاختفاء مطابقاً مع قانون المعجرات، وهو أنه مهما توقف اكمال الحجة على المعجزة أوحدتها الله

(١) نظر الحجم الثاني، ص ٢٢٧

جرماً، وحرق بها الواميس الطبيعية، ولا توجد المعجزة في خارج هذا الحد  
وبدلت سبق أن نعى الأطروحة الأولى، لعدم احتياج المهدي (ع) في سلامته إلى  
الاحتفاء الدائم

وأما بالنسبة إلى بند أو مجتمع مسلم، تحمي احتفاء شخصياً برمته، كما يدعي  
هذا الباحث فليس الأمر فيه أن إقامة الحجة أو إكمالها متوقف على وجود  
المعجزة فإن المفروض أن أفراد المجتمع قد اعتنقوا الإسلام واحتضنوا له وتمت  
حجته عليهم. فأي حجة تبقى بعد ذلك لاحتاج إلى المعجزة وإنما المفروض أن  
سلامته من الأعداء متوقف على احتفائه إلا أن ذلك بما لا يعرف في الإسلام،  
وهو خارج عن القانون العام لإقامة المعجرات. إذن فالمعجزة غير متحققة، فهو  
كأن موجوداً لكن ظاهراً لا محالة ولو كان ظاهراً لكان معروفاً وحيث أنه غير  
معروف ولا ظاهراً، إذن فهو غير موجود.

ولو صح احتفاء مجتمع مسلم لسلامته من الاعتداء، لصح احتفاء مجتمعات  
مسلمة كثيرة تعرضت للعنات العديدة على مر التاريخ على أن ذلك لم يحدث.  
ولو كان قانون المعجرات يوجب حدوث ذلك، حدث على أي حال  
وقد يقال بأن لهذا المجتمع المخصوص خصوصية كبرى تميزه عن سائر  
المجتمعات، وهو وجود الامام المهدي فيه، فمن الحائر أن يحصه الله تعالى  
بالاحتفاء

إلا أن هذه الفكرة غير صحيحة للمرة إذ لو توقفت سلامة الامام عليه  
السلام وبقائه وعيسته، على غياب هذه المدن، لكان أمراً صحيحاً إلا أن هذا  
التوقف غير موجود للمرة، إذ قد عرفنا بأن الامام المهدي (ع) يمكنه أن يجرر سلامته  
وغيبته في أي مكان من العالم على كلا الأطروحتين الرئيسيتين. وبمعنى لا تبقى  
لذلك المجتمع أي خصوصية من هذه الناحية

بل من المستطاع القول، بالنسبة إلى ما ذكرناه من إتمام الحجة. أنه ليس فقط  
أن إقامة الحجة على هذا المجتمع لا يتوقف على احتفائه كما قلنا، بل أن إكمال  
الحجة عليه يتوقف على ظهوره وكونه جزءاً من العالم الشري المطور وذلك  
إطلاقاً من قانون التمهيد الالهي الثابت عملاً وفعلاً، على ما سنصله في باب  
قادم من هذا التاريخ

إن الفرد المسلم والمجتمع المسلم، كلما واجه التيارات الكافرة على مختلف مستوياتها، وصمد تجاه الاضطرابات الحثيرة، وصحى في سبيل ديه، كلما يكون إيمانه أقوى وأرسح، وإرادته أمضى وأعظم. فاصطدامه مع الكفر والاضحرف في حرب جسدية أو عقائدية، جزء من المحطط الالهي للتمحيص والامتحان وليهلك من هلك عن بيته، ويحيى من حيى عن بيته. وبذلك يكون كمال الحجة متوقفاً على هذا الاصطدام، وسرى في مستقبل هذا التاريخ أن يوم الظهور الموعود للمهدي (ع) مما يتوقف على هذا التمحيص وهذا الاصطدام بما يحدث والتمحيص بما يتحقق، فيما إذا كان المجتمع ظاهراً للعين متفاعلاً مع العالم الخارجي، دون ما إذا كان مرتاحاً في احتمائه مساقاً مع احلامه

إذن فالقانون العام للتمحيص وقانون المعجرات مافين لاحتفاء أي مجتمع مسلم وانعزاله عن العالم، ومعه فهو كان هذا المجتمع موجوداً لكان ظاهراً وحيث أنه غير ظاهر إذن فهو غير موجود.

وهذا هو مردنا عما قلناه فيما سبق، من أن هاتين الروايتين مستينان على الأساس الذي تنبي عليه الأطروحة الأولى، وقد عرفنا الآن أنه أسوأ حالاً وأشد بعداً من الأطروحة الأولى بكثير حيث مرها على بطلان تلك الأطروحة بالاستعفاء عنها بالأطروحة الثانية. وأما هذه المدن، فكلا من قدوي للمعجرات والتمحيص، ينبغيان اختفاءهما بالضرورة

وليت شعري، لم يلتفت هذا الباحث الذي يدعي احتفاء هذه المدن الكثيرة، إلى أن سياق الروايتين الدالتين على وجودها ماف مع هذه الفكرة وذلك انطلاقاً من نقطتين أساسيتين

### النقطة الأولى.

ما نصت عليه رواية المارديري، من أن البحر الأبيض إنما سمي بذلك لوجود ماء صاف كماء الفرات حول الحرر، إذا دحنته من الأعداء عرقت بقدرة الله تعالى وبركة المهدي عليه السلام.

إن هذه الحرر إذا كانت محتفية عن الأسطر. كيف يتندي إليها الأعداء بل يكفي احتفاؤها حماية لها كما هو واضح. فوجود مثل هذا الماء الصافي - لو



صح - أدل دليل على عدم الاختفاء.

#### النقطة الثانية -

إن الاختفاء لو كان صحيحاً، لكان اللازم أن لا تكشف هذه الحرر لأحد من الخارج إلا لمن لديه القسم العالي من الاحلاص والثقة من المسلمين حيث يكون انكشافها لغير هؤلاء الأفراد مظنة للحظر، وطريقاً محتملاً لهجوم الأعداء، بشكل أو آخر.

في حين أن قافلة هذا الراوي في البحر، وصلت إلى هذه الحرر، بما فيها من مسلمين على اختلاف مستوياتهم ومداهمهم، وبما فيها من مسيحيين إذ وجود هؤلاء يؤكد عدم الاختفاء.

#### الاعتراض الثاني

إن هاتين الروايتين للاباري والمدرديري، صافيتان ومعارضتان، مع عدد من الأخبار الواردة بمصامير مختلفة تتفق كلها على نفي مصموم هاتين الروايتين، كل من ناحيته الخاصة ومن الثالث أنه كلياً تعارض الخبر والخبران مع مجموعة ضخمة من الأخبار، نوحب القطع بمصمونها المشترك، قدمت المجموعة الصحيفة لا محالة، ولم يبق للبحر والخبرين أي اعتبار

وتتمثل هذه المجموعة المعارضة في هذا الصدد، في عدة أشكال من الأخبار:

#### الشكل الأول:

أخبار التمهيص والامتحان الإلهي، كقول الامام الباقر عليه السلام: هيهات هيهات لا يكون مرجحاً حتى تعربلوا ثم تعربلوا - بقولها ثلاثاً - حتى يذهب الله تعالى الكدر ويبقى الصغو. وقول الامام الصادق عليه السلام: والله لتميرن. والله لتمحصن. والله لتعربلن، كما تعربل الروان من القمح.

وهي أخبار كثيرة تدل على قانون الهي وقعت من أجله العية الكبرى، على ما موضح في مستقبل هذا التاريخ. وهو قانون عام على كل البشر، وغير قابل لتحصيص باستثناء مجتمع أو عدة مجتمعات منه وقد عرفنا أن الاحتفاء عن الأناظر ينافي معنى الاحترار والتمهيص، ويستلزم عدم شمول هذا القانون

للمجتمع المختفي . ومعه تكون الأخبار الدالة على التمهيص دالة على نفي وجود  
مجتمع غير مشمول لهذا القانون  
الشكل الثاني .

ما دل على سكنى المهدي (ع) في أماكن أخرى غير ما دلت عليه هاتان  
الروايتان ، كالمدينة المنورة ، في أحد الأخبار التي سمعناها ، وكالبراري والقفار في  
خبر آخر سمعناه .

وبحسب وإن كنا قد ناقشنا في هذين الخبرين ، إلا أن ذلك لا يباي وقوعها طرفاً  
للمعارضة مع الرويتين ، لشاركا مع المجموعة في إسقاطهما عن الاعتار على أن  
هناك أخبار أخرى تدل على سكنى المهدي (ع) في أماكن أخرى ، غير ما سبق ، لا  
حاجة إلى الأفاضة فيها فعلاً .

### الشكل الثالث .

الأخبار الكثيرة الدالة على مشاهدة المهدي (ع) في غير هذه المدن  
المروضة كثيرة لا يستهد بها ، على ما سيأتي في الفصل الآتي .

فتدل هذه الأخبار ، على وجود المهدي (ع) رداً من الرمن ، خارج تلك  
المناطق المروضة ، بل أن سكناه العائنة ليست هناك وهو معنى على خلاف ما  
ادعته هاتان الروايتان من سكناه ووجوده العائنة في تلك المناطق

إذ لو كانت سكناه هناك حقاً ، لم يكن مقامته في خارج تلك المناطق ، إلا على  
سبيل الصدفة أو نتيجة للمعجزة . وكلاهما لا يمكن افتراض وقوعه في انقام أما  
الصدفة ، فلنكثرة المشاهدات إلى حد يقطع بنعمد الامام المهدي (ع) لها وليست  
على سبيل الصدفة . وأما المعجزة فبعدم انطاق المورد على قانون المعجرات ، لعدم  
تحصير سبب إقامة الحجة على هذه المعجزة التي تقوم من أجل المقدنة

بل يمكن انقول . بأن الانطباع العام الذي تعطيه أخبار المقدمات مع  
المهدي (ع) في غيبته الكبرى ، هو كونه ساكناً في العراق ، وإذا حصلت المقابلة في  
غير هذه البلاد ، فإنما هي لمصلحة مهمة اقتضتها . وهذا ما سيأتي التعرض له في  
الفصل الآتي مفروفاً بالتبرير النظري الذي يبي عليه . ومن الواضح أن سكناه في  
العراق يباي سكناه في تلك المدن المروضة

## الشكل الرابع :

الخبر المتواتر عن السبي (ص) بألفاظ متقاربة، من أن المهدي (ع) بعد ظهوره (يملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً).

وامتلاء الأرض جوراً وظلماً يستلزم أن أكثر أهل الأرض بما فيهم أكثر أفراد المجتمع المسلم أيضاً، أصبحوا ظالمين مسحوقين . بحيث لا يمكن افتراض وجود مجتمع كامل باق على إخلاصه الكامل للإسلام . ومثل هذا العموم المغطى في هذا الحديث غير قابل لتخصيص والاستثناء . ومعه فوجود مجتمع أو عدة مجتمعات برمتها نافية على إخلاصها للإسلام، يكون معارضاً لذلك الخبر المتواتر لا محالة ومهما تعارض الخبر الواحد مع المتواتر، أحدنا بالمتواتر وطرحنا الخبر الواحد

وقد يحظر في الدهس . أن المراد من الأرض التي تمتلئ ظلماً وجوراً، في الحديث السوي، هو الأرض المطبورة، كما هو الظاهر من لفظ الأرض، دون الأرض المحتفة، كما دلت عليه هاتان الرويتان . ومعه فلا مسافة بين الحديث النبوي المتواتر وبينها.

وجواب ذلك أنها عرّفت في الاعتراض الأول أن هاتين الرويتين دالتان على عدم اختفاء المدن التي نحر عن وجودها . وإنما كان احتجازها رأياً لبعض الباحثين . وقد ناقشناه . ومعه تكون هذه المدن - على تقدير وجودها - من الأرض المطبورة، فيشملها الحديث السوي، فيدل على عدم وجودها

وقد يحظر في الدهس أيضاً . أن هذه المجتمعات وجدت مخصصة للإسلام خلال العيبة الكبرى، وهذا لا يباي كونهما تصح مسخرة بعد ذلك قبل ظهور المهدي (ع) ليصدق الحديث السوي الشريف

وجواب ذلك أن هذه المجتمعات المبروضة، قائمة على أساس الدوام والاستمرار في نظامها الإسلامي، وغير قابلة للاستحرف، بعد الانتماء إلى كونهما تحت الإشراف الدائم للإمام المهدي (ع) نفسه، كما بطلت به تلك الرويتان

هذا . وهناك غير هذه الأشكال من الروايات الصالحة لمعارضة الروايتين، مما لا يريد لإضاعة ذكره، وهو لا يحصى على المتسع المتأمل

### الاعتراض الثالث:

إن المجتمع المزعوم غير منسجم مع عدد من تعاليم الإسلام المهمة، في تكوينه المكروي ونظامه الاجتماعي. فهو مجتمع إسلامي ناقص من حيث التطبيق إذ أن فالمهدي (ع) لم يؤسسه إلا أن المجتمع الذي يكون المهدي (ع) مؤسساً له ومشرفاً عليه، لا يكون إلا مجتمعاً كاملاً عادلاً من جميع الجهات. وخاصة بعد أن تربي عدة أجيال تحت هذا الإشراف، في جو من الصيانة والحفظ عن الأعداء، كما هو المروص في هذه المجتمعات.

ويمكن أن نطلق إلى بيان هذا النقص عن طريق العوامل التي تدخلت في ذهن الراوي، خلال روايته، وقد مزج بينها مزجاً عجيباً ليحرب عن فكرته في تكوين المجتمع العادل والمدينة العاصلة. ونقصه بالراوي كلا من الانباري والمارندراي اللذان روايا تيك الروايتين.

#### العامل الأول.

العامل الحصارى أو المدي - بالأصح -، ذلك الذي كان يعيشه الراوي في القرنين السادس والسابع الهجريين وقد انتصح تأثره بهذا العامل من عدة أمور ذكرها خلال الرواية:

#### الأمر الأول:

وجود أسوار وأبراج وقلاع للمدينة تجاه البحر، فإن هذه هي وسيلة الدفاع الأساسية في تلك القرون.

#### الأمر الثاني:

وجود ماء صاف يوجب غرق السمم المعنوية وقد كانت لسفن البحرية أهم أساليب الهجوم في ذلك العصر.

#### الأمر الثالث:

إن الراوي أكد على وجود مساحد وحمامات وأسواق كثيرة، وهي المؤسسات الأساسية لمشار إليها في كل مدنة في ذلك الزمان. ولو كان الراوي يعرف المدارس والمستشفيات والجمعيات وبحر ذلك، لقال أنها موجودة هناك أيضاً.

#### الأمر الرابع :

انعدام الإشارة إلى التجارة في كلتا الروايتين، وطهورهما بالانحصار سبل العيش بالزراعة تقريباً، إلا ما كان من قبيل التجارات السوقية الصغيرة والحرف اليدوية

#### الأمر الخامس :

التأكيد على وجود ريف واسع يحيط بكل مدينة، يتكون من قرى كثيرة. وهذا هو الشكل الذي كانت عليه المدن بشكل أو آخر، في عصر الراوي، وكان الريف ناشئاً من الشكل الاقطاعي والطبقي للمجتمع، ومن هنا حصل التمييز بين القرية والمدينة. وهو مما لا يعترف به نظام الاسلام.

وهناك أمور أخرى غير هذه، لا حاجة إلى سردها. ونستطيع أن نؤكد أن المجتمع الذي يكون بإشراف المهدي (ع)، حيث تربي الأحيال برأيه وقانونه، لا يمكن أن يبقى ذو صفة مدنية واطئة، كما وصفه الراوي. لا أقل من وجود فكرة مبسطة عن المدارس والمستشفيات والتجارة، ومحاولة لتطوير وسائل الدفاع، وتطوير القرى وتنشيط أهلها لكي يصل المجتمع إلى العدل الكامل

#### العامل الثاني :

العامل العسكري أو الاتجاه السياسي المركز في ذهن الراوي نتيجة لشكل الحكم السائد في الدول في تلك العصور.

فكما أن الدول كانت في الأعم الأغلب محكومة لملوك مسندين، يكون الملك فيها هو الحاكم بأمره، المطلق العنان في التصرف، وليس له مجلس وزراء ولا برلمان ولا لجنة استشارية ولا هيئة قضائية، ولا أي شيء من هذا القبيل. بل هو أما أن يمارس ذلك بنفسه إن استطاع، وأما أن يجعل ذلك إهمالاً. فكذلك ينبغي أن يكون المجتمع العادل، في رأي الراوي

مع أن هذا بعيد عن روح الإسلام كل البعد، فإن الاسلام وإن كان يرى للرئيس صلاحية مطلقة في التصرف، إلا أنه لا يتوقع منه القيام فعلاً بكل شيء. بل أنه يورع صلاحياته على المؤمنين الموثوقين من شعبه، كل حسب قابليته وموهبته. فهناك قصاة وهناك مستشارين وهناك سلطة تنفيذية كاملة، بحسب ما

يحتاجه كل طرف من سلطات.

وهذا ما أسقطه الراوي بالمرّة من مديته العاصلة فيكون هذا المجتمع ناقصاً من حيث التطبيق الاسلامي نقصاً كبيراً

وقد يحظر في اذهن بأن التدبير المباشر حيث كان موكولاً إلى المهدي (ع) عن طريق المراسلة، فلا حاجة إلى كل هذه التشكيلات وجواب ذلك.

إن هذه الاشراف يقتضي الامساك بالمرام الأعلى للدولة وتحديد سياستها العامة وقواعدها الكلية من الناحية القانونية والاجتماعية والعقائدية وأما الس في جزئيات الأمور للملايين الناس، فهو بما يتعدى إيجاد المراسلة كما هو معلوم، إلا عن طريق المعجزة. المعجزة لا تكون هي الأساس أصلاً في العمل الاسلامي وقيادة الدول، بعد تمامية الحجّة على الناس.

وقد يحظر في الذهن، أن لسي (ص) كان يهود الأمة الاسلامية عموده، فكذلك يسعى أن يكون عليه الرئيس الاسلامي في كل عصر. وجوابه:

إن هناك مروقاً بين السبي (ص) وبين غيره عامة وهؤلاء الذين يحكمون هذه المدن المزعومة خاصة، نذكر منها فرقين الفرق الأول

من المسلمين كانوا قلة سبياً وكانت حاجاتهم بسيطة ودخلهم الاقتصادي وظيفي، فكانت القيادة الاجتماعية لشخص واحد عنقري كالسبي (ص) يمكن من الامكان وأما عدد تكثر الناس وتعدد الحاجات وسعة الدولة، فلا يكون ذلك ممكناً بأي حال، مهما كان القائد عنقرياً، لوصوح، استحالة البطر في مثلات القضايا في وقت قصير.

الفرق الثاني:

من لسي (ص) كان يفقد مجتمعه بالصراحة والمواجهة، عل حين تقول الرواية أن المهدي (ع) يفقد ذلك المجتمع بالمراسلة ومن لواصح أن ما تنتجه المراسلة لا

يمكن أن يصل إلى نتائج المواجهة بأي حال

### العامل الثالث

العمل الفكري والاتجاه الاجتماعي للفوائد الشعبية المتدنية وعملائها، بشكل عام، في حقبة من العيبة الكبرى ولا زال هذا الاتجاه موجوداً عند التقليديين من الناس.

وينتجى تأثير الراوي هذا العامل، في عدة أمور

### الأمر الأول:

التركيز في العمل الاسلامي على جانب العادات، وإهمال الكامل أو الغالب للعلاقات الاجتماعية العامة، ولوطيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبحوها من المسؤوليات العامة في الاسلام، مما هو قليل في مجتمعات المسلمة منذ عهد غير قريب.

ومن هذه الراوية يطلق الراوي، إلى مديته الفاصلة، فكانت لهذه المسؤوليات، زاوية مهملة فيها.

### الأمر الثاني:

الاقتصار في العمل الاسلامي عند العلماء التقليديين على التدريس وإقامة الجماعة والافتاء إذا ساهم أحد ولا شيء غير ذلك، ما عدا مصالح شخصية لا تمت إلى المجتمع بصله.

إذن فبمعي أن يكون الرئيس الأعلى للمدينة العاصمة، مقتصرأ في عمله على أمثال هذه الأمور. . . باعتقاد هذا الراوي.

مع أن علماءنا، وإن كانوا - في الأغلب - كذلك، باعتبار صغرهم وقصورهم عن تربي الحكيم في المجتمع وأما الرئيس الأعلى للدولة الاسلامية، ففتواه هي القوانين انعم، وتدريبه هو التوجيه السياسي العام لاطلاع الشعب على آلامهم وامالهم وحلول مشاكلهم ويقوم بنفسه أو نائبه الخاص بإقامة صلاة الجمعة وحظتها وأما تدريس العلوم العربية، بل والعقيدة أيضاً وأما إقامة صلاة الجماعة في سائر الأيام، فقد تكون مسؤوليات الرئيس وتعدد أعماله مانعاً عن

الالتزام بها والاستمرار عليها. وإنما يوكل ذلك إلى غيره من ذوي الكفاءة الإسلامية، كي يوكل القضاء أيضاً وحاش كبير من السلطة التنفيذية اليهم أيضاً وكل ذلك مما لم يعرب عنه الراوي في مديته، فتكون مدية ناقصة إسلامياً غير فاضلة.

### الأمر الثالث

ما هو موجود بين أغلب أهل المذاهب الإسلامية، على اختلافها، من التأكيد على الانحياز المذهبي، وعص الطر عن المفهوم الاسلامي العام وهذا بعيد عن تعاليم الاسلام كل العبد مع أن هذا موجود بوضوح في المجتمع المرعوم على مستويين:

المستوى الأول: الخذل المطول العميق الذي اهتم به الحاكم في المجتمع المعروف ذلك الخذل انقثم على أساس مذهبي خالص فقد كان مهتياً بإثبات صدق أحد المذهب الإسلامية ضد المذاهب الأخرى ولم يكن مهتياً بإثبات صدق الاسلام ضد الأديان والمادى الأخرى، في حين كان بين الخصرين مسيحي أو عدة مسيحيين، لم يفكر هذا الحاكم أن يباقتهم لادحهم في الاسلام وهو من الأمور المؤسفة الشديدة العرانة

### المستوى الثاني:

عدم تصدي المجتمع المعروف، مع أنه يتخذ شكل الدولة الإسلامية، إلى هداية العالم الخارجي، لا بدعاية عامة ولا بحرب جهدية مع أن من أوضح تعاليم الاسلام وواحشاته هو ولاية الدولة الإسلامية على العالم ووجوب هدايته إلى الحق. ولم تكند تتحق أي دولة إسلامية في التاريخ عن هذا الواجب، بل طبقته بحسب الامكان تطبيقاً واقعياً أو شكلياً مما نال هذه الدولة المرعومة قد نخلت عن هذا الواجب المقدس

### العامل الرابع:

تأثر الراوي بما سمعه عن اتهاات الأئمة المعصومين عليهم السلام وأعمالهم، حال وجودهم قبل الغيبة.

ويظهر ذلك واضحاً في روايته من جهتين:



## الناحية الأولى.

ما سمعه الراوي من إقامة الأئمة (ع) للمعجرات ونطقهم بالأخبار بالغيب إذن فينمي - في رأيه - أن يكون حاكم تلك البلاد المرعومة، مطهراً للمعجرات وباطقاً بالمعيات.

إلا أن ذلك لا يجب أن يكون موجوداً في الدولة الإسلامية، فإن قيادتها وتدير الأمور فيها لا يعود إلى المعجزة بحال، بعد تمامة الحجة على شعبها في أول دخول الإسلام اليهم أو دخولهم في الإسلام وعلى ذلك قامت دولة النبي (ص)، وحسبنا من ذلك قوله (ص) - إنما اقتضى بيكم بالبيات والايان وهو حديث صحيح مستفيض، يراد بالخصر فيه أنه (ص) لا يستعمل المعجزة وعلم الغيب المسبق في القضاء. وكذلك الحال في سائر تدابير الدولة، فيها لا يعود إلى إقامة الحجة بصفة.

وقد يحظر في الدهر - أن الاخبار بالغيب الذي صدر من حاكم تلك البلاد، حين نداءه باسمه واسم أبيه، كان من أجل إقامة الحجة عليه، فيكون مطابقاً لقانون المعجرات

وجواب ذلك إن هذا أمر محتمل، ولكن ينافيه وجود مناسبات أخرى لإقامة الحجة في ذلك المجتمع، لم تقم فيها المعجزة حيث كان هناك مسيحيون نجب هدابتهم إلى الإسلام، وكان هناك مسلمون من مذاهب أخرى، اضطروا لحاكم إلى الدخول معهم في جدل طويل، مع أنه كان يمكن أن يستعني بالمعجزة ومن المعلوم أن هذه المناسبات أولى من مجرد اخبار المسافر باسمه مع كونه متديباً على نفس المذهب والدين

## الناحية الثانية.

ما سمعناه في تاريخ العبة الصفري من تكريس الأئمة عليهم السلام، الأعم الأغلب من جهودهم في قيادة قواعدهم ومواليهم، وتدير شؤونهم ومحاولة دفع الأخطار عنهم. إذن فيبقي أن تكون الدولة في عصر العبة على ذلك، في رأي الراوي.

مع أن هذا الرأي محدوش من جبهتين:

الأولى . أن الأئمة (ع) وإن كرسوا غالب جهودهم في سبيل ذلك الهدف، إلا أن هم أعملاً كثيرة على المستوى الاسلامي العام في الارتباط بعلماء المذاهب الأخرى والتقرب إلى قواعدهم الشعبية، كما سمعنا طرفاً منه في تاريخ العبة الصغرى، وهذا مما لم يلتفت إليه الراوي ليطبق محتمعه عليه

الثانية إن الأئمة عليهم السلام إنما كرسوا جهودهم في قواعدهم الشعبية، باعتبار نعر لهم عن الحكم وبعدهم عن المستوى السياسي العالي، بسبب ما كانوا يواجهونه من الصعظ والمطاردة من الخهار الحاكم يومئذ

وأما المدينة الفاصلة التي تكلم عنها الراوي، فهي - لو صحت - تمثل دولة إسلامية . والدولة الإسلامية يجب عليها أن تفرص سلطتها على كل المجتمع المسلم بما فيه من مذاهب واتجاهات بل وبى فيه من أديان . بشكل متساو، وتستهدف المصلحة الإسلامية العليا بالنسبة إلى الجميع وهذا حكم اتفقت عليه سائر المذاهب الإسلامية، وطبقته كل الدول المسلمة على مر التاريخ

ولا يجوز للدولة الإسلامية أن تقصر سطاب على الشعب الموافق لها في المذهب بأي حال من الأحوال كما أراد هذا الراوي أن يقول

ومعه فقد تحصل من هذا الاعتراض الثالث أن هناك ما لا يقل عن اثني عشرة جهة من جهات القصد المهمة في التطبيقات الإسلامية، في هذه المدينة الفاصلة . وبعضها تكاد تكون من ضروريات الدين على مستوى الحكم الاسلامي لعام . إذن فهذا المجتمع المرعوم غير موجود، إذ لو كان موجوداً وكان تحت الحكم المباشر للمهدي (ع) وقباده، لما أمكن أن يكون ناقصاً بأي حال .

إذن، فانطلاقاً من هذه الاعتراضات الثلاثة، واعتراضات أخرى لا مجال لتفصيلها، تسقط الروايتان للاساري والمارندراي عن الاعتراض، ومعه فلا يبقى دليل تأسيس المهدي (ع) في عيته الكرى مجتمعاً غمودجياً . وإنما هو مدحور للقيام بدولة الحق والعدل في العالم كله في اليوم الموعود بحل الله فرجه .

## الفصل الرابع

في مقابلاته عليه السلام خلال غيبته الكبرى والمصالح والأهداف التي يتوخاها من ورائها

ويسفي أن ننتقل إلى الحديث عن ذلك في صمن جهتين رئيسيتين، باعتبار انقسام الحديث، تارة إلى ما تقتضيه القواعد العامة من ذلك، وأخرى إلى ما تدل عليه الروايات النافذة لتفاصيل المقالات.

الجهة الأولى:

فبما تقتضيه القواعد العامة من حصائص المقالات.

ويقع الكلام في ذلك، ضمن أمور:

الأمر الأول.

في أنه هل يرى المهدي (ع) على الدوام، بحيث تستطيع أن نقوله ونحاذيه متى سنح لك ذلك، أو لا.

يختلف الجواب على مثل هذا السؤال، نتيجة للأخذ بأحدى الأطروحتين الرئيسيتين السابقتين. فإن رأينا صحة أطروحة حماء الشخص، كان الجواب بالنفي لا محالة، ما لم تتعلق مصلحة خاصة وإرادة من قبل المهدي (ع) في الظهور والمقالة. وقد سبق أن أشرنا أنه بناء على الأخذ بهذه الأطروحة يكون الشيء الدائم هو الاحتفاء الاعشاري، وما هو الاستثناء هو الظهور الطبيعي المتقطع القليل

وأما لو أخذنا بأطروحة حفاء العنوان، وهي التي أحترباها واستدلنا على صحتها، فهنا مستويات ثلاثة للمقابلة:

المستوى الأول:

مقابلة المهدي (ع) بشخصيته الثانية، حال كونه مجهول الحقيقة مفعولاً عنه بالمرّة.

وهذا المستوى متوفر دائماً للناس الذين يعاشقونه في مجتمعه أو الذين يصادفونه في أي مكان كان. طبقاً لمفهوم هذه الأطروحة.

المستوى الثاني:

مقابلة المهدي (ع) بصمته الحقيقية، مع عدم الالتفات إلى ذلك إلا بعد انتهاء المقابلة.

وهذا المستوى هو الذي سارت عليه المقالات الاعتيادية المروية، على ما سنسمع في الجهة الثانية من هذا الفصل مشعراً بالتبرير النظري له.

المستوى الثالث:

مقابلة المهدي (ع) بصمته الحقيقية، مع الالتفات إلى ذلك في أثناء المقابلة.

وهذا المستوى قليل في روايات المشاهدة جداً، باعتبار كونه محالاً في الأغلب للمصلحة، ومالياً للعبية الثامة، على ما سنسمع.

الأمر الثاني:

في كيفية المقابلة معه عليه السلام.

ويختلف ذلك أيضاً باختلاف الأطروحتين الرئيسيتين:

أما بناء على الأحذ بالأطروحة الأولى، فتحتاج المقابلة إلى عدة معجزات، بعد أن عرفنا أن مفهوم هذه الأطروحة يتصمّم الاحتماء الاعجاري الدائم ولا يمكن أن تحدث المقابلة مع استمرار الاحتفاء بطبيعة الحال، إذن فلا بد من حدوث عدة معجزات لاتمام العرض من المقابلة.

المعجزة الأولى:

ظهوره بعد استمرار الاحتماء بشكل استثنائي، اقتضته مصلحة خاصة

وهذا الظهور يقطع الحالة الاعجازية الدائمة للاحتواء، فيكون هو معجزة أيضاً

### المعجزة الثانية

إقامة الحجة القاطعة على إثبات حقيقته وأنه هو المهدي (ع). بحيث يثبت ذلك ولو بعد انتهاء المقابلة.

وهذه المعجزة ضرورية لإثبات حقيقته، بعد العلم أن الرائي حاهل بالمرّة بشكل الإمام المهدي (ع) ومسحته ومن الواضح أنه لا يكفي للرائي مجرد إدعاء كونه هو المهدي المقصود، بل يحتاج لا محالة إلى إقامة الحجة بالمعجزة لإثباته.

### المعجزة الثالثة

احتماؤه بعد الطهور، وعوده إلى حالة الاختفاء الأولى بعد أن يكون قد أجزر المطلوب من المقابلة

فهذا ما نحتاجه المقابلة لو صحت الأطروحة الأولى.

وأما لو أخذنا بالأطروحة الثانية. أطروحة حفاء العنوان، التي نقول بأن الشيء الدائم بالنسبة إلى المهدي (ع) هو الطهور الشخصي مع حفاء العنوان، كما سبق أن أوضحناه فالمعجزة الأولى لا حاجة لها على الإطلاق. بل حسب المهدي (ع) أن يقابل المرء كأبي بكر آخر، ويحرم ما هو المطلوب من مقابلته، ويعرفه بحقيقته، ولو بحسب التيحية، أي ولو بعد المقابلة

كما لا حاجة، في الأعم الأغلب إلى المعجزة الثالثة، أعني الاحتفاء بعد المقابلة بل يكون ذهاب المهدي (ع) بعد انتهائها طبعياً، ولو بتخطيط مسبق يقوم به المهدي (ع) لأجل تعيد الذهاب بشكل لا يكون منعاً لنظر

نعم، لو وقع لإمام في صو وجرح عند مقابلته، بحيث تعرضت عينه العامة إلى الخطر، كان لا بد له من الاحتفاء الاعجازي، وهو مطابق - في مثل ذلك - لقانون المعجزات، لأن في حفظ عينه تعيداً لليوم الموعود

وأما المعجزة الثانية، وهي التي تثبت بها حقيقته فهي بما لا بد منه في الأعم الأغلب حداً من المقابلات لما أشرنا إليه من أن المرء حيث لا يعرف المهدي شخصه ولا يكفيه مجرد دعوى كونه هو المهدي (ع)، كان لا بد من إقامة

الحجة لاثبات صدقه، والحجة لا تكون إلا بالمعجزة، ومن هنا كانت هذه المعجزة مطابقة لقانون المعجزات

نعم، قد يستعنى أحياناً عن هذه المعجزة، فيما إذا كان الشخص الرائي من يعرف المهدي (ع) بشخصه وعنوانه. كما لو كان رآه في مرة سابقة وقامت الحجة لديه على حقيقته، ثم رآه ثانياً وعرفه، فلا حاجة به إلى إقامة الحجة ثارة أخرى. ومعه يكون لقاؤه مع المهدي عليه السلام طبيعياً جداً، من دون أن تقع أي معجزة.

والمثال الواضح لذلك هو السفراء الأربعة في الغيبة الصغرى فاهم يعرفون المهدي (ع) بشخصه وعنوانه، ويأخذون منه التوقعات. ومثله في الغيبة الكبرى ما يظهر من بعض الروايات ان الخاصة من المحصلين يحتمعون بالمهدي (ع) ويعرفونه، على ما سيأتي. كما يظهر من بعض الروايات أن السيد مهدي بحر العلوم كان كذلك أيضاً، على ما سسمع في أحبار المقابلات

الأمر الثالث.

ما هي المصالح المتوخاة والأهداف المطلوبة للمهدي عليه السلام من مقالته للأخريين، بمقدار ما تهدينا إليه القواعد العامة. ومسمع في الجهة الثانية من هذا الفصل تفاصيل ذلك وتطبيقاته.

وما ينبغي أن يكون هدفاً له عليه السلام من المقابلات، هو قيامه بالمسؤولية الإسلامية، بأحد الأنحاء التي سبق أن ذكرناها في الفصل الثاني من هذا القسم من التاريخ. فيما إذا انحصرت تعييدها على المقاتلة مع الأخرين بالشخصية الحقيقية، ولم يمكن القيام بها حال الاستتار والجهل بالعنوان وكانت الواقعة مشمولة للشروط التي ذكرناها في ذلك الفصل لعمله الإسلامي المثمر في المجتمع، سواء على الصعيد الخاص أو الصعيد العام

فقد يكون هدفاً إقناع شخص من صرر وقع عليه أو إغناء مجتمع من تعسف ظالم عليه. أو هداية شخص وتقويمه من الانحراف العقائدي أو الكفر أو الانحراف السلوكي، أو الدفاع عن شخص أو مجتمع ضد الانحراف، أو نحو

ذلك من الأهداف التي كنا قد حملت عليها فكرة فيما سبق . . مع توفر شروط العمل فيها لا محالة

#### الأمر الرابع :

في كيفية حصول الإمام المهدي (ع) للمقابلة الصريحة، مع الآخرين وإنما يثار التساؤل عن ذلك، باعتدنا ما قد يخطر في ذهن من أنه إذا كان الشخص الذي يريد المهدي (ع) مقابلة بعيداً عنه، بحيث يحتاج إلى سمر طويل هما الذي يمكن له أن يفعله . وذلك بعد الالتفات إلى نقطتين

#### النقطة الأولى :

إن بعد المسافة هو العائق في موارد عمل الإمام عليه السلام، لأنها ممتدة عن وجه بسيطة ومن هنا يضطر الإمام إلى السمر المتواصل دون لقضاء حوائج الناس وحل مشاكلهم

#### النقطة الثانية :

أنه قد يكون في كثرة الأسفار خطر على عيسته ومظنة لاكتشاف أمره، وخاصة بعد أن فرض العمل عن طريق المقابلة بالشخصية الحقيقية

والجواب عن ذلك يكون بإعطاء عدة أساليب ممكنة للمقابلة، وتذليل الصعوبة المشار إليها في السؤال مع الاعتراف أنه إذا لم يكن شيء منها ممكناً، وكان فيها خطر على عيسته، فإن عليه السلام لا يمارس العمل، لأن العمل نفسه وإن فرض حاملاً للشرائط، إلا أن الطريق إليه متعذر ومقدماته خطيرة، وإيجاد العمل بدون مقدماته مجتمع إذن فيسد باب العمل جزئياً

وتتلخص الأساليب المحتملة في عدة وجوه تختلف باختلاف الموارد

#### الوجه الأول .

أما لا حاجة لأن نعرض كون الشخص الذي يريد المهدي مقابلة بعيداً . بل يمكن أن يكون قريباً، يعيش في نفس المجتمع الذي يعيش المهدي (ع) فيه فلا يحتاج إلى سمر أو مصي مدة سواء كان المهدي (ع) يعيش في ذلك المجتمع عتياً، طبعاً للأطروحة الأولى، أو طهراً بمحول العوان، طبقاً للأطروحة الثانية

ومعه فلا مجال للسؤال عن صعوبة المقابلة بأي حال.

### الوجه الثاني.

مجرد الصدقة وهو أمر محتمل في بعض المقالات، فيما إذا صادف المهدي (ع) في بعض أسعاده شخصاً أو أناساً محتاجين إلى العمل في سبيل إقادهم أو هدايتهم... بشكل تتوفر فيه الشرائط

وحمل جميع المقالات على مجرد الصدقة، غير ممكن لكثرة المقالات على مر التاريخ، بحيث يعلم أن عدداً مهماً منها كان نتيجة لتحطيط وتعتمد من قبل المهدي (ع) . إلا أن بعضها يمكن أن يكون قد حدث صدقة.

ومعه، فهي مورد الصدقة لا حاجة إلى السؤال عن كمية نجشم السعر أو استثماره لاكتشاف العينة فإن المفروض إن السعر لم يكن لأجل المقابلة، وإنما كان لأهداف أخرى حطط فيها بقاء الاحتفاء واستمرار العيبة

### الوجه الثالث

إن المهدي (ع) إذ يعلم وجود مورد للعمل المثمر الحاصل على الشرائط في مكان بعيد عنه من العالم، ويكون الطريق إليه مأموناً بالنسبة إليه، فانه يقصده قصداً ويسافر إليه عمداً بطريق طبيعي حداً، ليقوم بالوظيفة الإسلامية المقدسة في أنحاء المعمورة

وهذا ممكن للعامة، مع التحطيط لدفع الأخطار المحتملة حيث يكون للمهدي (ع) أن يسافر وأن يرجع شخصيته النائية، ولا يكشف حقيقته إلا للفرد المنوي مقابله

وحتى بعد أن نتفتت إلى الوحوش الأخرى، لا نجد هذا الوجه هو العالب في المقالات، لكي يستلزم أن يكون المهدي (ع) مضطراً إلى السفر المتطاوّل المستمر في سبيل قضاء حوائج الناس، كما فهمنا من السؤال

وعلى أي حال، فهذه الوجهين الثاني والثالث، مستبعدان أيضاً مع الأطروحتين الرئيسيتين، فإن مصادفة مورد العمل أو قصده سراً يمكن أن يكون مع احتمال الشخص كما يمكن أن يكون مع حياء العنوان



## الوجه الرابع:

اتحاد المعجزة في قضاء الحاجة أو العمل في سبيل هداية أو دفع طلامة سواء من ناحية سرعة الوصول بشكل اعشاري إلى المناطق البعيدة من الأرض أو من أي ناحية أخرى تحتاج إلى الاعمار

وهذا الوجه مسجّم مع كلتا الأطروحتين الرئيسيتين ولكنه، طبقاً لقانون المعجزات، محصور بما إذا تضمن العمل في بعض الموارد إقامة الحجة على الآخرين، بإيجاد الهداية أو رفع بعض أشكائهم وطمأنينهم ومن البعيد أن تنصّره متحققاً في قضاء حاجة شخصية مهما كانت الضرورة فيها قصوى، ما لم يكن راجعاً إلى إقامة الحجة، بسحب من الأنحاء

وهذه المعجزة التي نتحدث عنها الآن، هي غير تلك المعجزة التي يستعملها المهدي (ع) لاثبات حقيقته للآخرين ومن هنا قد يحتاج إلى كلتا المعجزتين، وقد يحتاج إلى إحداهما، وقد يتكفل أحجار كلا المرصين سرعة الوصول والكشف عن حقيقته، بمعجزة واحدة كما قد لا يحتاج إلى شيء منها أحياناً . ذلك باختلاف خصائص كل واقعة وكل شخص تطلب مقابله.

وهذا ينتهي المقصود من بيان ما تقتضيه القواعد في مقابلات المهدي (ع)، فلا بد أن ننظر إلى الأحجار الخاصة لمرى مقدار ما تشته من المشاهدة، وهل أنه مسجّم مع ما تمّ طبقاً للقواعد العامة أو لا

## الجهة الثانية:

في الأحجار الخاصة الدالة على مشاهدة الإمام المهدي (ع) في عينه الكبرى وهي عدد ضخم يعوق حد التواتر بكثير، بحيث يعلم، لدى مراجعتها واستقرائهم، بعدم الكذب والوهم والخطأ فيها في الجملة. وإن كانت كل رواية لو روعيت وحدها لكافئة لبعض المناقشات على ما سوف يأتي

والحاصل منها في اليد، ما يعوق المثة، يذكر منها الشيخ المجلسي في البحار<sup>(١)</sup> عدداً منها، ويذكر منها الحدث البوري في الحزم الثاقب مئة كاملة

(١) الجزء الثالث عشر، ص ٢٤٣ وما بعدها

وقد كتب أيضاً رسالة خاصة في ذلك سماها «حج المأوى» ألحقت بالحزب الثالث عشر من البحار، يذكر فيها تسعاً وخمسين حادثة

وهناك على اليسار والمصادر الأخرى ما يرد على ذلك بكثير

على أن سبق أن ذكرنا في تاريخ اللعبة «الصعري» أنه يحتمل - إن لم يكن يطمش أو يحرم - بأن هناك مقالات غير مروية أساساً، وإن المهدي عليه السلام يتصل بعدد من المؤمنين في العام في كل جبل، مع حرصهم على عدم التصوّد بذلك وكنتم إلى الأبد، نحب عوامل نفسية مختلفة شرحها هناك بل من الممكن القول بأن المقالات غير المروية أكثر بكثير من المقالات المروية

وعلى أي حال، فيسمى أن نتكلم في ما وردنا من الأخبار، من حيث تخصيص أقسامها، ومن حيث معطيات مدلولها، في ضمن عدة أمور

### الأمر الأول

في تخصيص هذه الروايات، ومعرفة أقسامها، فأما ليست على سبق واحد وأسلوب مطرد في مقاله المهدي عليه السلام، بل تختلف الحال فيها اختلافاً كبيراً ومرد هذا الاختلاف إلى الاختلاف في ظروف الشخص الراي ومقدار وثاقته وضعفه وسع أهداف الذي يستهدفه الإمام من وراء المقابلة، وطريقة التخطيط الذي يصمم به سلامته وإحفاء نفسه. وبذلك تكاد تختلف كل رواية عن الأخرى. وما يمكن أن يعنون من الاختلافات هو ما يذكره في الأقسام التالية، يذكره محو قائل للتداخل وإمكان اندراج روايه واحدة في أكثر من قسم واحد:

### القسم الأول

ما كان منها متصفاً لاساد أكثر من معجزة واحدة للإمام المهدي عليه السلام - اثنتين أو ثلاث... وقد تصل إلى أربع.

وقد سبق أن ذكرنا أنه لا حاجة إلى المعجزة إلا بمقدار إقامة الحجة، ويكون

الرائد أمراً مستأنفاً لا يصدر عن الخالق الحكيم ومعه لا بد من إسقاط المعجرات  
الرائدة عن ذلك عن نظر الاعتدال، ما لم نجد لها وجوهاً للتصحيح وإن كان  
ذلك لا يسقط مجموع الرواية ولا الدلالة على مقابلة الإمام المهدي، لما ذكرناه من  
أن سقوط بعض مدلول الرواية لا يقتضي سقوط الجميع.

إلا أننا لا نعدم وجوهاً للتصحيح:

#### الوجه الأول:

أنا وإن قلنا أن المعجزة محصورة بمورد إقامة الحجة، إلا أن ذلك كما يقتضي  
عدم ريدتها على ذلك يقتضي عدم نقصها عن هذا أحد أبصاً. فلا بد من إقامة  
المعجزة بحوي يقع لعمد العادي، ويتمي بها احتمال الصدقة والثبوت، ولا تكون  
قاصرة عن ذلك. وأما لو كانت المعجزة محتصرة وغير ملزمة للظن، فقد لا تحمل  
الفرد الاعتيادي على الاقتناع.

ومعه فقد تمس الحاجة - أحياناً - إلى ضم أكثر من معجزة واحدة إلى بعضها  
الخاص، لكي تحصل القناعة. وهذا هو الذي وقع في عدد من أحوار المشاهدة التي  
نحس بصدد الحديث عنها وقد سبق أن سمعنا في تاريخ العينة الصغرى كيف كان  
يقيم المهدي (ع) دلائل مصمتين، حيث يقول بعض المؤمنين لأخيه المؤمن. لا  
تغتم فإن لك في التوقيع اليك دلائل أحدهما. إعلانه إياك أن الدال ألف دينار.  
والثانية. أمره إياك بمعاملة أبي الحسين الأسدي لعلمه بموت حاجر

#### الوجه الثاني

أن مهم - ولو احتمالاً - أن الإمام المهدي (ع) له اهتمام خاص بالشخص  
الذي يقابله، بحيث يريد أن يقيم له حجة واضحة جداً فيضم معجزة إلى  
معجزة، حتى يتحقق ذلك ويكون ذلك واقعاً في طريق إقامة الحجة عليه،  
فينسجم مع قانون المعجزات.

#### الوجه الثالث

أما ذكرنا أنه قد يحتاج المهدي (ع) أحياناً إلى أكثر من معجزة واحدة، لكي  
تكون أحدها للدلالة على حقيقته وتكون الأخرى للاحتفاء الاعجازي لدى  
الحاجة

وهذا صحيح، لولا ما قلناه من أن الاحتماء يكون طبيعياً وغير مدعت للنظر على الأغلب، وما سوف نقوله من أن معجزة واحدة كافية لايجاد كلا الأثرين. أعني الدلالة على حقيقته والاحتفاء.

وعلى أي حال، فلا بأس من تعدد المعجزة في الحادثة الواحدة، ولكن إن ثبت أنها بما لا يبرر لها بحسب القواعد العامة. فلا بد من طرحها عن المدلول الرواية، وإن لم يكن طرحها ملازماً لطرح كل المدلول

### القسم الثاني:

ما كان منها مكرساً على قضاء الحاجات الشخصية، وهو الأعم الأغلب من أخبار المشاهدة. وأما ما كان منها لقضاء حاجة عامة أو هداية عمنع كامل أو بقائه من الظلم وسحو ذلك. . . فهو قليل الوجود في هذه الروايات، على ما سوف نشير إليه.

ونحن في فسحة واسعة - بعد كل الذي عرناه - من حيث إمكان ذلك، وتعقل صحته ومطابقته مع القواعد العامة وذلك من أجل عدة وجوه

### الوجه الأول:

إن المهدي (ع) يكرس عمله الاجتماعي الثمر العام، بصفته محتماً، أو شخصيته الثابتة. وقد سبق أن حملنا فكرة كافية عن أسنويه في ذلك. لأنه عليه السلام يرى أن ذلك أصغر لسلامته، ومن ثم يكون أوسع فرصة لتعده وكثرته وعمق تأثيره، بدون أن يعرف أحد أن التأثير وارد من قبل المهدي (ع) ليكون منقولاً عنه في أي رواية من الروايات.

### الوجه الثاني:

أن سحتل - والاحتمال كاف في أمثال هذه الموارد، كما برها عليه في المقدمة - أن الامام المهدي (ع) عمل أعمالاً عامة عديدة في حلال العصور بصفته الحقيقية ولكنه لم يقل خسرته اليها إلا بهذا المقدر القليل وذلك لأحد ماعين

الأول: أن الامام نفسه يأمر الآخرين بالكتمان، أما لتوقف عيسته على ذلك،

أو لتوقف نفس المخطط الاصلاحى عليه أحياناً كما لو كان يتوقف على إقناع أشخاص من غير قواعده الشعبية.

الثاني. إن العمل الشخصى بطبيعته أكثر العائناً للنظر وأجدر بالنقل والرواية من العمل الاجتماعى العام، في نظر أولئك الرواة غير الواعين الذين يسطرون إلى الكون والحياة من رواياتهم الخاصة ومصالحهم الصيقة. وقد كان الشرولايرون محافظين على هذا المستوى الواطىء، وسيقون كذلك إلى يوم ظهور المهدي (ع) وقيامه بالعدل التام.

ومن ثم كان العمل الاجتماعى مهملاً في نظر الرواة، وكان العمل الشخصى مؤكداً عليه عندهم ومنقولاً بإسهاب في رواياتهم. ومن هنا لا نجد من الروايات الدالة على عمل المهدي (ع) في الحقل العام إلا القليل.

#### الوجه الثالث:

أن نهم - كما فهمنا فيما سبق - إن عدداً من المظالم العامة والخاصة الموجودة في العالم على مر العصور، لا يتوفر فيها الشرط الأول من الشرطين اللذين ذكرناهما لعمل المهدي (ع) وهو أن عمله فيها يستوجب انكشاف أمره وتعرضه للمحظر. وقلنا أن كل شيء يكون على هذا المستوى يجب إهماله تنعيماً للمخطط الالهي في حط المهدي (ع) ليوم الظهور الموعود.

#### الوجه الرابع:

أن نهم - كما فهمنا فيما سبق أيضاً - إن عدداً من أوجع الظلم العام الساري في المجتمع عن مر التاريخ، لا يتوفر فيه الشرط الثاني من الشرطين السالطين. بمعنى كونه دحيلاً في تحقيق وعي الأمة وإدراكها لمسؤولياتها الإسلامية تجاه واقعها وتجاه نفسها وورها ومستقبلها وهذا هو أحد الشروط الأساسية في تحقق ظهور المهدي عليه السلام على ما سنعرف. إذن فالمهدي، حرصاً على تحقق شرط الظهور، لا يعمل على إزالة هذا الظلم العام

وهذا بحلاف الحال في المظالم الخاصة، فأما لو لوحظت منفردة لا تكاد تؤثر في وعي الأمة.

وعلى أي حال، مما لا يكون دحيلاً في وعي الأمة أو الفرد، يمكن أن يسعى

المهدي (ع) إلى إراته مع توفر سائر الشرائط فيه . وحيث كان عدم التأثير متوقفاً في الظلم الشخصي ، وعبر متوفر في الظلم العام ، كان عمل المهدي (ع) في إزالة الظلم الشخصي أكثر منه في إزالة الظلم العام

إذن ، فمن المنطقي جداً ، على أساس هذه الوجوه الأربعة ، المتوفر واحداً منها أو أكثر في كل مقابلة ، أن نصح العمل العام للإمام المهدي (ع) أقل من العمل الخاص ، أو أن تكون روايته أقل على أقل تقدير

### القسم الثالث :

من روايات المشاهدة ، ما لا يظهر فيه الإمام المهدي (ع) على مسرح الحوادث بوضوح ، وذلك بالنسبة إلى الراوي - على أقل تقدير - بل يقوم الدليل القطعي عند الراوي المتحدث أن شخصاً آخر رآه وعرفه أو رآه ولم يعرفه ، لا بعد دهانه

وهذا القسم يمثل بعض ما ذكره الحاج الخوري من الأحبار المئة في النجم الثاقب . وهو غير مصر بكونه من أحبار المشاهدة ، فإلا لا نعي من المشاهدة مشاهدة المتحدث عن نفسه والراوي عن رؤيته فقط . بل مشاهدة أي سنان للمهدي (ع) وهذا ما تضمن هذه الروايات الأعراب عنه

### القسم الرابع :

لروايات التي تدل على وجود المهدي (ع) من دون أن يراه أحد ، لا بمعنى حفااته احتفاء شخصياً ، بل بمعنى أن الناس قد يتوصلون إلى المهدي (ع) بالدعاء والدعاء بأن يقصي حاجتهم ويتوسط إلى الله عز وجل في تدليل مشكلاتهم ، فتقضي حاجتهم وتحل مشاكلهم ، أما بشكل طيعي أعبدي ، وأما بشكل لم يكن متوقفاً بصاحب مشكلة أساساً ، بحيث يضطر إلى الادعاء والحرم بكونه حاصلاً نتيجة دعاء المهدي (ع) وبذلك يشت وجوده عنه السلام ، وعمايته ممن يتوسل إلى الله عز وجل في حل مشكلته .

وهذا القسم يمثل بعض أحبار المشاهدة ، وهو موجود على مر التاريخ بالنسبة إلى الكثير من المصطربين والمحتاجين فإن الإمام بقره إلى الله تعالى وكمال له يكون مستجاب الدعوة ، فيسكه أن يستعمل دعاءه في قضاء حوائج الآخرين ، حين يرى المصلحة في ذلك وهذا هو أحد طرق عن الشهة والخطر بالنسبة إليه ،

كما هو واضح كما أنه يكون عملاً من الأعمال المنتجة، بصفته ذو تأثير حقيقي في الخارج وإنما يسقط الدعاء من كونه عملاً منتجاً فيها إذا كان بعيداً عن الإحلاص وعن ادراك حقيقة المسؤولية، ومن ثم يكون بعيداً عن الاجابة فلا يكون منتجاً

القسم الخامس:

الأخبار التي تدل على أنه شارك في إقامة الحجة على الفرد، بعض ما رآه في المنام أيضاً، مصاف إلى الحوادث التي عاشها في البقعة وهذا الأمر ليس بالعيد مع اقتران خصيصتين الأولى: إذا كانت إقامة الحجة على مستوى المعجزة الثانية: أن يكون لبعض ما رآه أثر في عالم البقعة، ولم تكن الحادثة مقتصرة على المنام وحده.

وكلا الخصيصتين محتملتان في الأخبار المدرجة في هذا القسم مما سطر في المصادر أو شوهه بالوحدان أو سمع بالنقل ومعه تدرج هذه الأخبار فيما يدل بادلالة القطعية على وجود المهدي (ع)، وإن لم تدرج في أخبار المشاهدة وأود أن أشير في المقام إلى أنه ليس هناك أي دليل عقلاً ولا شرعاً على بطلان كل الأحلام حمدة وتفصيلاً نعم، لا شك في أن أكثرها رائف ولا حقيقة به، وإنما هو مآشئ عن نوارع نفسية لا شعورية لدى الفرد ولكن بما لا شك فيه وجود الأحلام المطابقة للواقع، والتي يجد الفرد تطبيقها في عالم البقعة سحواً أو باحراً، وإنكار ذلك مكابرة واضحة على الوحدان، وأنت حر بإعطاء أي تفسير لذلك عدد الصدفة المحصنة التي يقطع بعدمها نتيجة لكثرة الكثرة من الأحلام الصادقة على مر التاريخ.

فإذا اقترن الحلم بأمر رائد على مجرد المطابقة للواقع، كان - ولا شك - من قبيل المعجزات، كما لو دعا لك شخص في المنام فشيت في البقعة أو وعدك شخص أمر بتحقيق، أو أحرك شيء لم تكن تعلمه، وكان حاصلًا حقيقة

ومع ذلك لا يريد أن نضمن تلك الروايات التي تقتصر على مجرد المنام، من مثل ذلك غير موجود في أخبار المشاهدة على الإطلاق وإن يوجد قسم منها تشارك

اليقظة والنوم في إيجاد المعجزة للدلالة على حقيقة المهدي. وهو من أوضح الدلائل على صدق المأم.

وعلى أي حال، فهذا القسم قليل العدد في روايات المشاهدة. ولو قدر لنا إسقاط المم عن نظر الاعتد، لكان لنا في ما حدث في اليقظة حجة وكفاية القسم السادس:

الأخبار الدالة على أن المهدي (ع) يراه الرائي كشخص معين معروف النسب.

وقد روى الخاج النوري في ذلك روايتين، كان المهدي (ع) في أحدهما بصورة «سيد» يعرفه الراوي ويعرف كونه حاهلاً واطمء المهم ولثقة وقد فهم كونه هو المهدي (ع) لما ذكر من أمور علمية مع إنكار ذلك الشخص أنه كان هو القائل لذلك<sup>(١)</sup> وكان المهدي (ع) في الثانية في صورة «شيخ» يعرفه الراوي<sup>(٢)</sup>

وهاتان الروايتان، ونحوهما ما يشت تشكل الامام المهدي (ع) في سحته وجسمه أشكالاً مختلفة، بحيث من الممكن اصطفاها على أشخاص بعينهم .  
يختلف حسابها بالنسبة إلى الأطروحتين الرئيسيتين السافتين

أما أطروحة حفاء الشخص، فهي وإن لم تفتص ذلك على وجه التعيين، لا يمكن أن يراه الرائي عند ارتفاع حفاؤه بشكل موحد في كل المرات ولكن قد يتخيل من يقول هذه الأطروحة: بأن حال المهدي (ع) وعينه، لا كانت متنية على المعجرات، كما هو معروض هذه الأطروحة، فمن الممكن أن توسع في المعجرات إلى كثير من خصوصيات الامام (ع) وأموره، حتى فيما يرتبط شكله وسحته ما دام الله تعالى قادراً على كل شيء

ولكن الواقع، أسا إذا سرما في هذا التصور عدة خطوات، لوجهها انحرافاً خطيراً، وهما: خاصاً باطلاً للتصورات والقواعد الإسلامية، لسا بصدد تفصيله

(١) النجم الثاقب، ص ٣٦٨ وما بعدها

(٢) مصدر ص ٣٧٣ هذا ويراد بالسيد والشيخ من كان بري رجال العلم الديني الاسلامي غير ان السيد من كان من العلويين منهم والشيخ من لم يكن كذلك



والصحيح هو ما قلناه في تأسيس الأطروحة الثانية، من قانون المعجرات، وإن كون الله تعالى قادراً على كل شيء، لا يقتضي إيقاعه للمعجرات بعدد كبير وبدون مرر واضح. بل لا بد من اقتضائه على مورد إقامة الحجة، وتربية البشر.

فإذا تم ذلك، عرفنا أننا نعرف بإمكان ما قيل من تغير شكل الإمام - مؤقتاً - عند انحصار إقامة الحجة على ذلك أو توقف مستقبله الموعود عليه. إلا أن ذلك بما لا يكاد يوجد له مصداق أو تطبيق في أي مورد، لما سبق أن عرفناه من إمكان إيجاد المقابلة وإسائها بشكل طبيعي، أو بإيجاد معجزة واحدة هي الاختفاء عند الضرورة، مع الحفاظ على شكله الذي هو قوام شخصيته بين الناس. وإذا أمكن ذلك، انتهت الحاجة إلى تغير الشكل بالمعجزة، وإذا انتهت إليها الحاجة لم يكن لوجودها سبيل، بحسب قانون المعجرات.

وينفي هذا المصمون أيضاً، ما سبق أن سمعناه من أن عدداً من الأفراد يعرفون الإمام المهدي (ع) في عيته الصغرى وفي عيته الكبرى، بشكل وسحنة موحدة، بالرغم مما قد يتغير من ربه وملبوسه.

### القسم السابع:

من أخبار المشاهدة ما دل على مشاهدة المهدي (ع) في العراق أو وسطه وجنوبه على وجه خاص وهذا يشمل الأعم الأغلب من أخبار المشاهدة

ومعه، فقد يحظر في الذهن: أن هذا الاحتصاص بمنطقة معينة من العالم مما لا يناسب الوظيفة الإسلامية التي عرفناها للمهدي طقاً للأطروحة الرئيسية الثانية. من تعيد عدد من مصالح المسلمين وحل مشاكلهم، مما هو مستجمع للشرائط السابقة، وخاصة مما يمت إلى قواعده الشعبية ومواليه بصلة. ومن المعلوم أن عمله في خصوص العراق، يجعل هناك ضيقاً في نشاطه لا عن المسلمين فقط، بل عن قواعده الشعبية في غير العراق أيضاً، فكيف يستطيع أن نمر هذه الأخبار.

والجواب عن ذلك يكون من عدة وجوه:

### الوجه الأول:

إن الأخبار المثبتة لشاهدته عليه السلام في غير العراق، لا تصور فيها من

حيث الدلالة على قيام المهدي بوظيفته الاسلامية في تلك البلاد. على ما نستمع فيها يلي من البحث مفصلاً.

### الوجه الثاني:

أما يعني أن يلتصق به ما فده من أن هناك عددٌ صحيفاً من المشاهدات غير المروية، قد يفوق العدد المروي منها.

إذن، فمن المحتمل أن يكون عدد مهم من المشاهدات واقع في حرج العراق، ولم تسح الظروف - التي أشربا إلى بعضها - نقل أحاديها إليها.

كما سعي أن لا نسي ما قلناه من أن المهدي عليه السلام يعمل الأعداء من أعماله شخصيته اثنية وبضعة فرداً عادياً في المجتمع، ومثل هذه الأعمال تحصل ولا يردنا حرها بطبيعته الخال أو قد فصلنا خبر ولا يعرف انتساب إلى المهدي (ع) بحقيقته.

ومعه فدهدي يمكنه أن يعمل في سائر البلاد التي يصل إليها، سكباً أو سراً، من دون أن يثير حوجه أي استهزاء أو أن يصل إلى الأحرار عنه أي خبر.

### الوجه الثالث

إن غاية ما تدل عليه هذه الأحبار، هو أن غالب سكي المهدي (ع) هو في العراق ومن لمعوم أن عمل الفرد يكثر في محل سكناه عنه في المناطق لأخرى وخاصة فيها إذا كان يجد من بعض الأسعار صعوبة وحظر على نفسه أو إثارة للاستهزاء عن حقيقته.

وحثيره عليه السلام العراق للسكنى، ممكن وفرب، ولا ساق أياً من لأطروحتين الرئيسيتين وخاصة بعد أن كان هو بلد سكناه عالياً في عتبه الصعري - كما عرف - وفيه مساكن ومدفن حمله من أدته انطهريس عليهم السلام وكان مركزاً لعدد مهم من الأعمار لاسلامية الكرى في صدر لإسلام كواقعة كربلاء وغيرها وسعرف أيضاً في الكتاب الثالث من هذه الموسوعة أن العراق والكوفة على الخصوص، ستكون هي المطلق الأساسي، بعد ظهور المهدي (ع) لفتح العام كله والعاصمة الرئيسية لدولة الإسلام العالمية المهديوية.

وهذا يمكن أن يحطر في الدهن سؤالان، لا بد من عرضهما مع محاولة الجواب  
عليهما

### السؤال الأول:

أنه لما كان العراق هو مركز الثقل في كل هذه الأعمال الكبرى، ولم يكن  
غيره بهذه الصفة مع العلم أننا نؤمن بنساي البشرية عامة والمسلمين خاصة  
ونساي المناطق والبعثات تجاه الشريعة الإسلامية والعدالة الإلهية فما هو الوجه  
في ذلك؟

والجواب عن ذلك أن العراق لم يحمل هذا المركز المهم، من أجل عصرية  
معية، وإنما له من الصفات الواقعة التي تجعله اسطق الوحيد في العالم لكل تلك  
لأعمال الكبرى

ويمكن تلخيص خصائصه الرئيسية بما يلي

### الخصيصة الأولى

إن العراق من الناحية الجغرافية، يمتد في وسط البلاد الإسلامية في عصر  
العبيد، ابتداءً من ناهد وأندونيسيا ونهاية عمراكن وعرب أمريق عمومًا

### الخصيصة الثانية

إن العراق مسكن للقواعد الشعنة التي تؤمن بوجود المهدي (ع) وعيشه

### الخصيصة الثالثة:

إن العراق سيصبح الأرض التي تتمحور عن عدد غير قليل من القواد  
الرئيسيين للمهدي (ع) بعد ظهوره، كما سيتضح من الكتاب الثالث من هذه  
الموسوعة، بخلاف البلاد الإسلامية الأخرى، فأما تتمحور عن عدد قليل

والسري ذلك ليس هو أفصله العراق ككل عن غيره، وإنما ذلك باعتبار ما  
يمر به الشعب هناك من مأس ومطالم أكثر من غيره من الشعوب المسمنة،  
وسمعرف في ما يلي من هذا التاريخ أن رماده انطلم يتمحور عن كثرة الاحلاص  
والمخلصين.

وهذه الخصائص الثلاث، يكون العراق ذا موقع أهم من الناحية الإسلامية

من كثير من البلاد الإسلامية الأخرى. نعم، ينبغي أن لا ننسى الجزء الأكبر من بلاد فارس فإنها أيضاً تتصف بنفس الخصائص وحيث كانت مجاورة للعراق أمكن تعميم المنطقة بخصائصها إليها.

السؤال الثاني:

إن روايات المشاهدة وإن دلت على سكنى المهدي (ع) في العراق، إلا أن هناك أموراً أخرى تدل على خلاف ذلك، تكون معارضة مع هذه الروايات. فكيف نجتمع بينهما.

الأمر الأول:

ما سبق أن ذكرناه طبقاً للأطروحة الرئيسية الثانية، من أن حير وجه منصور يخطئه المهدي (ع) لكي يبعد الأنظار عن نفسه والالتفات إلى حقيقته، هو أن يسكن في كل جيل مدينة إسلامية غير التي كان يسكنها وقلنا أنه لعله يسكن في كل خمسين سنة في مدينة من العالم الإسلامي.

ولكن الواقع أن هذا لا يعارض سكناء الغالة في العراق خلال التاريخ، وسكناء في عدد من مدن العراق أيضاً. فلا يكون معارضة مع ما دلت عليه روايات المشاهدة.

الأمر الثاني.

الرواية السابقة التي دلت على اختياره المدينة المنورة للسكنى

الأمر الثالث:

ما سمعناه من اختياره البراري والقفار وشعاب الجبال محلاً للسكن، كما دلت عليه رواية علي بن مهزيار.

والجواب على كلا هذين الأمرين، من وجهين:

الوجه الأول:

أنتا سبق أن وجدنا المرات الكافية لرفض الأخذ بكلا هاتين الروايتين، ومعه، فلا تكون معارضة ما دلت عليه روايات المشاهدة

## الوجه الثاني.

إن ما يدل عليه غالب روايات المشاهدة هو سكى المهدي في غالب العصور المتأخرة في العراق، ومعه ففي الامكان افتراض سكنه في الراري والعصر وخاصة بعد أن علما أن الحاجة إلى الانعزال والحماية قد ارتفعت بلرة عن شخص المهدي عليه السلام، في العصور المتأخرة.



هذه هي جملة الأقسام في أخبار المشاهدة، مع تمحيصها. وتكرر تارة أخرى أن كل رواية بمفردها، قد تكون قابلة للمناقشة إلا أن العلم الحاصل من المجموع غير قابل للمناقشة، ويكون باقياً للكذب والخطأ والوهم . . ولو في بعضها على أقل تقدير.

### الأمر الثاني

من الكلام عن أخبار المشاهدة.

إن هناك إيراداً عاماً يمكن أن يرد على هذه الأخبار لو لوحظت النظرة الإسلامية العامة إلى المجتمع.

وحاصل هذا الإيراد: أننا لا نكاد نجد في أخبار المشاهدة، في العيبة الكبرى، توجيهاً عاماً واعياً بقوله الامام عليه السلام لأحد من يقابله، سواء كان العرص قضاء حاجة عامة أو قضاء حاجة خاصة.

مع أنه يتبادر إلى التصور أن ما يفعله الامام (ع) في أثناء المقابلة، هو أن يربي من يقابله ويثقفه بالثقافة العامة الإسلامية الصحيحة، ويلخص له في عدة كلمات القضايا الإسلامية المهمة التي تير له الطريق وتمثله على السير القويم والمشاركة في بناء المجتمع المسلم ماء صالحاً واسع الأثر بعيد النتيجة.

مع أن هذا لم يحدث، إذ لو كان قد حدث لنقل في الأحبار، مع أنها تكاد أن تكون حالية عنه، ولو كان قد حدث لأصبح الفرد من أفضل الصالحين، وأوسع العاملين، ولربما اثاراً اجتماعية مهمة مترتبة على أعمال الذين شاهدوا المهدي (ع)، وتابعهم بإحسان، مع أن ذلك لم يحدث!

فلماذا لم يقل المهدي (ع) مثل هذه التوجيهات، وإذا كان قاله، فلماذا لم ينقل إليها، أو لم يظهر أثره في المحتمع المسلم

ونحن إذا استطعنا الجواب على ذلك، فقد سرنا قدماً جديدة في تحديد سياسة الامام المهدي (ع) تجاه الآخرين ممن قائلوه، ومن لم يقابلوه أيضاً

ويتم الجواب على ذلك ضمن عدة نقاط -

#### النقطة الأولى:

أما عرفنا أن المهدي (ع) يعمل - مع اجتماع الشرائط - العمل الباع بصفته فرداً اعتيادياً في المجتمع. وفي مثل ذلك يكون له أن يقول ما يشاء ويفعل ما يريد ويمهد لتكميل الأفراد والمجتمعات، من دون أن نعرف هويته الحقيقية. وربما كان الكثير ممن برروا في العالم الاسلامي علماً وعملاً، كانوا قد سمعوا التوجيه من المهدي (ع) بدون أن يعرفوه على الاطلاق

#### النقطة الثانية:

إن المهدي (ع) قد يجتمع بالخاصة من المؤمنين به، وهو ما سبق أن تصورناه بصفته أطروحة محتملة، وتدل عليه بعض الأحبار أيضاً، على ما سسمع، وباجتماعه معهم، بالشكل الذي يعرفوه بحقيقته، يفتح لهم المجال الواسع لتنفي التعليمات منه عليه السلام، والخصوص في مناقشة المسائل الاجتماعية والاسلامية على صعيد واسع وواع. ثم هم يطبقونه في حياتهم العملية، من دون أن يقللوا شيئاً من أخبار المقاتلة والمناقشة.

ولعل عدداً ممن برروا في العالم الاسلامي في العلم والعمل، كانوا اشخاصاً من هذا القبيل.

فإن كفى ذلك في قناعتنا في كفاية هذه التوجيهات، عما نتوقعه من أحبار المشاهدة، فهو المطلوب. وإن تركنا عن هذه النقطة، أمكنا الانتقال إلى ما يلي

#### النقطة الثالثة.

إن اليهود من دين السي (ص)، والأئمة عليهم السلام، هو إعطاء كل مقام مقالته، وعدم المادرة إلى البيان من دون سؤال. وإذا سألهم سائل عن بعض

الحقائق العادية أو الاجتماعية أو الكونية، نظروا إلى مقدار مستوى السائل من حيث الثقافة، وأعطوه من الجواب بمقدار ما يفهمه ويستطيع هضمه وتمثيله مسياً وعقلياً. ولم يكونوا يحملوه حواشياً يحوي من الحقائق ما لا يطيقه كاهله أو لا يسعه عقله.

بل أن هذا الدين غير خاص بفائدة الاسلام، بل عام لكل عالم عندما يسأله جاهل، وكل اختصاصي عندما يسأله عامي. فليس من المحتمل أن يجيب انشأتين بكل تفاصيل نظريته السببية، أو يحصر دقائقها، لو سأله عنها شخص، وإنما يكتفي في الاعراب عنها، بإعطاء بعض العموميات.

وهذا هو المراد الجوهرى، مما ورد شرعاً وعرفاً، من قولهم حاطب الناس على قدر عقولهم وهو أمر واضح في الأدهان في غاية الوضوح.

ومعه، فلا ينبغي أن نتوقع من المهدي (ع) أن يسير بغير هذا الديدن الذي سار عليه آئزؤه عليهم السلام فهو لا عمالة بقدر المستوى العقلي والثقافي ليعرد قل أن يوجه توجيهه أو يذكر كلامه.

فإذا علمنا أنه عليه السلام كان يواجه الناس لاغراض حل مشاكلهم العامة والخاصة، بعض عن مستوياتهم الثقافية، وعلمنا أن كثيراً من كان يواجههم ذو مستوى في الوعي والثقافة الاسلامية العامة واطىء إلى حد كبير. لم تكن نتوقع - مع هذا - أن يذكر المهدي توجيهاً أو إرشاداً خارجاً عن حدود قصله الحاجة وتدليل المشكلة، مما يكون له آثار أخرى في المجتمع والحياة

وهذه هي القاعدة الأساسية التي تفسر هذا الحدس من سياسة الامام عليه السلام، تجاه الآخرين.

#### النقطة الرابعة

أما لو عصصنا النظر عما قلناه في النقطة الثالثة، وفرصنا أن المهدي (ع) يوجه البيانات إلى من يراه بشكل واسع، يقطع الطر عن مستواه الثقافي والمكري. فمن - مع ذلك - لا ينبغي أن نتوقع من هذه التوجيهات أن تصنع لنا الأبطال والمشاهير في العلم والعمل كما تحيل السائل الذي ساقشه الآن

فما يعرف سبباً أن المقابلة تكون قصيرة دائماً، وغير مكررة على الأعلب،

ومكرسة - بطبيعة الحال - لأجل حل مشكلة معينة ، إذ ، فماداً يبقى للتوجيهات العامة المتصورة للإمام المهدي (ع) من الرمان ، إلا أقل القليل فلو فرض أن الإمام عليه السلام اغتم هذه الفرصة ، وتكلم مع الفرد مقدار ربع ساعة أو نصف ساعة على أكبر التقادير ، فإن هذا الكلام مهما كان مركزاً وكاملاً وعميقاً ، لا يمكن أن يصنع من الفرد العادي بطلاً من الأبطال ، أو شهيراً من المشاهير ، من الزاوية الإسلامية الحقة . فإن الأمر لا يحلو من أحد عرضين لا ثالث لهما وهما : أن المهدي (ع) إما أن يريد تربية من يقابله وتثقيمه بشكل المعجزة ، وإما أن يريد ذلك بسحر طبيعي .

أما طريق المعجزة فهو مسد أساساً ، لعدم كون هذه المعجزة واقعة في طريق إقامة الحق ، بعد فرض إيمان الفرد بالإسلام ، فلا يقتضي قانون المعجزات وجودها . على أنها لو وجدت للزم منها الحشر الساطع على ما هو يرهس عليه في محله من بحوث العقائد في الإسلام .

وأما تربيته وتثقيمه بالطريق الطبيعي ، فمثل هذه التربية مما لا يمكن وجوده في زمان يسير ، وإنما يحتاج الإنسان في تكامله إلى زمان طويل ونجربة واسعة وتربية بطيئة حتى يتكامل وينصح بصحاً واقعياً ولا يمكن أن يكون كلام الإمام (ع) - حتى لو فهمه واستوعب حقائقه - إلا خطوة واحدة في طريق تكامل الإنسان . ويبقى به وبين رفعة الحقيقة خطوات وحطرات

عل أن الكلام المركز القصير الذي فرضناه في السؤال ، مما يتعذر على الفرد العادي فهمه ويحول تركيبه وعمقه دون استيعابه . وأما إذا لم يكن مركزاً وعميقاً لم يكن منتجاً للنتائج المتوقعة في السؤال .

إذن ، فيتميز عن المهدي (ع) - في حدود هذه النقطة الرابعة - أن يعرض عن التوجيهات صمماً ، لعدم جدواها إلا بطريق إعجاري ، لا يمكن تحقيقه طلقاً لقانون المعجزات

#### النقطة الخامسة

أما محتمل - عل الأقل - أن هذه التوجيهات العامة لو تكررت وأثرت لكان لها أبلغ الأثر في تغيير التاريخ الإسلامي بل التاريخ الشري ، وفقاً لما قاله



السائل، بعد التنزل عن النقاط السابقة.

وهذا التغيير المتوقع، مما لا يحتوي على مصلحة، لأنه يؤخر يوم الظهور ويفوت شرطه الأساسي، وهو مرور الأمة بأزمة الظلم والخور، حتى تتكامل عن تجربة وحكمة وقوة إرادة، لا عن استبدال وتكاسل. ومعه فلا يمكن أن يقوم المهدي (ع) بذلك، وإنما يقتصر على التوجيهات الصغيرة التي لا تلعب هذا المستوى.

إذن، فلاحظ أي واحدة من هذه النقاط، فضلاً عن مجموعها، يكون من المنطقي أن تتصور حلولاً أحار المشاهدة من التوجيهات العامة الواعية، واقتصارها على ما هو المقصود من المقابلة، ليس إلا.

مضافاً إلى أننا نعرف أن الرواة إذا كانوا من الخاصة المحلصين المتفلسين لتوجيهات المهدي (ع)، فإهم يحدفونها عند نقل الواقعة احتراماً لها وصوناً لمذلولها عن الانتشار كما يظهر من بعض روايات المشاهدة. وإذا لم يكونوا من أولئك الخاصة، فإهم إما أن يحدفوا التوجيهات لعدم الاهتمام بها، وإما أنهم يسقلونها بالمعنى الذي فهموه، فتدولنا بشكل مرسوم دو طابع شخصي صيق، ولا تكاد تكون من التوجيهات العامة، إذا عرصت بهذا الشكل.

هذا، فيما إذا سلمنا، ما افترضناه في السؤال من أن التوجيهات العامة لم ترد في روايات المشاهدة. هذا وإن كان صحيحاً بشكل عام ولكن لا بعدم سماع ذلك أحياناً، حين يجد المهدي (ع) مصلحة في التوجيه، في الحدود الممكنة وقد نستطيع أن نحمل فكرة عن ذلك فيما يلي من هذا الفصل.



### الأمر الثالث.

هل أن مشاهدات المهدي عليه السلام على حقيقته، في عينه الكبرى، يحتاج إلى درجة عالية من الایجاد والوثاقة، كما يميل إليه بعض السحّين، أو لا يحتاج لا شك أن تلك الدرجة العليا، كانت شرطاً في مشاهدة صاحب الأمر المهدي (ع) في عينه الصغرى. كما عرفنا في تاريخها، حيث لم يكن أبوه الإمام

العسكري (ع) يطلع أحداً عليه إلا من الموثوقين الخاصين، وكذلك كان ديدن المهدي (ع) بعد وفاة أمه. ما عدا حوادث قليلة جداً ظهر عليه السلام للمنحرفين من أصحابه لمصالح معينة، ويشكل مأمون الشبهة<sup>(١)</sup>

وأما في عصر العيبة الكبرى. فلا شك أن الأغلبي هو اختصاص المقاتلة بالخاصة الموثوقين كما لا شك في أن الإمام المهدي (ع) قد يحص بعض الموثوقين، بأكثر من مقابلة واحدة، ولعلها تصل إلى عدد مهم من المقابلات لدى عدد منهم كما لا شك في أن المصالح الإسلامية، قد تقتضي ظهوراً للمنحرفين، إذا كان بنحو مأمون النتيجة.

ومعه، فيسمى أن يقال أن نفس النسبة التي رابها في العيبة الصغرى، تتكرر بشكل أو آخر، في العيبة الكبرى أيضاً، بين الموثوقين والمنحرفين وهذا كله واضح لا عذر عليه لا بحسب القواعد العامة، ولا بحسب أحوار المشاهدة، إذ أن المقول من المقابلات مع غير الموثوقين، مشابه هذه النسبة تقريباً

ولكن الذي يسمي أن يلتفت إليه، هو وجود فرق أساسي ما بين حال المهدي (ع) في عيبته الصغرى وحاله في عيبته الكبرى، فهو في الكبرى أكثر أمناً وأبعد عن انتفاض الأدهان إليه، فتفتح له فرصة أكبر في مقابلات الناس، بما فيهم غير الموثوقين والمنحرفون أيضاً مع الالتزام بتحطيط معين يضمن عدم الاطلاع على حقيقته إلا بعد الفراق.

وهذا واضح، بعد أن عرفنا من مطاردة السلطات له في العيبة الصغرى، وهناك قسم من الناس يعرفونه ويعرفون والده، وخاصة في القسم الأول من تلك الفترة. وأما في العيبة الكبرى، فقد انتعزت الأنظار عنه، وحمي شكله نادرة عن سائر البشر، وأبست السلطات عن مطاردته، بل أنكزت وجوده تماماً وكل ذلك يكون في مصلحة حرية تنقلاته ومقابلاته، كما هو واضح

ومن هنا نكاد نشخص بوضوح، أن نسبة مقابلاته مع غير الموثوقين، أكثر إلى حد واضح من نسبتها في العيبة الصغرى وأما المنحرفون، فالمقابلته معهم أقل من

(١) انظر تاريخ العيبة الصغرى، ص ٢٩٩ و ص ٣٠٦ وما بعدها

ذلك العدد بكثير، ولا تكون إلا فيما إذا توقف عليه عرض كبير، ولم يمكن تهيئته عن طريق المقابلة مع أحد المؤثوقين أو غير المشحرفين

#### الأمر الرابع:

في التخطيطات التي يصنعها المهدي (ع) لأجل ضمان عدم التبعات الرائي إلى حقيقته في أثناء المقابلة.

فإن المقابلة، قد تقتضي، بحسب المصلحة، أن يكشف المهدي عن حقيقته في أثنائها وقد يكون الرائي عارفاً له من مقابلة سابقة، كما قد يحصل للموثوقين الخاصين وقد تقتضي المقابلة أن لا يعرفه الرائي إلا بعد المرافقة، فيما إذا لم يكن بتلك الدرجة العليا من الوثاقة، فضلاً عما إذا لم يكن موثقاً أو كان مشحرفاً.

ففي مثل ذلك يحتاج المهدي (ع) إلى التخطيط بحو يدع الرائي عافلاً عن حقيقته إلى حين المرافقة، على أن يفهم بعد ذلك أن الذي كان قد رآه هو المهدي (ع).

وأساليب التخطيط الذي كان يصنعها المهدي (ع) في سبيل ذلك، بحسب ما ورد في أحبار المشاهدة، عديدة، يمكن تلخيصها فيما يلي:

#### الأسلوب الأول. إبداله لريه وواسطة نقله:

فتراه كثيراً ما يكون مرتدياً العقال العربي، على اختلاف الأشكال، فتارة يراه بزي البدو<sup>(١)</sup> وثانية يري مهيب لطيف<sup>(٢)</sup> وثالثة بزي فلاح يحمل مسحاته<sup>(٣)</sup> ورابعة يري سيد حليل من رجال الدين<sup>(٤)</sup>

كما أن واسطة نقله قد تكون هي الحمل في عدد من المرات<sup>(٥)</sup> كما قد تكون

(١) النجم الثاقب، ص ٢٤١

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٩

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤٣

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٧٣

(٥) انظر - مثلاً - المصدر السابق، ص ٣٤٢

هي العرس<sup>(١)</sup> وقد يكون هو الحمار<sup>(٢)</sup>، كما قد يواكب الرائي ماشياً<sup>(٣)</sup> وقد لا تحتاج المقابلة إلى سير وانتقال<sup>(٤)</sup>.

كما قد تأتي إلى المقابلة، فارساً حاملاً رعباً عند الحاجة<sup>(٥)</sup>، كما قد يبدو متكلاً بنهجة الدو مسعماً بنفس كلماتهم<sup>(٦)</sup>. وثالثة يبدو متكلاً بنهجة اللسانيين<sup>(٧)</sup> وراثة باللغة الفارسية<sup>(٨)</sup>.

وقد عرف، سيراً مع الأطروحة الثابتة أطروحة حصاء العوان أن الأرباء والمهثبات نبي يقابل بها المهدي (ع) من يريد إحصاء حقيقته عليه أثناء المصافحة ليس شيء منها هو الذي يكون عليه في حياته الاعتيادية بشخصيته الثابتة لوصوح وجود احتمال كبير في انكشاف حقيقته، لو ظهر لأحدهم في نفس المجتمع الذي يعيش فيه إذن فلا بد للمهدي (ع) أن يخطط للمصافحة بادل ربه لا بحالة، قبلها، صمناً على الحفاظ على سره وحفاء عنوانه.

### الأسلوب الثاني

إقامته للمعجزة التي تكون دالة على حقيقته، سحر لا تكاد تكون مدمنة لسطر في أثناء المقابلة، بل لا يكاد يعرف الرائي أنها معجزة أصلاً إلا بعد المراق حين يستدكرها ويحسب حسابها فيعرف أن ذلك العمل لا يمكن أن يقام به إلا بسحر إعجاري.

ويشجن ذلك بوصوح في عدد من الروايات، يقطع المسافة الطويلة برمان قصير، المسمى بطي الأرض برأ أحياناً وبحراً أخرى ومن المعلوم أن حساب طول المسافة إنما يكون بعد قطعها. ولعل أوضح الروايات في ذلك، ما فهمه

(١) المصدر نفسه، ص ٣٥٧

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤٣

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٠

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٦٨

(٥) المصدر، ص ٣٧٠

(٦) المصدر، ص ٣٥٨

(٧) المصدر، ص ٢٣٥

(٨) المصدر، ص ٣٤٤

الراوي بعد هراق المهدي (ع) من أد الطريق الذي مشى فيه في زمان قصير نسبياً، لا يمكن لأحد أن يسير فيه إلا بأضعاف تلك المدة، ومن المتعذر أن يتجوأ أحد من السباع والوحوش في ذلك الطريق، ولكنه نجا منها ووصل في زمان قليل<sup>(١)</sup>

الأسلوب الثالث:

استعاده عن الراي في أثناء الحادثة، وقبل انتهاء حاجته، وإيكال إهائها إلى غيره . هو أما نفس صاحب الحاجة كما في بعض المقابلات<sup>(٢)</sup> وقد يكون هو خادم الامام عليه السلام<sup>(٣)</sup>، وقد يكون هو شخص آخر غابر للطريق<sup>(٤)</sup>.

#### الأسلوب الرابع:

نحب كل ما من شأنه إلغات النظر إلى حقيقته، كالأشارة إلى عنوانه هراحة أو كناية، أو إقامته لمعجزة كبيرة واضحة ملغنة للنظر، كما هو واضح من عدد من روايات المقابلات. بل قد يتجنب الجواب لو سئل عن اسمه ومكانه ، ولا يجيب بما يدل على حقيقته.

#### الأسلوب الخامس:

وقوع الراي والرائين أو إيقاعهم، في ظروف وقتية خاصة، بحيث يرتج عليهم باب السؤال عن حقيقة المهدي واسمه وبلدته. وهذا واضح من عدد من الروايات، فإن الراي قد يكون مهتماً بحاجته جداً<sup>(٥)</sup> أو مذهولاً نتيجة لالتفاته إلى معجزة واضحة أوجدها المهدي (ع)<sup>(٦)</sup>، أو مشغولاً بنفسه كالصلاة أو المرض أو ضيق البال ونحو ذلك.

ولا يخفى أن نفس تلك الغفلة التامة التي يكون بها الناس تجاه رؤية المهدي (ع)، تلك الغفلة التي لا يمكن ارتفاعها إلا تحت تأثير قوي . . . هي من

(١) المصدر، ص ٢٣٩

(٢) المصدر، ص ٢٣٨

(٣) المصدر، ص ٣٠٦

(٤) المصدر، ص ٢٤١

(٥) المصدر، ص ٢٤٢

(٦) المصدر، ص ٢٨٢

أكبر الظروف، بل أكبرها على الإطلاق، مما يقتضي عدم معرفة الراي  
بالمهدي (ع) في أثناء المقالة. . إلا بعد أن يحسب حسابه بعد العراق

فهذه هي الأساليب العامة للتحطيط الذي يتعد المهدي (ع) بعضها، حينما  
لا يجد من المصلحة معرفته في أثناء مقالته . وهناك بعض الأساليب الخاصة المبتدئة  
في الروايات، مما لا يمكن أدراجه تحت ضابط عام، ويطول بنا المقام في تعدادها  
الأمر الخاص:

في الأغراض والمقاصد العامة التي يقصدها المهدي (ع) من عمله خلال  
المقالة. وتوَجَّل التعرض للمقاصد الخاصة إلى الأمر السادس الآتي.

والمقصود من الأغراض العامة، ما يكون مستهدفاً لأثر إسلامي اجتماعي  
أكبر من الأفراد وأوسع. وهو الذي قلنا أنه قليل التحقق بالنسبة إلى العمل الفردي  
الخاص، وذكرنا السبب في ذلك.

وستكون الفرصة خلال هذا الأمر الخامس وما بعده مفتوحة للاطلاع  
المختصر على تفاصيل بعض المقالات، بالشكل الذي يناسب المقام . ولا نكون  
مسؤولين عن سرد القصص بتفاصيلها فليرجع فيها القارئ إلى مصادرها.

وتنقسم الأغراض والأهداف العامة في أعمال الامام المهدي (ع) في غيته  
الكبرى، إلى عدة أقسام:

الهدف الأول:

إنقاذ الشعب المسلم من براثن تعسف وظلم بعض حكامه المجرمين،  
وخاصة فيما يعود إلى قواعده الشعبية من الخير والسلامة.

فمن ذلك ما قام به الامام المهدي من إنقاذ شعبه في البحرين، من تعسف  
حاكميه الذين نص الرواية على كرههم من عملاء الاستعمار ومن المنصوين من  
قبل المستعمرين<sup>(١)</sup>.

---

(١) انظر تفاصيل هذه الحادثة في الحجم الثقب، ص ٣١٤ وما بعدها . وفي البحار، ج ١٣، ص ١٤٩ . وفي  
متنبي الآمال، ج ٢، ص ٣١٦ وما بعدها

حيث كان للوزير في تلك البلاد، وهو بمنزلة رئيس الوزراء في عالم اليوم، مكيدة كبيرة كادت أن تؤدي إلى إرهاب القواعد الشعبية للإمام المهدي (ع) أزهاناً غريباً بمعاملتهم معاملة الكفار الحربيين من أهل الكتاب... أما بأن يدعوا الخزية عن يد وهم صاغرون، أو أن تقتل رجالهم وتسيئ سلاهم وأطفالهم وقد كان للإمام المهدي (ع) اليد الطولى في كشف هذه المكيدة ودفع هذا الشر المستطير.

الهدف الثاني:

إنقاذ الشعب المسلم من براثن الاشقياء والمعتدين، وعصابات اللصوص المانعين عن الأعمال الإسلامية الخيرة.

فمن ذلك<sup>(١)</sup> العمل الكبير الذي قام به المهدي عليه السلام من فتح الطريق إلى كربلاء المقدسة، أمام روار حله الإمام الحسين عليه السلام، في النصف من شعبان

وكانت عشيرة «عبيد» تترصد لكل داخل إلى كربلاء وخارج منها، وتتعهده بالسلب والنهب، فكان الطريق إليها موصداً بحافه الناس فلولا قيادة المهدي (ع) للرائزين في الطريق إلى كربلاء وتهديده لعشيرة عبيد بالموت والدمار إذا حاولت الاعتداء، لامتنع الناس من الذهاب إلى ريارة الامام سيد شباب أهل الجنة عليه السلام، ولتعتطل هذا الشارع الاسلامي الكبير فمرحى للالطاف الكرى التي يسبقها المهدي (ع) على أمته.

وكان ذلك خلال حكم الدولة العثمانية للعراق وكان من قوادهم يومئذ كبح محمد اعا وصفر اعا كما تنص الرواية على ذلك، ولكها - مع الأسف - تهمل التعرض إلى التاريخ المحدد للحوادث.

الهدف الثالث:

المات نظر الآخرين إلى عدم تحقق شرط الظهور الموعود. والتأكد على أن الأمة لم تلجأ إلى المستوى المطلوب من الوعي والشعور بالمسؤولية الذي تستطيع معه أن تحمل عاتقها الآثار الكبرى في اليوم الموعود ومعه فلا بد من أن يناحل الظهور

(١) راجع تفصيل ذلك في الجزء الخامس، من ٣٧٠ وحتى الأمان، ص ٢٢٩

إلى اليوم الذي يتحقق فيه هذا الشرط مهما تهادى الزمن وطالت المدة وليس لأحد أن يقترح تقديمه أو يعين تاريخه، سوى الله عز وجل

وقد حصل التأكيد على هذا المفهوم الصحيح الواعي من قبل المهدي (ع)، على ملا من الناس في رواية أروى عن أبي دام طله، لم أجدها في المصادر المتوفرة ومن هنا أجده من الضروري أن أروي تفاصيلها باختصار، لكي يتضح تماماً المعنى المقصود من هذه الرواية.

وذلك: إن الناس في البحرين، في بعض الأزمنة، لمقدار إحساسهم بالظلم وتعسف الظالمين... تموا ظهور إمامهم المهدي (ع) بالسيف طهوراً عالمياً عاماً، لكي يبحث أساس الظلم لا من بلادهم فحسب بل من العالم كله.

فاتفقوا على اختيار جماعة من أعاضهم زهداً وورعاً وعلماً ووثاقة، فاجتمع هؤلاء واحتراروا ثلاثة منهم، واجتمع هؤلاء واختاروا واحداً هو أفضلهم على الإطلاق، ليكون هو واسطتهم في الطلب إلى المهدي بالظهور.

فخرج هذا الشخص المختار، إلى الصواحي والصحراء، وأخذ بالتعب والتوسل إلى الله تعالى وإلى المهدي (ع) بأن يقوم بالسيف ويظهر فيملا الأرض قسطاً وعدلاً، كما مدت ظمناً وجوراً. وقضى في ذلك ثلاثة أيام بلياليها

فلما كانت الليلة الأخيرة، أقبل شخص وعرفه نفسه أنه هو المهدي المنتظر، وقد جاء إجابة لطلبه. وسأله عن حاجته، فأخبره الرجل بأن قواعده الشعبية ومواليه في أشد التلهف والانتظار إلى ظهوره وقيام يوره. فأوعز إليه المهدي (ع) أن يكر في عد إلى مكان عام عيه له، ويأخذ معه عدداً من العم في الطابق الثاني على السطح، ويعلن في الناس أن المهدي (ع) سيأتي في ساعة معينة، عليهم أن يجتمعوا في أرض ذلك المكان. وقال له المهدي (ع) أيضاً: أنني سأكون على السطح في ذلك الحين.

وامتثل الرجل هذا الأمر، وحلت الساعة الموعودة، وكان الناس متجمعين في المكان المعين على الأرض، وكان المهدي (ع) مع هذا الرجل وعنه على السطح

وهما ذكر المهدي (ع) اسم شخص وطلب من الرجل أن يظل على الحمير



ويأمره بالحضور فامتلأ الأمر وأطل على الجمع ونادى باسم ذلك الرجل . فسمع الناس وصعد الرجل على السطح . ويجرد وصوله أمر المهدي (ع) صاحبا أن يذبح واحداً من عمه قرب الميراب، فما رأى الناس إلا الدم ينزل من الميراب مغزارة . فاعتقدوا جازمين بأن المهدي (ع) أمر بذبح هذا الرجل الذي ناداه .

ثم نادى المهدي (ع) بنفس الطريقة رجلاً آخر، وكان أيضاً من الأحيار الوريثين . فصعد مضحياً بنفسه واصعاً في ذنبه الدبح أمام الميراب، وبعد أن وصل إلى السطح برل الدم من الميراب . ثم نادى شخصاً ثالثاً ورابعاً وهنا أصبح الناس يرفضون الصعود، بعد أن تأكدوا أن كل من يصعد سيراق دمه من الميزاب . وأصبحوا يفصلون حياتهم على أمر إمامهم .

وهنا التفت المهدي (ع) إلى صاحبا وأهمهم بأنه معذور في عدم الظهور ما دام الناس على هذا الحال .

فمن هنا نفهم بوضوح، كيف أن المهدي (ع) استهدف اهتمام الأمة بشكل عملي غير قابل للشك، بأنها ليست على المستوى المطلوب من التصحية والشعور بالمسؤولية الإسلامية . وكشف أمامها واقعها بحوار أحس كل فرد في نفسه وأنه على غير استعداد لاطاعة أمر إمامه (ع) إذا كان مستلماً لاراقة دمه . وإذا كانت الأمة على هذا المستوى 'لوصيغ لم يمكنها بحال أن تتكفل القيام بمهام اليوم الموعود بقيادة المهدي (ع)

وستأتي البرهنة التامة على صحة هذا الشرط، من شرائط الظهور، في القسم الثالث من هذا الكتاب .

#### الهدف الرابع :

إرجاعه عليه السلام للحجر الأسود إلى مكانه من الكعبة .

فإن القرامطة بعد أن قلعوه أثناء هجومهم على مكة المكرمة عام ٣١٧ للهجرة<sup>(١)</sup>، ونقلوه إلى حجر . وكان ذلك أيام الغيبة الصغرى، كما عرفنا من

(١) الكامل، ج ٦، ص ٢٠٤

تاريخها<sup>(١)</sup> بقي الحجر لديهم ثلاثين عاماً<sup>(٢)</sup> أو يريد وأرجعوه إلى مكة عام ٣٣٩<sup>(٣)</sup>، أو عام ٣٣٧<sup>(٤)</sup>. فكان المهدي (ع) هو الذي وضعه في مكانه وأقره على وضعه السابق، كما ورد في أخبارنا<sup>(٥)</sup>.

قال الراوي: لما وصلت إلى بغداد في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة عرمت على الخبز وهي السنة التي رد القرامطة فيها الحجر في مكانه إلى البيت. كان أكثر همي الظفر بمن يصب الحجر، لأنه يمضي في أنباء الكتب قصة أخذه، فإنه لا يضعه في مكانه إلا الحجّة في الزمان كما في زمان الحجاج وضعه زين العابدين عليه السلام في مكانه<sup>(٦)</sup>.

وأوضح الراوي بأن الناس فشلوا في وضعه في محله، وكلما وضعه إنسان اضطرب الحجر ولم يستقم. فأقبل علام أسمر اللون حس الوجه فتناوله فوضعه في مكانه، فاستقام كأنه لم يزل عنه. وعلت لذلك الأصوات. ثم أن المهدي عليه السلام، حرج من المسجد ولاحقه الراوي طالاً مه حاجة، فقصاصها له، وأقام الدلالة ساعته على حقيقته.

وهذه حقيقة غفل فحوة تاريخية، سكنت عنها التاريخ العام، وقد ملأنا أخبارنا الخاصة بكل وصوح. وهو أمر لا يمكن نفيه إلا بنفي فكرة عيبة المهدي عليه السلام من أصلها. وهو خلاف ما هو المعروف في هذا التاريخ.

نعم، يبقى في الدهر سؤالان حول ذلك لا بد من عرصتهما ومحاولة الجواب عليهما:

### السؤال الأول:

أنه من أين ثبت أن الحجر الأسود لا يضعه في محله إلا الحجّة في الزمان، كما

---

(١) تاريخ الذية الصغرى، ص ٢٥٦

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ٢، ص ٧٥

(٣) الكامل، ج ٦، ص ٣٢٥

(٤) الخرائج والخراج، ص ٧٢

(٥) المصدر والصفحة ونظر منتخب الآثار، ص ٤٠٦

(٦) انظر قصة وضعه (ع) للحجر الأسود في الخرائج والخراج، ص ٢٩

والواقع أننا لم نجد رواية تتكفل هذا المدلول الواسع. ولكنا إذا استعرضنا التاريخ المعروف، لم نجد واضحاً للحجر إلا من الأسياء والأولياء فلإبراهيم عليه السلام هو الذي وضع الحجر حين بنى الكعبة ووضع أسس البيت العتيق. ورسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي وضع الحجر قبل نوبته حين بيت الكعبة في الجاهلية واحتلقت القبائل فيمن يضع الحجر والحادثة معروفة، ومروية في التاريخ<sup>(١)</sup>. وحين أحرب الحجاج بن يوسف الكعبة المقدسة في صراعه مع عبد الله بن الزبير. أعادوا سادها من جديد، وكان واضع الحجر هو الإمام زين العابدين<sup>(٢)</sup>.

وهذا الراوي في الرواية التي ناقشناها، يسب وجود مثل هذه القاعدة العامة، أعني أن الحجر الأسود لا يصعده إلا الحجة في الرمان ينسها إلى الكتب، وظاهره كونه مسلمة الصحة، فلعله كانت هناك أدلة أكثر وأوثق قد نادت خلال التاريخ والله العالم بحقائق الأمور.

#### السؤال الثاني -

لو ثبتت هذه الفكرة كقاعدة عامة، وصادف أن رآل الحجر الأسود من مكانه في بعض عصور العية الكبرى، فكيف ينسب للمهدي (ع) إرجاعه، وهو حجة الرمان، إلا بانكشاف أمره وارتفاع عينه وإطلاع الناس على شخصه. والجواب على ذلك أن أهم ما يمكن أن يكون سائراً لشأنه وصائناً لسره حين وضعه الحجر، هو عدم معروفة هذه الفكرة لدى الناس وعدم اشتهاها بينهم، بل وعدم قيام دليل واضح عليها، كما سمعنا. ولعله من أجل ذلك لم يصدر في الشريعة الإسلامية مثل هذا الدليل الواضح على ذلك. ولعلك لاحظت من خلال هذه الرواية التي ناقشناها أن الذي عرف هذه الفكرة هو واحد من الآلاف المحتشدة بما فيهم العلماء والكبراء ومن هنا استطاع أن يشخص في واضع الحجر

(١) انظر مثلاً: الكامل، ج ٢، ص ٢٩

(٢) انظر الخراج والخراج، ص ٢٩

كونه هو المهدي (ع).

ومعه، فانطلاقاً مع خط الأطروحة الثانية: أطروحة خفاء العوان، يمكن أن نفترض أن الإمام عليه السلام في عصر غيبته، يضع الحجر الأسود مع عمال الباء، ويكون آخر من يشته، ويبقى مجهول الحقيقة على طول الخط، بل قد يكون معروفاً بشخصيته الثانية باسم آخر كفرد عادي في المجتمع فيرى الرائي أن هذه الفكرة العامة قد انحرفت، في حين أنه ليس واضح الحجر إلا (المهدي) لو انكشف السر وظهرت الحقيقة.

الأمر السادس:

في الأهداف والمقاصد الخاصة، التي يقصدها الإمام (ع) خلال مقابلاته مما يمت بالبيع - بشكل رئيسي ومباشر - إلى شخص معين أو أشخاص قلائر سواء كان له - بشكل غير مباشر - نفع اجتماعي ملحوظ أو لم يكن - والأهداف المندرجة تحت هذا العوان متعددة وأمثلتها كثيرة، نكتفي لكل منها بمثال واحد.

الهدف الأول:

هداية الشخص وتقويمه، ووضعه في النتيجة إلى الشعب المسلم الذي يؤمن بالمهدي (ع) .. بعد إحرار بيته والعزم على إتباع المهدي إن ظهر لديه .  
مثاله: ذلك الشخص الذي ذهب لشراء السم من الاعراب في أطراف الخلة، فتخلف عن القافلة وتاه في الصحراء فكان مما قال في نفسه: أبي كنت أسمع من أمي أنها تقول: إن لنا إماماً حياً يكى بأبي صالح يرشد التائهين ويعيذ الملهوفين ويعين الضعفاء.

ثم أنه عاهد الله تعالى أنه إن استغاث به وأنجاه، أن يتبع دين أمه. قال الراوي: ثم أنني ناديته واستغثت به. وفعلاً رأيت شخصاً يسير معي وعلى رأسه حمامة حصراء لونها كلون هدا - وأشار إلى الخشيش المزروع على النهر - وأشار لي إلى الطريق. وقال لي: أنك ستصل سرعة إلى قرية كل أهلها من الشيعة. فقلت له: يا سيدي ألا تأتي معي إلى هذه القرية. فقال: لا، لأن ألف

شخص في أطراف البلاد يستعشون بي، ولا بد أن أنحيهم<sup>(١)</sup>

### الهدف الثاني -

انتصاره لأحد طرفي الجدل عند وقوع الجدل بين اثنين، واقتضاء المصلحة الانتصار لأحد الطرفين.

مثاله: أن صديقين مسلمين محتفين في المذهب، وقع بينهما جدل مذهبي طويل، في أحد المساحد همدان ولم يستطع أحدهما أن يقنع الآخر بمدعى ما اقترح أحدهما أن يجعلا بينهما أو رجلا يدخل المسجد حكماً وحاف الأخر من هذا الاقتراح، لأن أهل همدان كانوا على مذهب صاحبه، لكنه قبل بالشرط تحت ضغط المحادثة والمناجاة.

ومجرد أن قررا هذا الشرط، دخل المسجد شاب تظهر على سيماه آثار الحلالة والحجاة، وتظهر عليه معالم السر فتقدم إليه صاحب الاقتراح وأظهر له مذهبه، واستدل عليه بعدة أدلة وأقسم عليه بقسم مؤكد أن يظهر عقيدته بالسحر الذي عليه الواقع فعراً هذا الشاب يتبين من الشعر أظھر فيها عقيدته نحو لا يقل الشك، ثم عاب عن الأبطال وكانت هذه هي المعجزة التي تثبت حقيقته وصحة مذهبه أيضاً فاندحش الأخر من فصاحته وبلاغته، واعتنق المذهب الذي انتصر له المهدي (ع)<sup>(٢)</sup>.

### الهدف الثالث -

حله لبعض المسائل المعضلة التي قد يشكل حلها على فطاحل العلماء مثاله: أن المحقق الأردبيلي، وهو من أعظم العلماء حقيقاً وورعاً حتى لقب بمقدس الأردبيلي أيضاً أشكلت عليه مسائل، فخرج في جوف الليل مائراً من المسجد إلى مسجد الكوفة حيث لاقى المهدي (ع) في محراب أمير المؤمنين عليه السلام هناك، وسأله عن مسألة وعرف جوابها، وعاد<sup>(٣)</sup>

(١) انظر المجموع الثاني، ص ٣١٩

(٢) المصدر، ص ٣٣١

(٣) المصدر، ص ٣٣٤ ومعه الأمل، ج ٢، ص ٣١٩

## الهدف الرابع :

أحاربه بعض الأحرار السياسية المهمة في زمانها، قبل أن يعرفها الناس، نتيجة لصعف وسائل الاعلام في ذلك العصر

مثاله - أن المهدي (ع) دخل في مجلس درس السيد مهدي القروي في الحلقة، فلم يعرفوه، بالطبع، واستمع إلى درسه. وحين انتهى الدرس، سأله السيد المشار إليه - من أين جئت إلى الحلقة فقال من بلد السليمانية فقال السيد - مدكم خرجت منها. فقال في اليوم السابق ولم أخرج منها حتى دخل فيها بحيث باشا فاتحاً، وقد أخذها بقوة السيف وأزال عنها أحمد باشا الثاني الذي كان متمرداً وأجلس محله أخاه عبد الله باشا وكان أحمد باشا المذكور قد خرج على طاعة الدولة العثمانية، وادعى السلطة لنفسه.

قال السيد - وكان والدي في السليمانية، ففيت متفكراً ولم يكن قد وصل حشر هذا الفتاح إلى حكام الحلقة. ولم يحل في خاطري أن أسأله أنت كيف قلت - أي وصلت إلى الحلقة وخرجت بالأمس من السليمانية على حين أن بين السليمانية والحلقة، أكثر من عشرة أيام للراكب المحد

قال: ثم صلب تاريخ ذلك اليوم الذي أخبر فيه بفتح السليمانية، ثم وصلت أبناء هذه الشارة إلى الحلقة بعد عشرة أيام من ذلك اليوم وأتمها حكام الحلقة، وحيوا الخبر بصريات المدفع، كما كانوا يعملون عادة في أخبار الفتوحات<sup>(١)</sup>.

أقول: من هنا نعلم أهمية هذا الخبر لدى سلطات العثمانيين في الحلقة ومعرف المصلحة المهمة التي تترتب على إيصال المهدي (ع) لهذا الخبر خلال مدة كانت في ذلك العصر إعجازية.

## الهدف الخامس :

نصحه للأحرار ورفعهم لمعوياتهم، وتوجيههم التوجيه الصالح، بعد أن كانوا قد مروا في بعض الحالات الصعبة والمشكلات المحيرة بالسبب إليهم.

---

(١) الحجم الثاقب، من ٣٦٧ وما بعدها

مثاله. ما قاله بعض الرواة من مقابلته للمهدي (ع) في بعض طرقات الحلة - وقد عرف حقيقته بعد ذلك - ، فسلم عليه فرد عليه السلام، وقال له فيما قال. لا تعتم بما ورد عليك من الخسران وذهاب المال في هذا العام لأنك شخص يريد أن يمتحنك الله تعالى بالمال، فأراك تؤدي الحق، وما هو الواجب عليك من الحج. وأما المال هو عرض زائل باقي ويذهب.

قال الراوي: وكنت قد حشرت في هذا العام حسراً لم يطلع عليه أحد، وسترته خوفاً من شهرة الانكسار الموجهة لتلف التجارة. فاعتمدت في نفسي، وقلت. سبحانه الله، شاع خبر انكساري بين الناس حتى وصل إلى العرباء. ولكني قلت في حوائه. الحمد لله على كل حال

فقال. إن ما فاتك من المال سوف يعود عليك بسرعة بعد مدة، وتعود إلى حالك الأول، ومستؤدي ديونك. قال الراوي. هكت معكراً في كلامه<sup>(١)</sup> إلى آخر الحديث

#### الهدف السادس

##### مساعدته المالية للآخرين:

مثاله: أن جماعة من أهل البحرين عزموا على صيافة جماعة من المؤمنين، بشكل متسلسل في كل مرة عند واحد منهم. وساروا في الضيفة، حتى وصلت النوبة على أحدهم، ولم يكن لديه شيء. فركبه من ذلك حزن وعم شديد، فحرج من أحزانه إلى الصحراء في بعض الليالي. فرأى شخصاً حتى ما إذا وصل إليه قال له. اذهب إلى التاجر الفلاني - وسماه - ، وقل له: يقول لك محمد بن الحسن: ادفع لي الاثنا عشر اشرفياً التي كنت بذرتها لما. ثم أقصص المال منه وأصرفه في ضيافتك.

فذهب ذلك الرجل إلى ذلك التاجر، وبلغ الرسالة عن ذلك الشخص فقال له التاجر: أقال لك محمد بن الحسن، بنفسه. فقال السحراقي. نعم فقال التاجر. وهل عرفته؟ قال. لا. فقال. ذاك صاحب الزمان عليه السلام، وكنت

(١) المصدر نفسه، ص ٣٦٦ وما بعدها

نذرت هذا المال له. ثم أنه أكرم هذا البحراي وأعطاء المبلغ وطلب منه الدعاء<sup>(١)</sup>  
الغ الحديث.

#### الهدف السابع:

شعأؤه لأمرأص مرممة بعد أن عجز عنها الأطباء، وأخذت من صاحبها  
مأحدها العظيم.

مثاله ما روي<sup>(٢)</sup> عن السيد باقي بن عطوة العلوي الحسي: ان أباه عطوة  
كان لا يعترف بوجود الامام المهدي (ع)، ويقول: إذا جاء الامام وأرأني من هذا  
المرص أصلق قولكم. ويكرر هذا القول. فبينا نحن مجتمعون في وقت العشاء  
الأخيرة صاح أبونا فأتيناه سراعاً فقال. الحقوا الامام، في هذه الساعة خرج من  
عندي. فخرجنا فلم نر أحداً.

عجنا إليه، وقال. انه دخل إلي شخص، وقال: يا عطوة! فقلت: ليك،  
من أنت؟ قال: أنا المهدي قد جئت اليك أن أشفي مرصك. ثم مد يده الماركة  
وعصر وركي وراح. فصار مثل العرال قال علي بن عيسى سألت عن هذه  
القصة غير ابنه فأقر بها

فاظر إلى المهدي (ع) كيف يقرن شعأؤه للمرصى بإقامة الحجة على وجوده  
وإمامته، بحيث لم يبق لسكرها أي شك أو حذال.

#### الهدف الثامن:

هدايته للتائهين في الصحراء والمنحلمين عن الركب إلى مكان استقرارهم  
وأمهم. وقد يقرن ذلك بإقامة الحجة على الرائي للتوصل الى هدايته، كما سمعنا  
في الهدف الأول. وأمثله كثيرة، يذكر الآن واحداً منها

وهو أن شخصاً ذهب إلى الحج مع جماعة قليلة عن طريق الاحساء وعند  
الرجوع كان يقصي بعض الطريق راكاً وبعضه ماشياً فاتفق في بعض المارل أن

(١) المصدر، ص ٣٠٦ وما بعدها

(٢) انظر بابيع المودة، ط الحج، ص ٥٤٨ وكشف الغم، ج ٣، ص ٢٨٧. وكتاب مهدي، ص ١٤٥.  
ومنتهى الآمال ج ٢، ص ٣٦٠



طال سيره ولم يجد مركوباً. فلما نزلوا للراحة والنوم، مام ذلك الرجل وطال به المام من شدة التعب، حتى ارتحلت القافلة بدون أن تمحص عنه.

فلما لذعته حرارة الشمس استيقظ، فلم ير أحداً، فسار راجلاً، وكان على يقين من الهلاك، فاستعاث بالامام المهدي عليه السلام، فرأى في ذلك الحال رجلاً على هيئة أهل البادية راكباً جلاً. وقال له: يا فلان، افرقت عن القافلة؟ فقال: نعم. فقال: هل تحب أن أوصلك برفاقتك؟ قال فقلت: نعم، والله. هذا مطلوبني وليس هناك شيء سواه. فاقترب مني وأناح راحلته، وجعلني رديفاً له، وسار فلم نسر إلا قليلاً حتى وصلنا إلى القافلة.

فلما اقررنا منها، قال هؤلاء رفاقك ووضعني، وذهب<sup>(١)</sup>.

#### الهدف التاسع:

تعليمه الادعية والادكار ذات المضامين العالية الصحيحة، لعدد من الناس وأمثلة ذلك كثيرة، مما يهمهم من اهتمام الامام عليه السلام بالادعية، لا بصفتها ثمنات لا تسمن ولا تغني من جوع، بل بصفتها بصوصاً ذات معان توجيهية تربوية، ومسائل صالحة واعية، سائرة في طريق الله تعالى ومن المعلوم أن أسلوب الدعاء أقرب إلى جوارحتكم والجلر، من أي شيء آخر، باعتبارها الوسيلة المعترف بمشروعيتها عموماً، في الاتصال بالله عز وجل، ولا يمكن لأي سلطة من السلطات المحاسنة على ذلك. ومن هنا رأينا الامام زين العابدين عليه السلام قد اتخذ في تربية الأمة أسلوب الدعاء، وصنن أدعيته أعين المفاهيم وأجل الأساليب.

وكذلك سار الامام المهدي (ع) في هذا الطريق، وانتهج نفس المسح فيما انتهجه من أعمال. فكان أن علم عدداً من الأفراد عدداً من الادعية من أهمها «دعاء القرح» الذي يطلع الفرد على واقع السوء في عصور العن والاضحاف، ويهمهم أمه المشود ويربطه بالله تعالى ارتباطاً عاطفياً إيمانياً وثيقاً، إذ يقول: اللهم عظم البلاء وبرز الخفاء واقطع الرجاء وانكشف العطاء وصاقت الأرض ومعت

(١) انظر الجمل الثاقب، ص ٢٤١

السما. واليك يا رب المشتكى وعليك المعول في الشدة والرحاء اللهم فصل على  
 محمد وآل محمد، وأولي الأمر الدين فرصت عليا طاعتهم فعرفنا بذلك منزلتهم.  
 ففرح عما بحقهم مرحاً عاجلاً قريباً كلمح البصر، أو هو أقرب الح  
 الدعاء<sup>(١)</sup>

#### الهدف العاشر:

حثة على تلاوه الأدعية الواردة عن آئاته المعصومين عليهم السلام، بما فيها من  
 مصامين عالية وحقائق واعية تربوية وفكرية

وأوضح أمثلته ذلك الرجل الذي انقطع عن ركه في ليل عاصف وماطر  
 بالثلج، إذ رأى أمامه ستاناً وفيه فلاح بيده «مخاة» يصرب بها الأشجار ليقتطع  
 عنها الثلج

قال الراوي: «مخاء نحوي ووقف قريباً مني، وقال من أنت؟ فقلت: ذهب  
 رفاقي وقيت لا أعلم الطريق، وقد انتهت فيه فقال لي بالعارسية صل بالافلة  
 حتى تجد الطريق. قال فاشتعلت بالافلة وبعد أن فرغت من انتهج، جاء  
 وقال ألم تذهب؟ فقلت والله لا أعرف الطريق فقال اقرأ الجامعة<sup>(٢)</sup> وأنام  
 أكن حافظاً للجامعة، وإلى الآن لست حافظاً لها بالرغم من زيادتي لكررة  
 لنعينات المشرفة. ولكني قمت من مكاني وقرأت الجامعة بتمامها عن ظهر قلب

ثم ظهر نارة أخرى، وقال ألم تذهب، ألا رلت موجوداً فلم أتحدث عن  
 البكاء، وقلت نعم. لا أعرف الطريق فقال: اقرأ عاشورا<sup>(٣)</sup> قال الراوي.  
 وأنا غير حافظ لعاشورا، وإلى الآن لست حافظاً لها ولكني وقمت واشتعلت  
 بالزيارة، فقرأتها بتمامها عن حفظ.

قال فمخاء مرة أخرى، وقال ألم تذهب؟ فقلت كلا لا رلت موجوداً

(١) المصدر السابق، ص ٢٦٣

(٢) وهو الدعاء الذي يبدأ بقوله السلام عليكم يا أهل بيت النبوة يراؤه الإمام الحسين بن علي عليه السلام  
 انظر معاني الجنادة، ص ٥٤٤ وما بعدها

(٣) وهو الدعاء الذي يبدأ بقوله السلام عليك يا أما عبد الله يراؤه الإمام حسن بن علي عليه السلام انظر  
 معاني الجنان، ص ٤٥٦

ها إلى الصباح فقال - أنا الآن أواصلك بالقاءلة ثم ذهب وركب حملاً وحمل مسحاته على كتفه وجاء فأردفي به قال الراوي فوضع يده على ركتي وقال أنتم لماذا لا تصلون الباقية؟ الباقية، الباقية، الباقية . كررها ثلاث مرات ثم قال أنتم لماذا لا تقرأون عاشورا؟ عاشورا، عاشورا، عاشورا . كررها ثلاث مرات ثم قال: أنتم لماذا لا تقرأون الجامعة؟ الجامعة، الجامعة، الجامعة، ثلاث مرات . وكان يدور في مسلكه . وإذا به بلغت إلى الزواء ويقول أولئك أصحابك . إلى آخر الخبر<sup>(١)</sup>

أقول: المراد من الباقية، صلاة الليل، كما فهم الحاج البوري<sup>(٢)</sup> فان الراوي أن بها في الليل . وهذه الصلاة من أفضل المستحبات في الشريعة . وكل ما أمر به في هذه الرواية فهو من أفضل المستحبات . . عني أن يفهم فيها حقيقياً وعباً، بصمته كجر، من كل، مرتبط بالكبان العام للعمل الاسلامي في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمه . ولهذا أمر المهدي (ع) بالالتزام بها أمراً مؤكداً، بعد أن رأى الناس قد تساهوا بها وتهاونوا في امتثالها

وقوله له بعد كل عمل يقوم به الراوي . ألم تذهب؟ إنما هو لاحتمال أن يكون الراوي الثاني في حلال العمل يكون قد حطرت له فكرة للحلاص، وخاصة بعد أن يكون قد توجه إلى الله تعالى ونوسل إليه . ولما رأى المهدي (ع) أن طرق السحاة مسبوذة أمام هذا الرجل، وأنه لا يفكر في إصابة الطريق . . أوصله بنفسه إلى قافلته . واستطاع المهدي (ع) أن يشت حقيقته بعدة معجزات ومعجزة غير ملفنة للنظر، ذكرنا بعضها وأحلما الباقي على المصدر الذي اعتمدها

فهذه عشرة أهداف، مما يتوجه الامام المهدي (ع) في عمله من مقابلة الأفراد . . مما قد يكون له - في المدى البعيد - أعمق الأثر على صعيد اجتماعي عام وعند من الأفراد كبير . وللمهدي (ع) أهداف أخرى، تظهر لمن يراجع أحوار المشاهدة، يعرض عنها أسعير، توجهاً للاختصار.

(١) انظر النجم الثاقب، ص ٣٤٣ . ومفاتيح الجنان، ص ٥٥١

(٢) انظر النجم الثاقب، ص ٣٤٤

وباستعراض هذه الأهداف، نفهم بوضوح، مطابقتها لما يسغي أن يكون هدفه طبقاً للقواعد العامة حيث ذكرنا أن مقتضاها هو عمله في تطبيق حملة من التعاليم الإسلامية عما يمكنه تطبيقه في أثناء العبة، وكل هذه الأهداف التي استعرضناها لا شك كونها تطبيقات أمية للتكاليف التي يمكنه تطبيقها في هذه الفترة. وقد عرفنا أقسامها في بحث سابق.

### الأمر السابع

في أنه هل هناك أشخاص يرون الإمام المهدي (ع) ويعرفونه على حقيقته، على مر الزمان، أو ما داموا في الحياة، أو ليس هناك أحد من هذا القبيل

ويمكن أن نتحدث عن ذلك على ثلاثة مستويات:

### المستوى الأول

فيما هو مقتضى القواعد العامة من ذلك

وفي هذا الصدد، يكون بالإمكان أن يقال: أنه بعد أن علمنا أن أحد الأسباب الرئيسية لاحتجاب المهدي (ع) هو الخوف على نفسه من القتل، بمعنى ضرورة بقائه إلى اليوم الموعود، فلو كان مكشوفاً معروفاً، لقتله الأعداء، كما قتلوا آباءه عليهم السلام، ولتعدر تعيد اليوم الموعود بصر القرآن الكريم، وقد دلت على ذلك بعض الروايات.

فمن ذلك ما رواه الصدوق في إكمال الدين<sup>(١)</sup> بسنده إلى زرارة عن أبيه قل سمعت الصادق جعفر بن محمد عليها السلام يقول: إن للقائم عبة قل أن يقوم قلت ولم ذلك جعلت هناك؟ قال: يحذف وأشار بيده إلى بطنه وعنقه.

وما رواه أيضاً بسنده إلى محمد بن مسلم الثقفي والطحان قال دخلت على أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وأنا أريد أن أسأله عن القائم من آل محمد صلوات الله عليه وآله فقال لي متدناً. يا محمد بن مسلم أن في القائم من آل محمد شهاً من حمسة من الرسل. إلى أن قال: وأما شبهه من موسى فدوام

---

(١) انظر إكمال الدين للخطوط

خوفه وطول غيبته الخ الحديث<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ الطوسي قدس سره: مما يقطع على أنه سب لعبة الامام هو خوفه على نفسه من القتل باخافة الطالمين إياه، ومعهم إياه من التصرف فيما جعل إليه التدبير والتصرف فيه<sup>(٢)</sup>.

إذا عرفنا ذلك، أمكن القول أن العبة والاحتجاب تدور مدار الخوف، على الدوام فمتى كان الخوف موجوداً كانت العبة سارية المفعول، ومتى ارتفع الخوف، لم يكن ثمة موجب للعبة.

وارتفاع الخوف أما أن يكون ارتفاعاً كاملاً مطلقاً، عند توفر العدة والعدد للمهدي عليه السلام، فيوجب ارتفاع العبة والظهور الكامل حين يملأ الأرض قسطاً وعدلاً. وأما أن يكون ارتفاعه بالنسبة إلى شخص أو إلى جماعة فيوجب ارتفاع العبة عنهم خاصة، ومن هنا يمكن للواحد منهم أن يرى المهدي (ع) ويعرفه بحقيقته على طول الخط.

وهذا ما يحدث للخاصة من الموثوقين الكاملين الباجحين في التمهيص الالهي بالمعنى الذي سسمعه في مستقبل هذا التاريخ حيث لا يكون هناك احتمال القتل أو الوشاية أو التصريح أو التلميح على كل حال.

وقد يكون ارتفاع الخوف، محصراً في ساعة من الزمن، وترتفع العبة خلال هذه الساعة، وهذا ما يحدث في المقالات التي سمعناها. ولكن قد يكون ارتفاع الغيبة مشروطاً بعدم اطلاع الرائي على الحقيقة إلا بعد الفراق، كما رأينا في أغلب المقالات.

ومعه فمن الممكن القول أن أي فرد يبلغ مرتبة الكمال المطلوب في التمهيص الالهي، فإنه يرى المهدي (ع) ويعرفه بحقيقته، كما يرى أي شخص آخر. وإن كان هذا مما لا يمكن الاطلاع عليه من قبل الآخرين، لمدى التزام هؤلاء الناس بالكتم المطلق والسرية التامة.

(١) المصدر نفسه

(٢) الغيبة: للشيخ الطوسي، ص ٦١

ويمكن الاستدلال في هذا الصدد، بما دل من الروايات بأن المهدي (ع) في تقية حتى يأتى الله تعالى له بالظهور التام كالذي أخرجه الشيخ<sup>(١)</sup> بسنده عن علي بن إبراهيم بن مهزيار في مقابلته للمهدي (ع) أنه قال له فيما قال والله مولاكم أظهر التقية فوكلها بي، فأنا في التقية إلى يوم يؤذن لي، فأخرج، الخبر

فإن التقية معها اتفاق الضرر، وهذا إما يكون فيما إذا كان هناك خوف الضرر أو احتمال، وأما في الأشخاص الموثقين الكاملين، فلا يوجد هذا الاحتمال، فيرتفع سبب التقية ويكون الاحتجاب بلا موجب

كما يمكن الاستدلال في هذا الصدد بما دل على أن المهدي (ع) بعيد حلال غيبته عن دار الظالمين ومحاوره المنحرفين، كالذي ورد في نفس خبر علي بن إبراهيم ابن مهزيار السابق من قول الامام المهدي (ع). يا ابن الماريار، أبي أبو محمد عهد إلي أن لا أجاور قوماً عصب الله عليهم ولعنهم ولهم الخزي في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب أليم. الخبر.

حيث عرفنا فيما سبق أن محاوره المنحرفين بالشخصية الثانية لا محدود فيها ولا خطر منها، وإنما تكون المجاورة معهم خطراً، فيما إذا كانوا عارفين بحقيقة المهدي (ع) مطلقين على صفته الواقعية، لأهم حيث لا محالة يقتلونه على أي حال إذن، فمن لا يوجد في حقه هذا الاحتمال، لا موجب لتعديده وترك مجاورته مع المعرفة بالحقيقة، فإنه إذا ارتفع السبب ارتفع موحه لا محالة وذلك لا يكون إلا في الخاصة الكاملين في الوثاقة والایمان

وهناك أشكال أخرى من الروايات، يمكن الاستدلال بها في هذا الصدد، نعرض عنها توجيهاً للاختصار.

وإذا تم لدينا أن مقتضى القاعدة هو عدم احتجاب المهدي (ع) عن خاصته، أمكن لنا أن نفهم المستويين الآتيين على هذا الصوء.

#### المستوى الثاني:

ما دل من أخبار المشاهدة خلال العيبة الكبرى، على وجود مرافق أو عدد من

(١) العيبة، ص ١٦١

المرافقين مع المهدي عليه السلام، كالقصة الثامنة والثلاثين<sup>(١)</sup> والقصة الثالثة والثمانين<sup>(٢)</sup>، مما ذكره الخاج التوري في نجمه الثاقب، ورواية اسماعيل بن الحسن الهرقلي<sup>(٣)</sup> التي دلت على أنه رأى ثلاثة فرسان كان أحدهم المهدي عليه السلام بدلالة أقامها له، وفيها دلالة على أن الفارسيين الآخرين كانوا يعرفون حقيقة بكل وضوح.

ومن ذلك ما دل على أن بعض الخاصة الموثوقين، كانوا يرون المهدي (ع) ويعرفونه أيضاً صادقه، كالسيد مهدي بحر العلوم، كما يظهر من الحكاية الثالثة والسعين<sup>(٤)</sup> من الحجم الثاقب، والقصتين اللتين يليها.

ومن ذلك ما دل على أن المهدي (ع) يستصحب معه خاصته في أسفاره ويشركهم في أعماله كالخير الذي أرويه عن سيدنا الأستاذ آية الله السيد محمد باقر الصدر عن أستاذه وأستاذنا آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، وهما من أعظم علماء العصر ومحققهم أدام الله ظلهم عن أحد المؤمنين بسميه السيد الخوئي ويوثقه ويصفه بأنه من الإيمان والورع على حد عظيم وهو صاحب القصة، وحيث أنها غير موحودة في المصادر فيحسن في هذا الصدد إعطاء نبذة كافية عنها.

كان هذا الرجل في أحد الأيام عصراً في مسجد الكوفة، وبينا هو يمشي محادياً لعره المنتشرة في حائط سوره، رأى في أيوان كاش امام احد العرف فراشا مفروشا وقد استلقى عليه شخص مهيب جليل، وجلس يرائه رجل آخر قال: فتعجبت من وجودهما وسالت الرجل الخالس عن هذا المستلقي فأجاب سيد العالم. قال: فاستهوت بحوانه وحسنت انه يريد كونه ميذا عالما، لأن العامة هناك ينطقون العالم بفتح الالم.

ثم ان هذا الرجل مصى للوصوه والاشتغال بصلاة المغرب والعشاء والتهجد في محراب امير المؤمنين عليه السلام، حتى اجهده التعب والعس، فاستلقى

(١) ص ٣٠٥

(٢) ص ٣٥٤

(٣) انظر كشف الغمة، ص ٢٨٣ وما بعدها وينابيع المودة، ط الحف، ص ٤٩٠ وكتاب المهدي، ص ١٤٣

(٤) ص ٣٤٨

وامام . وحينما استيقظ وجد المسجد مضيئا يقول : حتى اني استطعت ان اقرأ الكتابة القرآنية المنقوشة في الطرف الآخر من المسجد . فظننت ان الفجر قد بزغ ، بل مضى بعد الفجر زمان غير قليل ، واني تأخرت في النوم زائدا عن المعتاد .

فخرجت الى الوضوء فوجدت في الدكة التي في وسط المسجد جماعة مقامة للصلاة ، يؤمها «سيد العالم» ويأتهم به اناس كثيرون بأزياء مختلفة وجسيات متعددة ، بما فيهم ذاك الرجل الذي رأيته جالسا الى جنبه في عصر اليوم الماضي . فعجبت من وجود هؤلاء في المسجد على خلاف العادة

ثم اني أسبغت الوضوء والتحقت بالجماعة ، وصليت الصبح معهم ركعتين ، وحين انتهت الصلاة ، قام ذلك الرجل المثار اليه وتقدم الى امام الجماعة . سيد العالم ، وسأله عني قائلا . هل تأخذ هذا الرجل معنا ؟ فأجاب سيد العالم : كلا ، فان عليه تمحيص لا بد ان يمر بها .

وفجأة ، احتسى هذا الجمع ، وساد المسجد ظلام الليل ، وادا بالفجر لم يزرغ بعد ، بل بقي اليه زمان ليس بالقليل .

وهذه القصة تدلنا على امور عديدة ، يهمننا فعلا منها ان هؤلاء الخاصة الذين جمعهم المهدي (ع) من مختلف اسحاء المعمورة ، استطاع أن يشركهم في أعماله وأسماؤه ، بعد أن نجح كل فرد منهم في التمحيص الالهي نجاحا كاملا . وأما صاحبنا راوي القصة ، فهو بالرغم من سمو كعبه في التقوى ، فانه لم يبلغ تلك المنزلة الرفيعة ، التي بلغها هؤلاء ، ومن ثم رخص المهدي (ع) إشراكه في أعماله ، بل لعل الرجل لم يعرف حقيقة الأمر إلا بعد انتهائه

وهذا مطابق لما قلناه على المستوى الاول ، من ان الموثوق الكامل ، لا يكون المهدي (ع) محتجبا عنه ، ولا عائنا بالسعة اليه ، وان كان لا يمكن أن نلتم بذلك الملاما .

### المستوى الثالث :

ما دل من الروايات على ان مع المهدي (ص) حال عيبه فردا أو أكثر ، ممن يقوم بخدمته ويؤدي بعض مهماته ، ويتدرج في ذلك عدة روايات سبق أن سمعنا بعضها . منها رواية المفصل من عمر السابقة عن أبي عبد الله (ع) حيث يقول



عن المهدي (ع) فيما يقول : لا يطلع على موضعه احد من ولد ولا غيره الا المولى الذي يلي أمره<sup>(١)</sup>.

وهذا واضح جدا في وجود خادم له يرعى شؤونه الخاصة ، ويعرفه على حقيقته . ويمكننا ان نفهم ، انطلاقا من طروحة حماء العوان ، ان المهدي (ع) يعيش بشخصيته الثانية في المجتمع ، وبشخصيته الحقيقية مع حادته . فقله : لا يطلع على موضعه يراد به موضعه بصفته الحقيقية . ولا بد ان نفترض حتما ان هذا الخادم من الموثوقين الكاملين ، الذين لا يمكن ان يصرحوا بذات نفوسهم مهما كلفهم الامر.

ومنها : رواية أبي بصير السابقة عن أبي جعفر (ع) قال : لا بد لصاحب هذا الامر من عزلة ولا بد من عزلته في قوة ، وما بثلاثين من وحشة ، ونعم المنزل طيبة<sup>(٢)</sup>

فان ظاهرها كون هؤلاء الثلاثين من الخاصة المطلعين على حقيقته وان كانت مخالفة لاطروحة حماء العوان ، من حيث دلالتها على عزلة المهدي (ع) عن المجتمع ، بحيث لولا هؤلاء الثلاثين لكان يسمى أن يستوحش من الانفراد . على حين تقول هذه الاطروحة أن المهدي (ع) يعيش في المجتمع كفرد عادي غير منزول ، ولا موجب للوحشة سواء عرفه المعص أو جهلوه . وليس هذا مهما ، بعد ان استدللنا على هذه الاطروحة بما فيه الكفاية بحيث لا يقوم ضدها مثل هذا الخبر .



هذا هو الكلام في الجهة الثانية من الفصل الرابع . وهي في الحديث عن الاخبار الخاصة الدالة على مشاهدة المهدي (ع) في عينه الكبرى . وهذا ينتهي هذا الفصل الرابع ، من هذا القسم من التاريخ .

---

(١) الفقيه للشيخ الطوسي ، ص ١٠٢

(٢) نفس المصدر والمصنف



## الفصل الخامس

في مراسلة المهدي (ع) للشيخ محمد بن محمد بن النعمان  
المفيد البغدادي قدس سره

فقد تفرد الطبرسي في الاحتجاج بذكر كتابين أرسلهما الامام المهدي (ع) الى  
الشيخ المفيد، يتضمنان بعض المطالب الصحيحة الواعية ، وبعض التنبؤات  
الرمزية على ما سنذكر.

ويسمي أن نتحدث عن هاتين الرسالتين ضمن عدة نواح :

### الناحية الأولى :

فيما ينبغي أن نعامل به هاتين الرسالتين ، بحسب القواعد العامة ، من  
حيث سدهما نارة ومن حيث مداليلهما أخرى . ومن هنا يقع الكلام في  
أمرين

### الامر الأول :

في سند هاتين الرسالتين .

والملاحظ في هذا الصدد أن الطبرسي ذكرهما بدون سند ، ولم نجدهما في  
المصادر المتأخرة عنه فضلاً عن المتقدمة عليه . فهما روايتان مرسلتان وغير قابلتين  
للائبات التاريخي من هذه الناحية .

الا أن الذي يرحح الاحد بهما عدة أسباب :

### السبب الأول :

ارسال الطبرسي لهما ارسال المسلمين ، مما يدل انه كان معتقداً بصحة  
سدهما ، وربما يكون قد جدده لمدى شهرته ووضوحه ، كما فعل في كثير من  
روايات كتابه ، وان كانت مصادر هذه الاسناد قد نلعت في العصور المتأخرة عنه .

وهذا السبب يعطي ظنا كافيا بصحة السد ، وإن كان لا يبلغ حد الاثبات التاريخي .

### السبب الثاني :

تضمن الروايتين ، على ما منسجم لتوجيهات عالية وتسؤات صادقة . بحيث لو كنا علمنا بها قبل وقوع الحوادث المذكورة فيها ، لجزمنا بعدم امكان صدورهما الا عن المهدي (ع) .

### السبب الثالث :

ان المصلحة العامة تقتضي صدور هذه الرسائل ، في اول زمان الغيبة الكبرى ، وذلك لاجراز مصلحتين :

### المصلحة الاولى :

اعطاء المهدي (ع) لقواعده الشعبية القواعد العامة والمفاهيم الاساسية التي ينبغي أن يعرفها الناس وتكون سارية المفعول خلال عصر الغيبة الكبرى . بحيث لو لاها لكان من المحتمل ان يساء التصرف في الدين ، ويتعلق باب الوصول الى الاهداف المطلوبة في الاسلام .

ومن الطبيعي أن يكون ابلاغ هذه القواعد والمفاهيم ، موقوتا في اول الغيبة الكبرى ، لثلا يمر زمان كبير والناس عافنون عن مثل هذه التوجيهات .

### المصلحة الثانية :

اعطاء المهدي (ع) القيادة الرئيسية من الناحية الاسلامية بيد العلماء الصالحين ، بعد أن انسحب هو منها من الناحية العملية ، وانتهى السفراء الخاصون أيضا فكان أهم العلماء الصالحين في ذلك العصر ، هو الشيخ المفيد ، ومن هنا رجع الرسالة اليه ، ليكون هو - بصفته عالما صالحا - المطلق الاول لانتشار التعاليم العليا والتوجيهات الرئيسية

وهذا خط كان قد بداه الامام العسكري (ع) حين أرسل لابن بابويه رسالة

يعبر عنه بقوله : يا شيخني يا أبا الحسن . كما سبق ان سمعنا في تاريخ الغيبة الصغرى<sup>(١)</sup>.

وحيث نعلم ان الاسلوب الطبيعي لايجاد هاتين المصلحتين، محصور بطريق المراسلة، كما كان عليه الحال خلال الغيبة الصغرى، يكون الظن عندئذ بصدر هاتين الرسالتين كبيراً، وخاصة بعد ضم السنين الاولين، الى ذلك ومعه فأكبر الظن أن هاتين الروايتين يصلحان للإثبات التاريخي، بالرغم من الإرسال الذي يتصفان به.

الامر الثاني : في مداليل هاتين الرسالتين :

يتقسم مدلولهما - بشكل رئيسي - الى قسمين -

القسم الاول :

التوجيهات العامة التي يذكرها الامام لقواعده الشعبية ، وكلها صحيحة ومتينة، ما عدا أمور قليلة لا تخلو من المناقشة ، على ما سوف نشير. ولا يصحنا ذلك حتى لو أنكرنا صحة هذه الامور، فان انكار البعض لا يقتضي انكار الكل ، كما سبق ان أكدنا عليه .

القسم الثاني :

التنبؤات بوقوع حوادث قريبة او بعيدة بالنسبة الى زمن صدور الرسالة . ويغلب على عبارات هذه التنبؤات ، شكل الرمزية والغموض والكلية في المدلول ، بحيث يصعب تشخيصها عليا ، ونحن جدا البعد التاريخي الكبير ، وقد يتعذر ذلك أحيانا . فما نستطيع أن نجده في التاريخ العام ، فهو المطلوب ، وما لم نجده فالواقع الذي نحسه هو ان من قرأه في ذلك الزمن فهمه حق فهمه ، وخاصة وهو يعيش الحوادث ، التي أشار اليها المهدي في كتابه .

والرسالتان ، كما عرفنا ، غير خاصة بالشيخ المفيد ، وان كان هو المرسل اليه ، وانما هي عامة لكل الخواص من المؤمنين بالمهدي (ع). ومعه لا تكون

---

(١) انظر ص ١٩٦ منه

الحوادث المذكورة في الخطاب خاصة بالسنين التي عاشها الشيخ المعيد ، بل لعل عددا من الحوادث كانت سوف تحصل بعد وفاته ، وبذلك يفتح لنا مجال واسع للتعين التاريخي للحوادث .

الناحية الثانية .

في بيان تاريخ صدور هذين الخطابين من حيث الزمان والمكان ، ونحو ذلك .

أما الرسالة الاولى فقد وصلت في اواخر شهر صفر عام ٤١٠ ، أي قبل ثلاثة اعوام تقريبا من وفاة المرسل اليه الشيخ المعيد الذي توفي عام ٤١٣<sup>(١)</sup> .

والرسالة الاخرى مؤرخة في عام ٤١٢ أي قبل وفاته بعام واحد . ويكون قد مر ما يزيد على الثمانين عاما بقليل على وفاة الشيخ علي بن محمد السمرى ، السفير الرابع أي على انتهاء العيبة الصغرى وبداية العيبة الكبرى عام ٣٢٩<sup>(٢)</sup> .

وذكر موصل الكتاب الاول : انه بحمله من ناحية متصلة بالحجار<sup>(٣)</sup> . فعرف من ذلك ان المهدي (ع) كان في ذلك الحين في بواحي الحجار ، وقد ارسل هذه الرسالة من هناك بيد بعض خاصته .

والرسالة الثانية مؤرخة في عرة شوال<sup>(٤)</sup> من العام المشار اليه . وقد وصلت يوم الخميس الثالث والعشرين من ذي الحجة في نفس العام<sup>(٥)</sup> أي انها بقيت في الطريق ، الى المرسل اليه ثلاثة اشهر الا سبعة ايام .

وكلا الخطابين مكتوبان باملأه المهدي (ع) وحط غيره من بعض ثقافته ، كما يظهر من الرسالة الاولى ، وتنص عليه الرسالة الثانية . ولكلها معامديلان بأسطر قليلة بحط الامام نفسه ، يشهد فيها بصحة هذا الكتاب ، ويأمر الشيخ المعيد باحشاء الرسالة اخفاء تاما عن كل احد . ولكن عليه ان يكتب عنها نسخة ليطلع

(١) الكامل ، ج ٧ ، ص ٣١٣

(٢) انظر تاريخ العيبة الصغرى ، ص ٤١٣

(٣) الاحتجاج ، ج ٢ ، ص ٣١٨

(٤) المصدر ، ص ٣٢٥

(٥) المصدر ، ص ٣٢٤

عليها المؤثوقين من اصحابه أو يلعه لهم شعاعها ليعملوا بما فيه

### الناحية الثالثة :

في سان مدة عن الظروف التاريخية التي صدر في عصوها هذان الخطبان بحسب ما دللنا عليه التاريخ الاسلامي العام . فان ذلك مما سحتاحه لدى الخوص في تفسير ما ذكره الخطاب من التنبؤات .

ويمكن تلخيص الكلام في هذه الظروف التاريخية في عدة نقاط .

### النقطة الأولى .

كانت البلاد الاسلامية في ذلك الحين تعاني التفتك والتفصح المؤسف ، في اواخر عهد البويهيين في بلاد فارس ، ورجوع امرهم الى القتال بين امرائهم وقوادهم ، ويسهم ويبي الاثراك الحاكمين لخراسان وما وراء النهر ، بعد الدولة السامانية .

وكان أمر الأندلس قد آل الى التفرق والاحلال عام ٤٠٧هـ<sup>(١)</sup> . واما مصر فقد استقل بها العلويون «العاطميون» اولاد المهدي الافرقي . وكان ان توفي الحاكم بأمر الله عام ٤١١هـ وولي بعده ابنه الطاهر<sup>(٢)</sup> . وتكاد مصر ان تكون اكثر البلاد استقرارا بأيديهم .

واما الشمال الافرقي ، فقد آل الى التفرق وتبايد الامراء بعد ان غادره المعز لدين الله الى مصر عام ٣٤١هـ<sup>(٣)</sup> حيث أسس الدولة العاطمية فيها . وكان في الشمال الافرقي حرب عام ٤٠٦هـ ، تكشفت عن هور أميرها باديس ، وتخلفه بعد موته في نفس العام ابنه المعز<sup>(٤)</sup> حتى مات عام ٤١٣هـ<sup>(٥)</sup>

وأما بغداد ، فلا زالت مد عام ٣٨١ بيد القادر بالله العباسي . وكان قد رأى

(١) الكامل، ج ٧، ص ٢٩٠

(٢) المصدر، ص ٣٠٤

(٣) الكامل، ج ٦، ص ٣٤١

(٤) المصدر، ج ٧، ص ٢٧٩

(٥) المصدر، ص ٣٩٣ .

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في المنام قبيل خلافته ، وهو يقول له : هذا الامر صائر اليك ، ويطول عمرك فيه ، فأحسن الى ولدي وشيعتي<sup>(١)</sup>.

وكانت بقاة العلويين هناك قد صارت الى الشريف المرتضى علم الهدى ، بعد وفاة بقيتها محمد بن الحسين الشريف الرضي عام ٤٠٦<sup>(٢)</sup>

حتى مكة لم تنج من الاغتثاث ، ففي عام ٤١٤ في الفر الاول يوم الجمعة ، قام رجل من مصر باحدى يديه سيف مسلول وفي الاخرى دبوس وضرب الحجر الأسود ثلاث ضربات بالدبوس وقال الى متى يبعد الحجر الأسود ومحمد وعلي ، فليمتعي ماع من هذا ، فاني اريد ان اهدم البيت فخاف اكثر الحاضرين وتراجعوا عنه ، وكاد يملت فثار به رجل فصره بحجر فقتله وقطعه الناس واحرقوه وقتل من اتهم بمصاحته جماعة واحرقوا<sup>(٣)</sup>.

ولم تنج بعدد من احتلاط الامور ، عام ٤١٦ بيد السراق والعيارين<sup>(٤)</sup> وعام ٤١٧ بيد الاثراك حتى احرقوا المنازل والدروب<sup>(٥)</sup>

#### النتطة الثانية :

كان اثر هذه الفتن ساريا الى الخلع نفسه ، فقد كان يعدي الحجاج صعوبات جمة ، الى حد قد يقطع الخلع بالكلية ، كما حدث عام ٤٠١<sup>(٦)</sup> وعامي ٤١٠ و ٤١١<sup>(٧)</sup> وعام ٤١٦<sup>(٨)</sup> وعام ٤١٧<sup>(٩)</sup> وعام ٤١٨<sup>(١٠)</sup> على التوالي .

---

(١) المصدر ص ١٤٩

(٢) المصدر ص ٢٨١

(٣) الكامل، ج ٧، ص ٣١٤

(٤) المصدر ص ٤٢٣

(٥) المصدر ص ٣٢٥

(٦) المصدر ص ٢٥٦

(٧) المصدر ص ٣١٠

(٨) المصدر ص ٣٢٤

(٩) المصدر ص ٣٢٧

(١٠) المصدر ص ٣٣٠



وكانت هناك سعيات حثيئة عام ٤١٢ هـ لاجل سلامة الحجاج<sup>(١)</sup> من قبل صاحب حراسان محمد بن ميسكين الملقب بمين الدولة

### النقطة الثالثة -

انه كانت تقع حوادث مؤسفة بين أهل الاسلام من المذاهب المختلفة . والسبب الرئيسي في ذلك . هو ان الحكم كان محسوبا على الشيعة مد تأسيس الدولة البويهية في فارس والعراق والدولة الحمدانية في حلب . وكان البويهيون هم المسيطرون على استخلاف الخليفة واستيرار الوزير . وكانوا يعطون لاهل مذهبهم الحرية الكاملة في اقامة شعائرههم والقيام باعيادهم ومآتمهم . وكان هذا يحدث أثرا سيئا لدى ذوي المذاهب الاسلامية الاخرى ، ولم يكن لديهم حكم مباشر ليتوقعوا من الحاكمين ان يحولوا دون هذه المظاهر .

فكان الشعب نفسه هو الذي يحاول أن يحول دون ذلك ، وخاصة حين يجد من الشيعة ايداعا طائفيا مؤسفا ، اعتاما لفرصة الحرية المعطاة لهم . فكانت ايام المداينات العامة تشهد حربا عامة بين اهل الاسلام . ولعمري لو كان كل فريق منهم يشعر بمسؤوليته الاسلامية واحوته الدينية ، لما عمل ما عمل ، ولما صدر منه ما صدر ، ولله في خلقه شؤون .

ولم يكن اهل المذاهب الاخرى ، ليجدوا الفرصة المواتية ، حال قوة الدولة البويهية وحروبها . وانما انصح هم المجال بشكل واضح في الفترة التي نؤرخ لها ، باعتبار ما آل اليه امر البويهيين من التفرق والانحلال

ولسا يريد أن يطيل في وصف الحوادث . وحسبنا ان نعرف ، انه قد حدث في بغداد في يوم عاشوراء عام ٤٠٦ هـ حوادث مؤسفة<sup>(٢)</sup> ، وفي العام الذي يليه في واسط<sup>(٣)</sup> وفي شمال افريقيا حيث قتلت جميع الشيعة ، كما ذكر التاريخ<sup>(٤)</sup> .

(١) المصدر ، ص ٣١٠

(٢) الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٨١ .

(٣) المصدر ، ص ٢٩٥

(٤) المصدر ، ص ٢٩٤

وكذلك في بغداد في عام ٤٠٨ أيضاً<sup>(١)</sup> واشتد عام ٤٠٩ حتى أدى الى نفي أبي عبد الله النعمان الشيخ المعيد من بغداد<sup>(٢)</sup>. وتكرر مثل ذلك في الكوفة عام ٤١٥<sup>(٣)</sup> وفي بغداد ايضاً عام ٤٢٢<sup>(٤)</sup>.

#### النقطة الرابعة :

كانت الطبيعة أيضاً تشارك في الحوادث، وكأنها تظهر الاسف على الظلم الساري على الارض.

ففي عام ٤٠١ انقض كوكب كبير لم ير أكبر منه . وفيها رادت دجلة احدى وعشرين دراعاً ، وعرق كثير من بغداد والعراق<sup>(٥)</sup>.

وفي عام ٤٠٦ وقع بالصرة وما جاورها وباء شديد، حتى عجز الحمارون عن حفر القبور<sup>(٦)</sup> وبها نزل في حزيران مطر شديد في بلاد العراق وكثير من البلاد<sup>(٧)</sup>.

وفي رمضان من عام ٤١٧ انقض كوكب عظيم استارت له الارض، فسمع له دوي عظيم<sup>(٨)</sup>.

وفي العام الذي يليه سقط في العراق حبيبه برد يكون في الواحدة رطل أو رطلان ، وأصغره كالبضة، فأهلك العلات ، ولم يسلم منها الا القليل<sup>(٩)</sup>.

وفي نفس العام في آخر تشرين الثاني ، هبت ريح باردة في العراق همدتها الماء واخزل ويطل دوران الدواليب في دجلة<sup>(١٠)</sup>.

(١) المصدر، ص ٢٩٩

(٢) المصدر، ص ٣٠٠

(٣) المصدر، ص ٣١٦

(٤) المصدر، ص ٣٥٥

(٥) المصدر، ص ٢٥٦

(٦) المصدر، ص ٢٨١

(٧) المصدر والصفحة

(٨) المصدر، ص ٣٢٧

(٩) المصدر، ص ٣٣٠

(١٠) المصدر والصفحة

وفي عام ٤٢١ سقط في البلاد برد عظيم، وكان أكثره في العراق فقلعت شجراً كبيراً من الريتون من شرقي الهروان وألقته على بعد من غربيها. وقلعت نخلة من أصلها وحملتها إلى دار بينها وبين موضع هذه الشجرة ثلاث دور، وقلعت سقف المسجد الجامع ببعض القرى<sup>(١)</sup>.



#### الناحية الرابعة:

في استعراض نص الرسالة الأولى.

والأخ السديد والولي الرشيد الشيخ المفيد أبي عبد الله محمد بن محمد بن العمان، أدام الله أعمارهم، من مستودع العهد المأخوذ على العباد.

#### بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، سلام عليك أيها الولي المحلص في الدين، المحصوص فينا باليقين فأنا بحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو، وسأل الصلاة على سيدنا ومولانا ونبينا محمد وآله الطاهرين.

ونعلمك - أدام الله توفيقك لنصرة الحق، وأجرل مثوبتك على نطقك عنا بالصدق - أنه قد أدن لنا في تشريعك بالمكانة وتكليفك ما تؤديه عنا إلى موالينا قبلك، أعزهم الله بطاعته، وكما هم المهتم برعايته لهم وحراسته. فقف - أيديك الله بعونه على أعدائه المارقين من دينه - على ما أذكرك وأعمل على ناديتك إلى من تسكن إليه بما نوصيه إن شاء الله.

نحن وإن كنا ندين<sup>(٢)</sup> بمكاننا المائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيخنا المؤمنين في ذلك، ما دامت دولة الدين للعاسقين فأنا محيط علماً بأناسكم ولا يعرب عنا شيء من أحواركم، ومعرفتنا بالدل الذي أصابكم مدحج كثير مكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً،

(١) المصدر، ص ٣٤٣

(٢) في المصدر: ندين بالنون الموحدة والظاهر كون ثانين بالكاء الثلاثة

وسدوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون

أنا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم  
اللاء، وأصطلحكم الأعداء. فاتفقوا الله جل جلاله، وظاهرونا على انتياشكم من  
فتنة قد أبات عليكم، يهلك فيها من حم أجله ويحصى عنها من أدرك أمه. وهي  
أمارة لأرواف حركتنا ومياتكم بأمرنا وبهيا والله متم بوره ولو كره المشركون.

اعتصموا بالتيق، من شب نار الجاهلية، يحششها عصب أموية، يهول بها  
فرقة مهديّة. أنا رعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن وسلكت في الطعن منها السبل  
المرضية.

إذا حل حمادي الأولى من مستكم هذه، فاعتروا بما يحدث فيه، واستيقظوا  
من رقدتكم لما يكون في الذي يليه.

ستظهر لكم في السماء آية حلية، ومن الأرض مثلها بالسوية ويحدث في  
أرض المشرق ما يجرى ويقلق ويغلب من بعد على العراق طوائف عن الاسلام  
مراق، تضيق بسوء فعالهم على أهله الأراق. ثم تنمرح العمّة من بعد بوار  
طاغوت من الأشرار، ثم يستر بهلاكه المتقون الأحيار.

ويتفق لمريدي الخج من الأفاق ما يأملونه منه على توفير عييه منهم واتفاق  
ولنا في تيسير حجهم على الاختيار منهم والوفاق، شأن يظهر على نظام واتساق.

فليعمل كل أمرء مكم بما يقره من محتا، ويتجنب ما يديه من كراحتا  
وسخطنا، فان أمرنا بفتنة فجأة، حين لا تنفعه نوبه ولا يسجيه من عقابه بدم على  
حوية.

والله يلهمكم الرشد، وينطف لكم في التوفيق برحمته

وبعده يلي توقيع الإمام المهدي (ع) في ديل الكتاب، كما أشرنا إليه في الجهة  
الثانية من هذا الفصل<sup>(١)</sup>.

(١) انظر الاحتجاج، ج ٢، ص ٣٣٣

## الناحية الخامسة.

في شرح المفاهيم والتسويات الرئيسية التي وردت في هذا الخطاب ويمكن إعطاء تفاصيل ذلك، ضمن عدة نقاط:

### النقطة الأولى:

قوله (ع) 'قد أدن لنا في تشريفك بالمكاتبة.

إن المهدي (ع) لا يقوم بالعمل إلا بإذن الله تعالى، وحيث صدر الأذن بإرسال هذا الكتاب، فقد تصدى المهدي لإرساله.

ولهم هذا الأذن الأطروحتان:

الأولى: صدور الأذن المباشر من قبل الله عز وجل في كل واقعة واقعة ذلك الأذن المستمد بالألهم وسحوه من مراتب العلوم التي يختص بها الإمام المعصوم (ع) كما دلت عليه بعض الأخبار.

الثانية: الأذن الإلهي المستمد من بعض القواعد العامة التي يعرفها المهدي عليه السلام، ويستطيع تطبيقها في كل مورد تلك القواعد التي يعرفها باقتضاء المصلحة الإسلامية لشيء من الأشياء. فإذا أحرز المهدي (ع)، وجود المصلحة في المراسلة مثلاً، فقد أحرر وجود الأذن الإلهي بالعمل على طبق تلك المصلحة. ومعه يكون سبب الأذن، هو وجود المصلحة ليس إلا، من دون إذن مباشر، كما قالت الأطروحة الأولى.

وترحيح إحدى الأطروحتين على الأخرى موكول إلى القاري.

### النقطة الثانية

قوله عليه السلام: أعزهم الله بطاعته.

وهو نسبة إلى اسلرام الخروج عن طاعة الله تعالى للذل والصغار، واستلزام الانترام بها للعر والشرف. فيحب الخروج من دل معصية الله والدحول في عز طاعة الله تعالى.

وذلك واضح جداً بحسب مفاهيم الإسلام، فإن العرة لله ولرسوله وللمؤمنين والخصوع لله تعالى هو الخصوع للحق من ناحية، وخصوع مجانس لما

نخصع له الكون كله وهو القدرة الأرية والحكمة الالهيّة، وكلّ الأمرين عدل  
وحق، بمنطق العقل الصحيح

على أن الخصوع لله عز وجل، معني الالتزام بأوامره وبواهيه وقصر لسلوك  
عليها، يعني الفرد عن اتّباع سائر مصادر التشريع الشرية المخرفة التي على  
الانزلاق إلى مهاوي الباطل، وعلى رأسها المصالح الشخصية والقوانين  
الوصعية فيكون الفرد متعلّياً عنها عزيزاً مبعاً من حهنها

على حين أن البعد عن الالتزام بتعاليم الله العادلة، يستلزم - لا محالة - وجود  
مراع في السلوك، يملّؤه الفرد بأساليب الاحراف، فيكون شخصاً مقتصبانه،  
ودليلاً أمامها وهو معني دلة معصية الله عز وجل

وهناك أكثر من معني آخر، لمعني العرة في طاعة الله عز وجل، لا حاجة إلى  
الاطالة، بسبب بيانه.

وعلى أي حال، فهذا هو المراد بقوله أعزهم الله بطاعته وبفوقه ومعرفتنا  
بالدليل الذي أصابكم مد جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً،  
وسدوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون

فإن السلف الصالح كان عزيزاً مطاعة الله تعالى والالتزام بتعاليمه، وكان  
شاسعاً - أي بعيداً - عن معصية الله عز وجل. وكان مترماً بالعهد الذي قطعوه  
أمام ربهم بالطاعة، بصفتهم مسلمين إليه عارفين بأهمية تعاليمه

فلي اتجه الخلف إلى ما كان السلف مستعداً عنه، وهو المعصية وعمانة التعاليم  
الاسلامية، أصبحوا أعداء أمام مقتضيات الاحراف والمصالح الخاصة، وبالتالي  
أمام أعداء الحق والاسلام. فأصبحوا مقصرين تجاه دينهم وعهد ربهم وأمتهم  
وأفسهم.

ومن هنا شعر - من وراء التعبير - بالمرارة والأسف الذي يعتلج في نفس  
الامام المهدي (ع) من هذا الاحراف.

### النقطة الثالثة.

قوله نحن وإن كنا نأوبس بمكاسا البائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي

أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك، ما دامت دولة الدنيا  
للفاسقين

وهذا العدد عن مساكر الظالمين، لا يتنافى أيّاً من الأطروحتين الرئيسيتين،  
وكان في هذا امتثالاً للأمر الذي ذكره المهدي لعلي بن مهرياز عن والده عليه  
السلام في أنه يسكن أقاصي الأرض وقفارها وهو في ذلك المكان النائي يمكن أن  
يكون محتفي الشخص طبقاً لأطروحة حفاء الشخص، أو طاهر الشخص، طبقاً  
لأطروحة حفاء الموان

وإذا كان مناسباً مع كلا الأطروحتين لم يكن نافيّاً لأي منهما، ولا معيّناً  
لاحداهما. وإن كان لا يحلّ - على كلا الأطروحتين - من بعض المناقشات، التي لا  
مجال للدخول في تفاصيلها

وهذا الصلاح الذي يشير إليه في هذه العبارة، يمت في الحقيقة إلى أصل الغيبة  
بصّة، لا إلى مجرد البأي في المكان، وإما أحد ذلك في السياق استطرافاً إلى  
الإشارة إلى مفهوم الغيبة بمسّه ومعه فالصلاح الذي رآه الله تعالى للمهدي  
وللمؤمنين به، إنما هو في الغيبة بمسّها وهذا ما سيأتي تفصيله في القسم الثاني من  
هذا التاريخ.

#### النقطة الرابعة:

بيانه عليه السلام أنه يعيش على مستوى الأحداث، يحيط علماً بكل الأساء  
وتصله جميع الأخبار حين قال فإنا نحيط علماً بأناسكم، ولا يعرب عما شئء من  
أخباركم.

وهناك لإمكان اطلاعه على الأخبار، عدة أطروحات

#### الأطروحة الأولى:

أنه عليه السلام يعلم الأخبار ويطلع على أفعال الناس، عن طريق الإلهام  
الإلهي، أو الطريق الاعجاري الميتافيزيقي ويؤيد ذلك ما دل على أن أعمال  
النشر أجمعين برها وقاجرها تعرض على الإمام في كل يوم وليلة، ليرى فيها رأيه  
وهو قوله تعالى ﴿فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾، وهم الأئمة عليهم

السلام، على ما نطق به هذه الروايات<sup>(١)</sup>

ويمكن أن يزيد ذلك بمفهوم اجتماعي إسلامي، وحاصله ضرورة كون الإمام مؤيداً بالاهام الإلهي، وذلك انطلاقاً من ثلاث مقدمات المقدمة الأولى:

إن الله تعالى حين يسط مهمة معينة لشخص، لا بد أن يجعل فيه انقلبية الشخصية لتنفيذها والقيام بمطالباتها ومن الواضح عدم إمكان إكمال المهمة إلى شخص قاصر عنها أو عاجز عن تنفيذها.

المقدمة الثانية.

إن الله تعالى أوكل إلى النبي (ص) أولاً وإلى خلفائه المعصومين ثانياً، قيادة العالم، بحيث لو سحبت الظروف لأي واحد منهم أن يقوم بالفتح العالمي الكامل لوجب عليه ذلك، وبما شئت القيادة العالمية بنفسه

إذن، فكل واحد من المعصومين قائد عالمي معد - من ناحية نظرية على الأقل - للقيام بمهمته الكبرى ومعه لا بد - طبقاً للمقدمة الأولى - أن يكون بكن واحد منهم القابليات الكافية للقيادة العالمية، والقيام بمثل هذه المهمة العظيمة

المقدمة الثالثة:

إن القيادة العالمية تتوقف على الالهام، لا محالة. فإن قيادة العالم شيء في غاية الدقة والعمق والتعقيد. ونحن نرى أن الدول لا زالت تحكم جراً من تعاليم هيات كبيرة وأفراد كثيرة، وتنطيمات دقيقة وقوانين صارمة، ومع ذلك فهي كثيرة الفشل في أعمالها وأقوالها فكيف من يحاول قيادة العالم بمجموعه، بحيث ترجع لمقاييد العامة للحكم إلى شخصه فقط، من الناحية الفكرية والعمدية معاً.

ومعه، فهذه المهمة لا يمكن تعييدها، إلا بوجود الالهام للقائد العالمي. وحيث أن المهدي (ع) هو أحد الأئمة المعصومين، طبقاً للمذهب الإمامي، وقد ثبت بالضرورة كونه هو القائد العالمي في يوم العدل الموعود طبقاً لضرورة الدين

---

(١) نظر هذه الأخبار في الكافي لغة الاسلام الكليني، باب عرض الاعمال على النبي (ص) ولأئمة عليهم السلام



الاسلامي، بل كل الأديان السماوية إذن فيتعين كونه مؤيداً بالإهام من قبل الله عز وجل وإذا كان مؤيداً بالإهام، فلا عرامة من اطلاعه على أعمال العباد وكونه على مستوى الأحداث

وهذه الأطروحة، مسجمة مع كلتا الأطروحتين الرئيسيتين السابقتين

### الأطروحة الثانية

أب إذا عصصا النظر عن الأطروحة الأولى، وقلنا أن الإمام مؤهل طبعياً لقيادة العالم من دون أي عنصر ميناغيريقي وكب ملترمين - كما هو الحق - بالأطروحة الرئيسية الثانية أطروحة نجاء العوان.

إذن بنت أن المهدي (ع) يعيش في المجتمع شخصيته الثانية، يتصل بالناس ويتكلم معهم ويصحص عن أحدهم من دون أن يحظر في مال أحد أنه هو المهدي المنتظر (ع) بل قد يستطيع أن يحفظ لاستقصاء تفاصيل الأحبار من سائر بلدان العالم ورواياه!

### الأطروحة الثالثة.

إذا عصصا النظر عما في الأطروحة الأولى من ثبوت الإهام للإمام، وعما في الأطروحة الثانية من معيشته وسكاه في صميم المجتمع وأخذنا بما دل عليه هذا الخطاب، ودلت عليه رواية ابن مهيبار، من بعد المهدي (ع)، عن المجتمعات، وامراده في السكى بعيداً عن الناس

إذن، فمن الممكن للمهدي (ع) أن يعرف أخبار الناس عن طريق خاصته الذين يرويه ويعرفونه، وهم في كل حيل، ثلاثون أو أكثر، فيخطط عن طريقهم للاطلاع على أخبار أي مجتمع في العالم شاء

وهذه الأطروحة تناسب مع كلا الأطروحتين الرئيسيتين أما ما سنها مع أطروحة نجاء العوان فواضحة، إذ يعترض - بعد كل ما سلف - أن المهدي (ع) ظاهر بالشخص ولكنه غير معروف الحقيقة، وهو معرول عن المجتمعات والجماعات، لا يعرفه ولا يتصل به إلا خاصته ومعه فيمكن للمهدي (ع) الحصول على الأخبار عن طريق هؤلاء الخاصة، أو عن طريق ورويه المجتمعات

أحياناً بدون أن يكون ملفتاً للنظر أو مشيراً للالتواء، لاستطلع من الأحبار ما يشاء أو يحدث من يريد كما يريد، ثم يرجع إلى مسكنه متى أراد.

وأما مسألة هذه الأطروحة، مع أطروحة حمراء الشخص، فلعدم احتفائه الشخصي عن خاصته، وإن كان محتجاً عن سائر الناس ومن الواضح أن خاصته غير محتج عن الناس، فيكونون هم همرة الوصل بين الناس وبه، في نقل أحدهم إليه، ونقل أحدهم إليهم إذا لزم الأمر

وعلى أي حال، فكل واحدة من هذه الأطروحات الثلاث، تبرز إمكان أن يكون المهدي (ع) حال غيبته على مستوى الأحداث الاجتماعية ومواكبتها حبراً حبراً وللقراري أن يختار أي من هذه الأطروحات شاء، وإن كنت أعتقد بصعوبة التصديق بالأطروحة الثالثة باستقلالها، لاشائها على نارات غير صحيحة، وغرض النظر عن أمور واقعية

#### النقطة الخامسة:

إن المهدي عليه السلام، لم يزل نطعمه بنا، وشعوره بالمسؤولية تجاهنا، هو غير مهمل لمراعاتنا ولا بس لذكرنا، ولولا ذلك لسرل بناء اللاواء - وهو الشر - واصطلمنا الأعداء، أي استأصلونا وأبادونا فحراء الله عنا حبر حبراء المحسنين.

فمن هنا يظهر بوضوح، ما للمهدي عليه السلام من تأثير كبير في صلاح حال قواعده الشعبية وراحتهم وأمانهم، بالمقدار الممكن له في عيبته بل أهم لمديون له بالحياة، إذ لولا أياديه الفاضلة ومساعدته الكاملة، لما بقي لقواعده الشعبية وجود، ولأبديوا عن آخرهم تحت ضربات الأعداء المهجين، وما أكثرهم في كل جيل. وهذا التأثير من قبل المهدي (ع) يعتز من أهم مسؤولياته الإسلامية حال عيبته، كما عرفنا.

وهذا التأثير يكون واضحاً جداً سواء على الأحد بأطروحة حمراء العوان، سواء قلنا بأن المهدي (ع) يعيش في المجتمعات أو قلنا أنه يعيش خارجاً عنها. إذ على أي حال يستطيع القيام بالعمل المناسب عند الحاجة، أم نفسه أو بواسطة خاصته، بالشكل الذي يستطيع به أن يحول بين الشر وبين وقوعه.

وأما لو أخذنا بأطروحة حفاء الشخص، فيكون تأثيره في خير المجتمع المسلم - مع غص النظر عن الافتراضات الفلسفية أو العرفانية - محتاجاً إلى تفسير لمسافة حفاء الشخص مع الاختلاط بين الناس، كما هو واضح ويمكن الانطلاق إلى ذلك من أحد طرق:

### الطريق الأول:

الدعاء فإن الدعاء المستجاب عمل اجتماعي صحيح، كما سبق أن عرفنا.

### الطريق الثاني:

العمل بواسطة خاصته الذين يرونه ويعرفونه، ويраهم الناس ويعرفونهم، وإن جهلوا حقيقة وساطتهم للمهدي (ع)

### الطريق الثالث:

عمله شخصياً بين الناس، مع افتراض ارتفاع حفاء الشخص عند الحاجة إلى العمل - فيعود خفي العنوان، إلى حين انتهاء العمل.

### النقطة السادسة:

قوله. فاتقوا الله جل جلاله، وطاهرونا على انتياشكم من فتنة قد أنافت عليكم، يهلك فيها من حم أحله ويحمي عنها من أدرك أملة.

أمرهم بتقوى الله سبحانه، ومطاهرته - أي المهدي نفسه - بمعنى معاونته على انتياشهم أي إخراجهم وإيقادهم من فتنة قد أنافت أي أشرفت عليهم يهلك فيها من حم أجله، يعني حل قوت موته، ويحمي فيها من أدرك أملة، وهو البقاء في الحياة.

وليست هذه الفتنة التي توجب الهلاك، إلا ما كان يقع من حوادث دامية مؤسفة بين أهل المذاهب الإسلامية.

وإن من أهم المهام التي يستهدفها المهدي (ع) الخيلولة دون وقوع هذا الشر ودفع هذا العداء، ولذا سمعه يأمر قواعده الشعبية بأن يعيونه في إنجاز عمله وإيصاله إلى نتيجته وأحدهم برمام المبادرة إلى القيام بما توجبه عليهم مسؤوليتهم

من سلوك وما تقتضيه التعاليم من أعمال، حتى يسجوا من الهلكة ومن الدحول في هذه الفتنة.

#### النقطة السابعة:

قوله: اعتصموا بالتقية. من شب نار الخاهلية، بحششها عصب أموية، يهول بها فرقة مهدي<sup>(١)</sup>.

وهذا هو المنتهج الذي يخططه المهدي (ع) للتخلص من هذه الفتنة، وهو مكون من فقرتين

#### الفقرة الأولى:

الالتزام بالتقية، بمعنى الاحتياط للأمر واتقاء وقوع الفس والشر ومن أهم أساليبه عدم مجاهرة أهل المذاهب الإسلامية الأخرى بما يعيبهم ويثير حفيظتهم، حرصاً على جمع كلمة المسلمين، وسيدة الأمن في ربوع مجتمعهم

وليس الأمر بالتقية جديداً أو مستحدثاً منه عليه السلام، بعد أن كان قد ورد عن آبائه المعصومين عليهم السلام التأكيد عليه كقولهم (ع). التقية ديني ودين آئتي. ومن لا تقية له لا دين له. وغير ذلك<sup>(٢)</sup>. فمحاكاة هذا الأمر بشكل يوجب الضرر، مع عدم وجود مصلحة إسلامية مهمة في إحداثه، يعتبر من أشد المحرمات في الإسلام.

ومن ثم نرى المهدي (ع) يعمر عن هذه الفس نار الخاهلية، بمعنى أنها تقتل احرافاً أساسياً عن الإسلام ويكون من يثيرها من قواعد الشعبية، مساعداً على هلاك إخوانه من المؤمنين

#### الفقرة الثانية:

الالتزام بالهدوء، والخلود إلى السكينة وصبط الأعصاب، وعدم التعرض

---

(١) الظاهر ان قوله من شب نار خاهلية، مبتداً بمذوب الخبر، او شرط محذوف خبره، لوصوجه، بتقديره وهو صاحب او معانده وسجوها

(٢) انظر اخبار التمهيد في مسائل الشيعة لشيخ الحر العاملي، ج ٢، ص ٥١٥ وما بعده

الماشر إلى القلاقل الحادثة. طلقاً لقوله تعالى - ﴿وَإِذَا مَرُوا بِاللُّغُومِ مَرُوا كِرَامًا﴾<sup>(١)</sup>. ولذا يراه يقول أنا زعيم - أي كفيل وصامس - منجاة من لم يرم فيها المواطن، يعني مواطن الهلاك، وتجنب الاشتراك العملي في القلاقل وسلك في الطعن بها، يعني العن، والاحتجاج على وقوعها، السبل المرسية في الاسلام بالاعتراض الهادي، وإبداء الرأي الموضوعي الصحيح.

ومن هاتين الفقرتين، نعلم رأي الامام عليه السلام، في هذه العن، ومرارته وأسفه بها، واعتراضه على مسببها من أهل الإسلام، بما فهم بعض قواعد الشعبية

#### النقطة الثامنة :

قوله عن هذه العن - وهي اشارة لأرواف حركتها، ومناشكتكم بأمرنا وبهينا والله متم نوره ولو كره المشركون

ولا نستطيع أن نفهم من ذلك، بطبيعة الحال، أنه عليه السلام سوف يظهر بعد هذه العن فيملاً الارض قسطاً وعدلاً، كما منحت طلباً وحرراً لأن ذلك لم يحدث، فلا يمكن أن يكون الاعراب عن حدوثه مقصوداً للمهدي (ع) على أن مقتضى القواعد العامة التي عرفها، عدم إمكان الظهور في ذلك العصر لعدم توفر شرائطه ومن أهمها كون الأمة على مستوى التصحية الحقيقية في سبيل الإسلام وقيادة العالم كله بالعدل الكامل . وهو ما لم يكن متوفراً يومئذ بكل وضوح. وسيأتي في القسم الثاني من هذا التاريخ مزيد توضيح لذلك

ومن هنا احتاجت هذه العبارة من الرسالة إلى تفسير وما يمكن أن يكون فهماً كاملاً لها، طلقاً لأطروحة حماد العمودي، أحد تفسيري -

#### التفسير الأول

أن يكون المراد من الحركة، انتقاله من العزلة إلى المجتمعات، ومن البراري والجان إلى المدن باعتبار ما دلّت عليه الرسالة نفسها من الاعتزال، وما قلناه من

(١) سورة المرقان ٧٢/٧٥

أن ذلك - لو صح - فهو خاص ببعض الفترات الأولى من الغيبة دون الفترات المتأخرة. ومعه يكون من المحتمل أن يكون المهدي (ع) عازماً على رفع اليد عن الاعتزال في ذلك العصر.

وإذا ورد المجتمعات، عاش فيها بشخصيته الثانية لا محالة وعلى أي حال، تكون حرص العمل بالسنة إليه أوسع وأثر أعماله أعمق. ولعل هذا هو المراد من قوله: ومبائنكم بأمرنا ونهينا. يعني أعطائه التوجيهات، لكن لا بصفته الحقيقية، بل بشخصيته الثانية.

وهذا التفسير محتمل على أي حال، لولا ما قد يوجد في التفسير الآتي من مرجحات.

#### التفسير الثاني:

أن يكون المراد من الحركة ظهوره وقيامه في اليوم الموعود. لكن بشكل لا يراد ظهوره في عصر إرسال هذا الكتاب، ليكون أحجاراً غير مطابق للواقع.

بل يكون المراد ظهوره عليه السلام بعد تلك الفتن ولو برمان طويل. وهو معنى جعل تلك الفتن من علامات الظهور، وسنعرف في القسم الثالث من هذا التاريخ، أنه لا ضرورة لافتراض أن تكون العلامة قبل الظهور مباشرة، بل من العلامات ما يكون سابقاً على الظهور بكثير. ويكون هذا من ذلك.

وقد يرد إلى الدهش في مناقشة ذلك. أن هذا محال لطاهر عبارة الرسالة، فإنه يقول: وهي اشارة لأزوف حركتنا، ولا يقال أرف الشيء إلا قرب زمان حدوثه. فكيف يمكن افتراض زمان طويل.

والجواب على ذلك. أما يمكن أن نعلم من الفتن المشار إليها كإشارة على أرواف الحركة، معهما عاماً تشمل كل الانحرافات والمطام في عصر الغيبة الكبرى، ومن المعلوم أن هذه المطام لا تنتهي إلا عند الظهور، إذن فيكون انتهاؤها اشارة مباشرة للظهور والله العالم بحقائق الأمور.

#### النقطة التاسعة:

قوله إذا حل حمادي الأولى من ستكم هذه، فاعتبروا بما يحدث فيه، واستيقظوا من رقدتكم لما يكون في الذي يليه.

وهو شيء لم نستطع أن نتنبه من التاريخ، وهو لم يخص من الحوادث إلا القليل. نعم: سوى بعض الحوادث «الطبيعية» التي سنشير إليها في النقطة القادمة.

#### النقطة العاشرة:

قوله. ستظهر لكم في السماء آية جليلة، ومن الأرض مثلها بالسوية. وظاهر سياق التعبير، كون هذه الآيات تظهر في جمادي الأولى أيضاً من نفس العام، وهو سنة ٤٠١ للهجرة.

أما ما حدث في الأرض، فقد حدثنا التاريخ أنه في النصف من جمادي الأولى من هذا العام فاض البحر المالح وتدار إلى الأيلة ودخل البصرة بعد يومين<sup>(١)</sup>

وأما ما حدث في السماء، فهو ما سمعناه من تتابع سقوط البازك الصحمة، المعبر عنها في لغة المؤرخين بالكواكب... ويحدث عدد سقوطها صوت شديد وصوت كثير، كالذي حدث عام ٤١٧، كما سمعنا فيما سبق.

وهو وإن لم يكن في نفس عام إرسال الخطاب، إلا أننا قلنا بأن هذا الخطاب، حيث أنه موجه لمجموع القواعد الشعبية المهدوية، إذن فمن الممكن أن يتأخر الحادث الموعود عدة سنوات لكونها قليلة بالنسبة إلى عمر الأمة الطويل

فإن قال قائل: أن هذا يخالف لظهور العبارة الذي فهمناه من السياق وهو حدوث الآيات السماوية والأرضية في جمادي الأولى من نفس العام، وهو عام ٤١٠.

يكون الجواب عليه: أننا بين أحد أمرين: الأول: رفع اليد عن هذا الظهور، في حدود الآية السماوية، فأنه يكفي في صدق السياق كون الآية الأرضية واقعة في نفس الموعد. والثاني: أن نفترض أن جمادي الأول في نفس العام وقعت فيه آية سماوية غير منقولة في التاريخ.

---

(١) هامش الكامل، ج ٧، ص ٣٠٣

## النقطة الحادية عشر:

قوله ويحدث في أرض المشرق ما يحزن ويقلق

ولسا تعاني كثيراً في مهم ذلك، إذا عرفنا أن هذا الكتاب ورد العراق، إلى الشيع المعبد قدس الله روحه، فالمراد بالمشرق - إدد - ما كان في شرق العراق، وهو إيران نفسها . دولة السويين ومركز ثقلهم يومئذ . وكانت تعاني منذ زمن الحروب والحوادث الكثيرة المتكررة التي أوجت شيئاً فشيئاً تفكك الدولة البويهية، وضعفها وسيطرة السلاجقة عليها في نهاية المطاف .

على أننا لو راقنا التاريخ القريب من صدور هذا الكتاب، لرأينا أن همدان تعاني من الحروب عام ٤١١<sup>(١)</sup> وعام ٤١٤<sup>(٢)</sup> ومن المعلوم أن الحروب على الدوام مصدر للقلق والحزن، لأنها تكون على طول الخط على حساب الشعب البائس . وهذا لم تكن الحرب عادلة ولم يكن للشعب فيها نصيب حقيقي، كان ذلك ظلماً كبيراً وجوراً عظيماً .

## النقطة الثانية عشرة:

قوله . ويغلب من بعد على العراق طوائف عن الإسلام مراق، تصيق بسوء فعاهم على أهله الأراق . ثم تنزع العمة بوار طاعوت من الأشرار، ثم يستر بهلاكه المتقون الأخيار .

يعني يسيطر بعد الحوادث السابقة من قلاقل طائفية وآيات سماوية وأرضية، يسيطر على العراق أقوام خارجين عن تعاليم الإسلام وفي ذلك تعريض واضح بالسلطان طمرل بك أول ملوك السلاجقة، وتابعيه، فانه بعد أن انتهى من تقويض دولة السويين في إيران بعد حروب مدمرة، قصد العراق ودخل بغداد عام ٤٤٧<sup>(٣)</sup> . وترتب على دخوله فيها قلاقل وحروب مؤسفة وعم الخلق صرر عسكره

---

(١) الكامل، ج ٧، ص ٣٠٧

(٢) المصدر، ص ٣١٣

(٣) الكامل، ج ٨، ص ٧٠



وصاقت عليهم مساكنهم، فإن العساكر نزلوا فيها، وعلوهم على أقواتهم وارثكوا فيها كل محذور<sup>(١)</sup>.

وأما قلة الأوراق وعلاء الأسعار، فحدث عنها ولا حرج . . إذ نسمع التاريخ يجبرنا أنه قد كثرت العلل وتعددت الأقوات وغيرها من كل شيء، وأكل الناس الميتة، ولحقهم وباء عظيم، فكثرت الموتى بعير غسل ولا تكفين، فبيع رطل اللحم بقرط أربع دجاجات بدينار. وسهرجلة بدينار ورمانة بدينار، وكل شيء كذلك<sup>(٢)</sup>.

وبقي هذا العلل عدة سنوات، بل استمر في التصاعد ففي عام ٤٤٩ راد العلل بعداد والعراق . . وأكل الناس الميتة والكلاب وغيرها، وكثر الوباء حتى عجز الناس عن دفن الموتى، فكانوا يجمعون الجماعة في الحميرة<sup>(٣)</sup>.

أما الخليفة في بعداد، فكان يعيش حوياً آخر بعيداً عن العلل والوباء. فقد أكرم طغرل بك إكراماً عظيماً ومكته من بلاده تمكيباً أسع عليه صفة الشرعية، حين قال له: إن أمير المؤمنين شاكر لسميتك حامد لعملك مستأس بقربك وقد ولاك جميع ما ولاه الله من بلاده ورد عليك مراعاة عياده، فائق الله فيما ولاك واعرف نعمته عليك في ذلك واجتهد في نشر العدل وكف الظلم وإصلاح الرعية

فقبل الأرض، بين يدي الخليفة وأمر الخليفة بإفصاة الخلع عليه. فقام إلى موضع لسها فيه وعاد وقبل يد الخليفة ووضعها على عييه وحاطه الخليفة بملك المشرق والمغرب، وأعطى العهد وحرر

وأرسل إلى الخليفة خدمة كثيرة منها خمسين ألف دينار وخمسين مملوكاً أترك من أجود ما يكون ومعهم حيولهم وسلاحهم إلى غير ذلك من الثياب وغيرها<sup>(٤)</sup> فأنظر إلى ترف الحكيم ويؤس المحكومين، وتسامح الخليفة بدماء المسلمين وأموالهم حين ولي عليهم هذا الظالم العنيد.

---

(١) المصدر، ص ٧٧.

(٢) المصدر، ص ٧٩.

(٣) المصدر، ص ٨٦.

(٤) المصدر، ص ٨٠.

فقد كان طغرل بك - بحسب ما وصفه التاريخ - : ظلوماً عشوياً قاسياً، وكان  
عسكره يعصون الناس أموالهم وأيديهم مطلقاً في ذلك بهراً وليلاً<sup>(١)</sup> حتى توفي  
عام ٤٥٥هـ<sup>(٢)</sup>.

فمن هنا نرى بوضوح، انطاق الأوصاف على طغرل بك وعسكره ودوبه  
فانهم «طوائف عن الاسلام مراق» باعتزاز ما ارتكبه من المحرمات الصريحة  
الموجبة للحري والمضيحة. وقد صاقت «سوء فعلهم على أهله الأرق» كما  
سمعنا رد من المعلوم كيف تنحدر البلاد إلى وصع اقتصادي رديء، تحت ظل  
الحروب والقتال.

وقد انكشفت العمة من بعد، سوار - يعني بموت - «طاغوت من الأشرار» وهو  
طغرل بك نفسه وقد أدخل هلاكه السرور على قلوب المتقين الأحياء.  
وبهم معنى انكشاف العمة بموته، إذا التفتنا إلى التاريخ وعلمنا أنه لم يحدث  
مثل هذا الغلاء والوباء بعد طغرل بك طيبة حكم الدولة السلجوقية  
النقطة الثالثة عشرة.

قوله ويتمق لمريدي الحنج من الأفاق ما يأملونه به على توفير عليه منهم  
وإنفاق. ولما في تفسير حجبهم على الاختيار منهم والوفاء، شأن يظهر على نظام  
واتساق

وهذه بيوة صادقة تشهّل الحنج بعد صعوباته التي سمعناها، وانحلال  
مشاكله فيتحقق للحجاج من كل البلاد ما يأملونه من الأمن والسهولة  
وتصديق هذه السوء واضح جداً في التاريخ. فانه بالرغم من أنه استمر مع  
الحج حقة من السنين، إلا أنه لم يقل بعد عام ٤١٩ أي مع للحج، مما يدل على  
أن الطرق قد توفرت للحجاج فقد تحققت السوء بعد عشرة أعوام من  
صدورها.

وأما حدوث ذلك بمساعي المهدي (ع) وجهوده، فهو يمكن من الامكان،

(١) المصدر، ص ٩٥

(٢) المصدر، ص ٩٤

طبقاً لما عرفناه من مسؤولية العمل الاسلامي للإمام المهدي خلال عيته، بناء على أطروحة حفاء العنوان فإذا دل الكتاب على تأثير عمل الإمام في سهولة الحج، فلا بد من تسجيل ذلك تاريخياً، لو صلح هذا الكتاب للآليات التاريخية. ودلالة الكتاب على هذا واضحة حين يقول: ولما في تيسير حجهم. شأن يظهر على نظام واتساق.

#### النقطة الرابعة عشرة:

قوله: «فيعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محتسا، ويتجنب ما يذنيه من كراهته ومسخطها، فان امرأ بعتة فجأة، حين لا تنفعه توبة ولا يسجيه من عقابه بدم على حوبة».

أمر عليه السلام كل فرد من قواعده الشعبية، بأن يفعل ما يقربه من محبة إمامه ورضاه، ويترك ما يقربه من كراهته ومسخطه. وهذا معنى واضح ولطيف، فان رضى المهدي (ع) رضا الله تعالى، وكلما يقرب للمهدي (ع) فهو يقرب إلى الله... وذلك بالشعور بالمسؤولية تجاه أحكام الإسلام، والاستجابات الصالحة تجاه الأحداث. كما أن مسخط المهدي مسخط الله تعالى، وكلما يبعد عنه يبعد عن الله تعالى.

ويعطي المهدي (ع) لذلك تعليلاً مهماً حين يقول: فان امرأ بعتة فجأة، حين لا تنفعه توبة الخ.

والمصموم العام لذلك، هو أن الفرد المؤمن بظهور المهدي (ع) المتوقع له في كل حين، بعتة وفجأة، يجب أن ينزه نفسه عن المعاصي ويقصر سلوكه على طاعة الله عز وجل، ليكون على المستوى المطلوب عند الظهور. وحيث كان الظهور محتملاً دائماً، فيجب أن يكون الفرد على هذه الصفة دائماً.

وأما إذا بقي الفرد عاصياً مسخرفاً سلوكياً أو عقائدياً، ولم ينزه نفسه في أثناء الغيبة، ولم يتب إلى الله تعالى. فسوف لن تنفعه توبته أو ندمه بعد ذلك وسيعاقبه الإمام المهدي (ع) بعد ظهوره على ما اقترفه من دنوب، على كل حال، وسيكون عقابه في ذلك المجتمع الاسلامي العظيم خرياً أبدياً له. وبما أن الظهور محتمل على الدوام، إذن فالبذر بعقاب المذنبين محتمل على الدوام، فإذا أراد الفرد

أن يحول دون هذا الاحتمال، فما عليه إلا أن يرتدع عن الدوب، ويكمل نفسه من العيوب.

#### الناحية السادسة:

في استعراض نص الرسالة الثانية التي رواها الطبرسي<sup>(١)</sup> مرسلًا عن الإمام المهدي (ع). ولها من قيمة الإنشآت التاريخية ما ذكرناه للرسالة الأولى.

#### بسم الله الرحمن الرحيم

سلام الله عليك أيها الناصر للحق الداعي إليه بكلمة الصدق. فإنا بحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، لها وآله آبائنا الأولين. ومسأله الصلاة على سيدنا ومولانا محمد خاتم السنين، وعلى أهل بيته الطاهرين

وبعد، فقد كنا نطرقنا مساجدك، عصمتك الله بالسبب الذي وهبه الله لك من أوليائه وحرسك به من كيد أعدائه. وشعنا ذلك الآن من مستقر لنا ينصب في شمعنا من بهاء صبرنا إليه آتياً من غمائل الحنا إليه السبيل من الإيمان ويوشك أن يكون هبوطاً إلى صحصح من غير بعد من الدهر ولا تطاير من الزمان. ويأتيك نبوءاً بما يتجدد لنا من حال، فتعرف بذلك ما نعتمده من الزلفة اليأس بالأعمال. والله موفقك لذلك برحمته

فلتكن حرسك الله بعيه التي لا تنام أن تقابل لذلك فتنة تسلب نفوس قوم حرثت باطلاً لاسترهاب المطلبين، يستهيج لدمارها المؤمنون، ويحزن لذلك المجرمون.

وآية حركتنا من هذه اللوثة، حادثة بالحرم المعظم من رجس منافق مدمم، مستحل للدم المحرم، يعتمد بكيد أهل الإيمان، ولا يبلغ بذلك غرضه من الظلم والعدوان. لأننا من وراء حفظهم بالدعاء الذي لا يحجب عن ملك الأرض والسماء. فليطمش بذلك من أوليائنا القلوب وليتقوا بالكفاية منه، وإن راعتهم بهم

(١) انظرها في الاحكام، ج ٢، ص ٣٢٤، ط النجف

الخطوب، والعاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة لهم ما اجتنبوا المنهى عنه من الدروب.

ونحن نعهد اليك أيها الولي المحلص المجاهد فينا الظالمين، أيذك الله بنصره الذي أيد به السلف من أوليائنا الصالحين. أنه من اتقى ربه من اخوانك في الدين وأخرج مما عليه إلى مستحبه كان آمناً من الفتنة المبطله وعمنها المظلمة المصله. ومن بخل منهم بما أعاده الله من نعمته على من أمره بصلته، فإنه يكون خاسراً بذلك لأولاه وأحرفته.

ولو أن أشيعا - وفقهم الله لطاعته - على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليمس بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا. فما يحسبنا عنهم إلا ما يتصل بنا بما نكرهه ولا تؤثره منهم. والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلاته على سيدنا الشير النذير محمد وآله الطاهرين وسلم.

وكتب في عرة شوال من سنة اثنتي عشرة وأربع مائة.

سحة التوقيع باليد العليا صلوات الله على صاحبها. هذا كتابنا اليك أيها الولي الملهم للحق العلي، باملائنا وخط ثقتنا. فاحمه عن كل أحد، واطوه، واجعل له نسخة يطلع عليها من تسكن إلى أمانته من أوليائنا شملهم الله ببركتنا إن شاء الله الحمد لله والصلاة على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين.

الناحية السابعة.

في استعراض المهم مما تكفل هذه الرسالة بياته. ويمكن أن يتم ذلك في ضمن عدة نقاط.

النقطة الأولى:

إن الرسالة دلت سياق عام واضح متعمد، في الصدور من جهة عليا إلى جهة أدنى منها وهي في ذلك أوضح من الرسالة الأولى إلى حد كبير.

وهي بهذا تحو محي القرآن الكريم الذي أكد على هذه الجهة بوصوح، في عدد من آياته كمونه تعالى ﴿ولو تقول عليا بعض الأقاويل لأحدنا منه

باليمين<sup>(١)</sup>. وقوله: ﴿إِذْ نَافِلْتُنَا فِي الْحَيَاةِ ضَعْفَ مُدَّتِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>. وقوله: ﴿وَمَا عَمَدٌ إِلَّا رُسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾<sup>(٣)</sup>. إلى غير ذلك.

فالاثنيية بين المتكلم والسامع معقولة بكل وضوح، وارتفاع المتكلم على السامع ملحوظ بكل جلاء. وهذا ثابت في هذه الرسالة أيضاً، مع بعض الفروق بين سياقها والسياق القرآني، لا تحفى على الأديب.

وهذا الإيجاء يعطي زحاً نفسياً معيناً، لا مناص منه حين يراد السيطرة على السامع من الناحية العاطفية والفكرية. كيف وإن السامع في كلا هذين الحالين، يعترف بارتفاع المتكلم عليه بكل خشوع.

#### النقطة الثانية:

في تعيين محل سكبه عليه السلام، عند إرسال هذه الرسالة.

حيث يرى المهدي (ع) - لو صححت الرواية - يعين مستقره أي مسكنه بنصب في شمراخ من بهاء. والنصب هو الشيء المنسوب. والشمراخ رأس مستدير طويل دقيق في أعلى الحبل. والبهاء مأخوذ من المهم وهو المكان الغامض الذي لا يعرف الطريق إليه. ومعه يكون المراد - والله العالم - أنه عليه السلام يسكن في بيت منصوب على قمة جبل مجهولة الطريق.

ثم يقول: صرنا إليه آنفاً من عماليل. يعني أنه انتقل إلى هذا المسكن الحديد، منذ مدة، من عماليل يعني من منطقة كان يسكنها قبل ذلك، توصف بهذا الوصف. فإن العماليل جمع غملول وهو بالصم الوادي ذو الشجر الطويل القليل العرص، المتنف، وكل مجتمع أظلم وتراكم من شجر أو عمام أو ظلمة أو زاوية<sup>(٤)</sup>. وقد تلاحظ معي أن كلا الدارين ذات خفاء وعموض، وقابلة لاحتفاء الفرد في أنحائها بشكل وآخر.

(١) بحاله ٤٤/٦٩ - ٤٥

(٢) الأسراء ٧٥/١٧

(٣) آل عمران ١٤٤/٣

(٤) القاموس المحيط، ج ٤، ص ٧٦

ثم يذكر سبب انتقاله إلى المسكن الجديد، بأنه «أحانا إليه» أي إلى المسكن الجديد «الساريت من الإيمان». والساريت جمع سيرات وسيرت وميريت: الأرض التي لا نبات فيها وقيل لا شيء فيها. ومنها سمي المعلم سروتاً<sup>(١)</sup>. ومعه يكون هذه العبارة تفسيران محتملان.

#### التفسير الأول:

أن نقرا «الإيمان» بكسر المعزة، فيكون المراد أن الصقراء أو الفارغين من الإيمان هم الذين أُلحوا إلى اختيار مسكنه الجديد. حيث اقتضت المصلحة نتيجة لتصرفاتهم المعروفة، أن يزداد المهدي (ع) بعداً عن الناس وخفاء في المسكن، فاختار جلاً ذو قمة حفية ليحمله مسكناً

#### التفسير الثاني:

أن نقرا همزة «الإيمان» بالفتحة، فيكون جمع يمين - صد اليسار - ويكون المراد بالساريت: الأرض الخالية من الزرع الموجودة في يمين الطريق. ولعله طريق الحج أو طريق إحدى المدن. وقد أُلحاه إلى تركها إلى المسكن الجديد قلة الزرع فيها وصعوبة العيش عليها.

ثم يحصر المهدي (ع) بأنه على وشك الانتقال إلى مسكن آخر ثالث. فإنه سيهبط من قمة الجبل إلى صحصح، وهي الأرض المستوية «من عبر بعد من الدهر ولا تطاول من الزمان» بل في فترة قرية وأمد قصير. وهنا لا يجب أن نفترض أن هذه الأرض الحالية من السات والرع، كذلك الأرض

ومن هذا السياق نعرف أن المهدي (ع) يختار مكانه بعيداً عن المجتمعات، على الدوام. ولعل في هذا امتثالاً للأمر الذي نقله المهدي (ع) عن أبيه (ع) في رواية ابن مهزيار، وقد سقطت الإشارة إليها أكثر من مرة. وهذا لا يتنافى أطروحة خفاء العنوان إذ قد يكون المهدي (ع) طاهراً بالشخص محتفياً بالعنوان ساكناً الأماكن المعرلة في العالم وقد سبق أن عرفنا أن هذا أكثر وضوحاً وإمكاناً في أول

(١) انظر المصدر، ج ١، ص ١٢٩ وغيره

الغبية، وأما ما بعد ذلك فالحاجة إليه متفية، بل قد يكون مخالفاً لبعض تطبيقات تكاليفه عليه السلام.

وبالرغم من تصريحاته عن مكانه، إلا أننا لا نجد أنه قد ذكره على وجه التعيين، وإنما ذكر - في الحقيقة - عنواناً كلياً يمكن انطاقه على كل قمة وكل واد ولم يصل في الوصوح إلى حد لو بحث الاساس عن مكانه لوجده.

ونلاحظ بوضوح أن المهدي (ع) بعين مكانه بعبارات لغوية قديمة تكاد تكون مندرسة الاستعمال... لا يريد أن يسوقها مساقاً واضحاً، حتى لا يفهمها من يطلع عليها، إلا إذا كان من خاصة الناس في العلم والاطلاع وهذه خطوة إلى تلاقي بعض احتمالات الخطر المحتملة الوقوع على تقدير الاطلاع على هذا الخطاب.

وعلى أي حال نرى المهدي (ع) يعد الشيخ المرسل إليه، بأن يوصل إليه أساءه في يتجدد له من حال ولعل المراد المباشر لذلك، هو احضاره بانتقاله إلى المكان الحديدي في الصحصح، ولكن العبارة أعم من ذلك، تشمل كل ما يريد الامام المهدي (ع) تبنيه إلى الشيخ المفيد، مما يتحده من رأي أو يذهب إليه من مكان، بمقدار المصلحة والإمكان.

ومن هنا قال له - فتعرف بذلك ما يعتمد من الرلفة إلى بالأعمال يعني أن مواصلتك بالمراسلة ستطلعك على الأعمال بحمدها وبعتها صالحاً ومقرة اليأس. فهذه العبارة واضحة الدلالة على عزم الإمام المهدي (ع) على تكرار المراسلة مع الشيخ المفيد، ولعل ذلك قد حدث ولم يصلنا خبره، ولعله لم يحدث لأن الشيخ توفي بعد هذه الرسالة بعام واحد.

#### النقطة الثالثة.

فلتكن حرمك الله بعينه التي لا تنام أن تقابل لذلك فئة، تسلب نفوس قوم حرثت باطلاً لاسترهاب المطلقين، يتهدح لدمارها المؤمنين، ويحزن لذلك المجرمون.

وهو توجيه عام من المهدي (ع) إلى الشيخ المفيد وغيره من احواله في كل جيل... بأن يقابل أي يقف ضد الفئة التي تسلب أي تشيع نفوس قوم حرثت



باطلاً، أي خاصت عمار الباطل في أرض صالحة لذلك. وهي إنما تستبيح نفوسهم في انصهارهم فيها، وسيرهم مع تيارها.

وإنما يكون على المفيد أن يقف صد الفتنة، من أجل استرهاب المظلمين وتخويفهم لأجل ردعهم عن الباطل وصرفهم إلى طريق الحق. وقوله. لذلك. أي باعتبار ما نعتمه من الرقعة إليها من الأعمال

فيكون المراد لزوم العمل لكفكة الظلم وردع الفتنة التي تؤسس الأراضي الصالحة لسوء المفسدين والمحتمعات المصحفة التي تربى المصحفين. ليكون ذلك من الأعمال الصالحة التي يعثرها ويحمدها بصفاتها من أعظم المقررات في الله، وأحسن التطبيقات للعدل الإسلامي.

وإنما سمي الظلم فتنة، باعتبار أنه يحك الامتحان الإلهي لنفوس الشر وإيمانهم، لكي يحصوا به ويمروا، فيحى من حى عن بينة ويهلك من هلك عن بينة. وقد ذكرنا أن هذه الفتنة والظلم، كما توجب قوة الانحراف المصحفين توجب أيضاً قوة إيمان المؤمنين. فتوحد بذلك شرط الظهور. وقلنا أن الجهاد ضد الظلم مما يوجب تزايد قوة الإرادة والوعي لدى المؤمنين المحلصين ويصعد معنوياتهم، مما يجعل تحقيق شرط الظهور ومن هنا نرى المهدي (ع) يأمر الشيخ المفيد وسائر أخوانه من الأجيال، بهذا الجهاد الإيماني الكبير.

ومن هنا نفهم أن الفتنة المذكورة في هذا التعمير، ليست إشارة إلى حادثة تاريخية معينة حتى نبحث عنها في التاريخ العام. كما عملنا في الرسالة السابقة. وإنما هي عبارة عن الانحراف العام الذي يصيب المجتمع على مر الأجيال خلال عصر الغيبة الكبرى، ذلك الانحراف الذي يريله المهدي (ع) بعد ظهوره.

ثم أن المهدي (ع) في رسالته يذكر: أن الجهاد ما يؤثر من استرهاب المظلمين وردعهم عن باطلهم... يستهج لدمارها- أي لدفعها ومخارتها-<sup>(١)</sup> المؤمنين ويحزن لذلك المحرمون

---

(١) كما هو أحد معاني الدمار في اللغة، وهو الحث على الحرب والدعوة إليها وقد استعمل هذا جبر

#### النقطة الرابعة :

إعطاء المهدي (ع) علامة من علامات ظهوره وإمارة من إمارات حركته وهي : أنه يتج من هذه اللوثة - وهو تعبير عن الفتنة - حادثة عظيمة مؤسفة وجرم كبير، من رجس مافق مذمم، مستحل للدم المحرم - يعمد - أي يتعمد - بكيد أهل الإيمان، ولا يبلغ بذلك عرصه من الظلم والعدوان .

والمراد : أنه يتج من هذه الفتنة التي يعيشها المجتمع، أن أحد المسحوقين المنافقين، يريد أن يتعمد إلى أهل الإيمان بالكيد والصرر، فيقتل أحد المؤمنين، بهذا القصد . وبالرغم من أن هذا المؤمن سوف يذهب إلى ربه، إلا أن القصد الأساسي لذلك المحرم سوف لن يتحقق، وسيبقى المؤمنون على أمنهم واستقرارهم نتيجة للطف المهدي (ع) ودعائه لهم بدفع الشر، ذلك الدعاء الذي لا يحجب عن ملك الأرض والسماء .

ونتيجة لذلك يقول المهدي (ع) في رسالته : فلتطمئن بذلك من أوليائنا القلوب، وليثقوا بالكفاية منه، وإن راعتهم بهم الخطوب . .

ولهذه الفقرة، معنى آخر محتمل، يختلف قليلاً عما ذكرناه، وهو أن لا تكون الحادثة الموعودة من قبل الطالبيين، هي حادثة قتل، وإنما هو تخطيط اجتماعي، لايقاع المؤمنين في الضرر والضيق، يقوم به شخص مافق مذمم، مستحل للدم المحرم . ولا يكون استحلاله للدم في هذه الحادثة بالتميين، بل المراد أن من شأنه ذلك أو أنه فيه سوابق . إلا أن هذا التخطيط، سوف لن يصل إلى هدفه، نتيجة لدعاء المهدي (ع) .

وهل أي من المصين، لم نستطع أن نشين الحادثة المشار إليها في هذه الفقرة . . من التاريخ العام أو الخاص . فانه ما أكثر الشهداء المغتالين في سبيل الله تعالى كالشهيد محمد بن مكي الملقب بالشهيد الأول والشهيد رين الدين العاملي الملقب بالشهيد الثاني والفاصي نور الله التستري الملقب بالشهيد الثالث في السنة البعض . . وغيرهم . . وما أكثر المؤامرات العاجرة التي نحاك صد المجتمع المؤمن، ولا يكون فشلها إلا بدعاء الإمام عليه السلام وعمله .

وقد سبق أن قلنا أن الدعاء النافذ المستجاب، يعتبر من أحسن الأعمال

النافعة الخيرة على الصعيدين الفردي والاجتماعي، ومن أبعدها أثراً وأفصلها نتيجة.

وبذلك ينجو المؤمنون من المكائد، فليطمئنوا وليثقوا بدعاء إمامهم - كما أمر إمامهم - ، فان عاقبتهم ستكون إلى خير. . . إذا التزموا بالسلوك الصالح والعمل الصحيح.

#### النقطة الخامسة :

إبصاره عليه السلام بالاصلاح الشخصي للنفس، الذي هو الحجر الأساس لاصلاح المجتمع، ولنجاة الفرد والمجتمع من الفتنة المظلمة المصلية، ونجاحه المؤرر في الامتحان الإلهي الكبير وبدون ذلك يكون الفرد قد خسر أساسه الإيماني الصحيح، وانحرف انحرافاً حاداً يحسر به دنياه وآخرته

ومن هنا يرى المهدي (ع) يؤكد على وجوب دفع الحقوق المالية الإسلامية إلى مستحقيها، ومن أمر الله تعالى بصلته وهم الفقراء والمحتاجون وإنما خصها بالذكر لعلمه عليه السلام بأن قواعده الشعبية تؤدي - عادة - الفرائض الإسلامية العملية كالصلاة والصوم والحج . . فلم يبق لهم من الفرائض، إلا الحقوق المالية التي قد تشع بها بعض النفوس، وتحتاج في أدائها إلى توضيح أكبر.

قال عليه السلام: أنه من اتقى ربه من أحوالك في الدين وأخرج مما عليه إلى مستحقه، كان آمناً من الفتنة المبطلة وعمتها المظلمة المصلية ومن سجل منهم بما أعاده الله من نعمته على من أمره بصلته، فإنه يكون حاسراً بذلك أولاه وآخرته.

ومن هنا نفهم أن الاداء الكامل للفرائض الإسلامية، هو المحك في النجاة عن الانحراف الخارف الذي يؤدي بالكثيرين خلال عصر الغيبة الكبرى والسر الأساسي في ذلك. هو أن أداء الفرائض كاملة، مع الارتداع عن جميع المحرمات، مضاعفاً إلى أنه يمثل السلوك الشخصي الصالح، فإنه - بما يوجهه للفرد من صبر وتصحیح على مستوى معين من المصاعب في سبيل الله عز وجل - يحدث في الفرد قوة في الإرادة والتحمل في مجابهة التيار الظالم وما يستلزمه من إعراء ومخاوف مما يوجب نجاته منها وبعده عنها، ومن ثم نجاحه في الامتحان الإلهي الكبير، وبذلك يمرر سعادته في الدنيا والآخرة وبخلاف ذلك، سوف يكون فاشلاً في الامتحان

الإلهي وخاسراً بذلك أولاه وآخرته».

مصافاً إلى نقطة أخرى في دفع الحقوق المالية، هي . أن حير ما يقض القواعد الشعبية المهدوية في المجتمع المحرف، وأحس تحطيط يمكن به كتمكة حياح ما يفرض عليهم من قل الطالبين من حصار اقتصادي واجتماعي . هو أن يكفل بعضهم بعضاً ويحمل بعضهم همّ بعض، وذلك بالالتزام بدفع الحقوق الإسلامية المالية التي فرصها الله تعالى، فأها كافة لتنفيد هذه الكماله وواية سهدا الصمان وهذه الحقوق - أيضاً - يمكن وضع الرامح الاجتماعية الوقتية لدفع ظلم أو لتربية جيل أو لقضاء بعض الحاجات .

#### النقطة السادسة .

إيصاؤه بالاصلاح العام الذي هو أكبر وأهم من الاصلاح الشخصي، والذي به يتحقق شرط الظهور، ويجعل الأمة عن مستوى المسؤولية التي يؤهلها للتميز بقاء الإمام المهدي عليه السلام، وتحمل مسؤوليات ظهوره .

وهذا الاصلاح العام، يعبر في حقيقته عن ضرورة اجتماع أشياءه - وهم أنبائه - . عقلاً وقللاً . عقيدة وعاطفة وسلوكاً، في الوفاء بالعهد المأخوذ عليهم، في إطاعة أوامر الإسلام ونواهيه، وامثال قادة الإسلام ومتابعيهم ومن الواضح أن هذا الاجتماع على الطاعة هو أوسع وأهم من الطاعة الفردية، وأكثر انتاجاً بشكل غير قابل للمقايسة وهو الذي يمثل العمل المشترك لتطبيع الإسلام وتطبيقه، والجهاد المشترك ضد أسحاء الظلم والطغيان والعدوان .

وهذا الاشتراك والتضامن، هو أقوى الأسباب لتحقيق الإرادة لدى الأفراد، ولتربية الوعي والشعور بالمسؤولية فيهم . وهو الشرط الأساسي للظهور . .

ومن ثم نرى المهدي (ع) يرتب على هذا الاجتماع أثره الحقيقي، ويستنتج منه نتيجة الطيمية فانه لو كان متحققاً . ولما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتبعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا . تلك السعادة الناتجة من العدل الكامل الذي يتكامل المهدي (ع) تطبيقه على العالم كله .

وعلى حق المعرفة وصدقها منهم باء . وهذه العبارة تدل على أطروحة حماء العنوان، التي احترناها، باعتبار أن المهدي (ع) حلال عينه معروف بالشخص

مجهول الهوية والحقيقة، وإنما هو معروف بشخصيته الثانية. وأما بعد الظهور فتصح المعرفة حقاً وصدقاً، يعني سوف يعرف الناس شخصه وحقيقته وانطباع العنوان على الشخص بوضوح.

ولو كانت أطروحة حفاء الشخص صادقة، لكانت هذه العبارة في غير محلها، ولكفت الشارة بحدوث المشاهدة بعد انعدامها عند الظهور.

فما يحبسنا عنهم أي يؤخر الظهور إلا ما يتصل بما عما نكرهه ولا يؤثره عنهم من المعاصي والتقصيرات وعدم الشعور بالمسؤولية الإسلامية

وهذا يدل على أمرين مهمين، سقت الإشارة إليهما، ولكن يكون في هذا الكلام من المهدي (ع) ريادة في الاستدلال عليهما:

الأمر الأول: كون المهدي (ع) مطلعاً على الأخبار مواكفاً للأحداث يشعر بآلام وآمال أمته وقواعده الشعبية.

الأمر الثاني: اناطة الغيبة بدنوب الناس وعصيانهم عمق لم يكن هناك ذنب، لم يكن للغيبة سبب، فتحول إلى الظهور وهو معنى ما قلناه من أن المرد إذا كان عالياً في الوثاقة كاملاً في تطبيق الإسلام، فإن المهدي (ع) لا يحتاج عنه مرة أو مراراً، بل قد يكون ذلك على الدوام، كما سبق أن فصلناه.





## القسم الثاني

### في تاريخ الإنسانية في عصر الغيبة الكبرى

فيما يرجع إلى الحوادث والصفات التي تكون للإنسانية عامة أو للمجتمع المسلم أو للقواعد الشعبية الامامية خاصة من حيث مقدار تمسكهم بالدين وما يترتب على ذلك من نتائج... وما هو تكليفهم الواعي الصحيح أثناء الغيبة الكبرى.

وينقسم الكلام في هذا القسم إلى ثلاثة فصول رئيسية.

أولها: في تحصيل الأخبار الواردة في هذا الصدد، وفرزها عما سواها من حيث المورد والمفهوم. وإعطاء القواعد العامة في فهمها.

وثانيها: فيما دلت عليه الأخبار من حوادث وصفات للناس، تخص مقدار تمسكهم بالدين ويتعاليم الإسلام.

وثالثها: فيما هو التكليف الواعي للناس خلال عصر الغيبة الكبرى.





## الفصل الأول

في تمحيص الأخبار التي نريد الاستشهاد بها في هذا القسم، وتمييزها عما سواها من حيث المورد والمفهوم، وإعطاء القواعد العامة في فهمها. وذلك قبل الدخول في سر تفاصيلها في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى

وينبغي أن يقع الكلام حول ذلك في عدة جهات.

الجهة الأولى:

في تمحيص هذه الأحبار، وتشخيص حاجتنا في الاستدلال بها.

هنا إذ نريد أن نعرف المستوى الديني، لأي مجتمع، في أي عصر، نرجع - عادة - إلى تاريخ ذلك العصر لاستعراض ما فيه من حوادث وآثار تدل على ما كان عليه المجتمع من مستوى ديني وشعور بالمسؤولية الدينية. وهذا طريق صحيح، لو استطاع التاريخ أن يسعفنا بما نحتاجه من حقائق ومستسكات

ولكن ما نعرفه - عادة - من تأريخ، يتصف بالفقر - حتماً - بما لا يقل عن ثلاث جهات:

الجهة الأولى.

إسقاطه لبعض الحوادث التاريخية، وعدم التعرض لها، بأي دافع من الدوافع. . وتاريخنا الإسلامي مليء بمثل هذه الفجوات.

الجهة الثانية.

عدم الموضوعية في شرح الحادثة. ووجود الاحتمال على أقل تقدير - في أن

يكون المؤرخ قد غير منها شيئاً لكونه يميل عقائدياً أو عاطفياً مع أحد الأشخاص التاريخيين دون الآخر.

### الجهة الثالثة :

عدم التعرض لحوادث المستقل . وهذا ضروري الوقوع في كل تاريخ ، لأن المستقل مجهول ، إلا بنحو الحدس أو علم الغيب .

أما الجهتين الأولى والثانية ، فيمكن دفع تأثيرهما والحد من ضررهما ، إلى حد كبير ، لدى المقارنة بين مصادر التواريخ وأقوال المؤرخين ، حتى يحصل للفرد السامع وثوق وقناعة بحصول الحادثة أو عدم حصولها . وخاصة بعد استيعاب سائر وجهات نظر المؤرخين ومذاهبهم .

وأما الجهة الثالثة : فيستحيل - عادة - ملؤها في التاريخ الاعتيادي للشرأيأ كانوا . . . فيبقى المستقل المجهول ، فجوة تاريخية شاعرة أمام الناظر يحار في تشخيصها وترتيبها

وهنا يفتتح وجه الحاجة إلى الروايات التي نحن بصددھا ، فانھا تنبأ عن حوادث المستقل مروة عمن لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، وعن خلمائه المعصومين عليهم السلام . . . بطرق متواترة لا يقبل مجموعھا التشكيك . . . وإن كانت كل رواية منها ظنية على أي حال ، وقابلة للمناقشة أحياناً . كما سمعنا مثل ذلك في أخبار المشاهدة ، مع فرق مهم هو أن الروايات الواردة في المقام أصعاف روايات المشاهدة ، على ما سنعرف صورة منه في الفصل الآتي .

على أن جملة منها يحتوي على التسبب بحوادث قد حدثت فعلاً خلال الرمان ، على ما سنعرف ، وقد صدر التسببها قبل حدوثها بزمس طويل . . وهو شاهد على صدقها وصدق قائلها وعلى ارتباط القائل بالله عز وجل بشكل وأخر ، فان كل علم عيب لا بد أن يكون مستقى من علام الغيوب .

ومعه فتكون هذه الروايات ، صالحة لملء الفجوات التاريخية التي أهملها التاريخ ، أو لم يكن مرصوعياً نجاها .

ولكنها - على أي حال - تحتوي على بعض المصاعب، لا بد من استعراضها،  
واستعراض ما يمكن أن يكون منهجاً لتذليل تلك المصاعب

مصاعبها:

تتلخص المصاعب في نقطتين رئيسيتين، من حيث أن الطعن تارة يتوجه إلى  
السند أي إلى وثاقة الرواة وصدقهم. ويتوجه إلى الدلالة، أي إلى ما نفهمه من  
النص المروي تارة أخرى.

النقطة الأولى:

فيما يرجع إلى السند ولئن كانت القاعدة العامة في الروايات هي التأكد من  
وثاقة الراوي والتزامه الصدق في المقال قل قبول روايته. - فإن الروايات التي  
نحن بصددنا أشد خطراً في هذا المجال، من أشكال الروايات الأخرى. من  
حيث أن احتمال الوضع والتحريف أكثر بكثير مما هو في سائر الروايات. وذلك  
باعتبار عدة أمور:

الأمر الأول:

احتمال الوضع. فإن الكاذب قد يخشى الوضع عندما يخاف الافتصاح، عند  
وضوح عدم مطابقة روايته للواقع. وحشية الافتصاح متوفرة - عادة - في سائر  
موارد الروايات، إلا أنها في روايات التنبؤ أقل منها في غيرها من عدة نواح.  
الناحية الأولى:

إن هذه الروايات تنسأ عن حوادث مفرقة في المستقبل الحقيق الذي لا يمكن  
أن تتأكد من صدقه الأجيال. ومعه تبقى الرواية محتملة الصدق دهرًا طويلاً جداً،  
أكثر مما يطمع به الكاذب. وفي كل جيل إن لم تحدث الحادثة الموعودة يقال: لعلها  
في الأجيال القادمة، ومعه يبقى كذب الراوي سراً غير قابل للكشف.  
الناحية الثانية:

إن جملة من هذه الروايات - على ما سمع - دو بيان رمزي وعبارات ذات  
درجة كبيرة من السعة والإهام، بحيث يمكن أن تنطق العبارة على عدة حوادث  
محتملة. ومعه فيقول كل جيل: لعل المقصود هذه الحادثة ولعل المقصود حادثة

أخرى آتية . ويبقى الكذب سرّاً غير قابل للكشف

### الناحية الثالثة:

إن جملة من هذه الروايات، بمحتمل - على أقل تقدير - أن تكون قد وصفت بعد حدوث الحوادث، ونست إلى قائل سابق على الحدث. ومعه قد يجدها الفرد الباحث مطابقة للواقع، مع أنها مكذوبة. ومن الطبيعي أن يكون شعور الكاذب بمطابقة روايته للواقع ما يهون لديه خوف الافتصاح إلى حد كثير

### الأمر الثاني

النقل بالمعنى. وهذا ليس محتملاً محسب، بل هو معلوم التحقق في كثير من الأخبار.

والنقل بالمعنى، لا يكاد يكون مصراً في الروايات الاعتيادية، كالروايات المتعرصة إلى الفقه والفلسفة. . فإن اللفظ أو مرادفه، والجملة ومثيلتها، يعطيان معنى متشابهاً إلى حد كبير. واحتمال اختلاف المعنى يكون ملفي ومدعواً إذا كان الراوي معلوم الضبط والوثاقة

وأما في روايات التفسير والمستعمل، فليس الأمر فيها على هذا العراة. فأنها تصدر في الأعم الأغلب عن قائلها (ص) أو غيره رمزية غير واضحة المعنى، بحيث يحتاج فهمها إلى تدقيق. ومن المعلوم أن التعبير عن اللفظ الأمر بلفظ آخر بمسحة مسحة ويعبر معناه تعبيراً كلياً أو يكاد

وهذا الاحتمال لا يدفعه العلم بالوثاقة والوسط في الراوي، بعد حوار النقل بالمعنى شرعاً، واحتمال عدم فهم الراوي للمعنى المرموز إليه، كي يختار المرادف الصحيح للألفاظ الرواية.

### الأمر الثالث-

احتمال الاسقاط من ألفاظ الرواية في أثناء تناقلها من قبل الرواة فإن القواعد العامة في سائر الروايات، تقتضي إلغاء هذا الاحتمال، باستظهار كون الراوي ناقلًا لجميع الألفاظ، أو لجمع ما يتعلق بالمضمون الواحد من قرائن وخصوصيات. إذا كان الراوي ثقة، إذ لو كان قد أسقط بعض ذلك

لكان قد أدخل بنقله وبوثاقته في نهاية المطاف . ومعه تكون وثاقته دليلاً على أنه نقل  
إليها كل ما يتعلق بالمضمون المعطى في الرواية .

إلا أن ذلك ليس بدي فائدة في روايات التسوُّ المستقل ، وذلك من ناحيتين :  
الناحية الأولى :

إذا احتملنا وجود قرية لعطية أو غيرها ، لم يفهم الراوي كونها قرية معيرة  
للمعنى أو مؤثرة فيه ، فحدها . والراوي الثقة إنما يتعهد نقل ما يفهم تأثيره من  
القرائن بطبيعة الحال ، دون غيرها . ومعه لا تكون وثاقة الراوي نافية لهذا  
الاحتمال

ومثل هذا الاحتمال ، لا يكاد يكون موجوداً في الروايات الاعتيادية ولكنه  
موجود بكل وصوح في الروايات الرمزية ، التي قد تحمى معنى ألقاطها ، فضلاً عن  
قرائنها الدقيقة .

الناحية الثانية

إذا احتملنا أن الرواية كانت متصنة لنقل أكثر من حادثة واحدة ، واحتملنا  
أن نقل الحادتين معاً ، له تأثير في الفهم الدقيق والصحيح لأحدهما أو لكليهما . في  
حين لم تكن الرواية التي وصلتنا حاوية إلا لحادثة واحدة

وهذا الاحتمال لا يمكن الفأوه بالعلم بوثاقة الراوي ، فإن غاية ما يتعهد به  
الراوي الثقة هو أن ينقل كل ما له ارتباط بالمضمون الواحد ، وأما إذا كان  
الإمام (ع) أو النبي (ص) قد أعرب عن مصمومين ، فقد يختار الراوي نقل أحدهما  
دون الآخر ، ولا يكون في ذلك احتلال في وثاقته

واحتمال أن يكون لنقل المصمومين أو الحادتين معاً دحلاً في المعنى . غير  
موجود عادة في سائر الروايات . ولكنه موجود في الروايات التي نحن بصدددها . .  
بل هو ليس احتمالاً فقط ، وإنما نحن نعلم بذلك لعدة أسباب ، أهمها . أننا نحتاج  
في بحثنا إلى الربط بين الحوادث وتشخيص تسلسلها الزمني ، ومعرفة اتجاهات  
أصحابها ، ومعرفة التخطيط الإلهي الذي يقتضي كلاهما . فإذا اطلعنا على الحادثة  
وحدها لم يكن إلى فهم شيء من ذلك سبيل . وأما إذا اطلعنا عليها منصمة إلى  
غيرها ، أمكننا أن نتوصل إلى ذلك .

إذن فلا بد لنا أن نضع منهجاً لتحخيص هذه الجهات السدّية وتدليل مصاعبها، وذلك ما ستعرضه فيما يلي:

### منهج التحخيص السدي:

وهو يتضمن جانبين: جانب إيجابي وجانب سلبي. فالجانب الإيجابي يقتضي الأخذ ببعض الروايات والجانب السلبي يقتضي رفض الأحد بالعص الآخر منها. أما الجانب الإيجابي، فهو الأحد من الروايات بكل مضمون متواتر لفظاً أو معنى، بحيث يوجب العلم من تجمع الروايات بوقوع الحادثة وصحة النقل. ويكل مضمون مستفيض لفظاً أو معاً، بحيث يوجب الاطمئنان من تجمع الروايات بصحة النقل ووقوع الحادثة. ويكل مضمون افترنت به القرائن العامة أو الخاصة، التي توجب العلم أو الاطمئنان بالصلق وهذا يستدعي - في كثير من الأحيان - تجمع العديد من الروايات والقرائن على صحة مطلب أو وقوع واقعة. وهذا ما سعمله في ما يلي من هذا التاريخ

وأما الجانب السلبي فيتلخص بضرورة رفض كل رواية لم تكن من ذلك القليل، وإن كانت مما يؤخذ بها عادة بحسب الموازين العامة في سائر الروايات، كما لو كانت الرواية ذات سند موثوق. فإما لا يفسد ما لم تقم القرائن على صحتها أو تؤيدها غيرها من الروايات.

وهذا التشدد السدي يستطيع أن يتلافى كل الصعوبات السابقة إذ مع العلم أو الاطمئنان بصدق المضمون، لا يبقى لاحتمال الوضغ أثر، كما لا يبقى لاحتمال النقيصة في المعنى أو اللفظ أو لاحتمال تعبير المعنى عند تعبير اللفظ، أي أثر. فإن كل ذلك إنما هو حديث عن رواية واحدة لو لوحظت باستقلالها، وأما لو انضمت إلى غيرها فلا معنى لهذا الاحتمال

كما أن هذا الانضمام يرفع الناحية الأخيرة التي أشرنا إليها، وهو الخلل بتراط الحوادث. فإن الانضمام يجعلنا عالمين بهذا التراط كما هو واضح

### النقطة الثانية:

من مصاعب هذه الروايات: مصاعب الدلالة.

تتصف روايات النبؤ بحوادث المستقل، بشكل عام، بصعوبات في الدلالة والمضمون، بعد العصف عن السد . تلك الصعوبات الناشئة من عدة مآشئ رئيسية، يَحتمل وجود واحد منها أو أكثر في كل رواية مروية في هذا الصدد، على ما سترى.

وسيعي أن نتحدث أولاً، عن السبب الذي أوجب صدور هذه الروايات عن قائلها بشكل رمزي صعب الفهم إلى حد كبير. ثم نتحدث ثانياً عن أسباب الصعوبة بالنسبة إلى فهمنا الخاص بعد أن تكون الروايات قد وصلت إلينا. ومن هنا يقع الحديث في ناحيتين

الناحية الأولى:

في التحدث عن الأسباب التي دعت النبي (ص) والأئمة (ع) للتكلم عن حوادث المستقل بشكل أقرب إلى العموض والالهام وترك السير- تعتمد واضح- في طريق التوضيح والتفصيل.

وما يمكن أن نتصوره من أسباب ذلك، بحسب ما نستطيع تشخيصه الآن، يمكن إبراده ضمن عدة أمور:

الأمر الأول:

قدور حاطب الناس على قدر عقولهم . هذا القانون الذي سبق أن ذكرنا أنه عربي وصحيح، وقد مشى عليه النبي (ص) والأئمة (ع) في سائر كلماتهم. فمثل كان النبي (ص) أو الإمام (ع) على مستوى إدراك الواقع التاريخي المتحقق بعد ألف عام أو عدة آلاف من السنين، بحيث يرى المستقل ببعد نظره وتوفيق ربه، كما يرى الحاضر . فإن الشر لم يكونوا في أي عصر من العصور على هذا المستوى من الفهم على الإطلاق . وعاية ما نرى الحكومات الحاضرة- عن كثرة مكرها ودقة سياساتها، إنها تستطيع أن تخطط لخمس سنوات أو عشر سنوات، على بحر محتمل غير مضمون التطبيق الكامل، في الأعلى.

وأما التخطيط وبعد النظر إلى مئات وآلاف السنين، فهو خاص بالله عز وجل ومن ارتضى من رسول ومن علمه الرسول (ص) من هذا العلم وهو علم ضروري للأئمة المعصومين (ع)، كي يستطيعوا أن يأخذوا بالتخطيط الإلهي إلى

حيث التنفيذ، كما سمعنا طرفاً منه، ونسمع طرفه الآخر فيما يأتي وعلى أي حال، فالتناسق قاصرون دائماً عن إدراك مثل هذا العلم وتقبل مثل هذه الأخبار، إذن فلا مد للإمام أخذاً بقانون التعاهم العربي أن يبرز للناس من الحقيقة ما لا يسهو أفهامهم وما يتناسب مع واقع حياتهم. وحيث أن الواقع المعبر عنه، أوسع وأعمق مما يستطيعون فهمه، إذن فلا مد من اللجوء إلى الرمرر والعموض في التعبير، حفظاً لمستوى التعاهم العام.

### الأمر الثاني:

إن هناك مصلحة مهمة في جعل الفرد المسلم متظراً لظهور المهدي (ع) في كل حين، ومستعداً نصياً لتلقي هذا النبأ الكبير... ومن المعلوم أن النبي (ص) أو الإمام (ع)، لو أخبر عن الحوادث بشكل واضح ومفصل، فإن هذا الجور النفسي يتغير إلى حد كبير. فإن الناس سوف يصحون عالمين بعدم قيام المهدي (ع) وظهوره ما دامت تلك الحوادث لم تحدث.

ويحصر المحافظة على مستوى الإمتظار المطلوب، إذا كان الأخبار بالحوادث مشوياً بالعموض والتعميم وإهمال تحديد التاريخ. بحيث يحتمل حدوث الحادثة الموعودة في أي عصر، فيحتمل حينئذ ظهور المهدي (ع) بعدها في ذلك العصر.

### الأمر الثالث:

إننا نحتمل - على الأقل - أن الحوادث لو كانت قد عرست مفصلة، لأوجبت فشل التخطيط الإلهي للإعداد لظهور المهدي (ع)، لإمكان استغلال المستعجلين لها قبل حدوثها، وإمكان تلافي ما يتوقع أن تتجه من الظلم، واستدراج ما يمكن أن تدره من ربح. وهذا ليس فيه مصلحة. بل إما يكون التخطيط ناجحاً إذا جاءت الحادثة عفوية وعلى طبق التطور الطبيعي للتاريخ.

إذن بالإغماض عند عرض الحوادث، يعتبر مشاركة فعلية من قبل النبي (ص) والإمام (ع) في إسجاح المحطط الإلهي، لإيجاد شرائط الظهور.

### الأمر الرابع:

إن النبي (ص) أو الإمام (ع) إما يذكر بعض حوادث المستقبل لمحل إستشهاد



أو عبرة أو موعظة أو نحو ذلك . إذن فلا بد له أن يقتصر على المقدار الذي يوفي المطلوب، ويكون من المستهجن - عادة - الإستمرار في سرد تفاصيل الحوادث أكثر من ذلك . شأنه شأن القرآن الكريم نفسه، الذي اقتصر من تفاصيل القصص على موضع العبرة ومورد الترية للسامعين، وترك سائر التفاصيل فكدلك الحال بالنسبة إلى النبي (ص) أو الإمام (ع) حين يعرب عن حادثة من حوادث المستقبل .

يستثنى من هذا الوجه، الروايات التي تكون بصدد بيان حوادث المستقبل مباشرة كذكر اشراط الساعة أو علامات الظهور فإنه لا يكون من المستهجن في مثلها الإستمرار في بيان الحوادث ومعه يكون الغموض مستنداً إلى الوجه الأخرى .

### الأمر الخامس :

أمر فلسفي عقائدي، يعود إلى النبي (ص) أو الإمام (ع) بأن يجبر بما لا يدخله المحو والإثبات، ويحمل ما يحتمل أن يدخله ذلك، لإحتمال ظهور عدم مطابقته للواقع . على تعصيل وتحقيق ليس له محال في المقام .

فإذا عرفنا هذه الأسباب الرئيسية للغموض والإجمال في مداليل الروايات التي نتكلم عنها . . . نستطيع أن ندخل، ونحس على بينة من أمرنا، في البحث عن تشخيص المناشئ الرئيسية اللفظية أو المعنوية للغموض، لكي نعود بعدها إلى تشخيص ما يمكن أن يكون ميزاناً لتلافي هذه المناشئ، والخروج عن مصاعبها، وفهم الروايات فهماً مستقيماً صحيحاً .

### مناشئ الغموض :

ويمكن عرض أهم هذه المناشئ، فيما يلي :

#### المنشأ الأول :

الرمزية والمراد بها إستعمال المعنى التركيبي أو الخلمي، وإرادة معنى آخر، غير ما يفصح عنه اللفظ بوضوح .

وهذا هو الذي يميز الرمز عن الكتابة والمجاز، فإنها لا تكون إلا في معردات

الألفاظ أو السبب الكلامية، بخلاف الرمز فإنه يكون - عادة - في الجمل التركيبية. ومن هنا يمكن أن يكتب الفرد صفحة أو عدة صفحات من الكلام ذات معان معينة، ولكن لا يريد الكاتب أي واحد من المعاني على التحديد، وإنما يرمز بها إلى معان أخرى، لا يمكن التوصل إليها إلا عن طريق قرائن خاصة أو قرائن عامة متفق عليها.

وهذا السحر من الرمز وجد في الكلام العربي القديم. وهو شائع في هذا العصر في الأدب، وخاصة في مدرسة (الشعر الحر) وهو الذي يفسر لنا عددا من موارد الغموض في تلك الروايات.

مثاله: التعبير في الروايات بمثل قوله. تفقأ عين الدنيا أو قوله. تخرج من اليمس نار تضيء لها أعناق الأبل في بصري. فإن كل ذلك ليس على وجه الحقيقة، وإنما هو رمز عن حوادث أو حركات تاريخية معينة لإيراد التصريح بها أو عرضها بشكل تفصيلي.

ومن المؤسف أن الناس حين عطلوا عن هذا المشأ، حملوا مثل هذه التعبيرات على معانيها المباشرة الحقيقية. وبعدها انقسموا إلى قسمين. فهناك من الناس من يصدق بما يسمعه ويعهمه من هذه الروايات، ويحملها على المعجرات وخوارق العادات وإن كان يجهل مآشئها ومصالحها. وهناك من الناس من هو مكذب لهذه المعاني ساحط عليها، بل على كل روايات التسق بالمستقل.

مع إن كلا المسلكين، مما لا حاجة إلى الإلتزام به. إما المسلك الأول: فلأن المعجزات لا تكون إلا بقانون. كما سبق أن عرفنا. فلا بد من تطبيق الروايات عليه، قبل الإلتزام بمضمونها حملة وتفصيلا. على إننا لا يمكن أن نحمل مصموم الرواية على المعجزة ما لم نتأكد من فهمها أولاً. وقد عرفنا إنه من المحتمل - على أقل تقدير - أن يراد بها معان أخرى غير ما هو ظاهرها، وقد يكون ذلك معنى لا يمت إلى المعجزة بصلة. ولعل استبعاد الفهم الإعجازي في عدد من الحالات، يكون قرينة على الرمزية، وإمكان حملها على ذلك.

وأم المسلك الثاني - فهو باطل أيضاً، بإعتباره منطوقاً من الإعتقاد تشويش هذه الروايات وعرابة مضامينها، ونحن بعد أن ثبتت تطعيمها وصحة مداليلها، لا

يكون لهذا المسلك أي موجب. مضافاً إلى أن كثرة هذه الروايات إلى حد تفوق حد التواتر، يجمع من إنكارها جملة وتفصيلاً كما هو واضح.

نعم، يبقى البحث عن الأمر المرموز إليه بهذا الرمز أو دال ما هو؟ وكيف نعرفه؟ فهذا ما سنبينه بعد قليل.

### المنشأ الثاني:

استعمال معاهيم معينة ذات مداليل ومصاديق خاصة، بحسب ما يعيشه الناس في عصر صدور الرواية. ومن المؤكد أنهم لم يفهموا منه إلا ذلك إلا أن النبي (ص) أو الإمام (ع) أراد منها مصاديق أخرى، هي المصاديق والتطبيقات التي تكون هذا المفهوم في عصر حدوث الحادثة التي يجرعها.

مثال ذلك. قولهم عليهم السلام إن المهدي (ع) يقوم بالسيف والمراد به قوة السلاح المناسب لعصر الظهور. على حين لم يفهم المعاصرون للنبي أو الإمام إلا السيف نفسه. ولعلهم أصابوا إليه في محيلتهم الدرع والرمح أيضاً ١

ومثله الآخر: إخبارهم عن جيش يحسب به في اليبداء، فإنه من المؤكد أنه لم يفهم الناس، حين سماعهم هذا الخبر لأول وهلة، إلا كونه جيشاً محارباً بالسيف على العرار القديم. مع أن مثل هذا التحيل مما لا موجب له، بل إن الجيش محارب سلاح عصره لا محالة.

### المنشأ الثالث:

الحذف وعدم التعرض إلى التاريخ المحدد تارة وإلى المكان أخرى وإلى أسماء الأشخاص ثالثة. وإلى أهداف ومناهج وإيديولوجيات الحركات الموعودة في التاريخ، رابعة. وغير ذلك من الأمور مما يجعل العلم المفصل بالحوادث متعذراً إلى حد كبير.

مثاله: التعبير بالنفس الركية وبالسفاتي، وعدم التعرض إلى أسمائهم صراحة والأحبار بخروج رايات سود من حراسان، أو بوجود طائفتين متحاربتين ودعوتها واحدة. مع عدم التصريح بأن دعوة هؤلاء الناس قائمة على حق أو على باطل. . إلى غير ذلك من الأمثلة.

## المشأ الرابع :

سبب نفي من المطلعين على هذه الروايات من الباحثين، يحمل الفرد على عدم الادعاء والتصديق أو صعوبة التحقق الحادثة أو صدق الرواية، وإن توفرت فيها شرائط السد، وزالت المناشئ الثلاثة الأولى لغموض الدلالة وهذا الإغتهاب النفسي له عدة مناشئ. أهمها ما يلي :

أولاً. احتمال الحذف أو التغير خلال النقل. فإن احتلال الحرف الواحد بل النقطة الواحدة، فضلاً عن الكلمة والأكثر، مما يحمل بالمقصود وبغير المعنى . وبخاصة في مثل هذا الحقل من المعرفة الإنسانية.

ثانياً. استبعاد وقوع كل الحوادث المحر بها في مجموع الروايات. فإن كثرة هذه الروايات، كما تجعلها متواترة يعلم بصدق عدد مهم منها. كذلك نجعلنا نعلم أو نظن - على الأقل - بكذب عدد آخر منها. ومن المعلوم أننا لا نستطيع أن نشخص المعلوم الصدق من معلوم الكذب. فإن كل رواية لو أخذناها لرأيهاها محتملة الصدق والكذب.

ثالثاً: عدم التأكد من مطابقة عدد من المعجزات المروية في هذه الروايات، مع قانون المعجزات الذي ذكرناه. أي عدم التأكد من أن هذه المعجزات واقعة في طريق إقامة الحجة ومن المعلوم أنها لو لم تكن واقعة في هذا الطريق، فمقتضى القاعدة نفيها وتكذيب روايتها.

وعلى أي حال فهذه هي المناشئ المهمة للغموض والتشكيك في دلالة هذه الروايات. وهناك مناشئ أخرى تكون في مورد دون مورد. لا حاجة إلى التمرض لها.

### منهج التمهيص الدلالي

بعد أن عرّفنا هذه المناشئ الرئيسية للغموض والإيهام في روايات التسو عن المستقبل، لا بد لنا أن نعرض منهجاً يذللها وإسلوباً من الفهم يسطر محتواها ويربط بين أجزائها، لكي نتلافى تلك الصعوبات إلى أكبر حد ممكن.

وسدأ أولاً بمناقشة المشأ الرابع، لكونه حاصراً بالسامع، أي بأسلوب وصول

تلك الروايات إلينا . لكي تتوفر بعدها، إلى ناقشة باقي المناشئ باعتبارها خاصة  
بالتكلم الذي صدرت منه هذه الروايات

والمشأ الرابع، بعد أن حللناه إلى مصاعب ثلاثة، يرول بطبيعة الحال، بزوال  
هذه المصاعب وتذليلها، فيرتفع الاستعداد النفسي عن هذه الروايات، ويكون  
الأخذ بها قريباً إلى النفس.

وسطلق إلى تذليل هذه المصاعب من التشدد السندي الذي أساء برفض  
كل رواية لا تعضدها القرائن والقواعد، وإنكار كل حادثة لم تتوفر فيها الروايات.  
فإما عندئذ سوف لن نشعر بشيء من هذه المصاعب.

أما احتمال الحذف والتعير، فيرتفع بكل وصوح، لأن المطلوب هو إثبات  
الحادثة من مجموع القرائن والروايات العديدة وهذا ما لا يخل به احتمال التعير  
كما هو واضح. وإن كان يؤدي بنا إلى حسارة من جهة أخرى، وهي احتمال أن  
تكون هذه الرواية - مثلاً - من القرائن المؤيدة لو كانت مروية على شكلها  
الواقعي، ولكنا لا نجد لها الآن مدرجة في هذه القرائن. وهذه حسارة لا بد منها  
نتيجة للأخذ بمنهج التشدد السدي. ومنسغفي عن أمثال هذه الرواية بروايات  
أخرى

وأما العلم بعدم صدور بعض الروايات عن النبي (ص) أو الأئمة  
المعصومين (ع)، فهو لن يؤثر شيئاً بعد تعاضد الروايات والقرائن على الحوادث  
التاريخية. فحتى لو فرض أن من جملة الروايات التي تشارك في إثبات هذه الحادثة  
التاريخية أو تلك، هي رواية موضوعة مكذوبة . فإن ذلك لا يضر أصلاً باعتبار  
أمرين: أولهما، الإعتماد على الروايات والقرائن الأخرى المشتهة للحادثة. وثانيهما،  
إننا لا نستطيع أن نشير إلى أي رواية يعيها لنقول إنها مكذوبة، ما لم تبلغ إلى درجة  
الإنحراف في الإسلام وتكون مخالفة للقواعد الإسلامية، والمعروض أن مثل هذه  
الرواية سوف لن تتدرج في الاستدلال على وجود أي حادثة تاريخية إحد، فكل  
رواية نستدل بها هي محتملة الصدق على أي حال، فتصلح أن تكون قريبة على  
الحادثة

وأما مسألة عدم مطابقة المعجزة المروية لقانون المعجزات، فلا بد وأن سطر في

كل رواية، فإن كانت مرفوضة عن طريق التشدد السني . . إذن فهي ساقطة سلفاً، ولا حاجة إلى التعب في التعمير شأها

وأما إذا كانت مروية بالطرق الثابتة بالتشدد السني، فإن المعجزات المروية عن هذا الطريق، في الأعم الأغلب مطابقة لقانون المعجزات، ولا أقل من أنها محتملة الإنطباق عليه، بحيث لا يكون هناك يقين بالتساوي بين إثبات هذه الرواية وبين قانون المعجزات. وستقدم لأمثال هذه الروايات فهماً حديداً يجعل معجزاتها مطابقة للقانون المطلوب.

وإن حرص - نادراً - أن صدور الرواية وصدقها كان ثابتاً بالتشدد السني، وكان عدم انطباق المعجزة على القانون معلوماً أيضاً . فهذا مما لا يمكن أن يحدث في الواقع. وإنما يستأ ذلك عن وجود غموض في الرواية أو نقص في الحادثة، يكون هو الكفيل - لو ارتفع - بإيضاح المطلوب والله هو الموفق للسداد.

وأما المشايء الثلاثة الأولى، فالمشأ الثالث منها، وهو احتمال الحذف والتغيير، يرتفع تماماً بالتشدد السني، كما هو واضح لأن المطلوب الأساسي هو تحصيل القرائن على وقوع الحادثة، لا إثبات صحة رواية معينة يحتمل فيها الحذف أو التغيير.

وأما المشايء الأول والثاني، فقد عرهما خلال مناقشتها أنها يشعلان خطوة ساءة، لا سباً من أسباب العشل إذ يستعيد من كليهما قاعدة عامة.

أما المشأ الأول: فالقاعدة المستعادة منه: أن إن وجدنا الرواية مما يمكن لأحد بصحتها وصراحتها، بمقتضى القواعد العامة والقرائن التاريخية والدينية، إذن فهي ليست، رواية رمزية على أي حال. وأما إذا وجدنا الرواية مما لا يمكن لأحد بصحتها وصراحتها بمقتضى القواعد، إذن فهي رمزية، ولا بد أن يفهم من النص معنى مطلقاً منطقياً منسجماً مع سائر الأدلة والروايات والقواعد وإن خالف هذا المعنى، ما تعطيه الرواية بحسب الظاهر.

ويتم تعيين المعنى طفقاً لإحدى خطوات ثلاث:

الخطوة الأولى:

إن الرواية لا يمكن أن تحمل على الرمز ما لم يثبت عدم إمكان حملها على المجاز

أو الكناية. لأن رفع اليد عن المعنى الظاهر من اللفظ المعرد أولى من رفع اليد عن المعنى الظاهر من الجملة التركيبية. فإن لم يمكن في الرواية هذا الحمل، نعين الحمل على الرمزية في المعنى التركيبي.

#### الخطوة الثانية:

إن الرمز أو المجاز، إن كان محتملاً لأكثر من معنى، فلا بد من الحمل على أقرب المعاني المحتملة إلى المدلول المطابق أو الظاهر بحيث يكون مسحاً معه على أي حال. ومعه فلا بد من الإعراس عن المعاني الأخرى وإهمالها.

#### الخطوة الثالثة

بتعين المعنى - كما علمنا - طمناً لإسجانه مع القواعد العامة والقرائن المتجمعة، فإنها هي العنصر الهائي في ذلك على كل تقدير.

وأما المنشأ الثاني، فالقاعدة العامة المستمدة منه هي: عدم إمكان حمل الألفاظ على مصاديقها القديمة التي فهمت منها عند صدور النص. بل لا بد لنا من أن نفهم النص في حدود دلالاته على الحادثة التي تقع في المستقبل إذ من المعلوم أن الرمز كقيل يتطور المصاديق جيلاً بعد جيل.

كما لا ينبغي أن نفهم الروايات بمفاهيم حيلنا الحاضر، على وجه التحديد، بل لا بد لنا أن نتصور لها مفاهيمها الخاصة ومصاديقها حين حدوثها، متى تحقق وقتها. ولعل وقتها لن يحصل إلا بعد مئات السنين.

فهذا تمام الكلام في المصاعب الدلالية. وبه تنتهي الجهة الأولى من هذا الفصل.



#### الجهة الثانية:

في أقسام روايات الشؤ بالمستقل بشكل عام، وتحديد ما يدل منها في محل البحث من هذا القسم الثاني من هذا التاريخ.

تنقسم هذه الروايات من نواحٍ ثلاث، تختلف باختلاف الإعتبارات الملحوظة فيها:

## الناحية الأولى:

انقسامها من حيث توزيعها على الزمن، باعتبار ماضيها وحاضرها ومستقبلها... إلى ثلاثة أقسام:

### القسم الأول.

ما دل على التنبؤ بوقوع الحوادث قبل وقوعها، ولكن قد حصل وقتها وحاء زمانها خلال الأجيال الإسلامية كالتنبؤ من قبل النبي (ص) وبعض الأئمة الأوائل، بقيام دولة الأمويين أو العباسيين وانقراضهما، أو خروج صاحب الرّيح أو وقوع الحروب الصليبية، وغيرها مما ورد التنبؤ به، وحدث بالفعل خلال التاريخ الإسلامي

### القسم الثاني

ما دل على التنبؤ بحوادث تجدها معاصرة لها في جيلها الحاضر وهي تلك الروايات التي دلت على فساد الزمان وانحراف الاتجاهات العامة السائدة فيه، من وجهة نظر الإسلام الواقعي . وما ينفع ذلك ويتسب عنه من النقاط التمهيلية والحوادث المعينة، على ما سنعلم.

### القسم الثالث:

التنبؤ بحوادث لم تقع بعد، أو لم يدل الدليل على وقوعها، على أقل تقدير. كقتل النفس الركية وخروج السعياي والدجال والصيحة والخلف بالحيش في البيداء... إلى غير ذلك.

وما هو داخل في هذا القسم الثاني من هذا التاريخ هو القسم الثاني من هذه الأقسام الثلاثة، بصفتها دالاً على مقدار تمسك الناس بالدين وتعاليم الإسلام في العمية الكبرى، بما يشمل العصر الحاضر وغيره من العصور. وأما القسم الأول والثالث فمجال الإطلاع عليهما سيكون هو القسم الثالث من هذا التاريخ إن شاء الله تعالى، بصفتها مسوقاً بشكل رئيسي لبيان علائم الطهور، على ما سنعلم.

### الناحية الثانية:

انقسام هذه الأحبار من حيث الرواة القليلين لهذه الأخبار بما يعتقدون من



مذاهب إسلامية. وتشكل مجموع هذه الأخبار مساراً خاصاً للمعرض التاريخي لعصر الغيبة الكبرى، نستطيع أن نسميه بالتاريخ الخاص لهذه الفترة.

وينقسم الرواة من هذه الناحية إلى قسمين رئيسيين، لا بد من التعرف عليهما مع الأمل إلى بعض الفروق الأساسية بينهما.

### القسم الأول:

ما رواه المحدثون العامة من أخبار النبؤ بالمستقبل، فإسهم نقلوا القسط الأول والقسم الأكبر منها. وشاعت في أحوالهم نصوص وحوادث معينة، لا تكاد توجد فيما رواه الرواة الإمامية من هذه الأخبار.

وقد وردت هذه الأخبار في مصادرهم بعوان الملاحم والفتن أو اشراط الساعة، ولم تربط مداليلها، في الأعم الأغلب، بعية الإمام المهدي (ع) أو ظهوره، إلا ما كان من القسم الثالث من الناحية السابقة وهو تلك الحوادث القريبة من الطهور وأماره مباشرة عليه، كوجود السعياي والخسف. وأما القسمين الأول والثاني منها، فقد ذكرت أخبارها مستقلة عن مسألة المهدي (ع) تماماً. ومن هنا ذكرنا في المقدمة، إن الإشارة إلى تاريخ الإمام المهدي (ع) فيما يخص الفترة التي نعرض لها، قليل جداً في أخبار العامة. ولكننا سنرى فيما بعد امتناع الفصل بين الفكرتين بحسب فلسفة الغيبة والربط الفكري العام على الحوادث. وسنبرهن في القسم الثالث من هذا التاريخ، على أن كل أخبار النبؤ بكل أقسامها، دالة على وجود المهدي (ع) بطريق مباشر وإن ما يقع من حوادثها قبل ظهوره، هي من علامات الطهور.

### القسم الثاني:

ما رواه محدثو الإمامية من هذه الأخبار، وهو على كثرته وصحامة عدده، لا يكاد يصل إلى المقدار الذي رواه العامة من ذلك.

وقد وردت هذه الأخبار في مصادرهم - على الأعم الأغلب -، مربوطة بعية المهدي (ع) وظهوره، وسميت بعلامت الطهور، بمعنى كونها حوادث لا بد أن تحدث قبل الطهور، ومن ثم يكون حدوثها دالاً على حدوثه ومؤيداً لتوقع وجوده.

شكل وآخر، ومذكر فلسفة ذلك وارتباطه الفكري العام، في القسم الثالث من هذا التاريخ

ولم يشد عن الربط بالمهدي (ع)، إلا بعض ما يدرج في القسم الأول من الناحية السابقة، كالتحذير من قتل النبي (ص) من دولة الأمويين أو العباسيين فإنه ذكر مستقلاً عن مسألة المهدي (ع) عل الأعلب ولكنه - على أي حال - مشمول لما قلناه من ارتباط كل التسؤات مثلك المسألة ولو بشكل غير مباشر.

### الناحية الثالثة:

اقسام هذه الأحبار من ناحية دلالتها على سوء الزمان تارة وحسنه تارة أخرى.

فان الأعم الأعلب من روايات التسؤ بالمستقل، وخاصة فيما يدخل في محل الكلام من هذا القسم من التاريخ تدل عل سوء الزمان وتدهوره من الناحية العقائدية والاقتصادية والسلوكية وانحرافه عن الاسلام. وتنصص هذه الأحبار في حقيقتها تحذيراً للمسلم عن أن يحرف مع المحرفين، وإعطائه الأساس العام للموقف تجاه الانحراف وما يحدث من الفتن والمصاعب، بالحو الذي سوضح فلسفته في الفصل الآتي.

وهناك عدد مهم من الروايات، يدل عل حسن الأفراد أو المجتمع من الناحية الاقتصادية أو العقائدية أو السلوكية ويمكن الرجوع بهذه الروايات إلى عدة أقسام:

### القسم الأول.

ما دل من الأحبار عل حسن المجتمع بعد ظهور الامام المهدي (ع) وهي روايات عديدة جداً يشترك في نقلها الفريقان، وهذا ما يخص تاريخ ما بعد الظهور، وهو الكتاب الثالث من هذه الموسوعة

### القسم الثاني:

ما دل من الروايات على كثرة المال والطعام مع الدجال الأعور. وهي أحبار كثيرة وردت، في الأعم الأعلب، في مصادر الحديث العامة. ولم يجرها من

الامامية إلا القليل وهي تخصص القسم الثالث من هذا التاريخ وستعرض  
لتمحيصها هناك إن شاء الله تعالى.

### القسم الثالث .

ما دل على تحقق نجبة مغلصة واعية قوية الارادة، خلال العيبة الكبرى. وهي  
أخبار غير قليلة وردت في مصادر الفريقين. وسيأتي التعرض إلى فلسفتها في  
الفصل الآتي حين نعرض إلى التخطيط الالهي لليوم الموعود

### القسم الرابع :

ما دل من الأحبار على تحسن المجتمع أو الأفراد بشكل عام، مهمل عن ذكر  
التاريخ، وتحديد الزمان والمكان على الإطلاق وقد وردت جملة من ذلك في  
مصادر الحديث العامة.

وهذا مما لا بد من ربطه بأحد الأقسام السابقة، وخاصة بعهد ما بعد الظهور  
حين تمتلئ الأرض قطعاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وحروراً، ولا يمكن أن نهمم حدوثه  
خلال عهد العيبة الكبرى بعد قيام الدليل القطعي على فساد الرمان وتدهوره،  
بحسب الأخبار الواردة الفائقة عن حد التواتر، على ما سنسمع

فهذه جملة الأقسام العامة للأخبار الواردة للتسؤ بأحوال الرمان، ذكرها  
لتكون عن احاطة بها إلى حين تمحيصها



### الجهة الثالثة .

في تأسيس القواعد العامة لعهم أخبار التسؤ عامة وفساد الرمان خاصة . .  
على ضوء المنهج السندي والدلالي السابق.

يمكن أن نطرح في فهم الارتباط العام بين الروايات، أطروحتين . - ترجع  
الأولى إلى التمسك بالألعاظ والمداليل المطابقة والمعاني المباشرة للروايات. وترجع  
الثانية إلى التجاور عن الألعاظ إلى الأساس الجوهرية المطابق للقواعد الاسلامية  
الصحيحة .

## الأطروحة الأولى.

أن تأتي الفكرة إلى الذهن كما يلي : أننا إذ نعيش في زمان معين ومكان محدد،  
تخفى علينا - بطبيعة الحال - المصالح العامة والتخطيطات الكبرى التي تؤحد بنظر  
الاعتبار في التدبير الإلهي - فإما نأخذ عن حكمة أزلية يقصر عن إدراكها الإنسان  
المتناهي القاصر.

إذ فلا سبيل لنا إلى فهم الارتباط العام - أريد مما دلت عليه ألفاظ الأخبار  
المتوفرة في هذا الصدد، فأنها المفتاح الأساسي للاطلاع على الأمور الغائبة عنا  
ومعه نكون في حاجة على الدوام إلى التمسك بالمدايل اللفظية للأخبار، ما دام  
الخبر بحسب القواعد العامة قبلاً للآثار التاريخية

ومعه فقد نستنتج من ذلك عدة نقاط :

### النقطة الأولى.

أه لا حاجة إلى التشدد السدي الذي ذكرناه، كما لا حاجة إلى الأحاد بالمسح  
الدلالي السابق . فإما إنما نحن بالحاجة إليها فيما إذا فهمنا من الروايات  
عموماً واحداً واستعدنا صدق مداليلها اللفظية المطابقة . إلا أن هذا القموض  
وهذا الاستبعاد ناتج - في الحقيقة - من جو نفسي معين ناتج من دعوى العلم بما  
يجهله من التدبير الإلهي والحكمة الأزلية . فإذا لم تكن الروايات مطابقة مع العلم  
الذي يدعيه، احتجنا إلى تمحيصها سنداً ودلالة

وأما مع الاعتراف بالجهل أمام الله تعالى في تدبيره الكسرى، فلا يبقى أمامنا  
في معرفة تفاصيل هذه التدابير، إلا ما نطقته به هذه الأخبار، فإما الطريق الوحيد  
للمقصود - ومعه فلا حاجة إلى التشدد في سيد الروايات ولا الشك في معانيها  
الواضحة الظاهرة منها ولا حاجة إلى حملها على غير ذلك من المعاني

### النقطة الثانية.

أه لا حاجة إلى تصور أي ارتباط عام بين الحوادث الواردة في هذه الأخبار،  
بل أن الاطلاع على ذلك متعذر أساساً . فإن الارتباط الواقعي بيد الله عز وجل ولم  
يطلع عباده عليه إلا بالمقدار الذي وردت فيه الأخبار الدالة على التسبب بالمستقل،

وهي لا تعطيا إلا الحوادث المتفرقة المعثرة ليس إلا، وأما الرائد على ذلك فلا بد من إيكال علمه إلى أهله

### النقطة الثالثة .

أنه لا حاجة إلى المعحص عن أسباب الحوادث ودواعيها النفسية وال خارجية، إذ من المتعذر البحث عن ذلك . أما لأن مثل هذه الدواعي غير موحدة أصلاً عند غير الله تعالى . وإنما الموجد للحوادث هو الله عز وجل، فالدواعي محصورة بالحكمة الألفية المستحيل الاطلاع عليها . وأما أنه، على تقدير وجود الأسباب الواقعية للحوادث المروية، فإما مطلع عليها بالمقدار الذي دلت عليه هذه الروايات . . . وهو برر قليل، وسقى مسلمين بالجهل تجاه الأسباب التفصيلية الواسعة لها.

### النقطة الرابعة :

إن الأحبار التي برها على أنه لا بد من الأخذ بمدايلها اللعطية، دلت على أن علائم الظهور تقوم في أغلب على المعجزات وحوادث العادات وهو أمر لا يحصى عن الالتزام به، وإنما يجمع عن التسليم بذلك الحس المادي الذي يعيشه في هذا العصر المحرف عن الإسلام الصال عن الاتجاه الإلهي الصحيح

ومعه لا حاجة إلى التأويل في طواهر الروايات، بعد أن كانت بمكة الوقوع ومعتبرة السد فلا بأس أن تتصور وحوادث تار في اليمن نصيهاً لها أعناق الال في بصرى على وجه الحقيقة أو أن تتصور طول اليوم الواحد حتى يصبح بمقدار عدة سوت في أيام المهدي (ع) وتتصور صمره حتى يصبح كالومضة الواحدة، في عصر اندحال أو السفياي كما نطقت بذلك وبهذا بعض الروايات.

بل قد يمكن حمل ما ظاهره الحدوث سبب طبيعي على الحدوث بسبب اعجاري كالخسف في البيداء، وقتل النص الركية وحروج الدجال وحوادث ذلك بل قد يمكن تعميم المعجزات، من طرف الحق إلى طرف الباطل . فالدجال عنده أكوام من الطعام تنحو اعجاري، وسر يرى أن فيه ماء وإنما هو فيه النار، ونهر آخر يرى أن فيه النار وإنما هو فيه الماء الصافي اللديد . والسفياي يتم قتاله مع

أنصار الحق بنحو اعجازي. وهكذا وكل ذلك مما ينبغي التسليم به لمجرد دلالة الروايات عليه.

#### النقطة الخامسة:

إن الحوادث المفولة في الروايات، سواء منها الاعجازي أو الطبيعي، هي في واقعها، شرائط للظهور، بمعنى أن الله عز وجل أباط الظهور بها وجعله متوقفاً عليها، بإرادة خاصة، بمعنى أنه جعل لها سبباً زائدة على أسبابها ومسبباتها الخاصة، فلا يتحقق الظهور بدون حدوثها. وإن لم نعلم الوجه في فلسفة ذلك

#### الأطروحة الثانية:

أنا وإن كنا جهلاء أمام العلم الإلهي الأربلي اللامتناهي، ويستحيل اطلاعنا عليه بدون إخباره عز وجل لنا وإعلامه إيادنا إلا أنه عز وجل جعل لنا طريقين أساسيين مشروعين لحصول العلم أولهما: الحقل المتمثل بالقضايا الواضحة التي يحكم العقل السليم بصدقها بشكل لا يمكن أن يرقى إليه الشك. وثانيهما: النقل المتمثل بالكتاب الكريم والسنة الشريفة ومن المستطاع أحد القواعد العامة، بل الاطلاع على كثير من التفاصيل في هذين الطريقين بشكل مؤكد الصحة والمطابقة للواقع، ومرضى الله عز وجل. ونحن إذ طبقنا هذه القواعد، لا نكون قد أخذنا بأرائنا الشخصية، وإنما نكون قد أخذنا بالرأي الإسلامي من زاوية القواعد العامة، في تمحيص خصائص الروايات وتماصيلها، وتكون القواعد العامة العقلية والشرعية مقدمة على هذه الروايات ومحمكاً لهم صحتها وصدقها.

إذن، فالأخذ بما دلت عليه أحبار النسوة، من دون تمحيص وتحليل، باعتبار أننا جهلاء تجاه علم الله تعالى يمثل جهلاً بالقواعد الشرعية والعقلية الموصوعة لمعرفة الحق وتشخيص الصواب ونحن لسنا جهلاء بهذه القواعد، بعد أن وقفنا رب العالمين للاطلاع عليها بما هداا إليه من العقل والنقل، وما كنا لنتندي لولا أن هداانا الله.

ومعه، لا بد من الأحكام بما يوصلنا إليه النظر في القواعد العامة، وفهم التراط بين الحوادث والأحكام الدالة عليها والأحكام من هذه الروايات بمقدار ما تثبت لها صحتها طبقاً للقواعد أيضاً.

وإذا سرما هذا المسار، أمكننا أن نضع نقاطاً خمس مقابلة لنقاط التي تنصمها الأطروحة الأولى.

### النقطة الأولى:

إننا نحتاج لا محالة إلى المنهج الدلالي والتشدد الستدي الذي وضعه لستطيع أن نطلق عن طريقهما إلى إرالة ما قد يبدو من الشافي بين بعض الأحبار وبعض من ناحية والتافي بين بعض الأحبار والقواعد العامة من ناحية أخرى

### النقطة الثانية:

أنه لا شك في وجود ترابط حقيقي واقعي بين كل حوادث الدهر، ابتداء بما يعيشه الإنسان من حوادث شخصية وعامة وانتهاء بعلامات الطهور والظهور نفسه. هذا الارتباط الذي يمثل التخطيط الإلهي هداية الشر أجمعين في مستقبل الدهر، على ما سوضحه ونبرهن عليه في الفصل الآن

إذن، فما قلناه في الأطروحة الأولى، من أن الارتباط الواقعي إنما هو بيد الله عز وجل هو الصحيح بكل تأكيد لكنا لسا جاهلين به بالرة بل يمكننا استخلاص معرفته من القواعد العامة والروايات الخاصة، بالشكل الذي تعرضه في بحوثنا المقبلة من هذا التاريخ.

### النقطة الثالثة:

إن للحوادث المروية في هذه الأحبار أسبابها الخاصة ويمكن اقتناص عدد مهم منها من الأخبار والقواعد. وإن حال الخذف والنقصان الذي تعانيه الروايات دون اقتناص البعض الآخر.

وليس صحيحاً ما قلناه في الأطروحة الأولى من تعذر الاطلاع على أي سبب للحوادث لاسا ربطنا هذا التعذر بتبريرين قابلين للمناقشة

### التبرير الأول.

إن الأسباب الكثيرة غير موحدة أساساً، وإنما السبب الوحيد المباشر للأشياء هو الله تعالى.

وهذا ما ثبت في الفلسفة بطلانه وتبرهن على احتياج الأشياء - بما فيها

المعجزات أنفسها - إلى الأسباب<sup>(١)</sup>، تكون بها مستعملة ومستحقة للوجود، حتى يعيصر الله تعالى عليها الوجود، ومجال تحقيق ذلك غير هذا المجال التبرير الثاني.

إنه من المتعذر الاطلاع على الأسباب، لو كانت موحدة. وقد عرف بطلان ذلك مما عرفناه من امكان الاطلاع على كثير من الأسباب أحياناً بالقواعد العامة والأخبار الواردة وسرى في الأقسام الآتية من الحديث وفاء ما هو الوارد اليها بعدد ليس بالقليل من الأسباب، بحيث يعطيا الفكرة الكافية عن الارتباط العام والتخطيط الإلهي الشامل

النقطة الرابعة

إن المعجزة، كما عرفها مكرراً، مساوقة مع إقامة الحجة، سحراً لا تكون أقل منها ولا أكثر وقد برهنا على ذلك في رسالة خاصة بالمعجزات وهذا يشكل قاعدة عامة يمكن أن يفهم بها الروايات، وما ورد فيها من المعجزات. هي كان واقعاً في سبيل إقامة الحجة قبلها سواء كان واقعاً من الشخص الممثل للحق أو لشخص الممثل للباطل. قد تكون المعجزة الصادرة من الممثل دالة على فضله وسوء تصرفه ومؤدية إلى فصحه، فيشاء الله تعالى وقوعها للناس، لا يجاز هذا الموضع، فتندرج ذلك في إقامة الحجة وهذا وإن كان قليلاً جداً في تاريخ المعجزات، إلا أنه على أي حال، لا بد من التسليم بصحته لو وردنا منه شيء، فإنه مطابق لقانون المعجزات وأما ما لم يكن واقعاً في طريق إقامة الحجة من المعجزات، فمرفعه، سواء نقل في الأخبار وقوعها من الشخص الممثل للحق أو الشخص الممثل للباطل. وأولى بالبطلان والفساد صدور المعجزة سحر أو بتأييد الانحراف والدعوة إلى الباطل. فإن ذلك مستحيل الوقوع من الله عز وجل، الذي له دعوة الحق على كل حال

---

(١) يقصد بالأسباب ما يشمل الأسباب المادية والروحية، وأسباب المعجزات، من القسم الثاني، كما برهنا عليه في محله.



وإذا دلت الرواية ظاهرها على مثل هذا الشكل الباطل من المعجرات .  
احتجنا إلى تأويلها وحملها على الكناية أو الرمز، لو أمكن . فإن ذلك أولى من  
طرحها وتكديسها جملة وتفصيلاً .

على أن بعض أساليب هذه الروايات، لا يفهم منها المعجزة بشكل مباشر،  
وأن دل ظاهرها على ذلك . ولا يحظر في ذهن السامع الأحدهما لظهور رأيه فمثلاً .  
أن الحشر الدال على ظهور نار من اليمس أو من قعر عدن تضيءها أعناق الابل في  
بصرى - وهي بلد في سوريا - فإنه من أول الأمر لا يفهم منها السامع وجود نار  
حقيقية وجدت على شكل اعشاري . وإي يفهم منها الرمز إلى شيء وراء ذلك مثل  
كونها حركة اجتماعية أو دعوة مدهية واسعة . أو هي الاشعاع الذي المنتشر في  
العصاة ، أو غير ذلك .

#### النقطة الخامسة .

أنا سنبحث في القسم الثالث من هذا التاريخ معنى شرائط الطهور، ويري  
بوضوح الفرق بينها وبين علائم الطهور . وسنعرف هناك أن كل ذلك يحطط الله  
تعالى لا يجاده بشكل طبيعي بدون أن يكون لها سببية رائدة على ما هو المعروف من  
تسلسل الأسباب في الكون، خلافاً لما ادعيناه في الأطروحة الأولى السابقة

وسنعرف طبقاً للتعريف الذي سوف نعطيه للشرائط والعلامات، أن الجو  
العام الذي تتكلم عنه في هذا الفصل من انحراف البشرية وبعدها عن طاعة الله  
خلال عصر العيبة الكبرى، يمكن أن يندرج في شرائط الطهور باعتبارها سبباً  
لايجاد النعمة المحتارة الرائدة للفتح العالمي بين يدي المهدي عليه السلام على ما  
سنعرف . كما يمكن أن يندرج في علامات الطهور بصفتها أموراً مربوطة بوجود  
الطهور في معطيات الروايات بشكل واضح، على ما سنعرف تفصيلاً

وعلى أي حال، فقد عرفنا بعد هذه الجولة، كيفية فهم الروايات والجمع بين  
مصائبها وتوحيد اتجاهاتها طبقاً للقواعد العامة العقلية والنقلية . والحمد لله رب  
العالمين .



## الفصل الثاني

فيما دلت عليه أخبار التنبؤ من حوادث وصفات للأفراد والمجتمع، فيما يخص مقدار تمسكهم بالدين وشعورهم بالمسؤولية الإسلامية عقائدياً وسلوكياً

وستكلم في هذا الفصل عن ناحيتين رئيسيتين، من حيث استمادة التفاصيل المطلوبة من القواعد العامة تارة ومن الأخبار الخاصة تارة أخرى.

الناحية الأولى: فيما تقتضيه القواعد العامة من شكل أوضاع المجتمع ومصيره إلى الانحراف، ومقدار حاجته إلى ظهور المهدي (ع) لنشر الحق والعدل فيه.

ويتم بيان ذلك بكشف القناع عن التخطيط الإلهي لليوم الموعود، مدعماً بفلسفة ذلك ومناشئ وآثاره ويتوقف بيان ذلك على عدة جهات:

الجهة الأولى:

في مناشئ التخطيط الإلهي:

ويمكننا أن نعرض ذلك ضمن عدة نقاط:

النقطة الأولى:

إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق متعضلاً، ولم يخلقهم عبثاً ولم يتركهم هملًا. بل خلقهم وهو عني عنهم، لأجل حصولهم على مصالحهم الكبرى ووصولهم إلى كمالهم المنشود، المتمثل باختلاص العباد لله تعالى. قال عز من قائل ﴿وما

خلقت الجنس والانس إلا ليعبدون<sup>(١)</sup>.

إذن فالغرض من الخليفة هو الحصول على هذا الكمال العظيم المتمثل بتوجيه العقيدة والمفهوم إلى الله عز وجل، وقصر السلوك على طاعته وعدله في كل حركة وسكون وإذا نظرنا إلى حقيقة هذا الكمال من جوانبه المتعددة، واستطعنا تحصيل الفكرة المتكاملة عنه، عرفنا الهدف الالهي المقصود الذي أصبح هدفاً لايجاد الخليفة

#### الجانب الأول:

إيجاد الفرد الكامل. من حيث أن قصر الانسان نفسه على التربية بيد الحكمة الالهية الكرى وتحت إشرافها وتدريبها، يوجدها الإنسان العادل الكامل، الذي يعيش محصن الحربة عن اسرافات العاطفة والمصالح الصبغة، والمساوق في انطلاقه مع انطلاق الكون الكرى إلى الله عز وجل.

#### الجانب الثاني:

إيجاد المجتمع الكامل، والشرية الكاملة المتمثلة من مجموعة الأفراد الذين يعيشون على مستوى العدل والاحلاص، والتجرد من كل شيء سوى عبادة الله تعالى، تلك العبادة التي تتضمن تربية الفرد والمجتمع، والارتباط بكل شيء عن مستوى العدل الالهي.

#### الجانب الثالث:

إيجاد الدولة العادلة التي تحكم المجتمع بالحق والعدل، بشريعة الله الذي لا نحمي عليه حافية في الأرض ولا في السماء وتكون هي المسؤولة الأساسية عن السير قدماً بالمجتمع والشرية بحورية في التكامل في الطريق الطويل غير المتناهي الخطوات.

فهذا هو معنى العبادة المقصود في الآية، وكل ما كان على خلاف ذلك فهو تقصير في العبادة الحقيقية تجاه الله عز وجل ولا يمكن أن نهم من الآية هذا المعنى القاصر بطبيعة الحال.

---

(١) الدريات ٥١ / ٥٦.

## النقطة الثانية :

إن الآية واضحة الظهور في أن العاية الأساسية والغرض الأصلي من إيجاد الشرية هو إيجاد هذه العادة الكاملة في ربوع الشرية، أو إيصالها إلى هذا المستوى الرفيع. وذلك بقرينة وجود التعليل في قوله تعالى: "ليعبدون"، مع الحصر المستفاد من الآية من وقوع أداة الاستثناء (إلا) بعد النهي حين قال عز من قائل: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾.

إذن فهذا هو الهدف الوحيد المنحصر الذي لا شيء وراءه من حلقة الشرية، المعبر عنهم بالانس. وهذا الهدف ملحوظ ومحط بشكل خاص من بدء الخليقة، ويبقى - بطبيعة الحال - مواكباً لها ما دامت الشرية في الوجود.

وهذا بالصبط هو ما نعتيه حين نقول: إن الله تعالى لم يخلق الشرية لأجل مصلحته، فإنه عني عن العالمين، وإنما خلقهم لأجل مصلحتهم وأي مصلحة يريدتها الله لعباده غير كما هم ورشد هم وصلاهم المتمثل بالعبادة المحلصة والترجى إليه بالخيرات نحوه عز وعلا.

## النقطة الثالثة :

إن العرص الالهي من خلق الشرية، ما دام هو ذلك، إذن فلا بد أن يشاء الله تعالى إيجاد كل ما يحققه والحيلولة دون كل ما يحول عنه. شأن كل غرض إلهي مهم... فإن الحكمة الألفية حين تتعلق بوجود أي شيء، فإن نخله يكون مستحيلاً، وتكون إرادة الله تعالى متعلقة بإيجاده لو كان شيئاً آتياً فوراً، أو التخطيط لوجوده لو كان شيئاً مؤجلاً ومحتاجاً إلى مقدمات من الصوري أن توجد قلبه

وقد برها في رسالتنا الخاصة بالمفهوم الاسلامي للمعجزة أن الغرض الالهي المهم إذا تعلق بهدف من الأهداف، فإنه لا بد من وجود ذلك الهدف، ولو استلزم وجوده أو ببعض مقدماته حرق قوانين الطبيعة، وإيجاد المعجزات فإن القوانين الطبيعية إنما أوجدها الله تعالى في كونه لأجل تنفيذ أغراضه من إيجاد الخلق. فإذا توقفت تلك الأغراض على احرام تلك القوانين وحدثت المعجزات أحياناً أو في كثير من الأحيان. كانت تلك القوانين الطبيعية قاصرة عن الممانعة والتأثير

وهذا هو الذي يلقي الضوء على الفكرة الأساسية التي يقوم عليها (قانون المعجزات) الذي أشرنا إليه . . . ونؤجل الغوص في تفاصيل ذلك إلى رسالتنا الخاصة بها.

#### النقطة الرابعة:

أنا نجد بالوجدان القطعي أن هذا العرض الالهي المهم الذي بطلت به الآية بالمعنى الذي فهمناه، لم يحدث في تاريخ الشريعة على الإطلاق مد وجودها إلى العصر الحاضر إذن فهو باليقين سوف يحدث في مستقبل عمر الشريعة بمشئة خالفها العظيم . وهذه هي الفكرة الأساسية التي نطلق فيها إلى التسليم بالتخطيط الالهي لليوم الموعود.

ولئن كان المطلق الأساسي في هذا السهام هو قوله تعالى ﴿وما حلفت الحس والانس إلا ليعبدون﴾ . . . فانه يمكن الاطلاق إلى نفس النتيجة من آيات قرآنية أخرى نذكر منها آيتين، مع بيان الوجه في الاستدلال مختصراً، وحيل التفصيل إلى الكتاب الخامس من هذه الموسوعة الخاص بإثبات وجود المهدي (ع) عن طريق القرآن الكريم.

#### الآية الأولى:

﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم وليمكس لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾<sup>(١)</sup>.

فهذا وعد صريح من الله عز وجل، و﴿إن الله لا يخلف الميعاد﴾<sup>(٢)</sup> للشريعة المؤتممة الصالحة التي قاست الظلم والعدا في عصور الانحراف وبدلت من النصحيات الشيء الكثير . . . بأن يستخلفهم في الأرض، بمعنى أنه يوفقهم إلى السلطة الفعلية على الشريعة وممارسة الولاية الحقيقية فيهم فإذا استطاعوا أن يهزم

(١) سورة التوبة ٢٤ / ٥٥ .

(٢) آل عمران ٣ / ٩ والرحمة ١٣ / ٣١ وغيرهما بالعاظ مشبهة

من (الأرض) كل القسم المسكون من البسيطة، كما هو الظاهر من الكلمة والمعنى الواضح منها حملاً للآم على الحسن بعد عدم وجود أي قرينة على انصرافها إلى أرض معينة. ومعنى حملها على الحسن: إن كل أرض على الإطلاق سوف تكون مشمولة لسلطة المؤمنين واستحلافهم وسيحكمون وجه البسيطة

وهذا هو المناسب مع الجمل المتأخرة في الآية الكريمة، كقوله تعالى ﴿وليمكس هم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ فإن التمكين التام والاستقرار الحقيقي للدين، لا يكون إلا عند سيادته في العالم أجمع. وكقوله تعالى: ﴿وليدلنهم من بعد خوفهم أمماً﴾ بعد أن نعرف أن المؤمنين كانوا قبل الاستخلاف يعاون الخوف في كل مناطق العالم لسيادة الظلم والخور في العالم كله. فلا يكون الخوف قد تبدل إلى الأمر حقيقة إلا بعد أن تتم لهم السلطة على وجه البسيطة كلها.

فإذا تم لنا من الآية ذلك، ولاحظنا وحدانية الذي ذكرناه وهو أن هذا الوصف الاجتماعي العالمي الموعود، لم يتحقق على مدى التاريخ منذ فجر البشرية إلى عصرنا الحاضر. إذن فهو ما سينتقل في مستقبل الدهر يقياً طقاً للوعد الإلهي القطعي غير القابل للتحلف أو التميع.

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾<sup>(١)</sup>

وهي تعطيًا بوضوح، العاية والغرض الرئيسي من إرسال رسول الإسلام صلى الله عليه وآله بالهدى ودين الحق. يدلنا على ذلك قوله تعالى ليظهره، حيث دلت لام التعليل على العاية، والسبب في إرسال شريعة الإسلام وهو أن يظهره أي يجعله متصراً ومسيطرأ على غيره من الأديان والعقائد كلها. وذلك لا يكون إلا بسيطرة دين الحق على العالم كله.

وإذا كان هذا عاية من إرسال الإسلام، إذن فهو يقيني الحدوث في مستقبل الدهر. لأن العايات الإلهية غير قابلة للتحلف.

(١) الروية ٩ / ٣٣ والصف ٦١ / ٩ وانظر سورة المفتح ٤٨ / ٢٨

ولئن دلت هاتان الآيتان على نفس المطلوب . إلا أن قوله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ ، أهم في مقام الاستدلال على ذلك ، لأنها تدلنا على الغرض الاسمي للخلق البشرية أساساً ذلك الغرض الذي كان موجوداً منذ بدء الخلق . بخلاف الآيتين الأخيرتين ، فإسماها مختصتان بمصامين محدودة نسبياً ، كما يتضح لمن فكر في مدلوليهما .

وإن هاتين الآيتين في الواقع ، من تطبيقات ذلك الغرض الاسمي الذي نطق به ، الآية الكريمة الأولى ، كما سيتضح بعد قليل عند معرفتنا بتفاصيل التخطيط الالهي لليوم الموعود .

#### النقطة الخامسة :

إن تكامل الفرد ، وبالتالي تكامل المجتمع الشري ، يتوقف - بعد أن فهمه الله عز وجل العقل والاحتيار - على عاملين : عامل خارجي وعامل داخلي أو قل : عامل موضوعي وعامل ذاتي

أما العامل الخارجي الموضوعي ، فهو إلهام الفرد - وبالتالي المجتمع - معنى العدل والكمال الذي يسعى أن يستهدفه والمهج الذي يجب عليه أن يتبعه في حياته ويقصر عليه سلوكه

وهذا الإلهام لا يمكن صدوره إلا عن الله عز وجل ، بعد الرهنة على عدم إمكان توصل البشرية إلى كمالها ومعرفتها بالعدل الحقيقي إذا عرلت فكراً عن الحكمة الأثرية الإلهية ، كما صرح الرهان عليه في بحوث العقائد الإسلامية . ومن ثم لا يمكن أن يتحقق لغرض الإلهي المهم في هداية البشرية وإيجاد المادة الكاملة في ربوعها ، إذا أوكلت البشرية إلى نفسها وفكرها القاصر ، وألقي حلها على غارها دون ، فلا بد من أحل التوصل إلى ذلك الغرض الكبير من أن يفهمها الله تعالى معنى العدل والكمال وتفاصيل السلوك الصالح الذي يجب اتخاذه .

وحيث أن إلهام الشريعة من قبل الله تعالى بالباشرة والمواجهة مستحيل ، كما صرح الرهان عليه في بحوث العقائد الإسلامية ، احتاحت البشرية إلى أن يرسل الله تعالى إليها أنبياء مشربين ومنتدريين وأن يكون إرساؤهم وإثبات صدقهم طبقاً لقانون المعجرات . لأن هذه المعجرات تقع في طريق هداية البشر والوصول إلى



إيجاد العرص المهم من إيجادهم.

ومنه نستطيع أن نلاحظ، كيف أن خط الأبياء الطويل، والأعداد الكبيرة منهم، إنما كان باعتبار التقديم والتمهيد للعرص الكبير. باعتبار أن البشرية حين أول وجودها كانت قاصرة عن فهم تفاصيل العدل الكامل، فلم يكن في الامكان إيجاد المجتمع العادل الكامل الموعود في ربوعها لأول وهلة. بل كان لا بد أن تترى البشرية تدريجاً إلى أن تصل إلى المستوى اللائق الذي يؤهلها لمجرد فهم العدل الكامل الذي يريد الله تعالى تطبيقه في اليوم الموعود

ومن هنا نعرف أن الأبياء إنما تعددوا وتكثروا من أجل إعداد البشرية وتربيتها للوصول إلى هذا المستوى اللائق . . لكي يتم لها هذا العامل الخارجي الأساسي وهو إتمامها العدل الكامل والأطروحة النظرية التامة للعدل التشريعي الذي يريد الله تعالى تطبيقها على وجه الأرض، والتي بها تتحقق العبادة الكاملة التي يرضاها الله تعالى لخلقها، وبها يتحقق الهدف الأساسي لإيجاد الخليقة.

وأما العامل الداخلي الذاتي، فهو الشعور بالمسؤولية تجاه الأطروحة العادلة الكاملة، باعتبار أنها إنما تضمن العدل فيما إذا أطاعها الأفراد وطبقت في حياتهم، وهي إنما تضمن الطاعة التامة، مع وجود الشعور بالمسؤولية، إذن فلا بد من أجل وجود العدل أن يوجد هذا العامل الداخلي الذاتي في الإنسان.

ونما يوجد الشعور بالمسؤولية وينمو، نتيجة لأسباب ثلاثة، مقترنة.

#### السبب الأول -

إدراك العقل لأهمية طاعة الله والخضوع له والانصياع إلى أوامره وبواهي، باعتباره مستحقاً للعبادة مع عص النظر عن أي اعتبار آخر.

#### السبب الثاني

الشعور بأهمية طاعة الله تعالى، باعتبارها الضامن الحقيقي للعدل المطلق، على المستويين المادي والاجتماعي، أو بتعبير آخر: تربية الاحلاص الذاتي لطاعة الله باعتبار المعرفة الواضحة بصمانها للعدل المطلق.

### السبب الثالث .

العامل الأخرى المتمثل بالطمع بالثواب الذي رصده الله تبارك وتعالى للمطيعين، والخوف من العقاب الذي توعد به العصاة والمدنئين  
وهناك فرق أساسي في طرق إيجاد هذه الأسباب فاللسان الأول والأخير يوجدان بالتربية النظرية فقط، ويتحققان بمجرد العات الفرد إليها وتصديقه بصحتها . أما السبب الثاني، فالرهبة النظرية عليه غير كافية بطبيعة الحال، بشكل ينتج الاخلاص والوعي الحقيقين والاستعداد للتناهي في سبيل العدل المطلق... في سبيل الله تعالى بل يحتاج ذلك إلى تمرين طويل الأمد وتجربة وممارسة .

ومن هنا تستق أهمية هذه التجربة والممارسة في تربية الاخلاص بشكل خاص، والتكامل بشكل عام . . بصفة إحدى المقدمات الأساسية والأسباب الرئيسية لإيجاد المجتمع العادل، الذي يتحقق فيه العرص الأساسي لإيجاد البشرية .

### النقطة السادسة :

إن التجربة والممارسة التي عرما أهميتها في تربية الاخلاص والاندفاع إلى الطاعة، إذا لاحظناها على أساس فردي لم نكتسب أهمية أكثر من انتاح الاخلاص والتكامل للفرد الواحد . وأما إذا لاحظناها على أساس عام، وقلنا أن المجتمع بصفته مكوناً من أفراد، والأمة بصفتها مكونة من مجتمعات، يجب أن تمر بدور التربية والتجربة التي تسمي فيها روح الاخلاص والطاعة تجاه تعاليم الله عز وجل .

إذن نكتسب تربية الأمة والتجربة التي يجب أن تمر بها الأمة نفس الأهمية الكبرى، باعتبارها مقدمة حقيقية للفرص الألهي الكبير من إيجاد الخليفة . فإذا علمنا - كما سبق - أن الله تعالى يفعل أي شيء يكون مقدمة لوجود عرضه الأساسي . . . إذن فهو - بكل تأكيد - سوف يحفظ لتربية الأمة على هذا الطريق

وقد يخطر في الذهن هذا السؤال : إن هذه التربية حين تكون مقدمة للعرض الألهي، ويكون الفرص مهماً بحيث عرما أنه يمكن إقامة المعجرات في سبيل

التمهيد إليه فلماذا لا توجد هذه التربية في ربوع الأمة دفعة واحدة عن طريق المعجزة؟.

والجواب على هذا السؤال يكون من وجوه ثلاثة:

### الوجه الأول:

إن إيجاد الإيمان والاحلاص في أنفس الأفراد بطريق المعجزة، يؤدي بنا إلى القول بأن الله تعالى يحجر الأفراد على الطاعات وترك المعاصي وهذا مبرهن على بطلانه وفساده في بحوث العقائد الإسلامية

### الوجه الثاني:

إن هذا الأسلوب المقترح من المعجزة يناهز قانون المعجزات، إذن فلا يمكن وجود مثل هذه المعجزة.

والسبب في ذلك هو أن قانون المعجزات، كما عرفناه، يقضي بعدم قيام المعجزة ما لم يكن قيامها طريقاً محصوراً لإقامة الحقبة وهداية الشريعة. وأما إذا كانت النتيجة المطلوبة أساليب طبيعية غير إمعارية، كان عدم قيام المعجزة حتمياً، وأوكل الله تعالى إيجاد النتيجة إلى أسبابها الطبيعية نفسها، مهما طال الزمن بهذه الأسباب والتأثير فإن الله تعالى طويل الآيات ولا يعرق في دأته مرور الزمان.

فإذا طبقنا ذلك على مورد حديثنا، وحدها أن لتربية الأمة أسباب طبيعية، سوف نعرض لها في النقطة الآتية، يمكن أن تنتج نتائجها خلال زمان طويل ومعه يكون عدم قيام المعجزة لإيجاد تلكم النتائج حتمياً.

### الوجه الثالث:

أسألو تنزلنا - حذلاً - عن الوجهين السابقين وقلنا بإمكان تربية الأمة عن طريق المعجزات فيكون الأمر دائراً ومردداً بين تربية الأمة عن هذا الطريق أو تربيتها عن الطريق الطبيعي عندئذ يمكن القول أن الأهداف التربوية التي يمكن إيجادها بالطرق الطبيعية أفضل بكثير من الأهداف التربوية التي يمكن إيجادها بالمعجزات ولا تتحقق العبادة الكاملة المطلوبة لله عز وجل إلا باختيار أفضل

الفردية. ومن هنا لا بد من الالتزام بعدم قيام المعجزات لأنها الطريق الأردأ في تربية الأمة.

والسبب في ذلك، هي أن التربية إن وجدت بطرقها الطبيعية، كانت متضمنة لمرونة عالية من الرشد والضح من الناحية السلوكية والعقائدية، لأن من الطرق الطبيعية للتربية - على ما منعرف - التمهين والاحتياز، والمرور بالتجارب القاسية فإذا خرج الفرد من التمهين والتجربة ناحياً متصراً، كان إحلاصه قد اكتسب نصيحاً ورشداً لم يكن في السابق، باعتار أن الفرد أصبح يعرف ما هي ردود الفعل المطلوبة تجاه المصاعب، وما هي قيمة العدل في حل مشاكل البشرية نازاء الحدود الأخرى الفاشلة التي عرضها الآخرون. وكل ذلك لا يكون إلا خلال ربح طويل من الزمن.

خلاف المعجزة، فإما إن أحدثت المجتمع الصالح، فإما لا يمكن أن توجد نصيحة ورشده بأي حال، بل سوف يكون مجتمعاً فحاً وعدلاً صورياً بطبيعة الحال. ما لم تعترض أمور أخرى إصافية كسرول الوحي على كل أفراد الأمة. . أو نحو ذلك مما لم تقم عليه الدعوة الإلهية على طول حط التاريخ الطويل

#### النقطة السابعة:

في محاولة التعرف على الأسباب الطبيعية للتربية وإيجاد الإحلاص تتوقف التحرية والممارسة التي يجب أن تمر بها الأمة في تربيتها الطويلة. . على أحد عاملين:

#### العامل الأول:

التطبيق الفعلي الحي للمجتمع العادل المطلق، حتى يراه الناس ويحموه ويقدموا مصالحه العامة على مصالحهم الخاصة. فإن شعور الناس بوجود العدل المطلق مطلقاً على وجه الأرض، يكفي بمفرده في توجيه عواطف الناس وصهر إخلاصهم إلى حد بعيد.

#### العامل الثاني:

مرور الأمة خلال تربيتها بموامل صعبة وظروف طائلة عسرة، تجعلها تتوفر

شيئاً فشيئاً على التعمق الفكري والعاطفي، وتصوغ منها في نهاية المطاف أمة شاعرة بالمسؤولية قوية الإرادة والعزم على تطبيق الأطروحة العادلة الكاملة.

وذلك بعد أن تعيش الأمة الشعور بأمرين مقترنين:

أحدهما: الشعور بأفصلية الأطروحة العادلة، لا مشكل نظري محسب، بل شكل حسي معاش. بعد أن تمت المقاربة لدى الأمة بكل وضوح بين هذه الأطروحة وبين سائر النظم والقوانين والنظريات المخالفة لها. وثبت بالتجربة فشل سائر النظم والنظريات، وأدائها إلى أنواع مختلفة من الظلم والتعسف. باعتبار القصد الداعي الموجود في سائر النظم، ذلك النقص الذي تبرا منه وتعلو عليه الأطروحة الكاملة.

ثانيهما: الشعور بأهمية التصحية الحقيقية على مختلف المستويات في مسيل الأطروحة الكاملة التي يؤمنون بها. والاحساس المباشر بلزوم الصبر والمثابرة والصمود أمام القوى الطاغية تمكناً بالحق

وبالرغم من صحة الاعتراض عليها وأثرها الأكيد في تربية الأمة. إلا أنها إذا فرضنا كلا منها معرولاً عن الآخر، نجد أن العامل الثاني أهم من الأول من جهتين أساسيتين:

أولاً إن محبة الأطروحة العادلة والاحلاص لها عند تطبيقها، أمر موافق للهوى والمصالح الشخصية، لأنها تضمن للانسان سعادته ورفاهه الفردي والاجتماعي.

وأما محبة الأطروحة العادلة في ظروف الظلم والتصحية، فهي محبة واعية عميقة تدفع الانسان إلى المكافحة والجهاد في سبيل إيجاد الواقع الاجتماعي العادل

ومن المعلوم أن المحب المخلص على الشكل الأول، إذا لم يمر بتجارب التصحية، يكون مهتداً بالانحراف والارتداد عند مواجهة أول صعوبة يجابهها، يشعر خلاها بالتناهي بين مصالحه الخاصة والمصالح العامة. فإذا كانت هذه الظاهرة عامة بين الأفراد. لم يكن ذلك التطبيق قابلاً للاستمرار والبقاء. ولا يمكن أن تكون هذه الظاهرة عامة بأي حال لو كان الاحلاص ناتجاً عن تصحية وصمود.

ثانياً. نعرف مما تقدم أن العامل الثاني يجب أن يكون متقدماً زماناً على العامل الأول، باعتبار توقف التطبيق الحقيقي عليه. فإن العدل لا يكون عميقاً وأساسياً في المجتمع، ما لم يكن كل الأفراد أو جلهم - على أقل تقدير - ممن شحذت إخلاصه التجارب ورفعت إيمانه وإرادته التصحيحات، فانهم يكونون أقدر على العمل وأسرع إنتاجاً وأكثر تحملاً للصعوبات، مما يجعل العدل أعمق أثراً وأصمم للبقاء والاستمرار.

إذن فالغرض الإلهي في إيجاد الشريعة، يتوقف وجوده على الإحلاص المصقل بالتجارب والتصحيحات ومن المعلوم أن هذا الصقل لا يمكن حصوله إلا بالمرور في تيار التجارب والتصحيحات نفسه. وهذا التيار ليس إلا الظروف الصعبة والأزمة المطلقة الظالمة التي تمر بها الشريعة خلال الأجيال.

وإن يشره بكل وصوح توقف العرض الإلهي في هداية البشر وإيجاد مجتمع العبادة الكاملة على مرور الشريعة في ظروف صعبة ظالمة، ليكونوا عند ابتداء التطبيق على مستوى المسؤولية المطلوبة للعدل، ويستطيعون سجدارة القيام به وسهولة الأسجام معه.

#### النقطة الثامنة

إنه من هذا المطلق بالدات معروف أهمية التمحيص والاحتياط الذي دلت عليه الأحبار، كما سوف نسمع، وارتباطه الأساسي بالتقديم للهدف الإلهي الكبير باعتبار أن ما تعيشه الشريعة من ظروف ظالمة من ناحية وأمور مغرية من ناحية أخرى... وكم للحواف والاعراء من قوة في الاندفاع ومن تأثير على النفس... فيكون ذلك حاملاً للفرد على الاسحراف عن الله تعالى والخروج على تعاليمه العادلة ويصبح تطبيق هذه التعاليم على نفسه وغيره من أصعب الأمور، كما قد وصف في بعض الأحبار، بأنه كالقصص على الحمر

ومن هنا تكون هذه الظروف ومحاولة هذا التطبيق محكاً أساسياً لمدى الإحلاص وقوة الإرادة لدى الأفراد. فبهار العدد الأعلى من الشر في أحصان الظلم والاعراء، تعالاً لصعف إرادتهم، وتقديم مصالحهم الشخصية وراحتهم القريبة على الأهداف الكبرى والعيات القصوى. ويبقى العدد الأقل صامدين

مكافحين، تشتد إرادتهم وتقوى عزميتهم، ويشعرون باللذة والمحر في مكافحة تيارات الانحراف والفساد. ولا يرالون في تكامل وصمود حتى يبلغوا مستوى المسؤولية الكبرى في مواجهة العالم بالعدل المطلق في اليوم الموعود.

ويكون العالم عند تخصص قاصون التمحيص هذا عن نتائجها كما بظقت به الأحبار. متكوناً من قسطاطين أو معسكرين. قسطاط كفر لا إيمان فيه وقسطاط إيمان لا كفر فيه. عن ما سسمع في الناحية الثانية من هذا الفصل.

من قال قائل. كيف يمكن التوفيق بين ما قلناه قل قليل من لزوم كون الأمة بشكل عام، المتمثلة في أكثر أفرادها، مخلصه اخلاصاً حقيقياً نتيجة للتجربة والتمحيص. وبين ما قلناه الآن من أن أغلب الناس سوف يهارون تجاه الظلم والأعراء ولا يبقى من ذوي الاخلاص الحقيقي إلا القليل.

يقول في جواب ذلك. أنه يمكن القول أن النتائج الصالحة للتمحيص لا تختص بالقليل من البشر، وإن احتصر هؤلاء بدرجات رفيعة من الاخلاص لا يضارعهن بها غيرهم من الناس.

فأما يمكن أن نرتفع بتاتبع التمحيص، من الراوية التي نتوحاها الآن، إلى أربع درجات:

#### الدرجة الأولى:

الاخلاص التام والوعي الكامل. الذي يتمثل باستعداد الفرد بالتضحية بكل عال ورخيصة على الاطلاق في سبيل العدل الالهي وتطبيق تعاليم الرب العظيم وأهدافه الكبرى.

ويكون مثل هذا الفرد مؤهلاً ليل بعض درجات القيادة والسلطة العسكرية أو المدنية في اليوم الموعود.

#### الدرجة الثانية.

الاخلاص الثالث المهم الذي يتمثل في قدرة الفرد على السيطرة بإرادته على كل صعوبة وإعراء مر به في حياته، من درجات الخوف والطمع المعروفة. بعض النظر عن أنه لو مر في حياته بدرجة أعلى من التمحيص والمصاعب فهل يستطيع

النجاح أيضاً أو لا. وهذا هو الذي يفرق هذه الدرجة عن سابقتها.

وهذه الدرجة هي التي تؤهل الفرد لأن يكون واحداً من القواعد الشعبية الصالحة لدولة الحق في اليوم الموعود أو أن يكون جديداً محارباً خلال الفتح العالمي في ذلك اليوم.

#### الدرجة الثالثة:

الاخلاص الاقتصادي. وهو أن يكون الفرد محباً للحق والعدل الإلهي في دخيلة نفسه ومسايراً لطروف الظلم أو الاعراء إلى حد ما أيضاً

فإننا نجد في كثير من الأفراد انعكاساً بين العقيدة والسلوك. فسيما نجد عقيدته صالحة نجد سلوكه منحرفاً نتيجة لاضطراره وطروقه الشاذة واحتياجه إلى لقمة العيش. وهو في ذات الوقت من الممكن أن يكون مدركاً لمعنى الظلم وفظاعته، وللمسؤولية تجاه تعاليم الله العادلة. ولكنه يشعر بالفصور عن تطبيقها نتيجة لطروف الصعط والظلم التي يعيشها ومن ثم فهو يذعن عقيدته ووعيه في قلبه ويساير الظلم والاعراء إلى بعض الخطوات

ويمكن في حق مثل هذا الفرد، أنه بمجرد أن ترتفع طروف الظلم ويبدأ التطبيق العادل. فانه سوف ينطلق اخلاصه الاقتصادي الكامل، بعد أن ارتفع عنه المانع، ويكون له حركة فعالة في المشاركة والتعاون في طروف التطبيق الجديد.

#### الدرجة الرابعة:

أن لا يوجد الاخلاص بأي درجة من درجاته السابقة. ولكن يكون الفرد قد شعر بوضوح نتيجة لطروف التمحيص العالمي، بفشل التحارب التي عاشتها المادى والعلاقات التي ادعت حل مشاكل العالم وتذليل مصاعبه وبشر العدالة والرفاه في ربوعه فان هذه المادى بعد أن تعيش التجربة والتطبيق، وتتمحص عن نتائجها الرئيسية، سوف يبدو بوصوح للأعم الأغلب من البشر أنها لم تتمخص إلا عن الفساد والصياح نتيجة لقصورها الذاتي، كما سبق أن أشرنا، وقد أصابت إلى مشكلات العالم لا أنها قد دلت منها شيئاً

عدئد ينشق شعور حفي، في اللاشعور، بالحاجة العالمية الماسة إلى الحل الحاجز الذي ينقد العالم من ورطته ويخرجه من وهدهته ويوقظه من رقدته.



وهذا الحل، وإن لم يكن ملتصقاً إليه بوضوح أو معروفاً بتفاصيله، ولكنه على أي حال، توقع نفسي عامض يمكن انطباقه على أول دعوة رئيسية جديدة تدعي حل مشاكل العالم وتدليل مصاعبه. ومن هنا تعوز مثل هذه الدعوة تأييد كل من يمثل هذه الدرجة من نتائج التمحيص ريثما كانت هذه الدعوة محتملة الصديق على أي حال.

فإذا كانت هذه الدعوة هي دعوة الحق، في يومها الموعود، فسيكون لهذا الجو النفسي العالمي أثره الكبير في دعم التطبيق العادل، في ذلك اليوم.

فهذه هي الدرجات الأربع التي يتمخض عنها التمحيص الإلهي الكبير في عصر ما قبل الظهور. والتي تشارك، بشكل وآخر في بناء العدل في اليوم الموعود.

ومن نستطيع أن نلاحظ بوضوح أن هذه الدرجات كلما ارتفعت قلّ الأفراد المتصفون بها من البشر، وكلما برزت كثر الأفراد المتصفون بها بطبيعة الحال. ومن هنا كان المتصفون بالدرجة الأولى من الاخلاص قليلين في البشر. وهم الذين سبق أن برهنا على أن الامام المهدي (ع) يمكن أن لا يمتحج عنهم خلال عيئته الكبرى. كما كان المتصفون بالدرجة الرابعة، هم أكثر الشريعة في العصر المباشر لما قبل الظهور. وتختلف الدرجتان الثانية والثالثة فيما بين هذين الحدين من العدد.

ومن هنا نستطيع أن نقول لمن يوجه السؤال السابق. أن الدرجات الصالحة الناجمة عن التمحيص الإلهي تمثل مجموعها عدداً كبيراً من البشر، بل الأعم الأغلب منهم. وليس العدد قليلاً كما تحيله السائل. وإنما العدد القليل محصور بالدرجة العليا من الاخلاص، وهو مما لا يؤثر على التطبيق العادل الموعود شيئاً، باعتبار أن الأفراد الذين يمثلون هذه الدرجة، سيكونون بالمقدار الكافي الذي يقومون خلاله بمسؤولية القيادة الساجدة في اليوم الموعود. وليس من المتوقع من كل البشر أن يكونوا قواداً، بطبيعة الحال!..

وعلى أي حال، فقد اتضحت من هذه النقاط الثمانية، المناشئ الحقيقية للتخطيط الإلهي هداية البشر وتحقيق العادة الثابتة في ربوعهم. كما اتضح البرهان على وجود هذا التخطيط، حيث يحتاج الأمر إلى مقدمات طويلة طبيعية غير اعجابية. كما اتضحت جملة من ملامح هذا التخطيط، وما يلعبه الظلم

والانحراف الذي تعانیه البشرية على مدى التاريخ، من دور في هذا التخطيط  
الالهي الكبير.

وبقي علينا أن نعرف تفاصيل أعمق وأكثر عن هذا التخطيط، خلال  
الجهات الآتية، شروعاً بما قبل الإسلام وانتهاء بالعصر الحاضر



### الجهة الثانية:

التخطيط الالهي قبل الإسلام.

والمراد به الجزء الذي يعود إلى الفترة السابقة على الإسلام من عمر الخبيقة،  
سند دخلت عهد العهم والادراك إلى حين بعثه نبي الإسلام صل الله عليه وآله  
وذلك: إن التخطيط الالهي الشامل لليوم الموعود، بدأ بوجود الخبيقة نفسها،  
لأنه يمر عن أسلوب تحقيق العرص الأساسي من إيجادها إذن فقد كان هذا  
التخطيط مستمراً قبل الإسلام وبقي مستمراً بعد الإسلام، وسيبقى باقداً إلى يوم  
يتحقق به اليوم الموعود بتطبيق الأطروحة العادلة الكاملة.

وينبغي أن نطلق في الحديث عن ذلك صمن عدة نقاط:

### النقطة الأولى:

في مشاركة الأنبياء إجمالاً في هذا التخطيط

وهو ما سبق أن حملنا عن ذلك فكرة مختصرة، ويسمى لنا أن نحمل الآن فكرة  
تفصيلية عن السر الأساسي لذلك:

إن البشرية في مبدأ أمرها لم يكن يتوفر لديها، بطبيعة الحال، الشرط الأول  
والثاني، السابقين، من شرائط تطبيق العدل الكامل<sup>(١)</sup>. فهي لا تعرف ما هو  
العدل الكامل، ولا هي محلصة له أو مستعدة للتصحية في سبيل تطبيقه لو عرفت.

---

(١) أما الشرط الثالث وهو معرفة الثواب والعقاب الآخرين عند كل متور، بشكل وأحر في دعوات الأنبياء  
عالمهم الله هو الحديث عن الشرطين الأولين

فكان لا بد لها - كجزء من التخطيط - أن تمر بتربية طويلة الأمد من كلتا هاتين الجانبين. فكان أن تكمل الأبياء هذه المهمة، وهي تربية الشريعة لتكون صالحة لفهم العدل الكامل. فكان كل من يشارك مشاركة حربية قديمة أو كثيرة في ذلك، سواء عدم الناس، بذلك في عصره أو جهلوه. لأن المهم هو تربيتهم الفكرية، وليس المهم الفاتهم بوصوح إلى هذا التخطيط

وهذه التربية قد انتهت، واستطاعت الشريعة - في نهاية المطاف - أن توفر الشرط الأول، فأصبحت قاطلة لفهم الأطروحة العادلة الكاملة، فأرسل الله تعالى إليها تلك الأطروحة متمثلة بالاسلام. وبذلك تحقق الشرط الأول.

ولم تستطع الشريعة إلى حد الآن أن توفر الشرط الثاني وهو استعدادها للنصحية في سبيل تطبيق العدل، وهي على أي حال في طريق التربية على ذلك.

وكان كل من يعطية الحال، بما فيهم نبي الإسلام (ص) يقرن تربيته الفكرية للناس بالتربية على الشرط الثاني أيضاً بمعنى إيجاد الاخلاص والاستعداد للنصحية في نفوس البشر. فكانت مشاركة الأبياء في التربية الأولى متمثلة بما بلغوا من أحكام، وكانت مشاركتهم في التربية الثانية متمثلة بما قدموا من نصائح وهدايا

إلا أن التربية الأولى انتهت نتيجتها الكاملة، على حين لم تنتج التربية الثانية نتيجتها إلا في القليل من الناس. وذلك لمدي الضغط والاعراء الذي يواجهه الناس نحو الانحراف من داخل نفوسهم وخارجها، على طول خط التاريخ، مما يجعل الحق في أرواهم مرأاً وتحمل العدل عليهم صعباً ويتج في نهاية المطاف ببطء التربية على الاخلاص وصعوبتها.

### النقطة الثانية.

لم يكن الأنبياء ليسكتوا عن تليع الناس، بشكل وآخر، بالغرض الأساسي من إيجاد الشريعة متمثلة بإعلامهم أن هناك يوماً يأتي في مستقبل الزمان يسود فيه العدل الإلهي المطلق ويرتفع فيه كل ظلم وجور. ولا لنا سماع صدى هذا التليع متمثلاً باعتقاد عدد من الديانات السماوية بذلك وإيمانها به، وإن احتلت في تسمية القائد الذي يتولى ذلك التطبيق الكبير.

ولكن حيث لم يكن هذا اليوم الموعود بقريب، ولم يكن قد تحقق الشيء المهم

من شروطه . . لم يكن من اللازم إعطاء التفاصيل أكثر من هذا المقدار المحمل القليل . ومن هنا نرى أن التلبيغات السابقة على الإسلام لم تكن واضحة وكافية لاحتثات جذر الخلاف في ما تعتقده الديانات من تفاصيل اليوم الموعود

ومعه فمن الممكن القول أن المقدار المشترك بين هذه الأديان من الاعتراف باليوم الموعود، أمر حق ناتج عن تلبيغات الأنبياء عليهم السلام وأما التفاصيل المختلف بشأنها على مستوى هذه الديانات كسمية القائد وغير ذلك، فهي أمور مضافة إلى تلك التعاليم من قبل الفكر الشرعي المنفصل عن إلهام السماء .

ومن هنا نستطيع أن نمرر اتفاق الأديان على ذلك، مسحياً مع العرص الأصلي لإيجاد الخليفة ونحجب بذلك على ما يذكره بعض المشرقيين المعرصين، من أن بعض هذه الأديان عيال على العرص الآخر في ذلك، وإن الاعتقاد باليوم الموعود راجع إلى بعض الأديان القديمة الموروثة . وهو اعتقاد كادب في رأي هؤلاء المعرصين .

بل هو اعتقاد صادق، اتفقت عليه الأديان باعتبار سبب واحد هو الوحي الإلهي وكلها تشير إلى أمر واحد هو العرص الأساسي من إيجاد الخليفة، الذي عرفنا أن يكون من الطبيعي وجوده منذ ولادة البشرية، وتليعه إلى الناس من أول عهود البوآت .

كما نستطيع بذلك أن نحجب على كلام آخر يقوله بعض المرجعين، من أن الاعتقاد باليوم الموعود، ناشئ من شعور البشرية بالظلم وتوقها إلى ارتماعه وسيادة العدل على الأرض .

فإننا عرفنا السبب الحقيقي لوجود هذا الاعتقاد . ومن الواضح أن مجرد التوقان إلى العدل لا يصلح سبباً له، لأن الفرد أو المجتمع إذا أمل ارتماع الظلم عنه، فإنما يود أن يحدث ذلك في الزمن المعاصر القريب، لكي يستفيد منه بشكل وآخر . وأما الاعتقاد بوجود اليوم الموعود في أجيال غير معاصرة فهذا مما لا يعود بالمصلحة إلى أي فرد معين، لكي نحتمل أنه ناشئ من ظروف الظلم والمصاعب فضلاً عما إذا اقترن بهذا الاعتقاد كون التقديم إليه لا يكون إلا بمرور الشرية بالمشاكل والمظالم . كما نريد البرهنة عليه . فإنه في واقعه اعتقاد بريادة الظلم

والمشاكن على البشرية في أي جيل معاصر، وليس توقناً إلى العدل العاجل بأي شكل من الأشكال.

ومن هنا انحصر السب في وجود الاعتقاد القديم باليوم الموعود، بتليغ الأنبياء الناشء من إلهام السماء.

وإذا طبقنا ذلك على عقيدتنا في المهدي، كما تم عليها البرهان الصحيح، استطعنا أن ندرك بسهولة ووضوح، كيف أن المهدي (ع) هو القائد المدخور من قبل الله عز وجل لتحقيق العرض الأساسي من الخليفة. وإن عدداً من الأنبياء السابقين قد أخبروا عن ظهوره، فضلاً عن نبي الاسلام (ص) الذي تواتر عنه النقل في ذلك وإنما كان الاختلاف في تسميته نتيجة لاختلاف اللغات، أو للانحراف الناشء عند أهل الأديان بعد ذهاب أربابهم

النقطة الثالثة:

لم يكن بالامكان أن يتخذ أي نبي من الأنبياء موقف القائد للتطبيق الأساسي العام لمبادئ البشر، أو يتكامل إجماد اليوم الموعود. ولم يكن ذلك داحلاً في التخطيط الإلهي أصلاً لعدم توفر أي من الشرطين الأساسيين السابقين.

أما بالنسبة إلى اشتراط أن تكون الأمة على مستوى الاحلاص والاستعداد للتصحية في سبيل التطبيق العادل. فعدم توفره في الأمم السابقة على الاسلام واضح جداً وحسبنا أن نستعرض النصوص الواردة في الأنبياء المشهورين، لنعرف حال البشرية في عصورهم وفي ما بين ذلك من الدهر فإنه إذا لم يستطع النبي منهم أن يرفع مستوى الاحلاص إلى الدرجة العليا في زمانه، فكيف سوف يحدث بعد وفاته؟

﴿أما آدم عليه السلام فقد عصى ربه فعزى﴾، كما نص على ذلك التنزيل<sup>(١)</sup> وقال عنه - ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾<sup>(٢)</sup>. وبدون هذا العزم المطلوب لا يمكن وجود اليوم الموعود

(١) ط ٢٠/٢١٦

(٢) نفس السورة. ١١٤

وأما نوح عليه السلام، فقد قصى المئات من السنين مرشداً واعظاً، فلم يؤثر في الناس أثراً محسوساً حتى شكوا إلى الله تعالى قائلاً ﴿رب أني دعوت قومي ليلاً ونهاراً، فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً. وأني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكروا استكباراً﴾<sup>(١)</sup>. حتى اضطر إلى أن يدعو عليهم بالهلاك، فاستجاب الله تعالى دعاءه وأغرقهم بالطوفان. وليس هناك وصوح في النصوص التاريخية في تحديد مقدار ما استطاع نوح عليه السلام اكتسابه من المؤمنين بعد الطوفان.

وأما إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، فقد كان أكثر من سابقه تأثيراً في توجيه الناس واكتساب إيمانهم ونفقتهم به. ولكنه مع ذلك لم يستطع الوصول بالامة إلى المستوى المطلوب في العدل المطلق. حسينا من ذلك أنه في أول عهده القوي في السار ولم يكن يوجد في المجتمع شخص معترض أو مستنكر ولو من الساحة الانسانية المحصنة! ثم أنه بعد فترة عبر قليلة من سونه، وضع روحته وولده في واد غير ذي زرع، ولم يكن لديه شخص محلي بصمه إليهما بدفع عنها ألم الجوع والعطش وخوف الساع والهوام. فاكتمى إبراهيم (ع) بالدعاء لهما وتركهما وذهب فكان الله تعالى حافظاً لهذه الامانة التي أودعت عنده، فجعل ائمة من الناس تهوي إليهم. ولولا ذلك لكانا من المالكين.

وأما الامة التي بعث فيها موسى بن عمران عليه السلام، فحدث عنها ولا حرج، من حيث التمرد على نبيها وعدم الشعور بالمسؤولية تجاه دينها وكان المطلق القائل: ﴿إذهب أنت وربك فقاتلا أنا ههنا قاعدون﴾<sup>(٢)</sup>. هو المسيطر على أذهانهم ومعنوياتهم. فهم على غير استعداد أن يبدلوا أي شيء في سبيل نبيهم وعقيدتهم

وأما عبادتهم للعجل ردحاً من الرص، ومطالبتهم برؤية الله تعالى جهرة، ومراجعتهم في شأن البقرة التي أمروا بدسحها، وغير ذلك من الحوادث. فهي أوضح من أن تذكر.

(١) روح ٧١/٥ - ٧

(٢) المائدة ٥/٣٤

وأما المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فحسبنا شاهداً على حال أمته، أن الخواريين وهم طلابه وخاصته واجهوه بهذا الكلام: ويا عيسى بن مريم، هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء، تشكيك صريح في قدرة الله تعالى ومن ثم أحاييم ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُمَ مُؤْمِنِينَ قَالُوا بَرِيدٌ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ إِنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾<sup>(١)</sup> إذن فهم لم يطمئثوا به بعد، ولم يعلموا بصدقه. فإذا كان هذا هو مستوى خاصته وطلابه، فكيف حال سائر أفراد الأمة والمجتمع.

إذن، فلم يكن يوحد في الناس على طول التاريخ، ذلك المستوى العظيم من الاحلاص الذي يمكن به ساء العدل المطلق في اليوم الموعود، وإذا كان هذا الشرط غير متوفر، فماذا ترى الأنبياء صانعين، حين يجدون أنهم على هذا المستوى المنخفض من الاحلاص؟.

كيف وقد عرفنا فيما سبق، أن هذا الشرط غير متوفر إلى حد الآن، وأن الشريعة لا زالت في طريق التربية، لكي يتوفر في ربوعها في يوم من الأيام وأما بالنسبة إلى الشرط الآخر وهو علم الأمة أو الشريعة بالأطروحة العادلة الكاملة المأمول تطبيقها في اليوم الموعود فمن الواضح أن ثلث الأطروحة لم تكن ناجرة، ولم يكن البشر على مستوى فهمها عن الاطلاق ويمكن أن يتم بيان ذلك، باستعراض فترات التاريخ اجمالاً أيضاً

أما الأنبياء السابقين على موسى بن عمران عليه السلام، فلم يكن هدفهم إلا ترسيخ العقيدة الالهية، وتوصيحتها بالتدريج، من دون أن يكون لهم تعاليم تشريعية كثيرة حتى تكملت تلك الجهود بجهود إبراهيم الخليل عليه السلام الذي أوضح عقيدة التوحيد بشكل مرهق وصحيح إذن فلم يكن هناك تشريع مهم فصلاً عن افتراض وجود الأطروحة العادلة الكاملة التي تنكسر التشريع لكل جوانب المجتمع.

وأما الفترة التي تبدأ بموسى بن عمران عليه السلام وتنتهي ببعثة الرسول

(١) نفس السورة ١١٢ ١١٣

الأعظم (ص). . . فلا شك أنها كانت فترة شرائع تفصيلية، نزلت بها التوراة والانجيل عن الله عز وجل. ولكنها كانت شرائع تربية لأجل الوصول والاعداد إلى فهم البشرية للأطروحة الكاملة، ولم تكن بمثابة تلك الأطروحة نفسها. ويمكن الاستدلال على ذلك بثلاثة أدلة -

### الدليل الأول

أنا كمسلمين، نعلم بأن التشريعات السابقة على الإسلام ليست هي الأطروحة الكاملة، جرمًا لأن معنى الإيمان بالإسلام، هو كونه ناسحًا لشرائع السابقة عليه ومنفصلاً لأحكامها عن مسؤولية الشرع. هو كانت إحدى تلك الشرائع هي الأطروحة الكاملة المأمولة، لوحب إبقاءها سارية المفعول إلى حين اليوم الموعود، لكي يتربى الناس على تحملها والتصحح في سبيلها، على ما سوف يعرف بالنسبة إلى الأطروحة الكاملة. ولو سحبت تلك الشريعة المروضة لكان ذلك محالاً للعرض الإلهي المطلوب، فيكون مستحيلًا. ولكنها سحبت فعلاً، كما نعتقد نحن المسلمين بالرهان، إذن فتلك الشرائع المسوغة ليست هي تلك الأطروحة العادلة الكاملة المأمولة.

### الدليل الثاني.

أنه لا دليل على أن تلك الشرائع كاملة شاملة لكل جوانب المجتمع، بحيث تصلح لاستيعاب الشريعة بالعدل الكامل. ولعل أوضح دليل على ذلك القول المشهور عن المسيح عليه السلام: 'دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر'. فإن إيكال ما لقيصر وهو الحاكم الديبوي لكي يمارس فيه سلطته وحكمه، يعني أن الشريعة المسيحية لم تكن لتستوعب الجناح القصائي والجنائي والاقتصادي للحياة وبحو ذلك مما يضطر المسيح إلى التصريح بطروم إيكال ذلك إلى القانون الديبوي الوضعي السائد، كئلا تشتت أمور الناس وتضيع مصالحهم.

وهذا الدليل خاص بالمسيحيين وملزم لهم باعتبار اعتقادهم صحة نقل هذه العبارة عن المسيح، بعد أن وردت في الانجيل الموجود في اليد<sup>(١)</sup> الذي هو

(١) انجيل متى الأصحاح الثاني والعشرون/ ٢٢



الصحيح عندهم.

وأما نحن كمسلمين، فلا يؤمن بكل ما ورد في الانجيل السائد، كما يبرهن عليه في بحوث العقائد عادة. كما أننا لا نستطيع أن نؤكد بقص الشريعة الواقعية النازلة على المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وإن كان ذلك محتملاً على أي حال، بحسب المصالح الرمنية التي توجهاها الله تعالى لخلقها في تلك الفترة من الزمن.

### الدليل الثالث.

أنه لا دليل على أن تلك الشرائع عالمية وعامة لكل البشر. إذ من الممكن القول، من وجهة نظر أصحاب هذه الديانات. أنها شرائع اقليمية خاصة بني إسرائيل ومن هنا نرى كتب المهددين تؤكد على أهمية هذا الشعب بالخصوص، وأنه شعب الله المختار. ومن هنا نرى اليهود إلى الآن لا يقللون يهودية شخص لا يكون من بني إسرائيل، لاعتقادهم الراسخ أن اليهودية دين إسرائيلي على التعيين.

فيذا كانت تلك الشرائع على هذا الفرار... فهي إذن ليست تلك الأطروحة الكاملة الشاملة للشريعة جمعاء. بل تكون قاصرة بطبيعتها عن أن تحقق الغرض الالهي الكبير.

وهذا الدليل باطل عندنا، كمسلمين، ما عتبار الاحتمال - على أقل تقدير - بتجدد الإقليمية في عصر منحرف متأخر عن عصور دعوتهم الأولى، حتى أصبحت بعد ذلك من العقائد الأساسية في دينهم. إلا أن هذا الدليل على أي حال، ملزم لمن يعتقد بالديانتين: اليهودية والنصرانية، وبخاصة اليهود، باعتبارهم أشد تطرفاً في الإقليمية من المسيحيين.

وعلى أي حال، فقد تبرهن عدم وجود الأطروحة الكاملة العادلة قبل الإسلام، وستأتي بعد قليل بعض الإيضاحات لذلك. إذن فلم يكن كلا الشرطين الأساسيين لتحقيق اليوم الموعود والعدل العالمي المطلق، موجوداً فكان من المتعذر أن يتصدى أي واحد من الأنبياء لتولي القيادة الرائدة لتحقيق ذلك العرض الكبير.



## الحجة الثالثة:

### التخطيط الالهي بعد الاسلام.

ونعني به ذلك الجزء من التخطيط الالهي الذي يبدأ بظهور الإسلام، وينتهي باليوم الموعود. وبسببي أن نرى موقف الإسلام من هذا التخطيط، وموقف قادته منه، وأثرهم فيه.

### النقطة الأولى.

الاسلام هو الأطروحة العادلة الكاملة، المدخورة للتطبيق في اليوم الموعود. يدلنا على ذلك الأدلة القطعية الدالة على أن الاسلام آخر الشرائع السماوية، وأنه لا نبي بعد نبي الاسلام وأن وحلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة. فلو كان ناقصاً لما حقق العرص الالهي الكبير، ولوجب على الله تعالى تحقيق عرضه المهم بإيجاد أطروحة أخرى كاملة يرل بها نبي آخر. وهو خلاف الدليل القطعي بأنه لا نبي بعد نبي الإسلام.

مصمماً إلى الأدلة القطعية الدالة على عالمية الدعوة الإسلامية واستيعابها لكل المشاكل والأحكام، وأنه وما من واقعة إلا ولها حكمه، مما يجعل لها الصلاحية الكاملة، لتكون هي الأطروحة العادلة في اليوم الموعود.

ومن الملحوظ بوضوح أن هذه الأدلة القطعية، مطلقة من زاوية إسلامية، وأما إذا أردنا الاطلاق من روايا أخرى، فيجب البدء بإنشآت صحة الإسلام وصدقه أساساً، وهذا موكول إلى محله من بحوث العفائد.

وقد يقول قائل: فلماذا لم ترل تعاليم الاسلام قبل عصر نروها، لتكون هي الأطروحة المتوفرة مد العصر الأول.

وجواب ذلك متوفر فيما قلناه من قصور البشرية في الأمانة السانقة على الاسلام عن فهم الأطروحة الكاملة. وأن الأنبياء السابقين جاهدوا في تربية البشرية لجعلها قابلة لهذا المهم. ولا يمكن أن يرسل الله تعالى تلك الأطروحة لمن لا يفهمها ولا يستطيع استيعابها، لأنها لا تتح حينئذ أي أثر.

إذن فلا بد لنا الآن من إيضاح معنى قصور البشرية عن تلقي تعاليم الاسلام.

في العصور السابقة عليه.

وفي الحق أن عدداً مما جاء به الاسلام من تعاليم، كان متعديراً جداً أن يستوعب الشر معها يومئذ استيعاباً كاملاً. إلى حد ستكون الدعوة إلى تلك الأحكام منشأ للمعركة في ذلك العصر، مما يجعل مجرد الايمان بها صعباً فضلاً عن استيعابها الدقيق، فضلاً عن تطبيقها الشامل وحسباً في هذا الصدد استعراض حوائب أربعة

الجانب الأول.

إن مستوى العقيدة الالهية التي جاء بها الإسلام من التوحيد والخلوص، لم يكن موجوداً بوصوح في الشرائع السابقة وإنما كانت هذه العقيدة في تطور مستمر، في ألسنة الأنبياء على مرور الزمن، إذ يعطي كل نبي من تلك العقيدة ما يناسب المستوى الثقافي والعكري الذي وصلت إليه البشرية في حقلها التربوي الطويل.

وهذا واضح جداً من استعراض دعوات الأنبياء المتتاليين فنرى الأنبياء السابقين على موسى بن عمران لا يكادون يذكرون من صفات الله تعالى إلا ما كان ظاهراً من آثاره وأفعاله عز وجل. من أنه ﴿يرسل السيلاء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ما لكم لا ترجون لله وقاراً، وقد خلقكم أطواراً ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طاقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾<sup>(١)</sup>

إلا ما كان من محاولة إبراهيم الخليل عليه السلام من محاولة البرهنة على التوحيد، على شكل سيطر النتائج بالنسبة إلى ما جاء به الاسلام من صفات

ثم أما نجد اليهود الآن يؤمنون ببعض أشكال التحسيم، ويوجد المسيحيين يؤمنون ببعض أسماء التعدد وهذه بالرغم من أنها عقائد باطلة تعلم باليقين أنها لم ترد في شرائعهم وتعاليم أسلافهم إلا أنهم، على أي حال، لم يجدوا في ما ملعهم عن أسلافهم ما يناه ذلك، أو يكون دليلاً صريحاً على بطلانه وإلا لم يكونوا

(١) يوح. ١١/٧١.

ليلتزموا بهذه العقائد بطبيعة الحال ومعنى ذلك أن موسى وعيسى عليهما السلام لم يوصحا بصراحة التجرد الكامل والتوحيد المحض لله عز وجل، مواكبة مع المستوى العقلي والثقافي للبشرية في تلك العصور الجانب الثاني.

إن فكرة الدعوة العلمية التي قام عليها الإسلام، لم يكن ليسيحها المجتمع الذي كان يزرع في عواطف قلبية وعنصرية وقومية، لمدة عدة مئات من السنين ومن هنا جاءت فكرة وشعب الله المختار واحتصاص الدعوتين اليهودية والمسيحية في أقطار المؤمنين بها ببي إسرائيل دون سائر الناس الجانب الثالث:

إن فكرة الدولة النظامية التي جاء بها الإسلام ومارسها الرسول الأعظم (ص)، وحاول تطبيقها من جاء بعده إلى الحكم من الخلفاء أن هذه الفكرة لم يكن ليفهمها الناس قبل الإسلام، بأي حال، كيف وهم يعيشون الخو القلي والمصري، حتى أن المملوكية في تلك العصور كالسلطة الفرعونية أو القبطية، لم تكن إلا توسيعاً لفكرة السلطة القلبية والاقطاع الذي يدعي لنفسه ملكية الأراضي والملاحين جميعاً، وهم يمثلون الأعم الأغلب من الشعب يومئذ ومن هنا لم يكن في الامكان أن تتكامل الديانات السابقة بإيجاد النظام الإداري أو الحكومي، بأي حال. وإنما كان الأسياء وأوصياؤهم يصطلعون بقيادة شعوبهم شكل مردي مع الحماط على السلطة الديبوية في عصورهم الجانب الرابع:

أنا نجد في الإسلام دقة في فهم الأحكام وفي تنظيمها، في العبادات والمعاملات والعقوبات والأخلاق، ما لا يكاد يفقهها الناس السابقون... كما يتجل ذلك بوضوح لمن راجع الأحكام الإسلامية المعروضة في الكتب الكريم والسنة الشريفة، واطلع أيضاً على تفاصيل الأحكام المعروضة في التوراة والانجيل، وتوفر للمقارنة بينهما

إذن، فكيف تصلح الشرائع السابقة، لأن تكون هي الأطروحة العادلة الكاملة. وكيف يصلح أهل العصور الأولى لتعقل هذه الأطروحة المتمثلة

بأحكام الاسلام . ومعها يتضح بجلاء أنه لم يكن في الإمكان رول أحكام الإسلام قبل العصر الذي نزل فيه .

النقطة الثانية :

بُعث نبي الاسلام (ص) بالاطروحة التشريعية العادلة الكاملة، بعد أن أصبحت البشرية في مستواها العقلي والثقافي العام قابلة لعلمها واستيعاب أحكامها، لتكون هي الاطروحة المأمولة في اليوم الموعود

ولكنه - مع شديد الأسف - لم يكن في الامكان أن يتكامل التطبيق العالمي الموعود، لعدم توفر الشرط الثاني من الشرطين الأساسيين لوجود هذا التطبيق . ولا راي هذا الشرط غير متوفر إلى حد الآن

حينما كان المانع بالنسبة إلى الأسياء السابقين عن هذا التطبيق، هو عدم توفر كلا الشرطين . نجد أن المانع بالنسبة إلى نبي الاسلام هو عدم توفر شرط واحد منهما، بعد أن تمت تربية البشرية على الشرط الآخر على أيدي الأسياء السابقين

ولسائل أن يقول: فلماذا تمت تربية البشرية على أحد الشرطين ولم تتم تربيتها على الشرط الآخر؟ فالرغم من جهود الأسياء في الخط التاريخي الطويل ويمكن الاطلاق إلى الجواب من راويتين .

الزاوية الأولى :

أن توفير الشرط الأول، وهو إيجاد المستوى اللائق في البشرية من الناحية العقلية والثقافية لعلم العدل الكامل . أسهل بكثير من توفير الشرط الثاني وهو الوصول بالبشرية إلى المستوى العالي من الاخلاص والتصحح .

فإن تربية المكر والثقافة لا تواجه عادة من الموانع والعقبات ما تواجهه التربية الوجدانية من ذلك، متمثلة في الشهوات والمصالح الخاصة، وظروف الظلم والاعراء، فمن الطبيعي أن تحتاج التربية الأولى إلى زمن أقصر بكثير من الزمن الذي تحتاجه التربية الثانية . ومن الطبيعي أن يكون الشر لدى أول مصحهم المكري في التربية الأولى غير باصحين وجدانياً في التربية الثانية، لأن هذه التربية لم تكن قد أنت أكلها بعد، وإنما تحتاج إلى توفير زمان احمر طويلاً حتى تتوفر نتائجها بوضوح .

ومن ها أمكن وصول الشر إلى الحد الثقافي المطلوب، فاستحقت عرض الأَطروحة الكاملة عليها وإفهامها إياها. . . على حين لم تكن قد وصلت إلى الحد المطلوب من الناحية الوجدانية، لتستطيع تحمل القيادة العالمية بين يدي النبي (ص).

#### الزاوية الثانية:

إن الشريعة مهما كانت قد تطورت من الناحية الوجدانية، على أيدي الأنبياء السابقين . فإنه على أي حال غير كاف لإيجاد الاحلاص المطلوب الذي به يكون تحمل مسؤولية العدل العالمي الكامل في اليوم الموعود. باعتبار ضرورة أن تترى البشرية على الأَطروحة بعد نزولها ومعرفتها، مما فيها من دقة وعمق فإنه إذا يكون المطلوب هو تطبيق هذه الأَطروحة، يكون الشعور بالاحلاص نحو الهدف ككل، ذلك الاحلاص الناتج من جهود الأنبياء السابقين

فكان لا بد لأهل ضمان نجاح التطبيق في اليوم الموعود، أن غمر البشرية بمظروف معينة، تكفل لها التربية على الاحلاص على الشكل الدقيق للأَطروحة الكاملة المتمثلة بالاسلام وقد قلنا أن الهدف الالهي الأسمى، هو فوق كل الاعتبارات، فيتعين على الأمة الاسلامية أن تعيش الظروف التي تربتها وتمحصها من جديد.

وبدأت الظروف الطارئة بالحدوث والتواتر، متمثلة في عدة أمور:

#### الأمر الأول:

انقطاع الوحي بموت رسول الإسلام (ص)

#### الأمر الثاني:

انقطاع التطبيق الساجح للشريعة الكاملة، بموت النبي (ص) أو بانتهاء الخلافة الأولى.

#### الأمر الثالث:

انشاء الحكم في البلاد الاسلامية على أساس من المصالح السياسية الظالمية المسحرفة.

## الأمر الرابع:

ضعف المستوى الأخلاقي لدى الناس بشكل عام، وتقديعهم مصالحهم الشخصية على اتاع تعاليم دينهم سواء على الصعيد الفردي أو الاجتماعي.

ويكاد كل واحد من هذه الأمور، فضلاً عن مجموعها، أن يكون موجاً لئأس الفرد العادي والشعور بالتحلل والاعتماد على الإسلام

ومن هنا كان الشخص محتاجاً في استمراره على إخلاصه وإيمانه، إلى قوة الإرادة وشعور بالمسؤولية الإسلامية، أعلى من المستوى المطلوب وكان الأشخاص الممثلين لهذا الإخلاص، قد سجدوا في عملية التمهيع والاحتثار الإلهية، بهذا المقدار.

إلا أن هذا المقدار غير كاف في إيجاد الإخلاص الذي يتطلبه القيام بمسؤولية اليوم الموعود، فكان لا بد أن تمر الأمة بتمهيع صحم وعملية غربلة حقيقية، حتى يكشف كل فرد على حقيقته، فيمثل في هذا التمهيع كل شخص قابل للانحراف، لأجل أي نقص في إيمانه أو عقيدته أو إخلاصه.

وكان هذا التمهيع الصحم متمثلاً بطرفين مهمين تمر بهما الأمة الإسلامية بل البشرية كلها إلى العصر الحاضر.

## الطرف الأول:

غية الإمام المهدي عليه السلام، تلك الغية التي توجب للغافل عن البرهان الصحيح، الشك بل الإنكار.

## الطرف الثاني -

تيار الردع عن الإسلام، وأقصده به التيارات المعادية للإسلام، والتي تحمل بين طياتها معاني الخروج عنه والتشري من عقيدته بما فيها تيار التشير المسيحي الاستعماري، وتيار الحصار العربية المسي على التحلل الخلقي وإنكار المثل العليا والتيارات المادية الصريحة كالشيوعية والوحدوية وغيرها تلك التيارات التي استطاعت أن تصطد من أمنا الإسلامية ومن العالم كله، ملايين الأفراد

وتحت هذين الطرفين، كان التمسك بالإخلاص العالي، عمل جهادي في

غاية الصعوبة والتمقيد، وبحتاج إلى مضاعفة الجهود في سبيل المحافظة على مستواه فضلاً عن الصعوبة وتكميله فكان «القاصص على ديبه كالقايض على حمرة من البارد» وكان المحصلون على المستوى العالمي، في غاية القلة والندرة بالنسبة إلى مجموع سكان العالم... وان كنا لو لاحظنا مراتب الاخلاص الثلاثة أو الأربعة السابقة، فإن النسبة تتسع عن هذا المقدار الضيق بكثير.

ولا زالت البليات والمحن تتصاعف، وظروف التمهيص والاختبار الالهي تتعقد وترداد... حتى أصبح الفرد يقهر على ترك ديبه والتعرد على تعاليم ربه، بمختلف أساليب الخوف والترغيب. ولعل المستقبل - إن لم يأت الله تعالى بالفرج والظهور - كقيل بأن يواجه اشكالاً من الخطر والبلاء على ديننا ودياننا هي أهم وأصعب مما حصل إلى حد الآن فليهم كل مسلم موقفه، وليتمس درجة إيمانه ويشخص مقدار قابليته على الصمود، قبل أن يسقط في هاروة الانحراف لكي يوطن نفسه على الصبر واجتهاد على كل حال ليكون له فخر المشاركة في ساء العدل العالمي في اليوم الموعود.

وقد يحطر في الذهن: إن ما قلناه من أن ظروف الظلم دحينة في التمهيص والاختبار الالهي، يلزم منه أن يكون الله تعالى راصياً بوجود الظلم والانحراف، وهذا خلاف الأدلة القطعية في الاسلام

ويمكن الجواب على ذلك من زاويتين نذكر احدهما ونؤجل الأخرى إلى حين اتضاح مقدماتها في مستقبل البحث.

والراوية التي نود الانطلاق إليها الآن هي أن الأدلة القطعية في الاسلام قامت على أن الله تعالى لا يريد الظلم، بمعنى أنه لا يميزه تشريعاً، فليس في شريعة الاسلام حكم ظالم، وليس أي ظلم مما يقع يكون مجازاً من قبل الشريعة، بل يتصف بالحرمة والشجب حتماً إذ من الواضح أن الاسلام إنما شرع ليحرم الشرية من طلبات الظلم إلى نور العدل، بل هو - كما عرّفنا - يمثل العدل الكامل من جميع الجهات، بشكل لم يتحقق في أي تشريع آخر على مدى التاريخ

وأما بحسب التدبير التكويني لله تعالى في مخلوقاته، فمن الواضح الضروري أن الله تعالى سمح بوجود الظلم، ولم يسبب الأسباب إلى قمعه قهراً وعلى كل



حال، إذ لو كان الله تعالى لا يريد الظلم - بهذا المعنى - لما وجد الظلم على سطح الأرض.

إلا أن سماحه بوجود الظلم، لا يعني قهر الظالمين على إيجاد الظلم، بل الظلم يوجد باختيار الظالمين ويحضى إرادتهم، بعد أن وهب الله تعالى لهم فرص الطاعة وهداهم السجدين وعرفهم حرمة الظلم من الناحية التشريعية. فأنحرفوا باختيارهم وأوجدوا الظلم باختيارهم، من دون أن يكون لله عز وجل أي تسبب إلى إيجادهم.

إذن فالظلم غير مراد لله تعالى، لا تشريعاً لأنه حرّمه في شريعته ونهى الناس عنه، ولا تكوياً، لأنه عز وجل لم يقهر الناس عليه. وإنما عاية ما هناك أنه سمح من الناحية التكوينية بوجود الظلم في خلقته ناشئاً من اختيار الظالمين، وذلك للتوصل إلى هدفين مهمين:

#### الهدف الأول.

المحافظة على الاختيار ونهي الجبر الذي قام البرهان على استحالة على الله عز وجل. فإنه لو قهر عباده على ترك الظلم لم يكن الاختيار متوفراً كما هو واضح.

الهدف الثاني:

إجراء قانون التمحيص والاختبار. الذي يعيد من الناحية الفردية، بالسببة إلى كل فرد من البشرية على الإطلاق ﴿ليَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مِنْ هَلِكٍ عَنِ بَيْتِهِ وَيَحْيَى مِنْ حَيٍّ عَنِ بَيْتِهِ﴾<sup>(١)</sup>. ويقيد من الناحية العامة باعتبار أن له أكبر الأثر في تحقق الهدف الأساسي من إيجاد الخليفة بمسها فان المجتمع الموعود، لا يمكن أن يحدث ما لم تسبقه فترة من التمحيص لتوفير شرطه الثاني الذي عرفناه وفي ما يلي من السحوت ما يريد ذلك جلاء ووضوحاً.

#### النقطة الثالثة.

كما شارك الأنبياء السابقون عليهم السلام في التبشير باليوم الموعود، استمر

نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وخدمته المعصومون عليهم السلام وكثير من صحابته في هذا التشير. وكان تشيرهم أهم وأوسع، باعتبار أنهم يحملون إلى العالم نفس الأطروحة العادلة التي سوف تأخذ طريقها إلى التطبيق في اليوم الموعود. فهم أقرب إلى ذلك اليوم وألصق به من الأشياء السابقة. وأشد مسؤولية بالتمهيد له وإيجاد المقدمات المؤدية إليه.

فكان أن اصطلح السي (ص) ومن بعده بتهئة الدهية العامة للأحياء، عن ذلك بالتركيز على ثلاث قضايا مهمة:

### القضية الأولى:

الأحبار بوحود الغرض الإلهي الكبير، والتشير بتحقيق اليوم الموعود الذي يأخذ فيه العدل الكامل طريقه فيه إلى التطبيق. ويكميها من ذلك أن القرن الكريم بمسه شارك في هذا التشير حين قال ﴿وما حنقت الحس والأنس إلا ليعبدون﴾<sup>(١)</sup> أو حين قال: ﴿وعد الله الذين آمنوا مكث وعملوا الصالحات ليستحلفنهم في الأرض﴾. . . الح الآية<sup>(٢)</sup> أو حين قال: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾<sup>(٣)</sup> إلى غير ذلك من الآيات.

### القضية الثانية

التأكيد على أن القائد الرائد لأحبار ذلك العصر الكبير، هو الإمام المهدي (ع) كما ورد في النصوص المتواترة عن السي (ص) وهي أيضاً متواترة عن بعده. ولإثبات هذا التواتر مجال آخر. وحسباً أنها أحبار مروية ومعترف بصحتها وتواترها من قبل الفريقين.

ولمّا كان هذا التأكيد لكي تكون الأمة على علم بمستقبل أمرها من ناحية، ومطلعة على اسم قائدها العظيم من ناحية أخرى فإنه لا يسفي أن تعاجأ الأمة بالظهور من دون أحبار سابق. ولكي لا تكون هذه القيادة ممكنة الانتحال

(١) الذريات: ٥٦/٥٩

(٢) سورة البور ٥٥/٦٤

(٣) التوبة، ٣٣/٩ والمفح ٢٨/٤٨ والصف ٩/٦١

والتزوير، ولو في حدود صيقة، من قبل أشخاص آخريين. على ما سوضحه في  
الجهة الآتية إن شاء الله تعالى.

### القضية الثالثة

الانحياز بما سيقع في هذا العالم من ظلم وفساد، كما وردت بذلك الأعداد  
الضخمة من الأحبار، على ما سسمع في الفصل الآتي. وكان هذا الانحياز مشعوعاً  
بذكر التكليف الاسلامي وأسلوب العمل الواعي في هذه الظروف. . . حتى يكون  
العرد على بصيرة من أمره عارفاً بضرورة الصمود تجاه تيار الانحراف والفساد،  
لكي يكتب له النجاح في التمهيد الالهي، فيكون من المحلصين المحصين  
الذين يكون لهم شرف المشاركة في ترسيخ قواعد العدل العالمي في اليوم الموعود.

وأما الذي يسير مع تيار الانحراف، فلا يهمه - مطبعة الحال - أن يفهم  
التكليف الاسلامي الواعي، ومعه يكون من العاشلين في التمهيد والاختيار.

ومن هنا نستطيع أن نفهم بوضوح، ارتباط كل هذه القضايا التي نلغث إلى  
الأمة، بالتحطيط الالهي لليوم الموعود. . . لتشارك في إعداد أكبر عدد ممكن من  
المخلصين المحصين على طول الخط، تهيئة الذهنية العامة لهذه الحقائق وإقامة  
الحجة عليها، حتى يكون العرد المسلم على بينة من أمره وبصيرة من دينه، فيحتار  
سبيل الرشاد بين تيارات الانحراف، كما هو المطلوب

### النقطة الرابعة.

وقد رأينا المهدي (ع) نفسه في الحوث السابقة يشارك تهيئة الذهنية العامة  
للأمة لليوم الموعود، تلك التهيئة التي نوفر له شروطه الأساسية وذلك بالتخاذ  
خطوات ثلاث:

### الخطوة الأولى:

إقامة الحجة على وجوده تكرار المقالات مع عدد من الناس كبير نسبياً،  
خلال العية الصغرى والعية الكبرى معاً. وبذلك يؤسس للمسلمين أساس  
الصمود ضد واجهة كبرى للشك في وجوده.

## الخطوة الثانية :

إعطاء الأطروحة النامة لمكرة عينته وظهوره . كما سمعنا ذلك في عدد من مقابلاته وتوقيعاته ، في عينته الصغرى ، كحسابته مع علي بن مهزيار وتوقيعه للأسدي<sup>(١)</sup>.

وبذلك يعطي الثقافة الكافية التي تعطي الدفع الأساسي للمرد المسلم للصمود والثبات عن بصيرة وتفهم حقيقي للهدف المنشود.

## الخطوة الثالثة :

العمل على إزالة الظلم والطغيان ، في الحدود التي سبق أن ذكرناها في القسم الأول من هذا التاريخ.

وبذلك يعطي المرد المسلم فرصة أكبر للنجاح في التخطيط والتنمحيص الالهيّن ، باعتبار قلة الموانع والتعصبات سبياً ، مُمد الإيمان والاحلاص ، حيثند . مما يفسح مجالاً أوسع للعمل على طبق الاحلاص وتلبيح مؤداه إلى الأحرار .

فالهندي (ع) في كل هذه الخطوات ، يسير في خط التخطيط الالهي العام لليوم الموعود ، كما سبق أن سار سلفه الصالح المتمثل بالأنبياء والأئمة عليهم السلام . وكيف لا يكون كذلك ، وهو القائد العظيم المدخور لذلك اليوم العظيم



## الجهة الرابعة :

أهمية القيادة في التخطيط الالهي .

ويمكن أن تنطلق إلى الحديث في هذه الجهة من عدة نقاط

## النقطة الأولى :

لا بد لكل حركة من قيادة ولكل دولة من رئيس . ولا شك أنه كان على رأس كل حركة ناجحة في التاريخ قائد محك مقدام استطاع أن يسير بها قدماً إلى الأمام

---

(١) انظر مثلاً تاريخ العمى الصغرى ، ص ٥٧٧ وغيرهما

وهذا أساساً، مما لا بد منه، بحيث يستحيل عادة وجود حركة ما من دون قيادة وتوجيه منها كانت الحركة صعبة والقيادة بسيطة فإن الجماعة - أياً كانت - بصفتها مكونة من عدد من الأفراد مختلفين في التدبير ووجهات النظر، لا تكاد تستطيع أن تجمع مصالحها في حاضرها ومستقبلها، إلا بشخص أو عدة أشخاص يأخذون فيها مركز القيادة والتوجيه فكيف إذا تضمنت الحركة إصلاح العالم برمته وضمان تطبيق العدل الكامل على البشرية جمعاء ومباشرة التطبيق من حكم مركزي واحد ودولة عالمية واحدة.

وسنرى أن الدول كبرها وصغيرها، بالرغم من تضام أفرادها وتديقهم في الأمور السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لأجل قيادة جرة من العالم . فإنه يظهر على مر الزمن فشلها وسوء تصرفها، وأخذها بالمصالح الخاصة للقيادة لا بالمصالح العامة للناس فكيف بقيادة العالم كله.

إذن، فلا بد، من أجل ضمان تحقق العرص الإلهي الكبير، من إيجاد شخص مؤهل من جميع الوجوه، لأجل الأحاد برمام القيادة العالمية في اليوم الموعود. ولأجل هذا وجد المهدي عليه السلام.

#### النقطة الثانية

لا شك أن النبي (ص) والأئمة المعصومين (ع) بعده كان لهم القابلية الكاملة للقيادة العالمية. لصم مقدمتين يذكرهما هنا مختصراً ونحيل تفاصيلهما إلى موضعه من أبحاث العقائد الإسلامية.

#### المقدمة الأولى:

إن كل شخص يعيه الله تعالى للقيادة، لا بد أن تكون له القدرة على تلك القيادة إذ يقبح على الله تعالى أن يعين شخصاً لمهمة وهو قاصر عن أدائها. فمثلاً إذا كان سي مرسل إلى هداية مدينة واحدة كان لا بد أن يسه القدرة على أداء مسؤوليته، وإذا كان مرسل إلى هداية منطقة كبيرة من العالم فلا بد من أن يكون له القدرة على ذلك وهكذا. ولا يمكن أن يوكل الله تعالى شيئاً من المهام إلى شخص غير قابل لأدائها بل أما أن يكون الشخص قابلاً لذلك قبل إيكال المهمة إليه، أو أن يسه الله تعالى تلك القابلية بعد إيكال المهمة إليه. وعلى أي حال يكون حال

تصديه لأداء مهمته على أتم القابلية والاستعداد

#### المقدمة الثانية .

إن دعوة النبي (ص) عالمية، كما أن المسؤوليات التشريعية الملوطة بقيادته معقدة وكبيرة.

إذن يتعين القول بأن الله تعالى أعطى النبي (ص) القابلية الكاملة للدعوة والدولة العالميتين. وحيث أن الأئمة (ع) منصوبون بتعيين من الله تعالى، ليقوموا مقام النبي (ص) في الأخذ برمام مسؤولياته بعد وفاته، من وجهة النظر الامامية، إذن فلا بد أن يكون الله تعالى قد أعطاهم القابلية الكاملة للقيادة العالمية

وهذا الدليل يتعين أن يكون للمهدي (ع) مثل هذه القابلية، والأهمية، بصفتة أحد الأئمة المعصومين الاثني عشر عليهم السلام من راوية النظر الامامية، أو بصفتة خليفة النبي (ص) في آخر الزمان المعصوم عليه من قبل النبي (ص) كما يعترف به كل المسلمين. وعلى أي حال، فالمهدي (ع) يوجد قابلاً للقيادة العالمية، قابلية متساسة مع سعة دعوته ومسؤولياته في إبحار العدل الكامل وتنفيذ الغرض الالهي الكبير.

#### النقطة الثالثة :

وكان لا بد للعية أن تشارك في التخطيط الالهي . لأن الارادة الالهية بعد أن تعلقت بأن يكون الإمام محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام مهدياً للأمة، كما يذهب إليه الامامية وعدد من العامة . كان لا بد من الحفاظ عليه إلى أن يتحقق الشرط الأساسي لتنفيذ ذلك الغرض الكبير.

فإن إن قلنا بأن المهدي يولد في زمانه، كان هذا خلاف هذا الاعتقاد . وإن قلنا بوجوده متقدماً كان لا بد من احتفائه حفاظاً على حياته، حتى يظهر الله أمره وينفذ وعده، وهو معنى الغيبة.

من قال قائل : يمكن أن يلزم أن المهدي (ع) ولد في الزمان المتقدم، ثم يموت، ثم يحييه الله تعالى للقيام باليوم الموعود  
نقول في جوابه . إن هذا غير صحيح لعدة وجوه.

أولاً: أنه افتراض لم يقل به أحد. فهو على خلاف اعتقاد كل المسلمين إذن فهو باطل جزمًا.

ثانيًا: أننا إن فهمنا العيبة طبقاً لأطروحة حفاء الشخص، فليس الحياة بعد الموت أولى منها، من الساحة الاعجازية. وإن قلنا بالعيبة طبقاً لأطروحة حفاء العمود، كانت هذه الأطروحة أولى بالأحد من ذلك الافتراض، لأنها أقرب إلى الأسلوب الطبيعي، كما عرفنا فيما سبق، وقد عرفنا أيضاً أن قانون المعجرات يعني كل معجزة يمكن أن يوجد العرض منها بشكل طبيعي

ثالثاً: أسامع هذا الافتراض سوف نحسر شيئاً أساسياً سوف يشير إليه، وهو تكامل القائد خلال عصر العيبة من تكامل ما بعد العصمة. إذ مع ذلك الافتراض لا يكون هذا التكامل موحوداً، فانه لا محالة يجئ على نفس المرتبة التي مات عليها من الكمال.

إذن فالحفاظ على القائد العظيم، هو المطلوب الأساسي من العيبة، الذي تشارك فيه العيبة في التخطيط الإلهي

ويمكن أن نصيف عدة أمور أخرى يشارك فيها عصر العيبة في هذا التخطيط.

#### الأمر الأول:

تكامل القائد، من تكامل ما بعد العصمة، ذلك الكمال الذي يؤهله إلى مرتبة أعلى وأعمق وأسهل في نفس الوقت من أساليب القيادة العادية العادلة. وسنبحث ذلك مفصلاً في القسم الثالث من هذا التاريخ.

#### الأمر الثاني:

ما سمعناه في القسم الأول من قيام المهدي (ع) بالعمل الاسلامي المنفذ للأمة من اهلكات، والفتاح أمامها سبل الخير، والمومر - في نتيجته - أكبر مقدار من المخلصين المحصين، المشاركين في بناء القدر الموعود

#### الأمر الثالث:

مساهمة الحوادث التي تمر خلال عصر العيبة الطويل، بإيجاد شرط الظهور، وهو كون الأمة على مستوى المسؤولية كما سبق أن أوضحنا.

## الأمر الرابع:

شعور الأمة، على طول الخط، بوجود القائد الفعلي لها الماسك برمام أمرها والمطلع على خصائص أعمالها. ذلك الشعور الذي يرفع من معنويات الأفراد ويقوي فيهم روح العزيمة والاحلاص، مما يساعد على زيادة أعداد المحلصين المخلصين.

## الأمر الخامس:

تعمق الفكر الإسلامي من حيث العهم من الكتاب والسنة، سواء في العقائد أو الأحكام، مما يجعل الأذهان مستعدة أكثر وأكثر لتقبل وفهم الأحكام التفصيلية التي يعلها المهدي (ع) في دولته العلية الموعودة

ونحن لا رلنا برى المفكرين الاسلاميين، يتحفون بمجتمعهم بحوث وتدقيقات جديدة، قائمة عل التعمق والسعة في فهم الكتاب والسنة، من جوانبها المتعددة، فهذه البحوث كلها واقعة ضمن التخطيط الالهي الكبير.

ونحن شعر بما لتعقد الحياة ونصاعف الظلم البشري ووجود الثارات المعادية للإسلام . من إيجاد الدافع القوي للمفكرين الاسلاميين، في السير قدماً نحو التعمق والتدقيق. فيكون ذلك من هذه الجهة أبصاً، مدرجاً في التخطيط الالهي

وقد يحطر في الدهن: أننا سبق أن قلنا أن الأمة عند برول الاسلام كانت عل مستوى فهمه وقائلة لاستيعابه، بصفته الأطروحة العادلة الكاملة، إذن فهم قد فهموه. فلما هو الحاجة إلى هذه الريادة في التدقيقات

وجواب ذلك. أننا سحتمل - عل أقل تقدير - أن الأطروحة العادلة المعدة بين البشر ذات مستويين من الناحية الفكرية فالمستوى الأدنى منها، كان الشر عل مستوى فهمه واستيعابه عند بدء الاسلام. وهو الذي أصبح معلماً منذ ذلك الحين إلى عصر الظهور وهو الذي يعيش التدقيقات والتعميق على طول الزمن. والمستوى الأعلى منها سول يعل بعد الظهور عند الابتداء بالتطبيق العادل وهو يحتاج في فهمه إلى مستوى فكري وثقافي في الشرية لا يحصل إلا تلك التدقيقات ولو كان قد عل في بدء الاسلام لما كان مفهومأ على الإطلاق



وهذا الأمر وإن كنا نعرضه الآن معرض الاحتمال، إلا أننا نسمع في الكتاب الآتي من هذه الموسوعة مشتات ذلك.

إذن فهذه الدقة المكتسبة في الفكر الاسلامي لها أكبر الأثر في فهم الأطروحة الكاملة على شكلها الجديد المعلن بعد الطهور

بقي علينا أن نشير إلى أنه ليست الدقة في الفكر الاسلامي فقط هي التي تشارك في تعميق المستوى الثقافي اللازم لتحقيقه في اليوم الموعود . بل تشارك في ذلك سائر القطاعات والشعوب في العالم، بما تدل من دقة وعمق في سائر العلوم

لوصوح أن البشرية على العموم، وليس المجتمع المسلم وحده، هو الذي يجب أن يتقبل الأحكام المهدوية . فان حكم المهدي (ع) يعم العالم كله، ولا يختص بالمجتمع الاسلامي.

مضافاً إلى أن التقدم العلمي في سائر حقول المعرفة البشرية، سوف تشارك مشاركة فعالة في بقاء المعد المنشود، ذلك المعد الذي يصعب تقدم البشرية بالسرعة المطلوبة بعد تحقيقه، لولا أنها كانت قد تقدمت وتكاملت قبل ذلك.

إذن فعصر العية يشارك في التخطيط الالهي من هذه الناحية أيضاً



وبهذا نكون قد حملنا فكرة كافية عن التخطيط الالهي والتمحيص الذي يبال الشر خلال عصر العية الكسرى وهو ما عيناه في عنوان هذه الناحية الأولى من هذا الفصل من اقتضاء القواعد العامة في الاسلام لوجود الظلم والاضحاف في المجتمع ومبكون ما سرده من النصوص في الناحية الآتية مزيادات لمحوى القواعد العامة التي عرفناها.



#### الناحية الثانية:

في ذكر النصوص والأحبار الخاصة الدالة على التنو بالمستقل، من وصف الزمان وأهله، من حيث مقدار تمسكهم بالدين وشعورهم بالمسؤولية الاسلامية،

وما يصير إليه الأمر من فسادهم واحترافهم وما يستلزم ذلك من قتل الله تعالى  
ومن قتل الناس.

ونحن في هذا التاريخ، وإن كنا قصرنا ههنا في التعرض إلى الأحبار المروية من  
قبل المعتقدين بغية الإمام المهدي عليه السلام، لرى مقدار صدقها واتجاه  
تفكيرها إلا أن وصف حوادث الرمان، حيث نحدثه مقولاً من قبل الرواة من  
مناظر مذهب المسلمين، فمن هنا كان الفصل الاضافة هذه الروايات أيضاً

ونحن توجهاً للاختصار والوسط في نفس الوقت، سوف يقتصر على ما أخرجه  
الصحيحان البخاري ومسلم من هذه الأحبار، فيما إذا كان لها في الحادثة المعنية  
رواية، وإلا نقفنا عن الحفاظ الآخرين أيضاً. ونضم ذلك إلى الأحبار الامامية  
المستفادة من المصادر القديمة

ولولا هذا الاختصار لكان اللزم التعرض إلى عشرات الروايات في المعنى  
الواحد أو الحادثة الواحدة. لتكثر مثل هذه الأحبار، في المصادر بشكل واسع  
حداً إلا أن الالتزام بذلك مما لا يلزم، كما هو واضح، بعد أن كان الصحيحان  
من ناحية والكسب الامامية القديمة هي أوثق مصادر المسلمين المعروفة في عصر  
الخير.

ومن هذا المطلق، يمكن أن نتحدث في عدة جهات

### الجهة الأولى.

في الأحبار الدالة على صعوبة الرمان وفساده، على شكل مطلق، ليس فيه  
إشارة إلى حوادث معينة وهي على عدة أقسام

### القسم الأول

ما دل من الأحبار على امتلاء الأرض ظلماً وجوراً وهو مصموم مستمهم من  
متواتر بين الفريقين، وإن امتنع الصحيحان عن إخراجهم

أخرجهم أبو داود مكرراً، مرة بلفظ يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً  
وجوراً وأخرى بلفظ لو لم يبق من الدهر إلا يوم، لبعث الله رجلاً من أهل بيتي  
يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ومرة ثالثة بلفظ المهدي مي يملأ لأرض قسطاً

وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً<sup>(١)</sup>.

وأخرج في الصواعق المحرقة<sup>(٢)</sup> عن أحمد وأبي داود والترمذي وابن ماجه ما ذكرناه من اللفظ الثاني للحديث. وعن أبي داود والترمذي. لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد. إلى أن قال يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. وعن الطبراني: فيبعث الله رجلاً من عترتي أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. الحديث وعن الروياني والطبراني<sup>(٣)</sup> المهدي من ولدي. إلى أن يقول يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وعبر ذلك كثير، مورع في المصادر، كالذي ذكره الشلحي في نور الأنصار والصفان في إسعاف الراعيين والشراري في الاتحاف وأبو يعين الأصمهي في أربعينه وسط ابن الخوزي في تذكرته. وكمال الدين س طلحة في مطالب السؤل مصافاً إلى ما أخرجه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه والسيوطي في العرف الوردي إلى غير ذلك من المصادر.

وأما من روى هذا المصمون من علماء الامامية ومصنفيهم، فأكثر من أن يحصر نعرض له كل من روى في العقائد أو التاريخ، وتكلم عن الامام المهدي (ع).

والمراد بالظلم، الانحراف عن جادة العدل الاسلامي، وبحوه الخور وهو الميل، يقال جار عن الطريق أي مال وهذا الميل، من وجهة نظر بني الإسلام (ص) الذي روى عنه هذا الحديث الشريف، هو الميل عن تعاليم الإسلام والعدل الصحيح، على الصعيدين الفردي والاجتماعي

والحديث نص واضح، بامتلاء الأرض جوراً وظلماً قبل ظهور المهدي (ع) في اليوم الموعود. وهو معنى ما قلناه طقاً للقواعد العامة، من أن أغلب الناس نتيجة للتمحيص الإلهي، سوف يسودهم الانحراف عقيدة أو سلوكاً، بحيث يكون الاعياء الظاهر للبشرية هو قيام النظام الفردي والاجتماعي على أساس ماقص مع

(١) انظر مس أبي داود، ج ٢، ص ٤٢٢

(٢) انظر ص ٩٧

(٣) نفس المصدر، ص ٩٨

تعاليم الاسلام، من دون أن يكون للمصالحين المحلصين - وإن كثروا - أثر مهم ونتائج طاهرة.

وهذا لعمرى ما كنا ولا زلنا نشاهده في عصور العسق والصلالة التي يعيشها ونطلع عليها بالحس والعيان. فصلّى الله تعالى عليك يا نبي الاسلام إذ تسأت بذلك . . وسلام الله تعالى عليك يا مهدي الإسلام إذ تريل كل ذلك وتبدله إلى القسط والعدل الكاملين الشاملين، طقاً لأرادة الله وتحيطه.

### القسم الثاني:

ما دل من الأحار على وجود الفتن وازدياد تيارها وتكاثرها إلى حد مروع. أخرج ذلك العديد من رواية العربيين. منها: ما رواه البحري<sup>(١)</sup> من قوله صلى الله عليه وآله: يتقارب الرمان وينقص العمل ويلقى الشح وتظهر الفتن . . الخ الحديث. وما رواه أيضاً<sup>(٢)</sup> من قوله (ص). ستكون فتن، القاعد فيها خير من القائم . . الخ الحديث وأخرجه مسلم بالفاظ وأسانيد مختلفة<sup>(٣)</sup>. وأخرج عنه (ص) أيضاً<sup>(٤)</sup>: أفي لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع المطر. وذكر له أكثر من إسناد واحد.

ومها: ما رواه العماني<sup>(٥)</sup> عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، في حديث طويل يتحدث فيه عن (الفتن المضلة المهولة). وما رواه أيضاً<sup>(٦)</sup> عن الامام محمد بن علي الخواد عليه السلام أنه قال:

لا يقوم القائم عليه السلام إلا على خوف شديد من الناس وزلازل وفتنة وبلاء يصيب الناس . . الخ الحديث.

---

(١) صحيح البخاري، ج ١٩، ص ٦٩.

(٢) المصدر، ص ٦٤.

(٣) صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٦٨ و ١٦٩.

(٤) من المصدر والصفحة.

(٥) انظر غيبة الصافي، ص ٧٧.

(٦) المصدر، ص ١٣٥.

وللصفة عدة معاني في اللغة، يختلف معنى هذه الأحاديث الشريفة باختلافها، وإن كان بالإمكان إرجاعها إلى معنى واحد شامل على ما سذكر المعنى الأول:

الامتحان والابتلاء والاختبار وأصلها مأخوذ من قولك فتت العصاة وذهب إذا أدبتهما بالنار لتمييز الرديء من الخيد والعش الأحرأق ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ويؤيد كون المراد من العنة هو ذلك، ما رواه العماني في العينة<sup>(٢)</sup> عن أبي الحسن عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَحِبَّ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا: آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾. قال: يعنون كما يعنى الذهب ثم قال: يخلصون كما يخلص الذهب.

وإذا تم هذا المعنى، تلتحق هذه الأحبار بأحبار التمهيص والامتحان، التي سوف نذكرها، فإنها تتحد معها في المدلول، باعتبار أن العنة بمعنى التمهيص والخلاص هو المشر في الحديث هو النجاح في التمهيص.

المعنى الثاني:

الكفر والصلال والاثم والعائن المصل عن الحق والعائن لشيطان وفتن الرجل أي أرأله عما كان عليه. ومنه قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup> عن النبي أوحيا إليك. أي يميلوك ويريلوك<sup>(٤)</sup>.

وإذا تم هذا المعنى، التقت هذه الأحبار مع الأحبار الباقلة لحدوث العنم والجور، في المصمون... وبحوها مما نص على حدوث الكفر والصلال المعنى الثالث.

اختلاف الناس بالأراء<sup>(٥)</sup> ويؤيد كون المراد هذا المعنى ما رواه العماني<sup>(٦)</sup> في

(١) لسان العرب، مادة فت.

(٢) المصدر ص ١٠٧.

(٣) المصدر، ص ١٠٧.

(٤) المصدر، ص ١٣٥.

(٥) لسان العرب، مادة فن.

الحديث السابق عن محمد بن علي الحوادط عليه السلام الذي قال فيه: «وقتة وبلاء يصيب الناس وطاعون وسيف قاطع بين العرب واختلاف شديد في الناس وتشتت في دينهم وتغير في حالهم».

وإذ كان هذا هو المعنى المراد، فسيفتي مصمونه بالأحبار الدالة على حدوث التشتت والاختلاف، التي سوف نذكرها.

### المعنى الرابع

«القتل، وما يقع بين الناس من القتل» ومعناه قوته تعالى «إذ حتمت أن يفتنكم الذين كفروا»<sup>(١)</sup> ومعناه تدرج في أحبار حدوث المرح والمزح والقتل الآتية.

والصحيح أنه بالإمكان إرجاع هذه المعاني إلى معنى واحد، أو فهم الفتنة الواردة في الأحبار على أساس مجموع هذه المعاني فإن التمهيد الإلهي، وهو المعنى الأول، يتبع عبدالعاشقين فيه الكفر والصلال، وهو المعنى الثاني وليس الكفر والصلال متملاً في مذهب معين، بل في كثير من الآراء والمذاهب المتباينة في مدلولها المتشعبة في سلوكها. ومن هنا يتبع المعنى الرابع وهو القتل، نتيجة لهذه الفوضى المذهبية أو الفكرية. ومن هنا وردت كل هذه الحوادث في الأحبار كما أشرنا وستطلع عليها تدريجياً.

### القسم الثالث:

ما دل على الخزع من مصمونه الرمز وصيق النفس الشديد منه فمن ذلك ما أخرجه البخاري<sup>(٢)</sup> بإساده عن النبي (ص) قال لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه وأخرجه مسلم ببصه<sup>(٣)</sup>.

(١) بيان العرب، مادة من

(٢) ج ٩، ص ٧٣

(٣) ج ٨، ص ١٨٩

وأحرج مسلم<sup>(١)</sup> أيضاً عنه (ص) أنه قال والذي نفسي بيده، لا تذهب  
اندنيا حتى يمر الرجل على الصر فيتمرع عليه ويقول: يا ليتني كنت مكان  
صاحب القبر، وليس به الدين إلا البلاء.

وروى الصدوق في الاكمال<sup>(٢)</sup> عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه  
السلام أنه يعاري المؤمنون في رمان العينة من «صكك شديد وبلاء طويل وجرع  
وخوف»

ومن الواضح أن الجرع وتمني الموت، يكون نتيجة للشعور بالمشاكل  
والمصاعب التي يمر بها الفرد في المجتمع المحرف ذلك الانحراف الناتج - في  
واقعه - من التخطيط الالهي كما عرفنا. إذن فهذه الحالة من نتائج هذا التخطيط،  
وهي النتيجة في نهاية المطاف لتيجتين مهمتين:

إحدهما. اليأس من القوابس والطريات السائدة في العالم، بعد أن اثبتت  
التجربة أنها لا تؤدي إلا إلى هذه المشاكل والمصاعب

ثانيتها. تمني المستقبل العادل الذي يحل هذه المشاكل ويرفع هذه المصاعب،  
كما سبق أن ذكر في المرتبة الرابعة من مراتب الاحلاص فيها سبق. وسيكون هذا  
الشعور من أفضل الصمامات، للتأييد العام لليوم الموعود

وبنحو إذا نظرنا إلى الواقع، نجد أن الأمة الاسلامية عامة والفواعد الشعبية  
المهدوية خاصة، قد مرت في كثير من عصور تاريخها بالصنك واللاء. حتى قيل في  
وصف عصور الحكم العباسي:

نحس والله في رمان بشيس      لو رأينا في المقام فرعينا  
أصبح الناس فيه من سوء حال      حق من مات منهم أن يئنا

(١) ج ٨، ص ١٨٣

(٢) انظر المخطوط

وإن أعظم صنك وبلاء يقع فيه البشر، هو ما يكون من بعضهم تجاه البعض، من الظلم والطغيان، وخوف الأكثرية الكاثرة من القوى الخارقة الظالمة الحاكمة في العالم وإن أعظم السلية بالنسبة إلى البشرية جمعاء في العصر الحاضر هو الخوف من اصطدام الأسلحة الفتاكة في العالم في حرب عالمية ثالثة لا تضي ولا تذر. يكون الكل فيها هالكين مدحرجين ليس فيها غالب أو منتصر والله في خلقه شؤون.

وعلى أي حال، فمن المحتمل أن يترادف الضيق والفنك بأصعاف ما هو عليه الآن، خاصة بالنسبة إلى المؤمنين المخلصين في المجتمع الاسلامي . بما يقابلون من تيارات التعسف والاسحراف الطالمة المعادية للإسلام ولهم في المهدي وبركاته العامة ومستقبله العظيم، أعظم السلوان والعزاء

#### القسم الرابع:

ما دل على وجود الحيرة والبللة في الأفكار والاعتماد

كاخر الذي روي عن الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال عن المهدي (ع) فيما قال يكون له حيرة وعية تصل فيها أفوام ويهتدي فيها آخرون<sup>(١)</sup>.

ولمّا سبست الحيرة إلى المهدي (ع) باعتبار كونها ناتجة من عيبه المستندة إليه. إذ لو كان ظاهراً بين الناس لما وقعت هذه الحيرة، كما هو معلوم ويمكن أن يراد بالحيرة عدة وجوه أو كل هذه الوجوه:

#### الوجه الأول:

الحيرة في العقائد الدينية، نتيجة للتيارات الباطلة التي تواجه جهلاً ومراعاً مكرياً في الأمة، مما يحمل الفرد الاعتيادي على الاسحراف

#### الوجه الثاني:

الحيرة بالعقائد الدينية، بمعنى أن المؤمنين حين يحسون بالمطاردة والتعسف

---

(١) انظر حية النمل، ص ١٠٤ وانظر اكمال الدين المحطوط



ضدّهم وصدّ عقائدهم، يحيرون أين يذهبون لكي يسحوا بالحق الذي يعتقدونه وبالاتجاه الاسلامي الذي يتخلّطونه.

### الوجه الثالث:

الحيرة في الإمام المهدي (ع) نفسه، بمعنى أن طول غيبته توجب وقوع الناس في الشك والاختلاف في شأنه كما حدث في صفوف المسلمين فعلاً، وقد أشارت إليه الأخبار التي سنسمعها فيما بعد.

### الوجه الرابع:

الحيرة بالجهاد الواجب في زمن الغيبة من دون قائد وموجه ورائد فإن المؤمنين بتكليمهم الاسلامي من ذلك، يشعرون في نفس الوقت بالأسف لعدم اتصّالهم بالقائد العظيم الذي يوجههم إلى النصر.

وعلى أي حال، فكل ذلك مدرج في التخطيط الإلهي، وما لا بد أن يحدث في الناس نتيجة للغيبة ليشارك في التمهيد والاحتار، فيرفع من احلاص المحلّصين ويعمق في كفر المحرّفين وهو المراد بقوله. نصل فيها اقوام ويبتلي فيها آخرون.

### القسم الخامس:

ما دل على وقوع المهرج والمرج.

وهي أخبار كثيرة استقل باحراجها الرواة العامة فيما أعلم. روي البحاري<sup>(١)</sup> عدداً منها، مرة بلمط: أن بين يدي الساعة لا ياماً يرل فيها الجهل. إلى أن قال: ويكثر فيها المهرج. ذكر له أكثر من طريق. ومرة أخرى بلمط. بين يدي الساعة أيام المهرج.

وأخرج مسلم<sup>(٢)</sup>. فصل العبادة في المهرج كهجرة إلى. يعني إلى النبي (ص). وروي الآخرون، كالترمذي وابن ماجة وأحمد والحاكم، ما يدل على ذلك،

(١) انظر ج ٩، ص ٦٩.

(٢) ج ٨، ص ٢٠٨.

ونحن نقتصر على ما في الصحيحين.

والمراد بالهرج بفتح الهاء وسكون الراء، أحد أمرين.

الأول: الاحتلاط والاضطراب المؤدي إلى القتل أو كثرة بين الناس. وتطبيقه في العالم في عصرنا الحاضر ما يسمى بحرب العصائد أو حرب الشوارع، مع ما تصاحبه من الاضطرابات والسلب. وهذا المعنى هو الذي تؤيده المصادر اللغوية.

الثاني: القتل نفسه، وإن لم يصاحبه الاضطراب. كما هو ظاهر بعض الأحبار، فيما أخرج السحابي<sup>(١)</sup> حيث مر الهرج بالقتل في عدة أحاديث، مع احتمال أن يكون التفسير من الراوي.

إلا أن الصحيح رجوع الأحبار إلى المعنى الأول، وإن اندرج المعنى الثاني فيها بطبيعة الحال. فانه قال: ويكثر فيها الهرج والهرج القتل إذن فالقتل فيها كثير، وكثرة القتل لا تكون إلا مع السلب والاضطراب. وأما إطلاقه على القتل العردي فلا دليل عليه.

وأما إباطنها بالساعة وجعلها من علاماتها، فهو عما لا يحل بالمقصود لأن المراد وقوع ذلك قبل قيام الساعة، ولو برمان طويل ومن المعلوم أن كل ما يقع في العيبة الكبرى فهو واقع قبل قيام الساعة، فيكون من علاماتها وأشراتها بطبيعة الحال. وقد سبق أن ذكر أن كل فساد وانحراف يذكر في الأحبار - عموماً - فهو من أوصاف فترة العيبة الكبرى، المربوطة بالمهدي عليه السلام. وقد مرربا على ذلك أجمالاً، وحولنا برهانه على ما سيأتي.

وفي خبر مسلم قوله (ص) العبادة في الهرج كهجرة إلي... زيادة على المعنى العام الذي كما تتوحد، زيادة واعية إسلامياً ومطابقة للقواعد العامة، يأتي التعرض لها في الساحة الثالثة من هذا الفصل.

فهذا هو المهم من الأحبار الدالة على فساد الزمان بحو مطلق، من دون

(١) ج ٩، ص ٦١

الإشارة إلى حوادث بعضها وقد ثبت من ذلك في حدود التشدد السني الذي ذكرناه المعنى العام الذي يدل عليه المجموع وهو شيوع الفساد والانحراف وعصيان الأوامر الإسلامية بل وتكثيف التفاصيل أيضاً باعتناء كثرة الأخبار فيها وجعل بعضها قريبة على بعض وجعل القواعد العامة قريبة أيضاً لما عرفناه من أن كل هذه التفاصيل مما يترتب على التخطيط الإلهي

### الجهة الثانية

في الأخبار الدالة على حدوث وقائع أو طواهر معينة، نابعة عن الصلال والانحراف.

### القسم الأول:

في الأحكام الدالة على تحقيق الجهل وتفشيهِ في المجتمع الإسلامي

فمن ذلك ما أخرج البخاري<sup>(١)</sup> من الحديث السوي القائل أن من أشرط الساعة أن يرفع العلم ويشت الجهل . الحديث وأخرج في حديث آخر<sup>(٢)</sup> أن يقل العلم ويظهر الجهل وأخرج في موضع آخر<sup>(٣)</sup> أن بين يدي الساعة أياماً يرفع فيها العلم وينزل فيها الجهل.

وفي موضع رابع أخرج البخاري<sup>(٤)</sup> من قوله (س) يقض العلم ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج . . . الحديث.

وأخرج مسلم عدة متون بهذا المضمون، في باب خاص بذلك<sup>(٥)</sup> لا حاجة إلى الإطالة بذكرها وأخرجها غيرهما، كابن ماجه والترمذي وأحمد.

والمراد برفع العلم ارتفاعه من المجتمع وقلة العلماء والمتعلمين. والمراد به العلم بالأحكام الشرعية والعلوم الإسلامية. كما أن المراد بنزول الجهل وظهوره

(١) ج ١، ص ٢

(٢) من الجزء، ص ٣١

(٣) ج ٩، ص ٦١

(٤) ج ١، ص ٣١

(٥) انظر ج ٨، ص ٥٨

تفشيهِ في المجتمع المسلم من الناحية الفكرية الإسلامية، أيضاً بطبيعة الحال وفي التعبير يرفع العلم وقصه، إصاح أنه مستند إلى الله تبارك وتعالى، مع تنزيه الله تعالى عن إسناد وتحقيق الجهل إليه عز وعلا. غاماً كما قال إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام - وإذا مرضت فهو يشفيني<sup>(١)</sup> ولم يقل: وهو الذي يمرضني ويشفي، كما قال: وهو الذي يطعمني ويسقي<sup>(٢)</sup>.

وعلى أي حال، فاستاده إلى الله تعالى، يكون - مرة - بتوسيط عباده، في ضغط المتحرفين على المؤمنين بالسكوت وعدم تبليغ الأحكام والمفاهيم الإسلامية إلى الأمة. ويكون - تارة أخرى - بفعل الله تعالى مباشرة بأن يموت العلماء تدريجاً ويقل المتعلمون، فتصح الأحوال القادمة الحالية من العلماء قارعة فكرياً من الثقافة الإسلامية.

ومن هنا أخرج البخاري<sup>(٣)</sup> عن النبي (ص) أنه قال: إن الله لا يقص العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقص العلم بقص العلماء. حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا.

ومن هنا يكون هذا الأمر مما يحكم الوجدان يحدثه، وموافقاً للقاعدة ومدرجاً في التخطيط الإلهي، وموحداً في المضمون مع ما سذكره من بيان وجود علماء السوء في الأنصار. ويكون ترك تعلم المتعلمين مانعاً عن التيار العام للفساد والبعد عن التعاليم الإسلامية. وهو بدوره يسبب بعداً أكثر. وهكذا.

## القسم الثاني:

ما دل من الأخبار على تشتت الآراء واحتلاف النوازع والأهواء، وكثرة الدهوات المبطلّة.

أخرج ابن ماجه في سننه - أنها ستكون فتنة وهرقة واختلاف<sup>(٤)</sup>

(١) الشراء ٢٦ / ٨٠.

(٢) الشراء ٢٦ / ٧٩.

(٣) ج ٣ ص ٣٦.

(٤) السنن، ص ١٣١٠.

وأخرج أيضاً بكون دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذوه فيها<sup>(١)</sup> وبحوه أخرج مسلم في صحيحه<sup>(٢)</sup>.

وأخرج ابن ماجة أيضاً، قوله (ص) وما تخوف على أمتي أئمة مصلين<sup>(٣)</sup> وقوله (ص) تندفون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتشاعصون أو نحو ذلك الحديث<sup>(٤)</sup>

وروى النعماني<sup>(٥)</sup> عن أبي عبد الله الصادق (ع) في حديث - ويرفع إثننا عشرة راية مشبهة لا بدري أي من أي - وروى نحوه الصدوق في الكمال الدين<sup>(٦)</sup>.

وروى النعماني<sup>(٧)</sup> أيضاً عن الامام الباقر عليه السلام في حديث يصف به فساد المجتمع ويقول: واختلاف شديد بين الناس وتشتت في دينهم وتغير من حالهم

وروى الشيخ الطوسي في العيبة<sup>(٨)</sup> عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص). أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس ورلازل، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً الحديث. ونقله ابن حجر في الصواعق<sup>(٩)</sup> بلغظ مقارب عن أحمد والماوردي.

وهذا انضمام، مطابق للقاعدة العامة، كالتقسيم السابق، فإنه يعطي صورة أخرى للظلم والفساد فإن اختلاف الآراء وتشتتها من أوضح صور الظلم ومستلزماته وقد كان هذا وما زال موجوداً بين الناس سواء على المستوى المذهبي

---

(١) انظر السنن، ص ١٣١٧

(٢) ج ٦، ص ٢٠

(٣) السنن، ص ١٣٠٤

(٤) السنن، ص ١٣٢٤

(٥) انظر الفقيه، ص ٧٧

(٦) انظر المصدر المخطوط

(٧) العيبة، ص ١٣٥

(٨) ص ١١١

(٩) ص ٩٩

الاسلامي أو على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو غيره من حقوله الحياة فإن المجتمع المنحرف منقسم على نفسه دائماً ومتناحر في داخله على طول خط انحرافه

وأما دعاة السوء والأئمة المضلين، فما أكثرهم في التاريخ! فقد كانوا يتمثلون في عصر الخلافة بالعلماء المدعين للإسلام الصالحين مع الجهار الحاكم، ولا راد أنشأهم موحودين إلى العصر الحاضر. كما كانوا يتمثلون بالقرامطة وبحوهم ممن يدعوا إلى الإسلام وهم منه براء. ويتمثلون في عصرنا الحاضر، بعدد غير قليل من الأفكار والعقائد المسرفة في العلة في المجتمع المسلم، كالهائية والقاديانية وأكثر مسائل التصوف. وغيرها.

ومن هنا يكون ما قيل في الرواية صحيحاً جداً، من أن كل من تابعهم وأجاب دعواتهم، قذفوه في جهنم، بمعنى أنهم سوا الخروج عن الإسلام الحق، بحيث يستحق العقاب الالهي.

### القسم الثالث:

الأخبار التي دلت على اختلاف الناس بشأن المهدي عليه السلام، خلال غيبته الكبرى. نتيجة لطول العيبة واستبعاد الناس وجوده خلال الزمان الطويل، وما يقترن بذلك من الدعاوى والتزويرات.

والروايات في ذلك عن أئمة الهدى عليهم السلام كثيرة. وأما العامة فلم يرووا فيه شيئاً، لأنه مخالف لرأيهم القائل بإنكار وجود الغيبة الكبرى للمهدي (ع)

من ذلك ما أخرجه الصدوق في الاكمال<sup>(١)</sup> عن الامام الباقر (ع) في حديث يشبه به المهدي (ع) بعدد من الأنبياء. - إلى أن قال: وأما شبهه من عيسى عليه السلام فاختلاف من اختلف فيه. حتى قالت طائفة منهم: ما ولد. وقالت طائفة: مات. وقالت طائفة: قتل وصلب. - الحديث

وروي أيضاً<sup>(٢)</sup> عن الامام زين العابدين علي بن الحسين (ع) في حديث قال

---

(١) انظر اكمال الدين، المخطوط

(٢) نفس المصدر

فيه - وأما من عيسى فاختلاف الناس فيه .

وروى العمري<sup>(١)</sup> عن أبي جعفر النضر (ع) إن للفائض عيتين يقال له في أحدهما هلك، ولا يدري في أي واد سلك وروى عن الإمام الصادق (ع) بلطف: مات أو هلك في أي واد سلك<sup>(٢)</sup>.

وفي الاكمال أيضاً<sup>(٣)</sup> عن الإمام الصادق (ع) أما والله ليغيث إمامكم شيئاً من دهركم، ولنمحص<sup>(٤)</sup> حتى يقال مات أو هلك أو بأي واد سلك ولقد معى عليه عيون المؤمنين.

وأخرج ثقة الاسلام الكليني في الكافي عدداً من الأحاديث الدالة على نفس هذا المضمون في باب عقدة لذلك بمواضع في العيبة<sup>(٥)</sup>.

وهذا كله واضح الاسدراج في التخطيط الالهي المقتضي للتمحيص والامتحان فان طول الزمن وريادته على عمر الانسان الطبيعي، قد يورث الشك في بقاء الفرد واستمراره على أقل تقدير لولا الدليل القطعي على بقاء المهدي (ع) وعلى التخطيط الالهي لحفظه لليوم الموعود. ومن هنا كان المشكك في ثبوت ذلك أو المساق وراء حبه المادي، معكراً لبقاء المهدي (ع) وعيبته

وعلى أي حال، فاختلاف الناس فيه، متحقق خلال التاريخ، فعلاً. وإن لم نستطع أن نعثر على القائلين بجميع ما ذكرت الروايات من الآراء ووجهات النظر. فإنها تعرضت إلى أربعة أقوال:

### القول الأول:

أنه لم يولد والمراد أن الإمام الحسن العسكري (ع) مات ولم يعقب ولداً وقد عرفنا في تاريخ العيبة الصعري مناشئ هذا القول، وكيف كان هو الاعتقاد

(١) انظر العيبة، ص ٩١

(٢) المصدر، ص ٨٠.

(٣) انظر المصدر المخطوط

(٤) في المخطوط وللمحضر وهو خطأ على الظاهر

(٥) انظر المصدر المخطوط

الرسمي للدولة بعد وفاة الامام العسكري (ع) مما سبب استيلاء جعفر الكذاب على التركة.

وأما القول بأن المهدي (ع) لم يولد، وإنما يولد في مستقبل الدهر ليملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً فهو القول الذي يذهب إليه إخوان أهل السنة والجماعة عموماً، بعد أن تسالموا مع الامامية على ظهور المهدي (ع) وقيامه بدولة الحق.

### القول الثاني:

أنه ولد ولكنه مات والقائل بذلك عن فسمين

### القسم الأول:

من يرغم أن محمد بن الحسن العسكري عليهما السلام، مات

وقد ذهب إلى ذلك بعض المتأخرين كاشبح محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحلي في كتابه لوائح الأموار الهية، حيث قال وأما رعم الشيعة أن اسمه «يعني المهدي» محمد بن الحسن وأنه محمد بن الحسن العسكري، مهديان فان محمد بن الحسن هذا قد مات، واحد عمه جعفر ميراث أبيه الحسن<sup>(١)</sup>

وهذا رعم تتسلم كل المصادر التاريخية الأولى على نفيه، من سائر مذاهب المسلمين.

أما مؤرخو الامامية كالشيخ النعماني والشيخ الصدوق والشيخ الطوسي والشيخ العبد، وكذلك من يدور في فلكهم، كالمسعودي واليعقوبي، فأمرهم واضح، فأهم يشنون ولادته وعينه بالصراحة، شأنهم في ذلك شأن كل العلماء الاماميين... كيف لا وهو من ضروريات المذهب.

وأما مؤرخو العامة المتقدمون كالطبري وابن الأثير وابن حنكاه وابن الوردي وأبي الفداء، والمتأخرون كابن العماد والبركلي وغيرهم فأهم يصرون على ولادته ويذكرون احتجاءه وأنه المهدي المنتظر صاحب السرداب برعم الشيعة

---

(١) انظر ج ٢، ص ٦٨



وليس فيهم أي شخص يشير إلى موته. وكيف يستطيعون الأحذ هذا الرأي، بعد الذي عرفناه مفصلاً في تاريخ الغيبة الصغرى، من احتفاء المهدي (ع) عن أكثر قواعده الشعبية فضلاً عن غيرها ومن هنا تكون الاحبار عنه في مثل هذه التواريخ أحباراً منقطعة، بل مع اليأس من حصول أي اطلاع على شيء. فكيف يستطيعون أن يدعوا موته تاريخياً، إلا سحر التروير. ومن هنا كفوا عن التصريح بذلك، كما هو واضح لمن يراجع تلك المصادر

وأما المتأخرون، كالفارسي المولود عام ١١١٤ هـ<sup>(١)</sup>، فهم عيال على المتقدمين، وليس لهم أن يأتوا بحجر جديد ولا يؤخذ من قوهم ما عارض أقوال المتقدمين، كما هو واضح، بل تكون أقوال المتقدمين أولى بالترجيح. إذن الفارسي أو أي شخص آخر مثله، يتحمل مسؤولية كلامه وحده

وأما استيلاء جعفر الكذاب على ارث الامام العسكري (ع) فلم يكن عن استحقاق، بعد وجود الوارث الشرعي وقد عرفنا تفاصيل ذلك في تاريخ الغيبة الصغرى أيضاً، فراجع.

### القسم الثاني:

من القائلين بموت المهدي من يدعي ظهور المهدي وانتهاء حركته وهم أنواع مدعي المهودية في التاريخ، الذين قاموا بالسيف وماتوا أو قتلوا، ولم يبق لأصحابهم مهدي متظر، بعد ذلك.

إلا أن مثل هؤلاء الناس يقرصون بعد موت صاحبهم مدة غير طويلة، إذ يعجزون عن تزريق اعتقادهم إلى الأجيال، اللاحقة لهم، بعد إتضاع أكذوبة ادعاء المهودية بدليل وحداي صريح، وهو أن هذا المدعي مات ولم يستطع أن يفتح العالم ولا أن يقيم حكم الله العادل على الشر أجمعين. ونحن - وكل مسلم - لا نعي من المهدي إلا الشخص الذي يعمل ذلك. وحيث أن هذا المدعي لم يصل إلى هذه النتيجة طيلة حياته، إذن فهو ليس مهدياً بالقطع واليقين

---

(١) انظر ملحق الجزء الاول من كتابة، ص ١.

## القول الثالث:

كما دلت عليه الروايات: هو القول بأنه قتل أو صلب. ولم نجد من يقول بذلك، غير ما يمكن أن يدعيه أصحاب مدعي المهدوية، فيما إذا قتل صاحبهم أو صلب، فيقولون. صلب المهدي أو أنه قتل. يعنون بذلك صاحبهم

## القول الرابع:

التشكيك أنه يأتي واد منك.

فإن كان المراد به الاحتواء وجهالة مكان المهدي (ع) حال عيته، فهو أمر واضح في ذهن كل قائل بالغيبة. إلا أن هذا المعنى خلاف طاهر الروايات السابقة التي تقول: مات أو هلك وبأي واد منك بحيث يكون المراد موته في بعض الوديان والبراري.

ولم نطلع على من يقول بهذا القول أو يحتمله على أنه قول في غاية العراة، فإن من يعتقد بغيبة المهدي (ع) إنما يعتقد بها بشئة بإرادة الله تعالى وحاصلة بقدرته وتخطيطه فكما أن الله حمطه خلال المدة السابقة، أي كان مقدارها، فهو كفيل بأن يحمطه خلال المدة الآتية، أي كان مقدارها. وبصوبه من كل العاهات والآفات والليث، تمهيداً لقيامه في اليوم الموعود لتنفيذ العرص الإلهي الكبير. ولعل هذين القولين الأخيرين، مما سوف يظهر في مستقبل السموات، وخاصة لو تطاولت الغيبة مئات أخرى أو آلاف أخرى من السنين

## القسم الرابع:

ما دل على انحراف الحكماء وعسفهم وخروج تصرفاتهم وحكمهم عن تعاليم الإسلام، في البلاد الإسلامية.

وأوضح ما ورد في ذلك وأكثرها صراحة، ما أخرجه مسلم في صحيحه<sup>(١)</sup> بإسناده إلى النبي (ص) أنه قال: يكون معدي أئمة لا يهتدون بهادي ولا يستنون بسني وسيقوم فيها رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أس

(١) ج ٦، ص ٢٠

وأخرج أيضاً<sup>(١)</sup> أنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكروها. . الحديث.

وروى الصدوق في الأكمال<sup>(٢)</sup> حديثاً عن رسول الله (ص) عن الله عز وجل في جواب عن السؤال وقت ظهور المهدي (ع) قال فأوحى الله عز وجل إلي يكون ذلك إذا رفع العلم وطهر الجهل . . إلى أن قال: وصار الأمراء كفرة وأوليائهم فجرة وأعدائهم طلعة وذوي الرأي مهم فسقة.

وفي حديث آخر عن أمير المؤمنين (ع)<sup>(٣)</sup> في حديث كالذي سبقه بقول فيه: واتبعوا الأهواء واستحموا الدماء وكان الحلم ضعفاً والظلم محرراً، وكان الأمراء حجرة والورراء ظلمة. الحديث.

وفي حديث آخر<sup>(٤)</sup> عن أبي عبد الله (ع): ورأيت الولاة يقربون أهل الكفر ويباعدون أهل الخير، ورأيت الولاة يرتشون في الحكم، ورأيت الولاية قبالة لما زاد.

وهذا هو الموافق للوحدان، وللقواعد العامة، ولتقصي التمحيص الإلهي.

أما موافقته للقواعد العامة والتمحيص الإلهي، فاعتبار أمرين مقترين:

#### الأمر الأول.

أن الحكام يكونون - في العادة - من أساء المجتمع المحرف، ومن نتائج تربيته إذ يكونون مد دعومة أطغاهم معتادين على الإبتعاد عن الدين وعصيان أحكامه، كأبي فرد ناشيء على هذه التربية. ومن ثم نجد أنهم يصدرون تلقائياً وبإقتناع عما اعتادوه وألفوه، وإن عيروا في أسلوب الإحراف وطوره.

ومن ثم يكون من الصعب أن تتصور الفرد المحرف إسن المجتمع المحرف، حاكماً بالحق والعدل، ومطلقاً لأحكام الإسلام. بل يكون فسق الحكام والوزراء

(١) نفس الجزء، ص ١٧

(٢) انظر المصدر المخطوط

(٣) منتخب الآثار، ص ٢٢٧ عن الخراج والخراج

(٤) نفس المصدر، ص ١٢٩

نتيجة طبيعية لإنحراف المجتمع وفساده.

### الأمر الثاني.

إن انحراف الحكام، يشارك - لا محالة - في ريادة الظلم والتعسف في الناس ومطاردة الحق وأهله، فيكون ذلك محكاً آخر لتمييز أشد وامتحان أصعب . كما هو مقتضى التخطيط الإلهي .

وأما موافقة للوحدان، فللوصوح التاريخي القطعي، بأن الحكم في البلاد الإسلامية، ساد بعد الخلافة الأولى ضمن مراحل ثلاث

### المرحلة الأولى:

الحكم الإسلامي المسحوف، المتمثل بـ (الملك المعصوم) الذي أحمره الرسول (ص) وسار عليه الخلفاء الأمويون والعباسيون والعثمانيون<sup>(١)</sup>.

لإهم بالرغم من توليهم رمام الحكم نسب ديني، ويكون المفروض فيهم تطبيق حكم الإسلام، إلا أن ما مارسوه من الحكم كان مسياً على المصلحة الدينية والطمع بكراسي الحكم وناسي المبدأ الإسلامي المقدس، وقد استعرضنا صورة من ذلك، في تاريخ العبة الصعري ورأبنا أنه لم يختلف في ذلك شخص الخليفة والوزراء والقضاة والقواد، وسائر الصالعين بركاتهم

### المرحلة الثانية

الحكم الكافر مندثياً، وإن كان الحاكم مسلماً بحسب الظاهر<sup>(٢)</sup> وهو الحكم الذي تعقبت فترة الخلافة، ولا رتبا يعيشه إلى حد الآن في أكثر بلاد الإسلام. وقد أسس على الأسس المحلونة من مبادئ احصارة الأوروبية المادية، سواء منها الجانب الرأسمالي أو الجانب الإشتراكي، أو غيرهما وبذلك نبذت أحكام الإسلام تماماً، وقام الحكم على أسس القوايين الوضعية البشرية

(١) وصيغته الظهريه ان يكون الحاكم مسلماً فاسد يدعي مظاهر حاله تطبيق الاسلام

(٢) وصيغته الظهريه ان يكون الحاكم مسلماً فاسد يروج تطبيق القوايين الوضعية بصريحه

## المرحلة الثالثة

أن يكون الحكم كاهراً في المبدأ والقانون والحاكم<sup>(١)</sup>

وهو ما تحقق في فترات متقطعة في تاريخ المجتمع الإسلامي، نتيجة لحملات الكفر عليه من التتار والمغول والصليبيين والإستعمار الأوروبي المباشر الحديث. وقد تحققت في المرحلة الأولى فصلاً عن المراحل المتأخرة، جميع تلك التنبؤات التي يجمعها ويثنيها الإلحراف عن الإسلام بقليل أو كثير فكانت قلوبهم قلوب الشياطين تميل عواطفهم نحو الشر، قد اتسعوا الأهواء أي المصالح الصبيقة واستنحموا بالدماء أي استهناوا بالقتل، فكان قتل الفرد بل المئات شيئاً هيناً بل مفخرة كبرى لداعله وأصبح الحلم و(النعو عند المقدرة) ضعفاً، والظلم والتكيد محرراً وأصبح الأمراء وهم الحكام خلفاء كانوا أو ملوكاً أو رؤساء أم سلاطين أصبحوا محرة وورثوهم ظلمة ودوي الرأي منهم هفة

وقد كان الحكم في كل هذه المراحل الثلاث، وخاصة الأخيرين منها، يقربون أهل الكفر، وهم المحرفون، المترلمون للحكم، ويساعدون أهل الخير والصالح، عن يأف عن أن يعطى الدية من نفسه وأما الرشوة فحدث عنها ولا حرج كما هو واضح للعين والله في حقيقه شؤون

هذا كله في لمجتمع الإسلامي الذي أسسه الرسول (ص) وتعااهده بالرعية، فأصبح - بعد ذلك - مبياً على الخروج عن كتابه وسنته وهداه وهو المجتمع الذي تتحدث عنه هذه الروايات عادة وأما الحكم في غير المجتمع الإسلامي، فهو قائم على طول الخط على الكفر المحض وإن كان لا زال يتساقط تدريجاً إلى المادية عقائدياً والتسيب أخلاقياً، والضعف إقتصادياً، في كبار الدول فصلاً عن صغارها كما تشهد بذلك الآثار وتدل عليه الأحبار

القسم الخامس:

أخبار المحييص والإمتحان

(١) وصيحه الطرية أن يكون حاكم كاهراً أساساً وقانوناً وصحياً

فإنما بعد أن عرفنا فلسفته واندراجته كعنصر أساسي في التخطيط الإلهي .  
نريد أن يكون ما إطلاعة على عند من الأحبار الدالة عليه

أخرج أبو داود<sup>(١)</sup> وإس ماجة<sup>(٢)</sup> بلط مقارب جداً، عن رسول الله (ص) .  
كيف بكم وبرمان يوشك أن يأتي، يغزل الناس فيه عريته، وتبقى حثالة من  
الناس قد مرحت عهودهم وأماناتهم، فاحتلغوا، وكانوا هكذا (وشك بين  
أصابعه) . . الحديث.

وروى الصدوق في إكمال الدين<sup>(٣)</sup> والكليني في الكافي<sup>(٤)</sup> عن أبي عبد الله  
الصادق (ع) . إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد ياس ولا والله حتى تغيروا، ولا  
والله لا يأتيكم حتى تمحصوا لا والله لا يأتيكم حتى يشقى من يشقى ويسعد من  
يسعد .

وروى الصدوق أيضاً<sup>(٥)</sup> عنه عليه السلام كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى  
ولا علم. يرا بعضكم من بعض عند ذلك تمحصون وتغيرون وتعمدون . .  
الحديث.

وروى النعماني في العيبة<sup>(٦)</sup> والكليني في الكافي<sup>(٧)</sup> عنه عليه السلام أيضاً أنه  
قال . لا بد للناس من أن يمحصوا ويغيروا ويعربلوا وسيخرج من العربال خلق  
كثير

وروى النعماني<sup>(٨)</sup> أيضاً عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: والله لتمييزن  
والله لتمحصن، والله لتعربلن كما يعربل الروان من القمح

---

(١) انظر السنن، ج ٢، ص ٢٣٧

(٢) انظر السنن، ج ٢، ص ١٣٠٧

(٣) انظر الاكمال المخطوط

(٤) انظر المصدر المخطوط

(٥) انظر الاكمال للمخطوط

(٦) ص ١٠٨

(٧) انظر المخطوط

(٨) ص ١٠٩

وفي الكافي<sup>(١)</sup> عن أبي عبد الله عليه السلام إن أمير المؤمنين عليه السلام لما نوبع بعد مقتل عثمان صعد المنبر وحطت بحطته ذكراها، يقول فيها: ألا إن بليتكم قد عادت كهنتها يوم بعث الله نبيه (ص) والذي بعثه بالحق لنيليل نيلة ولنغريلل عربلة، حتى يصير أسعلكم، وليستقر ساعون كانوا قد قصرُوا، وليقصرون سباقون كانوا قد سقوا.

وروى النعماني أيضاً<sup>(٢)</sup> بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال فيه: هو الذي بعث بيده ما ترون ما تحبون حتى يتمل معصكم في وحوه بعض، وحتى يسعي معصكم بعضاً كدابين، وحتى لا يبقى منكم «أو قل» من شيعتي، كالكلحل في العين أو كاللمح في الطعام وسأصرب لكم مثلاً، هو مثل رجل كن له طعام فقاه وطيبه ثم أدخله بيتاً وتركه فيه ما شاء الله. ثم عاد إليه فإذا هو قد أصابه السوس، فأحرقه وبقاه وطيبه، ثم أعاده إلى البيت فتركه ما شاء الله. ثم عاد إليه، فإذا هو قد أصابته طائفة من السوس فأحرقه وبقاه وطيبه وأعاده. ولم يزل كذلك حتى بقيت منه رزمة كرمة الأندر لا يصره السوس شيئاً وكذلك انتم غيرون حتى لا يبقى منكم إلا عصاة لا يصرها الفتن شيئاً

والتحريض هو التفتية وإبعاد الرديء، والعربلة هي الحل بالعربال حتى تحرج الروان، وهو الحب العريب عن الحطة يكون على شكلها وليس بها

وغربة الشر تكون بقاؤون التحريض الذي عرفناه وعربالهم فيها هي الظروف الصعبة والظلم الذي يعيشه الفرد والمجتمع من ناحية والشهوات والمعربات والمصالح الصيقة، من ناحية أخرى «وسيجرح من العربال خلق كثير» بمعنى أن أكثر الشر يتبعون الباطل ويحرفون مع الشهوات والمصالح أو مع الظالمين المحرفين فيصبحون «حثة» قد مرحت<sup>(٣)</sup> عهودهم وأماناتهم والمراد بها الدين والإلتزام بالإسلام وما تستتبعه من خلق كريم وسلوك مستقيم.

وتبقى في نتيجة التحريض الطويل «عصاة لا تصرها الفتن شيئاً» لأنهم

(١) انظر المحطوط

(٢) ص ١١٢

(٣) أي اضطربت والنبت وقصدت، النجف مادة مرج

يمثلون الحق صراحةً، ويستمعون إلى قسطاط الحق الذي لا كفر فيه، كما سبق أن سمعنا من الأخبار.

وقد عرفنا أن قانون التمحيص عام للشريعة مرافق لها في عمرها الطويل. وقد نطق به التبريل. قال الله تعالى: «ما كان الله ليناً للمؤمنين على ما أتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب»<sup>(١)</sup> وقال عز وجل: «ليميز الله الخبيث من الطيب، ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه فيجعله في نار جهنم وأولئك هم الخاسرون»<sup>(٢)</sup> وقال: «وليمحص الله الدين أمواً ويمحق الكافرين أم حسنم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الدين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين»<sup>(٣)</sup>.

ولكن هذا القاسم يكون أشد وأكث إذا افترق بالأعداد ليوم الموعود، إعداداً يمكن به حمل الشعة والشعور بامسؤولية تجاه العالم كله.

ولعلنا نستطيع أن نفهم من قوله تعالى: «وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين» كيفية التمحيص وأسلوبه، ودث: إن التمحيص ليس يكشف والإظهار فقط أمام الآخرين أو أمام التاريخ، وإن كان هذا هو جانب الظاهر المنظور وإنما يتضمن - في الحقيقة - تعبيراً حقيقياً وتأثيراً جوهرياً في ذات الفرد يعلمه الله تعالى منه بعد وجوده وتحققه.

ويتضح ذلك من بيان مقدمتين:

### المقدمة الأولى:

أن للفرد العقل المختار اتجاهات ووجهات نظر، وله مواقف وآراء تجاه كل حادثة مما يمر به في حياته. وهو عن الدوام يحدد مواقفه فعلاً وتركاً وآراءه إيجاباً وسلماً، صادراً صدوراً تلقائياً عن اتجاهاته ووجهات نظره العفائية والعقلية والثقافية فتحدد مواقفه تحديد اتجاهاته، وتعتبر بتعبيرها، لا محالة، تجاه كل حادث من حوادث الحياة.

(١) آل عمران ٣ - ١٧٩

(٢) الأعراف ٨ - ٣٧

(٣) آل عمران ٣ - ١٤١، ١٤٢



ويكون للحوادث المتغيرة المتطورة الأثر الكبير في تعيير وتطوير اتجاهات الفرد فضلاً عن موافقه . وبذلك يكتسب الصغير حبرة والكبير حكمة والخاھل علماً، كما هو واضح جداً لكل فرد عاقل يعيش في هذه الحياة.

وقد يرداد الأثر في هذا المقدار الإعتيادي، فيما إذا كان الحادث أو مجموعة الحوادث، ذات صيغة أساسية في حياة الفرد. ولكل فرد من الحوادث ما تكون أساسية في حياته فقد تعمق الحوادث اتجاهه وترسحه وقد تضعفه وتضعضه، وقد تغير شكله وطريقه. ويتميز الاتجاه بتغير المواقف بالطبع. فيكاد يصح الفرد فرداً آخر، أو نسج على سلوكه تغيرات كبرى أو صغرى تختلف بإحتلات أهمية الحوادث فقد يصح الفرد المحرف معتدلاً والمعتدل واعياً، بل قد يصبح الواعي مسحوراً والمحرف واعياً. وقد يصح الخائن شجاعاً والشجاع جباناً والبخیل كريماً والكریم سخیلاً والكذاب صادقاً والصادق كذاباً. وهكذا وهكذا

هذا كله في الحوادث الفردية التي يصادفها الناس في الحياة ومتى كانت الحوادث أوسع من الوجود الفردي وأكبر، كان أثرها أعمق وأشمل على المجتمع كله، فضلاً عن الفرد، كالإتجاه العام للحاكمين سياسياً أو المتعديين اقتصادياً أو اجتماعياً أو غير ذلك وكالعزرو أو الإستعمار الذي تتعرض له البلاد، أو التدهور الإقتصادي التي يمر بها أو تمر به فإن كل ذلك يؤثر في الأفراد بل في الشعب كله آثاراً بليغة، قد يبلع مدى تأثيره عمقاً واسعاً في الزمان والمكان

ومن هنا بالذات، تثبت فكرة التمهيص والإمتحان، فإن بعد أن يعرف إن لكل واقعة في الإسلام حكماً معيناً، ويعرف إن لكل فرد موقفاً معيناً تجاه كل حادثة. إذن فلا بد أن ينظر إلى مدى تطابق موقف الفرد مع حكم الإسلام. فإن كان منسجماً معه، فهو راجع في التمهيص، وإن كان مختلفاً معه، فهو فاشل وراسب لا محالة.

والحوادث المتعاقبة، قد تصقل من عقيدة الفرد الدينية، وقد تضعضها، بشكل متوقع أو غير متوقع، فإن لكل فرد إعتيادي بوازعه الخيرة وبوازعه الشريرة، واتجاهاته الخاصة وقد تكون هذه الإتجاهات متميزة بسلوك إعتيادي معين، فإذا طرأت حادثة معينة اضطر إلى الإستجابة لها بإتخاذ موقف من المواقف لا محالة.

وإصطبر إلى التفكير في حال نفسه وفيما هو مقتنع به، ومن هنا قد يصل المرء إلى  
لرؤى اتخاذ موقف حديد، وإعادة النظر فيما كان مقتنعاً به من تفكير، وما كان  
يتخذ من مواقف

وليس لإستجابات الأفراد وقراراتهم تجاه الحوادث، صابغ معروف أو قاعدة  
عامة معينة. لكثرة العناصر والأسباب الداخلية والإجتماعية التي تؤثر فيه، والتي  
تختلف بين فرد وآخر في هذا العالم الواسع

ومن هنا يكتسب التمهيز أهمية، فإنه قبل حدوث الحادثة - أية  
حادثة - تكون حالة الفرد من حيث اتجاهه ورد فعله وما سيتخذه من سلوك، بمجملته  
دائماً، وليس لها أي تعين واقعي. والحوادث وحدها هي التي تعين واقع اتجاهه  
الحديد، ودرجة عقيدته وإيمانه، كما تكشف لنا ولنفسه أيضاً، هذا الاتجاه الحديد  
ومقتضياته المتمثلة في سلوكه الحديد الذي يتخذه.

فإذا كان للأفراد اتجاهات على الدوام وكانت الحوادث تحدث باستمرار، وكان  
لهم تجاهها ردود فعل وآراء ومواقف، إذن يكون التمهيز والامتنان مستمرا  
باستمرار الحياة البشرية .

ومن هنا يرى أن التمهيز كلما اكتسب أهمية أكبر في التخطيط الإلهي ، كما  
هو كذلك خلال عصر الغيبة الكبرى . . شاء الله تعالى أن يعرض الأفراد لحوادث  
اعقد وأصعب ، حتى يكون اتجاههم للمواقف الجديدة حاسماً وإكيداً ، ليتضح ما  
إذا كانت مواقفهم مسجمة مع تعاليم الإسلام أو لا .

#### المقدمة الثانية :

وهي تتعلق بفهم الآية الكريمة . . وذلك أن هناك فرقاً في علم الله تعالى من  
حيث متعلقه لا من حيث ذاته بين حال ما قبل وجود الشيء في الخارج وبين ما  
بعد وجوده . فعلمه عر وجل بالشيء قبل وجوده . أنه سيوجد وعلمه به بعده .  
أنه قد وجد . وتحقيق ذلك والرهنة عليه مفصلاً موكول إلى مباحث الفلسفة  
الإسلامية .

إذا تمت هاتان المقدمتان استطعنا أن نعلم المراد من الآية الكريمة : ولما يعلم الله

الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين

فإن الفرد - أي فرد - قبل حصول ظروف الجهاد ، وقبل تشريعه ، يكون ناقص التكوين حقيقة ، لا مجاهدا ولا صابرا ، وتكون حالته النفسية واتجاهاته مجمدة من حيث كونه سيتخذ موقف الجهاد عند طرد طروقه وسيبصر على مسؤولياته أولا بمعنى أن له درجة ما قبل الجهاد ، وهي درجة واقعية ، لا يكون الفرد مستحقا فيها لثواب القائمين بالجهاد ، ولا لعصابت الخارجيين على مسؤولياته . ومن ثم قال الله تعالى : أم حستم أن تدخلوا الجنة ، ولما يعلم الله المجاهدين منكم ويعلم الصابرين .

وبعد طرد طروف الجهاد ، يتحدد الموقف الواقعي للفرد ، بأنه مجاهد أو غير مجاهد ، ذلك الموقف الذي يكسبه درجة الجديدة من الكمال أو التسافل فإنه قد يكون رد فعله تجاه هذه الظروف ماضيا مع تعاليم الاسلام العادلة فيكون فاشلا في التمحيص الالهي مساعلا عن درجته الايمانية التي كان عليها . وقد يكون رد فعله تجاه هذه الظروف منسجما مع تلك التعاليم ، فيكون ناجحا في هذا التمحيص ، صاعدا فوق ما كان عليه من درجة الايمان ، في سلم الكمال

فاذا تحدد اتجاهه الجديد ، بالجهاد والصبر ، علم الله تعالى ذلك منه ، كعلمه بالاشياء بعد وجودها ، ويكون الفرد ساعثا مستحقا لثواب المجاهدين .

اذن فليس المراد من نسبة العلم الى الله في الآية مجرد الانكشاف لاستلزامه نسبة الجهل اليه قبل ذلك ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . وانما المراد تعبر الواقع المتمثل في تغير اتجاهات المكلفين ومواقفهم ، فيعلم الله تعالى بتحدد الوجود عليها وحصول مرتبة الكمال أو التسافل للفرد . وهذا العلم هو المتحقق بالنسبة الى الله تعالى ، وليس بمستحيل ولا مستلزم جهلا ، لانه عز وجل قبل وجود الشيء علم بأنه سيوجد ، ويعلمه عالم بانه وجد ، كما سبق ان عرفنا .

فاذا عرفنا هذه القاعدة العامة في كيفية التمحيص ، وأثره الواقعي . فهما ما ذكر في الروايات السابقة . . كيف يوجب التمحيص ان يسبق سائقون كانوا قد قصروا ويقصر سائقون كانوا قد سبقوا ، وعرفنا لماذا يبقى بعد التمحيص حثالة

من الناس قد مرجت عهودهم واماناتهم ، بعد ان تسالفوا في موافقهم وردود فعلهم . ويبقى من جهة اخرى عصاية لا تضرهم الفتة شيئا ، لاسم نجحوا في التمحيص وسيطروا على كل المصاعب ، فلا يستطيع الظلم بكل كرياتة ولا الدنيا بكل معرياتها حملهم على الانحراف . وورمة كرمة الاندر او كالكحل في العين او الملح في الطعام من القلة ، بالنسبة الى مجموع الشرية بل المسلمين . وهذا معنى انه : يشقى من يشقى ويسعد من يسعد .

وعرفنا ان سبب التمحيص والعريضة بالعربال الذي يفرل به الافراد ( كما يعرل الزوان من القمح ) . . هي الحوادث المستحقة على الدوام في ظروف الظلم والاعراء .  
القسم السادس :

الاحبار الدالة على حدوث وقائع وظواهر معبئة معددة من اشكال العصيان والانحراف في المجتمع المسلم .

اخرج البخاري<sup>(١)</sup> عن انس قال قال رسول الله (ص) : ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويشت الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا . واخرج في حديث آخر<sup>(٢)</sup> : يظفر الجهل ويظهر الزنا .

واخرج ابن ماجة<sup>(٣)</sup> . ليشربن ناس من أمتي الخمر ، يسمونها بغير اسمها ، يعزفون عن رؤوسهم بالمعازف والمغنيات .

وفي نور الابصار<sup>(٤)</sup> . وهذه علامات قيام القائم مروية عن ابي جعفر رضي الله عنه . قال : اذا تشبه الرجال بالنساء وباء بالرجال ، وركبت ذات العروج السروج . وأمات الناس الصلوات واتبعوا الشهوات ، واستحققوا بالدماء وتعامدوا

(١) أنظر الصحيح، ج ١، ص ٣٠

(٢) المصدر، ص ٣١

(٣) نظر النس، ص ١٣٣٣

(٤) ص ١٧١

بالربا وتظاهروا بالزنا ، وشيدوا البناء واستحلوا الكذب ، واخذوا الرشا ، واتبعوا الهوى ، وباعوا الدين بالدنيا ، وقطعوا الارحام وضنوا بالطعام .

فكان الحلم ضعفا ، والظلم فحرا ، والامراء هجرة والوزراء كذبة والامناء حوبة والاعوان ظلمة والقراء فسقة . وظهر الجور وكثر الطلاق وبدا الفجور ، وقيلت شهادة الزور ، وشربت الخمر ، وركت الذكور ، وامستغنت النساء بالنساء . واتخذ الصبي مغنيا والصدقة مفرما ، واتقي الاشرار تخافة ألسنتهم . . الحديث .

وفي اكمال الدين<sup>(١)</sup> عن رسول الله (ص) في محاطته لله عز وجل ليلة المعراج ، وفيه يقول : فقلت : الهي وسيدي متى يكون ذلك - يعني ظهور المهدي (ع) - ؟ فأوحى الله عز وجل الي . يكون ذلك - اذا رفع العلم وظهر الجهل ، وكثر القراء وقل العمل ، وكثر القتل ، وقل الفقهاء المهادون ، وكثر فقهاء الضلالة والخزوة . وكثر الشعراء ، واتخذ امك قبورهم مساجد ، وحليت المصاحف وزحرفت المساجد ، وكثر الجور والمصاد ، وظهر المنكر وأمر امك به ونهى عن المعروف . واكتمى الرجال بالرجال والنساء بالنساء ، صار الامراء كفره وأولياءهم هجرة واعوانهم ظلمة ، وذوي الرأي مهم فسقة . الحديث .

وروي في الخرايج والخراج<sup>(٢)</sup> بسنده عن البرك بن مسرة قال . خطبا علي بن ابي طالب ، فقال . سلوني قبل ان تفقدوني . فقام صمصمة بن صوحان فقال : يا أمير المؤمنين : متى يخرج الدجال ؟ فقال : ما المسؤول عنه بأعلم من السائل . ولكن لذلك علامات وهيئات يتبع بعضهم بعضها ان علامة ذلك : اذا فات الناس الصلوات وأضاعوا الامامة واستحلوا الكذب وأكلوا الربا ، وشيدوا البنيان ، وباعوا الدين بالدنيا واستعملوا السفهاء وشاوروا النساء وقطعوا الارحام ، وأتبعوا الاهواء ، واستخفوا الدماء . وكان الحلم ضعفا والظلم فحرا ، وكانت الامراء هجرة والوزراء ظلمة والعلماء حوبة والفقراء فسقة .

(١) انظر المصدر المخطوط

(٢) ص ١٩١ .

وظهرت شهادة الزور واستعلن الفجور ، وقيل الهتان والاثم والطعنان ، وحليت المصاحف ورحفت المساجد وطولت المنارة واكرم الاشرار ، واردمت الصفوف ، واختلفت القلوب ، ونقصت العهود ، واقترب الموعد .

وشاركت النساء ارواجهن في التجارة حرصا على الدنيا ، وعلت اصوات الفساق واستمع منهم ، وكان زعيم القوم اردلهم . واتقى الفاجر مخافة شره ، وصدق الكاذب وأثمن الخائس ، واتخذت المعيات ، ونسبت<sup>(١)</sup> الرجال بالنساء والنساء بالرجال ، ويشهد الشاهد من غير ان يستشهد . وشهد الآخر<sup>(٢)</sup> قضاء للذمام لغير حق تعرفه . وتفقه لغبر الدين ، وآثروا عمل الدنيا على عمل الآخرة . لبسوا جلود الضأن على قلوب الذباب<sup>(٣)</sup> ، وقلوبهم أتن من الحيف وأمر من الصبر . . . الحديث .

والاخبار في ذلك مطولة وكثيرة . وأود ان اسرد الحديث الآتي على طوله ، باعتباره وثيقة مهمة في التاريخ الدين نحن نصدده .

روي في منتخب الآثار<sup>(٤)</sup> عن تفسير الصافي عن تفسير القمي عن ابن عباس . قال : حججنا مع رسول الله (ص) حجة الوداع ، فأخذ بحلقة باب الكعبة ، ثم اقبل علينا بوجهه فقال : ألا اخبركم بأشراط الساعة ؟

فكان ادى الناس منه يومئذ سلمان رحمه الله فقال : بل يا رسول الله . فقال : ان من اشراط القيامة ، اخساعة الصلوات واتساع الشهوات ، والميل مع الاهواء ، وتعظيم أصحاب المال وبيع الدين بالدينا فعندما يداب قلب المؤمن في جوفه ، كما يداب الملح في الماء ، مما يرى من السكر فلا يستطيع ان يغيره .

قال سلمان : وان هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال : أي والذي نفسي بيده يا سلمان ، ان عندها يليهم أمراء جوراة ،

(١) كذا في المصدر، ولعلها تشبه

(٢) هذه العبارة من رواية منتخب الآثار، ص ٤٢٨ لهذا الحديث . والى الخراج والخراج فيها خطأ مطبعي

(٣) في منتخب الآثار - نفس الصفحة - هل قلوب الذئاب

(٤) ص ٤٣٢

ووزراء فسقة وعرفاء ظلمة وامناء خونة .

قال سلمان : وان هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال : اي والذي نفسي بيده . يا سلمان ، ان عندها يكون المكر معروفا ، والمعروف منكرا ، ويؤمن الخائن ويخون الامي ، ويصدق الكاذب ويكذب الصادق .

قال سلمان ان هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال : اي والذي نفسي بيده ، فعندها اماراة النساء ، ومشاورة الاماء ، وقعود الصبيان على المنابر . ويكون الكذب طرفا والركاة مغرما والقيء معنيا ، ويجهو الرجل والديه وير صديقه . ويطلع الكوكب المذنب .

قال سلمان : ان هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال : اي والذي نفسي بيده . وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة ، ويكون المطر فيضا<sup>(١)</sup> ويعيض الكرام غبضا . ويحضر الرجل المعسر . فعندها تقارب الاسواق ، اذ قال هذا : لم ابع شيئا ، وقال هذا : لم ارجع شيئا . فلا ترى الا ذاما لله .

قال سلمان . ان هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال . اي والذي نفسي بيده ، يا سلمان ، فعندها تليهم اقوام ان تكلموا قتلوهم وان سكوتوا استباحوهم . ليستأثرون بعيتهم ، وليطأون حريتهم وليسفكن دماءهم ، وليلأؤن قلوبهم دعلا ورعبا ، فلا تراهم الا وجلي خائمين مرعوبين مرهوبين .

قال سلمان : وان هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال : اي والذي نفسي بيده ، يا سلمان . ان عندها يؤق بشيء من المشرق وبشيء من المغرب يلون امتي ، فالويل لصعفاء امتي منهم . والويل لهم من الله ،

---

(١) وفي نسخة غضا

لا يرحمون صغيرا ولا يوفرون كبيرا ولا يتجافون عن مسيء .

جثثهم جثث الأكميين وقلوبهم قلوب الشياطين .

قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال (ص) : أي والذي نفسي بيده ، يا سلمان ، وعندها يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء ، ويقار على الغلمان كما يقار على الجارية في بيت أهلها . وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال ، وتركبن ذوات الفروج السروج ، فعليه من أمي لعنة الله .

قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال . أي والذي نفسي بيده ، يا سلمان . وعندها تحل ذكور أمي بالذهب ويلبسون الحرير والديباج ويتخلون جلود النمر صفافا<sup>(١)</sup> .

قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال : أي والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها يظهر الربا ، ويتعاملون بالعينة<sup>(٢)</sup> والرشا ، ويوصع الدين وترفع الدنيا .

قال سلمان : وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟

قال : أي والذي نفسي بيده يا سلمان ، وعندها يكثر الطلاق ، فلا يقام لله حد . ولن يضروا الله شيئا .

قال سلمان : وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال : أي والذي نفسي بيده ، يا سلمان . وعندها تطهر القينات والمعلوف ، وتليهم شرار أمي .

قال سلمان . وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟

---

(١) أي مستوية مطمئة والمهاد كونها ملساء وفي نسخة أخرى صفافا، أي كهيئة ثعينة

(٢) بيع العينة هو بيع الشيء إلى أجل بريلة عن ثمنه مقابل انتظار الثمن (المجد) أقول وهو غير جائز في شرع الإسلام.



قال (ص) . اي والذي نفسي بيده ، يا سلمان . وعدّها يحج اغتياه امّي  
للرهة ويحج اوساطها للتجارة ، ويحج ققراؤهم للرياء والسمة . فعدها يكون  
اقوام يتعقّهون لغير الله ويكثر اولاد الزنا ، ويتغنّون بالقرآن ، ويتهاقنّون بالدنيا .

قال سلمان : وان هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال (ص) : اي والذي نفسي بيده ، يا سلمان . ذلك اذا انتهكت  
المحارم ، واكتسبت المآثم وسلط الاشرار على الاختيار ونفشو الكذب ، وتظهر  
الدجاجة ، ونفشو العاقبة ، ويتساهلون في اللباس ، ويمطرون في غير اوان المطر ،  
ويستحسنون الكوبة والمعازف ، ويسكرون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حتى  
يكون المؤمن في ذلك الزمان اذل من الامة . ويظهر ققراؤهم وعبادهم فيما بينهم  
التلاوم ، فاولئك يدعون في ملكوت السماوات : الارجاس الاجاس .

قال سلمان . وان هذا لكائن يا رسول الله ؟

قال . اي والذي نفسي بيده ، يا سلمان . فعدها لا يخشى الغني على  
الفقر ، حتى ان السائل يسأل في الناس فيما بين الجمعيتين لا يصيب أحداً يصع في  
كفه شيئاً

قال سلمان : وان هذا لكائن يا رسول الله ؟

فقال : اي والذي نفسي بيده ، يا سلمان . فعدها يتكلم الرويصة .

فقال سلمان . ما الرويصة ؟ يا رسول الله ، هداك أبي وأمي .

قال (ص) . يتكلم في أمر العامة من لم يكن يتكلم<sup>(١)</sup> . . الحديث .

وروى الشيخ الصدوق فيمن لا يحصره الفقيه<sup>(٢)</sup> عن الاصمغ بن ناته عن  
أمير المؤمنين (ع) قال . سمعته يقول : يظهر في آخر الزمان واقترب الساعة ، وهو  
شر الأرملة ، نسوة كاشفات عاريات ، مترجات من الدين ، داحلات في العش ،  
مائلات إلى الشهوات ، مسرعات إلى اللذات ، مستحلات للمحرمات ، في جهنم  
داحلات .

(١) انظر ايض عن الرويصة في سنن ابن ماجه ، ج ٢ ، ص ١٣٤٠ وغيره

(٢) ص ٢٤٧ ، ج ٣ . وانظر منتخب الامر ، ص ٤٢٦

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة، وفيها المطول والمختصر. ويكفيها منها ما ذكرناه . . وهي لعمري بمجموعها الوثيقة التاريخية المهمة، والوجه الصادق المخلص، المطابق للقواعد والوجدان، في الكشف عن تاريخ البشر خلال عصر الغيبة الكبرى

ويتم الكلام في فهم هذه الأخبار وتحديد مداليلها في صمن أمور:

#### الأمر الأول:

أنا لشعر من سلمان الفارسي رضي الله عنه - في خبر ابن عباس - وهو يعيش المجتمع الفاضل العادل الذي يقوده النبي (ص) وبرعاه . . . أنا لشعر منه استغرابه وشدة عجبه من صفات الفسق والانحراف التي يعلن النبي (ص) عن تحققها في آخر الزمان ومن هنا نراه يكرر على النبي (ص) القول: ' وإن ذلك لكائن يا رسول الله. فيجبه النبي (ص) مؤكداً أي والذي نفسي بيده

كما أنا لنحس بكل وضوح الأسى الشديد الذي يتضمنه كلام النبي (ص) وهو يصف خروج الناس عن شريعته وعصياهم لتعاليمه، وتركهم للعدل الصحيح، مما يسبب لديهم أسوأ الآثار. كيف لا، والله تعالى يقول: ' يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون<sup>(١)</sup>

والنبي (ص) إذ يخاطب الناس بذلك، ويطلعهم عليه، لا يحص به صحابته وأهل عصره - باجتنابهم الخصال السيئة والانحرافات المقيتة التي ذكرها رسول الله (ص) في بيانه.

إلا أن غرضه الأساسي والأهم هو مخاطبته الأجيال القادمة، وعلى الأخص تلك الأجيال التي تنصف هذه الصفات، وتنحرف مثل هذه الانحرافات، حتى ينبها عن عفلتها ويشعرها بواقعها، ويتم الحججة عليها. ذلك التنبيه الذي يؤثر في وجدان عدد من الناس المحلصين، التأثير الصالح المطلوب، فيؤكد إحلاصهم وتقوى إرادتهم ويزداد شعورهم بالمسؤولية للتمهيد لليوم الموعد، طبقاً للتخطيط الإلهي الكبير.

---

(١) الروم ٣٦/٣١

## الأمر الثاني

أما نفهم مما قلناه الآن . إن رواية ابن عباس بل جميع هذه الروايات تشارك في التخطيط الإلهي من ناحية أسبابها ومن ناحية نتائجها .

أما من ناحية أسباب صدور هذه الروايات، فاعتبار علم النبي (ص) والأئمة (ع) بالتخطيط الإلهي، وما سوف يقتضيه على طول الخط التاريخي الطويل . ومن ثم نراهم يخبرون بهذا الجانب من التخطيط، كما أخبروا بحواثب أخرى، في الأخبار السابقة كروايات التمهيد . . وغيرها .

وأما من ناحية نتائجها، فلما تنوعت هذه الأخبار من إتمام الحجة، والتنبيه من الغفلة، وإيجاد شرط الظهور باعلاء درجة الاخلاص في الأجيال المعاصرة للانحراف .

## الأمر الثالث:

إن بعض هذه الأخبار، تكون قرينة مبيحة بالنسبة إلى البعض الآخر . إذ بالرغم من أن جملة منها لا يتضح منها كون الانحراف المخبر به حاصلًا في عصر الغيبة الكبرى على التمين . إلا أن خبر نور الابصار وحبر اكمال الدين، قرن تلك الحوادث بما قبل ظهور المهدي (ع) ومع اتحاد الحوادث نعرف أن المراد من جميع الأخبار هو ذلك .

كما أنه قرنت هذه الحوادث في خبر الخرايب والجرايب بما قبل ظهور الدجال، وإذا علمنا بالقطع واليقين بأن ظهوره سابق على ظهور المهدي (ع)، كما تدل عليه الروايات الآتية المروية من قبل الفريقين . إذن نفهم بوضوح أن هذه الحوادث سابقة أساساً على ظهور المهدي (ع) وهو معنى حصولها في فترة الغيبة الكبرى، كما هو واضح .

واقترانها بما قبل قيام الساعة، في بعض هذه الأخبار، لا يكون مصرّاً بما فهمناه، باعتبار ما قلناه فيما سبق، من أن السابق على الظهور سابق على قيام الساعة . وليس من الضروري أن تكون أشراط الساعة واقعة قبلها مباشرة . وسيأتي التمرض إلى تفصيل ذلك في القسم الثالث من هذا التاريخ

## الأمر الرابع :

مقصود النبي (ص) والأئمة (ع) هو اطلاع الأمة على الانحراف الأساسي الذي يستفحل في المجتمع، فيستعد به عن العدل الإسلامي، بكل تفاصيله، بما فيه التعاليم الالهامية والتوجيهات الاستنباطية والأخلاقية فإن العدل الكامل لا يتحقق إلا باتباع كل التعاليم واجها ومستحبها وعاديا واحلاقيها ويتحقق الانحراف بالخروج على أي منها.

ومن ثم سمع من هذه الأخبار، وقوع الانحراف عن المستحبات، كثرك الصدقة المستحقة وتحلية المصاحف وزخرفة المساجد، وإطالة المأثرة فيها، ونحو ذلك.

## الأمر الخامس :

إن عدداً من الحوادث الواردة في هذه الروايات، تنصص أموراً يمكن أن تقع على وجه إسلامي صحيح، كما يمكن أن تقع على وجه باطل منحرف ونعرف بالطبع - من وقوعها في كلام النبي (ص) أو الإمام (ع) وهو يصدد تعداد الحوادث المنحرفة، أنها منحرفة، وواقعة على شكلها الباطل

مثال ذلك : تشييد الساء، فانه إن وقع من الفرد بعد تطبيق كل الأنظمة المالية في الإسلام، وعلى الوجه الشرعي الصحيح، لم يكن فيه حزارة. بل قد يتضمن مصلحة عامة في كثير من الأحيان. ولكنه إن وقع على خلاف ذلك كان عصبياً وانحرافاً في نظر الإسلام.

ومثل ذلك : ما ورد من مشاركة المرأة زوجها في التجارة. وقد يتصور أن تقع على الوجه الإسلامي الصحيح، وإن كان لا تقع في المجتمع المنحرف إلا مقترنة بالشرع والخروج على تعاليم الإسلام.

## الأمر السادس :

إن ما تتضمنه هذه الأخبار، أمور راجحة وصحيحة شرعاً، إلا أنها إذا اقترنت بسلوك منحرف أو اتجاه فاسد، اكتسبت معنى منحرفاً سيئاً، بمعنى أن مجموع فعل الفرد لا يكون محموداً، بل يكون مثلاً لحظ الانحراف لا بحالة.

مثال ذلك : قوله : إذا ازدحم الصوف واحتلفت القلوب فان اردحام

الصفوف للصلاة الجامعة أو لغرض آخر كالوعظ أو تشييع جارة أو نحو ذلك، أمر مطلوب وراجع في الإسلام.. ولكنه إذا اقترن بتعرق القلوب وتشتت الأهواء والتوازع، لم يكن دالاً على قوة ولا على وعي وإرادة، ومن ثم يكون مذموماً مقبلاً.

ومثاله الآخر: إن الرجل يحبو والده ويبر صديقه. فان بر الصديق وإن كان أمراً عادلاً راجحاً على الأعلى، إلا أنه إذا اقترن بحفاء الوالدين دل على خست النية وانحراف الانجاء. ويدل على أن الصداقة لم تنعقد على أساس الإسلام بل على أساس المصالح الضيقة والأعمال المحرفة، إذ لو لم يكن كذلك، لما جما العود والديه.

وهكذا... قس على هذه الأمثلة ما سواها.

### الأمر السابع:

يراد ببعض التعابير في هذه الأحبار معانها الكائني أو الرمزي، لا المعنى الحقيقي المفهوم من اللفظ لأول وهلة. ومعه لا حاجة إلى تحيل حدوث هذه الأمور بطريق اعجازي، بل يمكن أن يكون حدوثها طبعياً اعتيادياً.

فمن ذلك قوله: لسوا جلود الضأن على قلوب الدئاب. فان المراد هو التعبير عن دمانة الظاهر وخبت الباطن وشراسة الطبع وهذا واضح

ومن ذلك: قوله: يذاب قلب المؤمن في جوفه، كما يذاب الملح في الماء، لما يرى من المنكره فلا يستطيع أن يغيره.

فان المراد التعبير من شدة أسفه ووجده لما يرى من العصيان ومخالفة العدل الالهي، وهو غير قادر على رفعه أو تغييره، بسبب عمق ظروف الانحراف.

ومن ذلك قوله: إن عدها يؤق مشيء من المشرق وشيء من المغرب يلون (أي يحكمون) أمي.

فان أفضل تفسير لذلك - هو المادىء المادية التي جلست إلى ملاد الاسلام من الغرب تارة ومن الشرق أخرى. ويمارس الحكام المحرفون الحكم طبقاً لأحدهما أو لكليهما في بعض الأحيان.

والظاهر من التعبير الوارد في الرواية: اشتراك كلا الشيتين في ولاية الأمة ولم يحدث ذلك في التاريخ إلا في السنوات المتأخرة التي عشاها ونعيشها، حين أصبح الحكم في شرف الاسلامي يمثلون الشرق الملحد والعرب المشرك معاً، ويعتبروهما معاً مثلاً أعلى وقدوة تحتذى، لو قيست بمبادئ الاسلام وتعاليمه، في رأيهم الخاطيء.

ومن ذلك قوله يتكلم الروبيصة فان المراد به - كما مره صلى الله عليه وآله في نفس الحديث - كل رجل يتكلم في أمر العامة، لم يكن يتكلم قبل ذلك. وإن اصل فهم لهذه العبارة، هو أن يقال: أنه عاش المجتمع المسلم عدة قرون، لا يتكلم باسم العامة ولا يدير شؤونهم إلا أشخاص صادرين عن الدين شكل وآحر، كالخلفاء والقضاة والعقهاء حتى ما إذا ورد تيار الحصار الحديثة إلى العالم الاسلامي، أباح جماعة من المحرفين لأنفسهم أن يطلقوا باسم العامة أو باسم الشعب ويظفروا في أمره ويديروا شؤونهم، من دون أن يكون لهم أي حق حقيقي سوى السيطرة التي اكتسبوها بالقوة والحديد والبار على الناس. وأصبح التكلم باسم الشعب شعاراً راسخاً يقتنع به الكثيرون، بالرغم من أنه يمثل احرفاً حقيقياً عن الاسلام الذي يوجب تكلم الحاكم باسم الله لا باسم الشعب. ولعل التعبير بالروبيصة يشعرنا بوجود تيار راسخ أو كامن بين أبناء الاسلام دهرًا من الزمن، انتج في نهايته هذه النتيجة

وهذا أمر صحيح، بعد الذي نعرفه من التاريخ الحديث، من أن الاستعمار استطاع أولاً السيطرة الثقافية والعقائدية على عقول عند كثير من أبناء هذه البلاد، مما أنتج في نهاية الخط، سيطرتهم على الحكم وممارستهم الأساليب الكافرة في إدارة بلاد الاسلام. فكانت تلك السيطرة أعداداً كاماً لايجاد هذا الحكم في نهاية المطاف

وهذا برهن أيضاً على صحة ما في هذه الأحبار، مما قد تكلمنا عنه فيما سبق، من أن الأمراء يصحون كفرة والوزراء فجرة ودوي الرأي فيهم فسقة

الأمر الثامن:

أشرنا في مسح الفهم الدلالي للروايات، إلى أنه قد يرد فيها تعابير يختلف

مصدقها ويتطور على مر العصور، وإن فهم الناس المعاصرون لصدور النص، مصداقاً معيماً، بل وإن صرح لهم بمصدق معين جرياً على قانون مخاطبتهم على قدر عقولهم، كما سبق. وقلنا أنه لا بد من التوسع في الفهم، وتطبيق التعبير على كل مصداق متطور، خاصة بعد اليقين بأن السي (ص) أو الامام (ع) يقصد المصدق الذي يحدث في الزمان الذي يتكلم عنه، لا الذي يحدث في الزمان الذي يتكلم فيه. ومن المعلوم اختلاف المصدقين إلى حد بعيد، طبقاً لتطور الزمان وتغير الأحوال.

إذا استوعبنا ذلك استطعنا أن نطقه في كثير من تعابير هذه الأخبار فمن ذلك قوله: وتركب ذات المروج السروح. فإن السروح وإن كان هو ما يوضع على الفرس، وقد ركبه النساء في التاريخ أحياناً، وتحققت البوءة. وهو ما فيه الكفاية للمكتفي.

إلا أننا يمكن أن نجد مصداق أخرى لذلك على مر العصور... فيها إذا فهمنا من السروح كل مركوب يختص بالرجل في نظر الإسلام. بمعنى أن استعماله بالنسبة إلى المرأة ملازم عادة مع التبرج والخروج على الأدب الإسلامية، تماماً كما هو الحال في ركوب الفرس. فكذلك ركوب الدراجة الهوائية أو البخارية أو سيطرة السيارة أو الطائرة أو الباهرة... وبحو ذلك.

ومن ذلك قوله: وتظهر القبيات والمعارف. وقوله: واتخذت المعنيات. فإنه بالرغم من أن ذلك قد حدث فعلاً منذ عصر الأمويين إلى ما بعده بعدة قرون. إلا أننا يمكن أن نفهم منه ما هو الأعم والأشمل ليطبق على ما نديعه ومثائل الاعلام الحديثة من حفلات غنائية وما نشه من أساليب حلاعية لا أخلاقية على شاشة السينما والتلفزيون وعلى أمواج الراديو، فأما لا تختلف في مصمومها وحقيقتها عن تلك الحفلات القديمة إلا في اجتماع السامعين والمشاهدين مع المعين في مجلس واحد. كما لا تختلف في مقدار احراقها عن الاسلام وعصيانها لتعاليمه.

#### الأمر التاسع:

إن هناك أموراً وردت في كلام السي (ص) - في الخبر الطويل لابن عباس - لم يكن يفهم منها معاصروه إلا معنى عامصاً عائياً، بمقدار ما ترشد إليه قواميس

اللغة. ولكن قد أُنشئت العصور الأخيرة، بما عاشت من تجارب، مدى أهميتها الكبرى وأثرها البالغ في المجتمع.

فمن ذلك: ما يصفه (ص) من موقف الحكام المنحرفين تجاه الشعب المسلم بقوله: إن تكلموا قتلوههم وإن سكتوا استباحوهم. فإن مثل هؤلاء الحكام يستفلون نقاط الصعف في الأمة على طول الخط، ويمحطون معهم حطة العسف والقهر، لا يختلف في ذلك الحكم الفردي الدكتاتوري عن الحكم المدني المنحرف القائم على غير الإسلام.

فأول ما يواجهون به الأمة: منعها عن الحرية الفكرية والسياسية وصراحة الرأي، فإن (تكلموا قتلوههم) أو هددوهم بالعقاب الأليم. فإن استسلم الناس وسكتوا (استباحوهم) واستغلوهم واستحلوا حيراتهم وسيطروا على مواردهم ومصادرهم.

ومن ذلك. ما ذكره (ص) من حصول كثرة الطلاق. على حين لم يكن يحدث في دولته من الطلاق إلا النذر القليل بسبب صتيلة حدة. لما كان الزوجان يلتزمان فيما بينهما من تطبيق العدل الإسلامي، ونسب الأناية.

وأما حين يتعمد المجتمع عن أحكام الله عز وجل، وتعمد حياته تعقيداً منحرفاً، تبدأ الأمور بالتفسيح واليوت بالانقسام، وتكثر حوادث الطلاق حتى بعد وجود الذرية.

وقد أثبت العلم الاجتماعي الحديث، أن كثرة الطلاق تدل على حدوث عنصر أو عناصر، غير مرغوبة في الحياة الاجتماعية، وأنه يؤدي بدوره إلى عدة آثار سيئة مما يضطر الحكومات على طول الخط إلى رصد المبالغ الضخمة للملاجيء ونحوها لكي تحوي الأطفال المتسربين المعاقدين للمربي والكفيل.

ومن ذلك قوله: وتفشو الفاقة. فإن انتشار الفقر يكون بأحد سببين، كلاهما ناتج عن سوء التنظيم الاقتصادي:

### السبب الأول.

الرأسمالية أو الاستقطاب المالي عند عدد قليل من الناس، ويقاء الآخرين على حالة الصعف والفاقة، محكومين من قبل أرباب المال من حيث أوصاعهم



السياسية والاقتصادية والاجتماعية. . بل حتى من حيث النواحي الأخلاقية والعقائدية في كثير من الأحيان. فان الممولين هم المسيطرون على تربية الناشئة وتنشئة الشعب، مصافاً إلى نفوذهم في البلاد.

السبب الثاني:

إنخفاض المستوى الاقتصادي لدى جميع أفراد المجتمع، بقلة الدخل العام والواردات الشخصية وقد تواجه الأمة مثل هذا النقص الاقتصادي نتيجة لبعض الأزمات، أو سوء التصرف من قبل الحكام.

والسبب الأول هو الأغلب في المجتمعات، والأشد ضرراً عليها في المدى البعيد وخاصة إذا عممنا مفهوم الطبقة المالية إلى المجتمع الزراعي والصناعي معاً وقد شأ هذا الوضع في المجتمعات الإسلامية، نتيجة لناسي العدل الإسلامي وإحساره عن عالم التطبيق الاجتماعي وكان من أوصح نتائج أن تفشو الفاقة ويتشتر الفقر.

الأمر العاشر.

ليس شيء مما ذكر في كل هذه الروايات، لم يتحقق في حلال التاريخ الإسلامي. ومن المستطاع القول بأن كل الصفات المعطاة فيها، موجودة بشكل وآخر، على طول تاريخ الانحراف إلى العصر الحاضر، وستبقى نافذة المفعول، ما دام مجتمع الظلم والفتن موجوداً، إلى حين قيام الإمام المهدي (ع) بدولة الحق. ولا نستطيع الدخول في تفاصيلها وتكرار مداليلها بأكثر مما قلناه وإنما ذلك موكول إلى القدر، إن شاء أن يراجع النصوص فاهماً لها انطلاقاً من الأساس الإسلامي الصحيح.

وبهذا ينتهي الكلام في الجهة الثانية من الناحية الثانية من هذا الفصل

\*\*\*

عرض على المنهج السني:

وإذا عرضنا هذه الأحبار على المنهج السني الذي التزموا، من رفض الأحد بخبر الواحد في هذا المجال، ما لم تقم على صحته قرائن خاصة أو تحصل فيه

استعاضة أو تواتر . . فإنه ينتج صحة الأعم الأغلب من هذه الأخبار وإن كان كل واحد منها بمجرده خبر واحد، قد يوسم بالضعف  
فإن عدداً من هذه الأخبار قامت القرائن القطعية على صحته . يمكن أن نحمل فكرة عنها فيما يلي .

### القرينة الأولى .

تحقق الحوادث التي أعربت عنها في التاريخ كما سمعنا، فإنا ذكرنا أن ذلك من القرائن على صدق الخبر .

### القرينة الثانية :

إن بعضها وارد في مورد معارضة الجهار الحاكم، الذي كان مسيطراً في عصر صدور هذه الأخبار أو عصر تسجيلها . كقوله (ص) : يكون أقوام من أممي يشربون الخمر ويسمونهم بغير اسمها . فإنه كان على هذا ديدن عدد من الخنساء الأمويين والماسيين . . يسمونها الطلي أو السخنج أو المقاع . ويعتقون بجوار الشرب ما لم يصل إلى حد الاسكار .

### القرينة الثالثة .

إن عدداً منها مسجل في المصادر، قبل أن يشعر مؤلفوها أو رواةها بحدوث تلك الأحداث أساساً وإنما حدثت بعد ذلك نتيجة لترايد ابتعاد المجتمع عن الاسلام . كما هو واضح لمن استقرأ عدداً من الحوادث المفقولة، وقد استعرضنا بعضها عند محاولة فهمنا لهذه الأخبار .

يضاف إلى هذه القرائن . أن جملة من مصامين هذه الأخبار دل عليه عدد منها، ولم تختص بحبر واحد أو حبرين . وقد اعتبرا في المصحح السدي ذلك من المرجحات .

ولعلك لاحظت معي تكرار الحوادث في الأخبار التي سمعناها . إن هذه الحوادث المكررة هي مقصودنا في المقام

كما أن بعضها مستفيض أو متواتر لقطاً، وهو الخبر القائل بأن المهدي (ع) . يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً فإنه مروي من قبل الفريقين

باعداد كبيرة، منها ما ذكرناه ومنها ما لم نذكره. وقد ذكر الشيخ الصافي في متحبه  
الأثر أنه مروي بما يزيد على المئة والعشرين طريقاً

وأما ما لم يكن محتوياً على هذه القرائن والصفات من الأحبار، فمقتضى  
التشدد السني الذي سربا عليه. . رفضه، وإيكال عدمه إلى أهله

كخسر الذي رواه العمادي في الغيبة<sup>(١)</sup>، المغرب عن حصول اثني عشرة رواية  
مشتبهة. وقد سبق. أو ما رواه ابن ماجة<sup>(٢)</sup> من (أن بين يدي الساعة دجالين  
كذايين قريباً من ثلاثين، كلهم يرغم أنه مبي) لو حملنا السوء على معناها  
الاصطلاحي وهو الرسالة عن الساء وفي البخاري<sup>(٣)</sup> يقول: كلهم يرغم أنه  
رسول الله. فإن هذه الأرقام لا تثبت وإن وجد في التاريخ حقاً عدد ممن يدعي  
الامامة أو السوء.



#### الجهة الثالثة:

في الأحبار الدالة على صلاح الرمان ونحسن الوضع العام فيه. . شكل  
يشمل باطلاقه تحسن المجتمع خلال عصر الغيبة الكبرى.

وقد ذكرنا بعد (منهج التمهيص الدلالي) أقسام الأخبار الدالة على صلاح  
الرمان وحسنه، وقلنا أنه لا بد من حمل مطلقاتها على مقيداتها، على النحو الذي  
سبق.

وأود في هذا الصدد، أن أورد عدة من هذه التصوص وأذكر الوجه الحق في  
تحصيلها.

ولم نجد من الرواة الاماميين من روى مثل ذلك، بل أن أخبارهم مطبقة على  
تدهور الزمان وفساده خلال عصر الغيبة الكبرى. وإنما هي أخبار قليلة وردت في  
مصادر العامة

---

(١) انظر ص ٢٤٧ وما بعدها.

(٢) انظر السنن، ج ٢، ص ١٣٠٤

(٣) انظر الصحيح، ج ٩، ص ٧٤.

فعتها: ما أخرجه البخاري<sup>(١)</sup> عن رسول الله (ص) أنه قال تصدقوا! فسيأتي على الناس زمان يمشي الرجل بصدقته، فلا يجد من يقبلها وفي حديث آخر<sup>(٢)</sup> يعد به عدداً من أشراط الساعة، ويقول فيه.

وحتى يكثر فيكم المال، فيفيض، حتى هم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به

وأخرج مسلم<sup>(٣)</sup> عن رسول الله (ص): تصدقوا، فيوشك الرجل يمشي بصدقته، فيقول الذي أعطها. لو جئنا بالأمس قبلتها، فاما الآن فلا حاجة لي بها. من يقبلها.

وأخرج أيضاً<sup>(٤)</sup>. لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال، فيفيض، حتى هم رب المال من يقبل صدقته. ويدعى إليه الرجل، فيقول. لا أرب لي فيه.

إلا أن مثل هذه الأخبار، لها محامل ممكنة، وعليها اعتراضات. فان صحت المحامل فهو المطلوب، وإلا وردت عليها الاعتراضات.

أما المحامل، فهي عدة تفيد أن نورها عليها.

#### التفصيل الأول.

أن يخص هذه الأخبار، بما بعد ظهور المهدي (ع)، فيكون مدلولها طبعياً وصحيحاً، وموافقاً مع الأخبار الكثيرة المتواترة الدالة على ترايد الخير والرفاء في زمن ظهور المهدي (ع)، على ما سنسمع في التاريخ القادم<sup>(٥)</sup>.

وربما يصلح قرينة على هذا التفيد، قوله. لو جئنا بالأمس قبلتها، يعني قبل الظهور، وأما الآن - يعني بعد الظهور - فلا حاجة لي بها

ومعه، لا بد من رفع اليد عن ظهور قوله: يوشك الرجل في قرب

(١) انظر الصحيح، ج ٩، ص ٧٣ - ٧٤

(٢) المصدر، ص ٧٤

(٣) انظر الصحيح، ج ٣، ص ٨٤

(٤) المصدر والصحة

(٥) وهو الكتاب الثالث من هذه الموسوعة

حدوث ذلك، يجعل الأخبار الثلاثة الأخرى قرينة عليه.

وهذا التقييد وإن كان حملاً، يمكن أن يصح في سائر هذه الأخبار، إلا أن واحداً منها يأباه - بظاهره - ، وهو الحديث الثاني الذي نقلناه عن البخاري، فإنه اقترن فيه الأخبار بكثرة المال بالأخبار عن حدوث حوادث عديدة سيئة كالقتل والمهراج، وغيرهما على ما منسمع. مما عرفنا اختصاص حدوثه في عصر الغيبة الكبرى دون عصر الظهور إلا أن هذا الإيراد، يمكن أن يتوجه كاشكال على هذا الخبر نفسه، لا على هذا التقييد الأول.

التقييد الثاني:

أن يخص هذه الأخبار، في صورة الاستقطاب الراسمالي عند الدجال أو عند آخريين. فيكون المراد كثرة المال عند رجل واحد، أو عند عدد قليل من الناس إلا أن هذا مما لا يمكن انطباقه على شيء من هذه الأخبار، لأنها جميعاً دلت على أنه ليس هناك من يقل الصدقة، وهو يدل على كثرة المال عند الجميع، لا عند البعض محسوب.

التقييد الثالث:

أن يقول: إن أقصى ما تدل عليه هذه الأخبار، هو أن الناس لا يقلون الصدقة وما أن منشأ ذلك هو كثرة المال فلا دليل عليه فقد تكون له مناشيء أخرى كالتعفف أو التفرغ من الصدقة الإسلامية بسبب الانحراف، أو غير ذلك من الأسباب

إلا أن هذا التقييد، وإن أمكن انطباقه على الرواية الأولى، ولكن من المتعذر انطباقه على الباقي. للتصريح فيها بأنه. لا حاجة لي فيه أو لا أرب لي فيه . وهو ظاهر بوضوح بأن رفض الصدقة ناشيء من العي وكثرة المال. وخاصة مثل قوله: لو جئنا بالأمس قلتها، أما الآن فلا حاجة لي بها. باعتبار أنه كان بالأمس فقيراً وأما اليوم، فهو غني.

وحيث نفترض بطلان كل هذه المحامل، يتعين كون المراد كثرة المال عند جميع أفراد المجتمع المسلم خلال عصور الغيبة الكبرى. ومعه ترد الاعتراضات التالية:

## الاعتراض الأول:

إن هذه الأخبار معارضة بما دل على تعاقم الخطب وريادة الشر كلياً تقدم الزمان.

فمن ذلك. ما أخرجه البخاري<sup>(١)</sup> عن رسول الله (ص) أنه قال: أصبروا! فإنه لا يأتي عليكم زمان إلا الذي بعده شر منه. حتى تلقوا ربكم والمراد بقاء الله تعالى موت الأفراد، لا حصول القيامة، لكي لا يشمل عصر ما بعد الطهور. ولو شمله الاطلاق، كان مقيداً بالأدلة القطعية الدالة على حصول الرءاء الحقيقي العادل يومئذ.

وعلى أي حال، فتعاقم الخطب، المستمر خلال عصر الغيبة الكبرى، يناقض حصول الرءاء فيه.

## الاعتراض الثاني:

إن هذه الأخبار - بشكل عام - مافية مع طبيعة الأشياء، وفلسفة تسلسل الأمور من أسبابها.

فإنه بعد الوضوح وكثرة الأخبار الدالة على وجود الاسحراف والفتن والأمراء الكفرة والوزراء الفسقة، وغير ذلك من الطواهر والحوادث التي سبغناها. كيف يمكن أن يكثر المال ويعم الرءاء ويتعدد الأعباء، إلى حد يصبح كل أفراد المجتمع المسلم من المومنين. فإن هذا مما لا يمكن أن يتمحض عنه الاسحراف، وما لم تصل إليه أي من النظم والقوانين الوضعية، ولا يمكن وصولها إليه في المستقبل... ما لم ينزل القانون الاسلامي العادل الكامل إلى حيز التنفيذ.

ومن الطريف الذي لم نفهم له وجهاً: ان رواية واحدة للبخاري تقرر بين عدد من الحوادث السيئة المحرقة وبين كثرة المال، حيث براه يقول فيها يقول: وحتى يقض العلم وتكثر الرلارل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن، ويكثر المخرج وهو القتل وحتى يكثر المال... إلى أن يقول وحتى يتناول الناس في البيان.

---

(١) انظر الصحيح، ج ٩، ص ٦٦ - ٦٧

وحق يمر الرجل بغير الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه... الحديث<sup>(١)</sup>.

واحتمال - أن ذلك باعتار اختلاف الأرملة، لا باعتار زمان واحد، مناف لظاهر الخبر باقتران الحوادث، ومناف مع ظاهر الاخبار الأخرى الدالة على بقاء الانحراف طيلة زمان الغيبة الكبرى.

### الاعتراض الثالث:

إن هذه الأحبار مافية ومعارضة مع ما دل على شيوع العاقبة وازدياد الفقر، كما سمعنا في حديث ابن عباس وهو الأسبب مع طبيعة تطور الحوادث، والأوفق مع سائر الروايات.

وعلى أي حال، فمع أخذ هذه الاعتراضات بنظر الاعتبار، تسقط هذه الروايات عن إمكان الأخذ بها، وخاصة بعدما التزمنا من التشدد السدي، حيث دلت القرائن على نفيها وعدم حدوث ما دلت عليه. ومعه لا يبقى دليل على تحسن الوصف خلال عصر الغيبة الكبرى. بل نقى آخدين بالأقسام السابقة من الأحبار الدالة على حدوث الانحراف وتزايد هذا الانحراف وهو الموافق للوحدان وطوائف الأشياء.

نعم، حمل هذا القسم من الأحبار، على أنها تتحدث عن عصر ما بعد الظهور أمر ممكن. وبه تخرج عن محل الاستدلال.

وهذا ينتهي الكلام في الناحية الثانية من هذا الفصل الثاني من القسم الثاني من هذا التاريخ. وبه ينتهي هذا الفصل كله.



(١) انظر الصحيح، ج ٩، ص ٧٤





## الفصل الثالث

### في التكليف الاسلامي الصحيح خلال عصر الغيبة الكبرى

وما يقتضيه هذا التكليف من سلوك على المستوى الفردي والاجتماعي، وما يقتضيه من استعداد نفسي وثقافي على كلا المستويين. وفصل من يتبع هذا التكليف الاسلامي، وحال من يعصيه ويخرج عليه. وعرض ذلك انطلاقاً من القواعد العامة في الاسلام من ناحية ومن الاحبار الخاصة الواردة في هذا الصدد من ناحية أخرى

ويقع الكلام في هذا الفصل، ضمن عدة جهات، بمقدار ما هو المطلوب من التكليف في الاسلام، وما قد يترتب على ذلك من نتائج.

#### الجهة الأولى:

من التكاليف المطلوبة إسلامياً حال الغيبة: الاعتراف بالمهدي عليه السلام كإمام مفترض الطاعة وقائد فعلي للأمة، وإن لم يكن عمله طاهراً للعيان، ولا شخصه معروفاً.

وهذا من الضروريات الواضحات، على المستوى الامامي، للعقيدة الاسلامية، الذي أخذناه في هذا التاريخ أصلاً مسلماً وأجلنا الرهان عليه إلى حلقات قادمة من هذه الموسوعة.

فانه الامام الثاني عشر لقواعده الشعبية، وهو المعصوم المفترض الطاعة المحي مد ولادته إلى زمان ظهوره وقد عرفنا في تاريخ العيبتين الصفري والكبرى، الأعداد الكبيرة من الاحبار الدالة على ذلك، وفلسفة دخله في التخطيط الالهي، ومقدار تأثير الإمام عليه السلام في العمل في صالح الأمة الاسلامية عموماً،

وقواعله الشعبية خصوصاً كما عرّفها مقدار تأثير وجوده في رفع معنويات قواعده وتحريض إخلاصهم وتحسين أعمالهم.

وحسب الفرد المسلم أن يعلم أن إمامه وقائده مطلع على أعماله وملم بأقواله، يفرح للتصرف الصالح ويأسف للسلوك المحرف، ويعصد الفرد عند الملمات... حسب الفرد ذلك لكي يعي موقفه ويحدد سلوكه تجاه إمامه، وهو يعلم أنه يمثل العدل المحض وإن رضاء الله ورسوله، وإن غضبه غضب الله ورسوله

كما أن حسب الفرد أن يعرف أن عمله الصالح، وتصعيد درجة إخلاصه، وتعميق شعوره بالمسؤولية تجاه الاسلام والمسلمين، يشارك في تأسيس شرط الظهور ويقرب اليوم الموعود. إذن - (الجهاد الأكبر) لكل فرد تجاه نفسه بحمل المسؤولية الكبرى تجاه العالم كله، ومكته قسطاً وعدلاً كما ملء ظمأً وجوراً. فكيف لا يطلق الفرد مجاهداً مضحياً عاملاً في سبيل إصلاح نفسه وإرضاء ربه.

ومن ثم يرى النبي (ص) يؤسس أساس هذا الشعور في الفرد المسلم ويقرن طاعة المهدي (ع) بطاعته ومعرفته - على المستوى العملي التطبيقي - بمعرفته. فان معرفة النبي (ص) بصعته حامل مشعل العدل إلى العالم، لا يكون بالاعتراف التاريخي المجرد بوجوده ووجود شريعته، بل بالمواظبة التامة على الالتزام بتطبيق تعاليمه والأخذ بإرشاداته وتوجيهاته، وإلا كان الفرد منكراً للنبي (ص) على الحقيقة، وإن كان معترفاً بوجوده التاريخي.

وحيث أن أفصل السلوك الاسلامي وأعدله إنما يتحقق تحت إشراف القائد الكبير المهدي (ع) إذن تكون أحسن الطاعة لنبي الاسلام وأفصل تطبيقات شريعته، هو ما كان بقيادة المهدي (ع) وما بين سمعه وبصره إذن صح أن معرفة المهدي (ع) - على المستوى السلوكي التطبيقي - معرفة للنبي (ص) وإنكاره على نفس المستوى إنكار له.

ومن ثم نسمع النبي (ص) يقول: من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني<sup>(١)</sup>. ونراه يقول: القائم من ولدي اسمه اسمي وكنيته كني، وشماله شمالي، وسنته

(١) انظر الاكمال المخطوط ومتخبط الامر ص ٤٩٧.

سقي يقيم الناس على ملتي وشريعتي، ويدعوهم إلى كتاب ربي عز وجل. من أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني، ومن كذبه فقد كدني، ومن صدقه فقد صدقني. . الحديث (١) إلى غير ذلك من الأخبار الواردة بهذا المضمون عنه (ص) وعن أئمة الهدى (ع).

وهذا الكلام من النبي (ص) وإن كان منقطعاً على المعتقد الامامي في المهدي (ع)، إلا أنه نفسه قابل للتطبيق على المعتد العام لأهل السنة والجماعة في المهدي إذا استطاعا إلغاء فكرة العيبة عن كلامه (ص)، فاهم عددتد يتفقون مع الامامية في مضمون الحديث حلة وتفصيلاً. إذ من المقطوع به والمتسالم عليه بين سائر المسلمين أن المهدي (ع) هو الرائد الأكبر في عصره لتطبيق الاسلام، فهو يقيم الناس على ملة رسول الله (ص) ويدعوهم إلى كتاب الله عز وجل. ومن الطبيعي مع اتحاد الاتجاه والأطروحة، أن تكون طاعة المهدي (ع) طاعة للنبي (ص) وعصايه عصياناً له، وتكذيبه تكديماً له وتصديقه تصديقاً له.

كما أنه من الحتم أن يكون إنكار ظهور المهدي (ع) وقيامه بالسيف لاصلاح العالم، إنكاراً لرسالة النبي (ص) ورفضاً لجهوده الحبارة في بناء الاسلام، كيف لا . . و ظهور المهدي (ع) هو الأمل الكبير لرسول الله (ص) في أن تسود شريعته في العالم، وتتكلل مساعيه وتصحياته بالنصر المين. بعد أن لم تكن الشروط وافية والظروف مواتية لحصول هذا النصر في عصره، كما أوضحناه فيما سبق.

بل يكون إنكار المهدي (ع) في الحقيقة إنكاراً للعرض الأساسي من خلق البشرية والحكمة الالهية من وراء ذلك، مما قد يؤدي إلى التعطيل الساطل في الاسلام.

فانه بعد أن مرها أن العرض من خلق البشرية هو إيجاد العبادة الكاملة في ربوع المجتمع الشرقي بقيادة الإمام المهدي (ع) في اليوم الموعود. . إذن يكون إنكار المهدي مؤدياً إلى نتيجة من عدة نتائج كلها باطلة كما يلي:

النتيجة الأولى:

إن خلق البشرية ليس وراءه هدف ولا غاية. وهذا منفي بنص القرآن

(١) انظر الاكمال المسطور. باب من انكر القائم

القائل: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾. وبالرهن العقلي المسمي  
القائل بضرورة وجود العلة العائية والهدف، من وراء كل فعل اختياري، وبخاصة  
إذا كن الفاعل حكيماً لا نهائياً... رب العالمين

#### النتيجة الثانية:

إن الغرض من الخليفة وإن كان موجوداً، إلا أنه ليس هو إيجاد المجتمع  
الصالح العائد، بل هو أمر آخر لا نعلمه!! وهذا يخالف نص القرآن وصريحه في  
الآية السابقة. وخلاف ما تسالت عليه الأديان السماوية من الايمان بمصير الشرية  
إلى الخير والعدل في نهاية المطاف.

#### النتيجة الثالثة:

إن هذا الغرض الالهي وإن كان ثباتاً، إلا أنه ليس من الضروري بروله إلى  
حيز التطبيق، بل يمكن أن يبقى نظرياً على طول الخط.  
وهذا من عرائب الكلام، فإن معنى ذلك تخلف الحكيم عن مقتضى حكمته،  
وبقضه لغرضه، وهو مستحيل عقلاً، كما ثبت في الفلسفة وليس معنى تميد هذا  
الغرض إلا إيجاداه في الخارج.

#### النتيجة الرابعة:

إن هذا العرض، يحدث في الخارج، إلا أنه لا يحتاج إلى قائد، بل يمكن أن  
يتسبب الله تعالى إلى إيجاداه تلقائياً، ومعه لا حاجة إلى افتراض وجود المهدي (ع).  
وهذا لا معنى له، لأنه يتضمن إنكاراً لما اعترفت به الأديان كلها وتسالت  
عليه من وجود القائد في اليوم الموعود. مصافاً إلى أنه يتضمن أيضاً إنكاراً لطبيعة  
الأشياء، فإن الأمة بدون القائد ليست إلا أفراداً مشتتين مبشرين، لا يمكنهم أن  
يجمعوا أي مصلحة تتعلق بالمجموع، ما لم يرجع الأمر إلى الاستقطاب القيادي  
والتوجيه العام المركزي... وهذا واضح في كل أمة على مدى التاريخ  
واحتمال. قيام المعجزة لإيجاد هذا العرض الأقصى، بدون قائد، فقد سبق  
أن عرضنا فكرته وناقشناها

## النتيجة الخامسة:

إن تنفيذ هذا الغرض يحتاج إلى قائد، ولكنه غير محصور بالمهدي (ع)، بل يستطيع أن يقوم به الكثيرون.

وهذا زعم عجيب، إذ لا يقصد بالمهدي (ع) إلا القائد المطلق للغرض الإلهي. بعد أن عصفت النظرة عن الاعتقاد الإمامي بشخصه، إذن فيكون إنكاره إنكاراً لتنفيذ ذلك الغرض الأساسي كلياً وأما من حيث قابلية القيادة، وأنها هل تختص بشخص واحد أو هي ممكنة للعديد من. فهذا ما سعرض له في الكتاب الآتي من هذه الموسوعة.

إذن، فيتعين الاعتراف بوجود المهدي (ع) منفصلاً للمرض الإلهي الكبير. ولا تختص نتيجة هذا البرهان بالمسلمين، فضلاً عن الإمامية منهم. وإنما هي واضحة على مستوى كل الأديان السماوية.



## الجهة الثانية:

إن من التكاليف المطلوبة في عصر الغيبة: الانتظار.

ونطلق إلى الحديث عن ذلك ضمن عدة نقاط:

### النقطة الأولى:

في مفهوم الانتظار.

إن المفهوم الإسلامي الواعي الصحيح للانتظار، هو التوقع الدائم لتنفيذ الغرض الإلهي الكبير، وحصول اليوم الموعود الذي تعيش فيه البشرية العدل الكامل بقيادة وإشراف الإمام المهدي عليه السلام.

وهذا المعنى مفهوم إسلامي عام تشترك فيه المذاهب الكبرى في الإسلام، إذ بعد إحرار هذا العرض الكبير وتواتر أخبار المهدي عن رسول الإسلام (ص) تنحو يحصل اليقين بمدلولها وينقطع العذر عن إنكاره أمام الله عز وجل. وبعد العلم باناطة تنفيذ ذلك الغرض بإرادة الله تعالى وحده، من دون أن يكون لغيره رأي في ذلك، كما سبق. إذن فمن المحتمل في كل يوم أن يقوم المهدي (ع) بحركته

الكبرى لتطبيق ذلك الغرض، لوضوح احتمال تعلق إرادة الله تعالى به في أي وقت.

لا ينبغي أن تختلف في ذلك الأطروحة الامامية لفهم المهدي (ع) عن غيرها... إذ على تلك الأطروحة، يأذن الله تعالى له بالظهور بعد الاختفاء، وأما بناء على الأطروحة الأخرى القائلة: بأن المهدي (ع) يولد في مستقبل الدهر ويقوم بالسيف، فلاحتمال أن يكون الآن مولوداً، ويوشك أن يأمره الله تعالى بالظهور. وهذا الاحتمال قائم في كل وقت. بل أن لمعنى الانتظار مفهوماً أعم من الإسلام وأقدم أما قدمه فلما ذكرناه من تبشير الأنبياء باليوم الموعود، فالبشرية كانت ولا زالت تنتظره، وإن تحرفت شخصية القائد وعوانه على ما ذكرناه. وستبقى تنتظره ما دام في الدنيا ظلم وجور. وأما عمومته فباعتبار التزام سائر أهل الأديان السماوية به، مع غض النظر عن الاسم.

وهذا بنفسه، ما يجعل المسؤولية في عهدة كل مؤمن بهذه الأديان، وخاصة المسلم منهم. في أن يجذب نفسه ويكملها ويصعد درجة إخلاصه وقوة إرادته، لكي يوفر لنفسه ولاخوانه في البشرية شرط الظهور في اليوم الموعود.

#### النقطة الثانية:

لا يكون الفرد على مستوى الانتظار المطلوب، إلا بتوفر عناصر ثلاثة مقترنة: عقائدية ونفسية وسلوكية. ولولاها لا يبقى للانتظار أي معنى إيماني صحيح، سوى التمسك النسيبي المني على المطلق القاتل: إذ هب أنت وربك فقاتلا، أنا ههنا قاعدون... المنتج لتمني الخير للبشرية من دون أي عمل إيجابي في سبيل ذلك.

#### العنصر الأول:

الجانب العقائدي... ويتكون برهانياً من ثلاثة أمور:

#### الأمر الأول:

الاعتقاد بتعلق الغرض الإلهي بإصلاح البشرية جميعاً، وتنفيذ العدل المطلق فيها في مستقبل الدهر. وإن ما تعلق به الغرض الإلهي والوعد الرباني في القرآن لا يمكن أن يتخلف. وقد سبق أن عرضنا برهانه.

## الأمر الثاني :

الاعتقاد بأن القائد المظفر الرائد في ذلك اليوم الموعود، هو الإمام المهدي (ع)، كما تواترت بذلك الأخبار عند العريقين، بل بلغت ما فوق حد التواتر. وقد علمنا أن ذلك ضروري الثبوت.

## الأمر الثالث.

الاعتقاد بأن المهدي القائد هو محمد بن الحسن العسكري (ع) . الأمر الذي قامت ضرورة المذهب الامامي . وقامت عليه الأعداد الضخمة من أبحارهم . . . ووافقتهم عليه جملة من معكري العامة وعلمائهم كابن عربي في الفتوحات المكية . والفنلوزي في بتاييع المودة والحموي في فرائد السمطين، والكنجي في البيان . . . وغيرهم .

والمعتقدون بهذه الأمور، وإن كانوا على بعض الاختلاف، إلا أننا ذكرنا في فصل (التحطيط الالهي) أن الأمرين الأولين يرجعان إلى الثالث في نتائجها وتطبيقاتها، فيمكن الاعتقاد بها جميعاً بدون أي تناف أو اختلاف

## العنصر الثاني :

الجانب النفسي للانتظار. ويتكون من أمرين رئيسيين :

## الأمر الأول :

الاستعداد الكامل لتطبيق الأطروحة العادلة الكاملة عليه، كواحد من البشر، على أقل تقدير، إن لم يكن من الدعاة إليها والمضحين في سبيلها .

## الأمر الثاني :

توقع البدء بتطبيق الأطروحة العادلة الكاملة أو بروج فجر الظهور في أي وقت . . لما قلناه من أنه منوط بإرادة الله تعالى، بشكل لا يمكن لغيره التعيين أو التوقيت. ومن المحتمل أن يشاء الله تعالى ذلك في أي وقت. مصافاً إلى الأبحار الدالة على حصوله فجأة بعتة، ومسروي طرفاً منها فيما يأتي .

وهذا الشعور يمكن أن يوجد في نفس الفرد المؤمن باليوم الموعود، طبقاً لأي من الأمور الثلاثة في العنصر الأول، وطبقاً لمجموعها أيضاً. ويكون شعوراً طيباً على

نفسه مرضياً لضميره، باعتبار ما يتضمنه من شعور بالاخلاص تجاه نفسه ومجتمعه وأمه... وهي الجهات التي سوف يتشعلها اليوم الموعود من المشاكل والظلم وإذا تم لدى الفرد الشعور بهذين الأمرين في نفسه، فقد تم لديه العنصر الثاني، واستطاع أن يتقبل بسهولة ورحابة صبر العنصر الآتي.

العنصر الثالث.

### الجانب السلوكي للانتظار.

ويمثل بالالتزام الكامل بتطبيق الأحكام الالهية السارية في كل عصر، على سائر علاقات الفرد وأفعاله وأقواله، حتى يكون متبعاً للحق الكامل والهدى الصحيح، فيكتب الارادة القوية والاخلاص الحقيقي الذي يؤهله للتشرف بتحمل طرف من مسؤوليات اليوم الموعود.

وهذا السلوك ضروري وملزم لكل من يؤمن باليوم الموعود، على أي من المستويات السابقة، فضلاً عن مجموعها. وبخاصة المسلمين الذين قام البرهان لديهم بأن المهدي (ع) يطبق أطروحته العادلة الكاملة متشكلة في أحكام دينهم الخفيف.

وأما المسلم الامامي الذي يعلم بأن قائده معاصر معه، يراقب أفعاله ويعرف أقواله، ويأسف لسوء تصرفه... فهو مضافاً إلى وجوب اعداد نفسه لليوم الموعود، يجب أن يكون على مستوى المسؤولية في حاضره أيضاً، وفي كل أيام حياته، لكي لا يكون عاصياً لقائده متمرداً على تعاليمه وهذا الاحساس نفسه، يسرع بالفرد إلى النتيجة المطلوبة، وهو النجاح في التمحيص، والاعداد لليوم الموعود.

وإذا كان الفرد على هذا المستوى الرفيع، استطاع أن يبرز الخير، على مستويات أربعة.

### المستوى الأول:

إحراز الخير لنفسه في دنياه وآخرته. أما في آخرته، فباعتبار رضا الله عز وجل. وأما في دنياه، فباعتبار أمرين: أحدهما: السلوك العادل الذي يتحده الفرد والمعاملة الصالحة والعلاقات الجيدة التي يعامل بها الآخرين وثانيهما. أنه يصح



على مستوى المسؤولية لتحمل مواجهة القيادة في اليوم الموعود، إذا بزغ فجره.  
المستوى الثاني:

إحراز الخير لأمته، باعتبار أنه إذ يعد نفسه الأعداد الصالح، فإنه يشارك في  
تهيئة شرط اليوم الموعود، بمقدار تكليمه وقدرته، فيكون قد تسبب إلى الخير كل  
الخير لأمته.  
المستوى الثالث:

إحراز الخير، لأمته فحسب، بل للشريعة جمعاء. فإن الخير الناتج من إيجاد  
شرط الظهور، عام لكل البشر، والمشاركة في إيجاد مشاركة في إيجاد العدل الكامل  
السائد في اليوم الموعود.  
وهذه المستويات الثلاثة، مما تقتضيه العقائد الإسلامية العامة المشتركة بين  
سائر المذاهب. . بل مما يقتضيه الاعتراف باليوم الموعود، في أي دين من  
الأديان.

المستوى الرابع:

إن الفرد بمساهمته في إيجاد شرط الظهور، يساهم في إرساء إمامه المهدي (ع)  
وجلب الراحة إليه. . بالنسبة إلى الشعور بزيادة المؤمنين وقلة العاصين،  
والمشاركة الحقيقية في الإعداد للمهدف الكبير.  
وهذا المستوى خاص بالأطروحة الامامية لفهم المهدي (ع).  
فهذه هي الجهات الأساسية التي يجب أن يتخذها الفرد، لكي يكون على  
المستوى الإسلامي المطلوب للانتظار.



المنقطة الثالثة.

في حث فكرة المهدي (ع) على العمل.

اتضح مما ذكرناه في النقطتين السابقتين، وغيرهما، ما هو الحق في الجواب على  
الشبهة القائلة: بأن انتظار الإمام المهدي (ع) سبب للتكامل عن الإصلاح وترك

العمل الاجتماعي، وعدم معارضة الظلم والظالمين، اعتماداً على اليوم الموعود والأصلاح المشهود.

أو انطلاقاً من الاعتقاد بأن المهدي (ع) لا يظهر حتى تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً، إذن فيجب توفير الظلم والحدود وترك العمل استعجالاً لظهور المهدي (ع).

ويتم النظر في جواب هذه الشبهة على مستويات ثلاثة، باعتبار أن الأوساط التي تمر هذه العكرة بين ظهرانيهم على ثلاثة أقسام رئيسية، تتخذ عند كل واحد منهم طابعاً معيناً، ونتيجة خاصة تختلف عن الآخرين

المستوى الأول:

أوساط المنكرين للمهدي (ع) على الأساس المادي، أو ما يمت إليه بصلة. أولئك الذين لا يحدون دليلاً على مدعاهم إلا بمجرد الاستعداد والتشكيك، فهم يحاولون أن يقنعوا أنفسهم بما يدعون ولعلمهم يستطيعون إبعاد المهديين عن مهدويتهم وتشكيكهم في معتقدتهم!!.

وليت شعري: أن المادية سبق أن قالت: بأن الدين أفيون الشعوب ومخدرها. فكيف بالاعتقاد بالمهدي الذي هو بعض فروعه.

وقد أجاب الأهلون: - ومعهم الحق - بأن الدين كان ولا يزال أساس الثورات والمعارضات والمطالبة بإقامة الحق والعدل على مدى التاريخ، وأكرم مشير للمواطن الإنسانية على طول الخط. وبظرة واحدة إلى تاريخ البشرية مع شيء من الموضوعية والتجرد ثبت ذلك. وقد قلنا وسبقول في العقيدة المهدوية مثل ذلك على ما سيأتي عن قريب.

المستوى الثاني:

أوساط المؤمنين بالمهدي (ع) الذين يتصفون بصفتين مهمتين:

الأولى: التقاعس عن العمل أساساً، وتقديم المصلحة الخاصة على المصالح العامة عموماً.

الثانية: إن المعايير الإسلامية تنطبق في أذهانهم بشكل ناقص وخاطيء، بشكل تصلح تبريراً للواقع العاسف، أكثر من أي شيء آخر.

وتنتقل الشبهة في هذه الأوساط من الاعتقاد الذي ذكرناه بأن المهدي (ع) لا يظهر حتى غثلى الأرض جوراً وظلماً، كما ورد في الحديث المتواتر عن النبي (ص)، إذن يفهمون من ذلك: أنه يجب توفير الظلم والحرور، وترك العمل ضده، استعجالاً لظهور المهدي (ع).

### المستوى الثالث:

مستوى الأوساط التي تعتقد بأن العمل الاسلامي ضد الظلم والظالمين، غير مؤثر بأي حال.

وهؤلاء هم اليائسون الذين سيطرت هيبة الانحراف وهيمنة الظلم السائد في البشرية على نفوسهم، فاعتقدوا بعدم جدوى أي شيء من الاصلاح أو الأمر بالمعروف في هذا المجتمع الفاسد. ومن ثم اضطروا إلى السكون وترك العمل، انتظاراً لظهور المهدي (ع) ليكون هو الرائد الأول في اصلاح العالم.

فهذه هي أهم الشبه التي تعيش في أذهان بعض المستويات، ويمكن أن نعتمد على معارفنا السابقة في مناقشة هذه الأفكار. وذلك انطلاقاً من وجوه ثلاثة:

### الوجه الأول:

إن مشاركة الفرد والمجتمع في إيجاد شرط الظهور، لا يكون إلا بالعمل الجاد المنتج لرفع درجة الاحلاص والشعور بالمسؤولية، ليكون في إمكان المحصلين المشاركة في مهام هداية العالم عند الظهور.

وقد عرفنا كيف وقع ذلك كقصية رئيسية في التخطيط الالهي لليوم الموعود، وإن عصر التمحيص والاحتسار في ظروف العالم والانحراف، هو العنصر الأكبر في إيجاده.

### الوجه الثاني:

ما عرفناه من أنه يجب على الفرد أن يجعل نفسه على مستوى رضاء الامام المهدي (ع) قبل ظهوره وبعده. ولن يكون كذلك إلا إذا كان متمثلاً للأحكام الاسلامية بدقة، سواء ما كان منها على المستوى الشخصي أو على المستوى الاجتماعي. ولن يحرز رضاء الامام بطبيعة الحال، بالافتقار إلى الحجاب

الشخصي من أحكام الاسلام، لأن في ذلك عصياً للأحكام الاجتماعية والاصلاحية. وهو ما لا يرضاه الله تعالى ولا رسوله ولا المهدي.

إذن فالاعتقاد بوجود القائد الرائد، باعث أي باعث على العمل الاجتماعي والاصلاحي. ولا يكاد يوجد هذا الباعث بدون هذا الاعتقاد إلا بشكل ضئيل. وأما انصرف عموم الناس عن العمل نتيجة لتأسيهم قائدهم وتعافلهم عن مسؤولياتهم تجاهه.

الوجه الثالث:

أنا لو غضضنا النظر - جدلاً - عن الوجهين السابقين، وفرضنا أن الاعتقاد بوجود المهدي (ع) ليس له أي أثر في الحث على العمل الاجتماعي الشرع فهو - على أي حال - ليس موجباً للمسح عنه والحث على تركه. فلو وجد هناك دافع آخر للعمل، أمكن أن يؤثر أثره بكل وضوح، ويعمل عمله في العقول والقلوب المحلصة.

والسر في ذلك واضح على الصعيد الاسلامي، كل الوضوح. باعتبار أن الأحكام الاسلامية الموجودة في الكتاب والسنة، كانت ولا زالت معروفة وسارية المفعول، ولا زال الناس مسؤولين عن تطبيقها وامتثالها بكل تفاصيلها. ومن الواضح أن الاعتقاد بوجود المهدي (ع) لا يرفعها ولا يخصصها لضرورة الدين واجماع المسلمين. وليس على الفرد المسلم الذي يريد الاطاعة والامتثال، إلا أن يراجع الأحكام الاسلامية ليعرف ما فيها من جوانب شخصية وجوانب عامة... لكي يطبقها على حياته الخاصة والعامة، ويأشر العمل الاجتماعي العام طبقاً للتكليف الاسلامي بالجهاد أو الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر أو مكافحة الظلم. وهذا لا يتنافى بحال، عمل الفرد على صعيد عام، تارة أرى فيها بعد الظهور، لو حدث اليوم الموعود خلال حياته.

وأما الفرد الذي يسير في طريق الانحراف، ويبيع دينه بدنياه، ويقدم مصلحته الخاصة وشهوته على كل اعتبار، فهو من الطبيعي أن لا يكون الاعتقاد بالمهدي (ع) دافعاً له على العمل، بعد أن لم يكن الاعتقاد بالاسلام نفسه دافعاً له. وهذا تقصير في الفرد وليس قصوراً في الفكرة كما هو واضح.



وأود أن أشير في هذا الصدد إلى ملاحظات ثلاث، لعلها تلقي بعض الضوء على أهمية العمل الاسلامي، في عصر ما قبل الطهور الملاحظة الأولى:

أما برهنا خلال عرضنا للتخطيط الإلهي. أن ما يرفع درجة الاخلاص في الأمة ويوجد شرط الظهور، هو العمل ضد الظلم فعلاً. ومعه ينبغي أن يمر الفرد فعلاً في ظروف الظلم والاسحراف، لكي يعمل ضده، حتى يتصاعد إخلاصه وتقوى إرادته.

ومن هنا نعرف أن الفرد الذي يهرب نفسه من ظروف الظلم، أو أن المجتمع الذي يعيش في الرفاه النسبي بعيداً عن هذه الظروف. فإنه لن يعمل ولن يستطيع الوصول إلى حد الوعي والاخلاص المطلوب. ولو وصل إلى شيء، فإنما يصل إليه ببطء شديد، ويكون ضعلاً وقليلًا.

كما أن الأمة إذا شاع بين طهراتها الظلم والتعسف، وكانت راضية به مستخدبة تجاهه، لا يوجد العمل فيها ضده، ولا التفكير لرفعه أو التخفيف منه. إذن فسوف تكون أمة حائرة يتسافل إخلاصها ويسمحي شعورها بالمسؤولية، وتحتاج في ولادة ذلك عندها من جديد إلى زمان مصاعف ودهر طويل ﴿وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾<sup>(١)</sup>. وليت شعري كيف يكون هؤلاء على مستوى إصلاح البشرية كلها في اليوم الموعود، وهم قاصرون عن إصلاح مجتمعاتهم الصغير!!

إذن فالتفكير الحدي والعمل هو الأساس لتصعيد درجة الاخلاص والشعور بالمسؤولية والمران على الصمود والتضحية هو الشرط الأساسي لتكفل مهمة اليوم الموعود. فمن السخف ما قيل: بأن الاعتقاد بوجود المهدي (ع) دافع على الاستحذاء وترك العمل.

الملاحظة الثانية:

إن تصعيد درجة الاخلاص، قد يكون قائماً على أساس الاضطراب وقد يكون الاختيار.

أما قيامه على أساس الاضطراب<sup>(١)</sup>، فهو الأمر العام الذي يقتضيه التمحيص  
الالهي، بشكل رئيسي فإن الأفراد في حيزهم لذاتهم وتمصيلهم للراحة، لا  
يميلون - عادة - إلى العمل الاجتماعي العام، لما فيه من شعور بالجهد والمسؤولية.  
ومن ثم فهم لا يطلقون نحو إلا تحت وطأة من الاضطراب والشعور بالضغط  
والاحراج. ومن ثم كان لا بد في حملهم على العمل العام من إيكالهم إلى الظروف  
الصعبة الظالمة. ومن ثم انعقد التخطيط الإلهي على حل الأمة على العمل  
الاضطراري هذا المعنى، لأجل تحقيق مصالحها الكبرى في يوم الظهور.

وأما قيام الاحلاص والوعي على أساس الاحتيار، فاندفاع المكلف إلى  
العمل أزيد من مقدار الاضطراب والاحراج، بمجرد شعوره بالمطلوبة الإسلامية  
له، الراماً أو استجاباً. . . بأن يكون على الدوام معارضاً للطغمة داعياً إلى الحق،  
هادياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة

صحيح، ان الاندفاع إلى ذلك، يحتاج إلى درجة كبيرة من الوعي والاحلاص  
وقوة الإرادة، لا يتوفر إلا للقليل . . . إلا أنه - على أي حال - ليس هو المستوى  
المطلوب توفره في المشاركة في قيادة العالم كله في يوم الظهور. وإنما يكون العمل  
الاختياري أو ما نسميه بالتمحيص الاختياري مضافاً إلى التمحيص الاضطرابي،  
سبباً لإيجاد مثل هذا المستوى الرفيع.

ومن الواضح ما لهذا التمحيص الاختياري، من أثر بليغ في التصعيد  
السريع، بشكل أعظم بكثير مما ينتجه التمحيص الاضطرابي. . . وفي التعجيل  
بإيجاد شرط الظهور، بمقدار ما تقتضيه الظروف الثقافية والفكرية التي يعيشها  
الفكر الإسلامي، في أي عصر.

إذن، مما قيمة هذه الشبهة التي تقول بأن الاعتقاد بالمهدي (ع) يمنع عن  
العمل الاجتماعي الاصلاحى، وقد في خلقه شؤون.

(١) لا ينبغي الخلط بين الاضطراب وبين الاكراه. فان الاضطراب يمثل حليمة شديدة مع انحصار الارادة معها، كمن  
يبيع داره من أجل دين كبير عليه. والاكراه لا تحفظ معه إرادة كمن باع داره تحت وطأة التهديد بالقتل، أو  
تحت الضرب الشديد مثلاً. ولكل منهما «اختيار» يقابله.

في فهم الحديث النبوي .

أننا بعد أن عرفنا التخطيط الإلهي لليوم الموعود، نستطيع أن نفهم قوله (ص): «مملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

فالظلم والجور، في عصر ما قبل الطهور، جزء من هذا التخطيط، لإيجاد الشرط الثاني للطهور، وهو توفير قوة الإرادة والاخلاص في الأمة بشكل عام وقد عرفنا أن هذا يحدث في نسبة ضئيلة من البشر، ويكون الباقي على مستوى الانحراف والفساد.

إذن، فالأرض تمتلئ ظلماً وجوراً، لكن لا بالجبر والاكراه، من قبل الله تعالى أو من غيره، وإنما باعتبار انصراف الأعم الاعلى من الناس إلى مصالحهم واندحارهم تجاه تيار الخوف والاغراء. وهو لا ينافي توفر شرط الطهور وترسخه في الناس، متشكلاً في تلك النسبة الضئيلة عدداً الضخمة أهمية وإيماناً وإرادة.

وامتلاء الأرض ظلماً، أمر خارج عن اختيار الفرد بوجوده الشخصي، وإنما هو ناتج عن الطبيعة البشرية بشكل عام، المتورفة في المجتمع الناقص. ويكون تكليف الفرد إسلامياً متحصراً شرعاً في تصميد درجة إخلاصه وقوة إرادته، عن طريق مكافحة الظلم والعمل على كفكفته ورفعته. لكي يتوفر تدريجاً شرط الطهور.

وليت شعري، إن شرط الطهور، هو هذا المستوى الإيماني، وليس هو كثرة الظلم وامتلاء الأرض جوراً، كما يريد البعض أن يفكروا. لوضوح أن الأرض لو امتلأت تماماً بالظلم وانعدم منها عنصر الإيمان، لما أمكن إصلاحها عن طريق القيادة العامة. بل يكون منحصراً بالمعجزة التي برهنا على عدم وقوعها، أو إرسال نبوة جديدة، وهو خلاف ضرورة الدين من أنه لا نبي بعد رسول الإسلام.

وإنما تتضمن فكرة اليوم الموعود، سيطرة الإيمان على الكفر، بعد سيطرة الكفر على الإيمان... مع وجود كلا الجانبين. وهو قول الله تعالى بالنسبة إلى المؤمنين: «ليستخلفهم في الأرض وليبدلهم من بعد خوفهم أمناً» وقوله (ص): «مملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً».

## التقطعة الرابعة :

للبحث عن الانتظار - : في اختلاف مفهومه باختلاف عصور الدعوة الالهية .  
سبق أن برهنا أن إيجاد اليوم الموعود، هو الغرض الأساسي من إيجاد  
الشرية . . . وقد خطط الله تعالى لإيجاده منذ فجر الخليفة، ولا زال هذا التخطيط  
سارياً إلى حين تحقق نتيجته النهائية وغرضه الأصيل .

وقد كان انتظار البشرية لليوم الموعود، موجوداً، منذ ملع الأنبياء السابقون  
عليهم السلام البشرية عن وجوده . . . إلا أن الانتظار اكتسب صيغاً متعددة تتعدد  
أزمة تطور البشرية نحو ذلك الغد المنشود . فإن البشرية قد مرت - بهذا  
الاعتبار - بأربعة عهود أو مراحل .

### المرحلة الأولى :

فترة ما قبل الاسلام . وقد كان الناس خلالها يهتمون من كل شيء يلغهم عن  
اليوم الموعود، أمرين مقترنين : أولهما : الإهمال من التاريخ وإيكاله إلى إرادة الله  
تعالى محضاً . وثانيهما : أن هذا النبي الذي يلغهم عنه، ليس هو القائد المدخور  
هذه المهمة، وإنما سيوجد في المستقبل البعيد شخص آخر يكون مضطرباً بها،  
وقائداً للبشرية من خلالها .

إذن، فالانتظار لم يكن حاملاً لنفس المهوم الذي يحمله في عصر العية  
الكبرى . . . فبينما نرى أن صيغته الأخيرة هي : توقع حدوث اليوم الموعود في كل  
حين، على ما سبق . . . نرى أن صيغته يومئذ كانت تتضمن عدم عدم حدوثه  
السريع، والاكتفاء بالاعتقاد بأن هذا مما سيحدث جزماً في المستقبل البعيد .

والناس في تلك العهود، وإن لم يكونوا ملتفتين إلى سر ذلك، إلا أننا عرفنا  
باطلا على تفاصيل التخطيط الإلهي . حيث عرفنا أن كلا شرطي اليوم الموعود،  
لم يكونا متوفرين في تلك الفترة . فلم تكن البشرية على مستوى فهم الأطروحة  
العادلة الكاملة من ناحية، ولم تكن على مستوى الاخلاص وقوة الارادة المطلوب  
توفرهما في قيادة اليوم الموعود .

### المرحلة الثانية :

فترة ما بعد الإسلام إلى بدء الغيبة الصغرى . . . حيث كانت الشرية قد



تلقت عن الله عز وجل أطروحته العادلة الكاملة. وبذلك توفر أحد الشرطين السابقين.

إلا أن معنى الانتظار لم يكن يختلف - مع ذلك - اختلافاً جوهرياً عما سبق. بمعنى أن الأمل في ذلك الحين لم يكن معقداً على حدوث اليوم الموعود بغتة وفي أي وقت بل كان المفهوم هو تحقيقه في المستقبل البعيد أيضاً غاية الفرق عن المرحلة السابقة، هو إحراز المسلمين: أن اليوم الموعود سوف يكون طبقاً لأطروحتهم ودينهم، دون غيره.

وهذا واضح جداً، لو لاحظنا طرق التبليغ عن ذلك اليوم من قبل النبي (ص) والأئمة المعصومين (ع) بعده. أما بالنسبة إلى النبي (ص) فيكفينا أخباراته عن المهدي (ع) وأنه من ولده وعترته وأنه من ذرية فاطمة عليها السلام، وأنه يوجد فيملاً الأرض قطعاً وعدلاً، وأنه من ولد الحسين (ع) وإن صفته كذا وكذا. . . إذن فقائد اليوم الموعود ليس هو شخص النبي (ص)، ولن يقوم النبي (ص) بهذه المهمة الكبرى، خلال حياته. كما عرفنا فلسفة ذلك فيما سبق. إذن فالانتظار في عهد النبي (ص) كان مقترناً باليقين بعدم حدوثه الفوري في ذلك الحين.

وسبق الانتظار في عصر الأئمة عليهم السلام، حاملاً لنفس هذا المفهوم. ويمكن أن نستعيد ذلك من عدة أشكال من الأحاديث التي كانوا عليها السلام يعلون بها فكرة المهدي (ع) أمام الناس.

كقولهم (ع) أن المهدي هو السابع من ولد الخامس منهم<sup>(١)</sup> أو قول الإمام الباقر عليه السلام: والله ما أنا بصاحبكم. قال الراوي: فمن صاحبنا؟ قال: انظروا من تحقّى على الناس ولادته فهو صاحبكم<sup>(٢)</sup>. فهو إدا يتبي عن نفسه أنه المهدي (ع) تعرف أن اليوم الموعود لن يتحقق ما دام في الحياة على أقل تقدير وكقولهم: كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى ولا علم، يبرأ بعضكم من

(١) أنظر مثلاً منتخب الآثار ص ٢١٢

(٢) أنظر اكمال الدين المصنوع.

بعض . . الحديث (١). إذن فما دام أئمة المهدي عليهم السلام معروفين ومتصلين بالناس، فالمهدي غير موجود، ومن ثم فهو لن يقوم بالسيف لإبجار اليوم الموعود.

وكذلك إذا لاحظنا أخبار التمحيص، التي تنفي الظهور قبل مرور الناس بهذا القانون. كقوله (ع): إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد يأس ولا والله حتى تميزوا. ولا والله حتى تمحصوا، ولا والله لا يأتيكم حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد وقد سبق. إذن فالיום الموعود لن يتحقق ما دام الناس غير محصين.

وكذلك إذا لاحظنا الأخبار الدالة على حدوث علامات الظهور، مما لم يتحقق في عصر الأئمة (ع) السابقين، كالصبحة والخف، وغيرها مما سيأتي. فانه ما لم توجد هذه العلامات، لا يظهر المهدي (ع)، على ما سوف نوضحه في القسم الثالث من هذا التاريخ.

إذن، فالمسلمون في زمن السي (ص) والأئمة (ع) لم يكونوا ينتظرون ظهور المهدي (ع) على الفور، وإن كانوا قد بلغوا بشكل أكيد وشديد عن ظهوره في مستقبل الزمان.

أقول: هذا من الناحية النظرية صحيح. إلا أننا نجد من الناحية العملية، أن هذه الفكرة صادقة في زمن السي (ص) وأما في زمن الأئمة (ع)، فلا تخلو هذه الفكرة من اشكال.

فإننا نجد أن توقع ظهور المهدي (ع) في ذلك الزمن كان كبيراً. سواء في ذلك القواعد الشعبية الامامية، أو غيرهم. أما غير الاماميين فواضح طبقاً لفهمهم لفكرة المهدي (ع). إذ أن ولادته وقيامه بدولة الحق، يمكن بعد السي (ص) مباشرة فصاعداً.

وأما الاماميون، فقد دلت الأخبار على وجود هذا التوقع فيهم. . . بما فيها أخبار التمحيص نفسها حيث يقول الإمام (ع) فيها. إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد يأس. . . أو يقول:

هيهات هيهات. . . لا يكون الذي تحملون إليه أعناقكم حتى تمحصوا (٢).

(١) نفس المصدر

(٢) أنظر حية النعمان ص ١١١.

وروي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ما تستعجلون بخروج القائم، فوالله ما لاسه إلا الغليظ ولا طعامه إلا الجشب. . الحديث<sup>(١)</sup>.

وروي عن إبراهيم بن هليل قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك، مات أبي على هذا الأمر، وقد بلغت من السنين ما قد ترى. أموت ولا تحبني بشيء؟ فقال: يا أبا إسحاق، أنت تعجل! فقلت: أي والله أعجل وما لي لا أعجل، وقد بلغت من السن ما قد ترى؟ فقال: يا أبا إسحاق ما يكون ذلك حتى تميزوا وتمحصوا وحتى لا يبقى فيكم إلا الأقل. . . الحديث<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأخبار واضحة جداً في التوقع والانتظار الفوري، حتى أن أبا إسحاق لم يتصور أن يكبر منه ولما يظهر المهدي بعد.

وكذلك إذا نظرنا إلى الأخبار الدالة على وجود توقعات من الأئمة (ع) بأشخاصهم بأن يقوموا بدور المهدي (ع). كالخبر السابق عن الإمام الباقر (ع): والله ما أنا بصاحبكم. . . الحديث. وما روي عن حران بن أعين قال سألت أبا جعفر (ع) فقلت له: أنت القائم؟ . . . الحديث<sup>(٣)</sup>. وفي حديث آخر عنه قال قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: جعلت فداك أي قد دخلت المدينة وفي حقوقي همين فيه ألف دينار، وقد أعطيت الله عهداً أن أضعها ببابك ديناراً ديناراً أو تحبني فيها أسألك عنه. فقال: يا حران سل نجب ولا تبعض دنانيرك. فقلت: سألتك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله، أنت صاحب هذا الأمر والقائم به. قال: لا. قلت: فمن هو بابي أنت وأمي. فقال: ذاك المشرب حمرة. . . الحديث<sup>(٤)</sup>. وفي حديث آخر<sup>(٥)</sup> عن الريان بن الصلت قال: قلت للرضا عليه السلام: أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: أنا صاحب هذا الأمر ولكنني لست بالذي أملؤها عدلاً كما ملئت جوراً. وكيف أكون ذلك على ما ترى من ضعف مدني. وإن القائم هو الذي إذا حرح كان في سن الشيوخ ومنظر الشبان. . . الحديث

(١) غيبة النعماني ص ١٢٢

(٢) نفس المصدر ص ١١١

(٣) غيبة النعماني ص ١١٥

(٤) المصدر ص ١١٤ - ١١٥

(٥) اعلام الوری ص ٤٠٧

إلى أحاديث أخرى من هذا القبيل.

وكذلك إذا نظرنا إلى الخبر القائل . سئل أبو عبد الله عليه السلام : هل ولد القائم ؟ فقال : لا . ولو أدركته لخدمته أيام حياتي<sup>(١)</sup>.

إذا نظرنا إلى هذه الآثار، نجد مفهوم الانتظار، ومزيد الاهتمام بظهور المهدي (ع) . . ناشئاً من سبب رئيسي واحد، وهو إسهام فكرة المهدي في أذهانهم والجهل بتفاصيلها، حتى أن حمران بن أعين والريان بن صلت، وهما من أجلة أصحاب الأئمة (ع) كانا لا يزالان لا يعرفان من هو القائم على التعيين، وقد مضى من صدر الإسلام أكثر من مئة سنة.

وقد كانت لهذه الأحاديث وغيرها مما صدر من الإيضاحات والتفاصيل عن هذه المكرة، من الأئمة المعصومين عليهم السلام، أكبر الأثر في جلاء المكرة لدى قواعدهم الشعبية وارتفاع إيمانها تدريجياً، حتى أسا يرى الآن بوضوح طبقاً للتخطيط الإلهي أنه لم يكن بالامكان القيام بدور المهدي (ع) في ذلك العصر، لعدم توفر أحد شرائط الظهور. ومن ثم لم يكن المهدي (ع) مولوداً، ولم يكن أحد من الأئمة السابقين هو المهدي القائم بالأمر بأي حال.

وقد كان لهذا الإيهام، في غير الأوساط الامامية، أثراً سيئاً أحياناً، إذ فسح المجال للعديد من أن يستعملوا تبشير النبي (ص) بالمهدي (ع) فيدعون المهدوية لأنفسهم. ولا نسي بهذا الصدد أن الرشيد العباسي لقب ولده بالمهدي، عسى أن يتوهم الناس أنه المهدي المنتظر.

وقد سمعنا في تاريخ الغيبة الصغرى<sup>(٢)</sup>، كيف أن جماعة القرامطة في الشرق الأدنى وجمعاً غفيراً في الشمال الأفريقي قد آمنوا بمهدوية محمد بن عبيد الله العلوي جد الفاطميين، الذين حكموا مصر بعد ذلك.

### المرحلة الثالثة :

- لعصور الانتظار - : عصر الغيبة الصغرى، لمن يؤمن بها، وهم القواعد الشعبية الامامية.

(١) المصدر ص ١٦٩

(٢) أنظر ص ٣٥٣ وما بعدها

وفيها - كما عرفنا في تاريخها - كان الإمام المهدي (ع) موجوداً يقود قواعده الشعبية في الخفاء . ولا شك أن الناس كانوا ينتظرون ظهوره في أي وقت . باعتبار ما يحسونه من ظلم ومطاردة وتعسف من قبل الحاكمين . وهم يعلمون علم اليقين بوجوده وإطلاعه على الأوضاع الشاذة التي يعيشها المجتمع ، ويعلمون أنه المذخور لارالة الظلم من العالم كله عاملين - بطبيعة الحال - عن اقتضاء التخطيط الإلهي تأجيل ذلك ، لعدم تومر أحد شرائط اليوم الموعود

ولو دققنا النظر، لم نجد في رفع هذا الحو الفكري من الناس، مصلحة . بل كانت المصلحة تقتضي إيكالهم إلى انتظارهم التلقائي الارتكازي ، وعدم التعرض إلى تصحيحه أو تكذيبه . لأنه على أي حال ، يزيد من الربط العاطفي للقواعد الشعبية المهدوية ، بإمامها وقائدها . لوضوح أن الأمل فيه كلما كان أقوى كان هذا الارتباط أبلغ وأكبر .

بل أن هناك من الأخبار ما يدل على أن الإمام المهدي (ع) نفسه كان يذكي هذه العاطفة ويؤكد قرب الظهور . وقد ذكرناها في تاريخ الغيبة الصغرى ، وناقشناها<sup>(١)</sup> .

وقد يخطر في الذهن : أنه كان يمكن للناس في تلك الفترة ، أن يطلعوا على الأخبار الدالة على توقف ظهور المهدي (ع) على التمحيص ، أو الأخبار الدالة على حدوث علامات الظهور . . . لكي يعرفوا أن الظهور لم يكن ليقع في تلك الفترة ، بعد وضح أن التمحيص لم يكن حاصلًا ، والعلامات لم تكن حادثة .

ويمكن أن يناقش ذلك بعدة أحوية ، أوضحها : أن الفرد الاعتيادي يحتمل تحقق التمحيص المطلوب ، في عصره ، كما يحتمل حدوث علامات الظهور في المستقبل القريب . ومن ثم يحتمل أنه لم يبق بينه وبين الظهور إلا زمن قصير . وهذا الاحتمال كاف في إذكاء أوار الجو النفسي والمكري للانتظار .

المرحلة الرابعة :

فترة الغيبة الكبرى ، التي لا زلنا نعيشها .

وقد قلنا أن الانتظار فيها يحمل معنى توقع الظهور ، وقيام اليوم الموعود في أي

(١) انظر من ٥٨٤ وما بعدها .

وقت وفي كل يوم. لكونه موطناً بإرادة الله تعالى لا غير. كما ورد في بيان المهدي (ع) الذي أعلن به انتهاء السفارة وبدء الغيبة الكبرى، حيث قال: فلا ظهور إلا بإذن الله تعالى ذكره<sup>(١)</sup>. ولما ورد من أن يوم الطهور يحدث فجأة أو بفترة، كما سمعنا من مكاتبة المهدي (ع) للشيخ المصيد وغيرها من الروايات التي سوف نذكرها.

نعم يمكن أن نلاحظ أنه في فترة بدء الغيبة الكبرى، كان هناك من الدلائل على عدم هورية الطهور، حيث نسمع من بيان انتهاء السفارة نفسه قوله عليه السلام: فقد وقعت الغيبة الثامنة، فلا ظهور إلا بإذن الله تعالى ذكره. وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب... الحديث<sup>(٢)</sup>. وطول الأمد يستدعي مصي عدة سنوات، بل عدة عشرات، لا يد من انتظار انتهائها، قل توقع الطهور الموري.

إلا أن مفهوم طول الأمد، يختلف باختلاف تصور الأفراد، ومقدار وعيهم العقلي والثقافي والإيماني. فقد لا يحتاج حين يسمعه الفرد العادي لأول مرة أكثر من عدة سنوات، وبخاصة مع إباطة الطهور بإذن الله تعالى مع ما يراه الفرد من قسوة القلوب فعلاً وامتلاء الأرض جوراً. فكان في الامكان - بحسب الحو النفسي السائد يومئذ - أن يبدأ مفهوم الانتظار الموري بعد عدة سنوات من تاريخ هذا البيان ولم يكن أهل ذلك العصر بحاجة إلى أن يدركوا أن المراد من طول الأمد ما يزيد على الألف عام بقليل أو بكثير، كما نذكره الآن.

فإن قال قائل: إن الانتظار للطهور الفوري، ينافي ما جعل من علامات وشرائط لليوم الموعود، فإنه لا يكون إلا عند حصول تلك الأمور. فالانتظار للطهور الموري إنما يصح بعد حصولها، وأما قبل ذلك فيسمى أن يعود مفهوم الانتظار إلى الشكل الذي قلناه في صدر الاسلام من العلم بحصول اليوم الموعود مع اليقين بعدم الطهور الموري.

وهذا الاشكال مشابه لما أوردها في المرحلة الثالثة: عصر الغيبة الصغرى. وجوابه نفس الجواب، وملخصه: ان العلامات يحتمل وقوعها في أي وقت ويحتمل

(١) أنظر تاريخ المعية الصغرى ص ٦٣٤، وعنه الشيخ الطوسي ص ٢٤٣

(٢) نفس المصدرين والصحة

أن يتبعها ظهور المهدي (ع) برمان قصير. وأما شرائط الظهور، فيحتمل اكتمالها ونجازها في أي وقت أيضاً. وقلنا بأن وجود هذا الاحتمال في نفس الفرد كاف في إيجاد الجو النفسي للانتظار الفوري.

فإن قال قائل: بأن ما عرفناه شرطاً رئيسياً للظهور، مما هو غير متحقق لحد الآن، هو حصول التمهيص والامتحان للناس، ونحن نجد بالوجدان أن عدداً كبيراً من الناس إن لم يكن جميعهم أو أكثرهم، غير محصين، ولا تصل نتائج اختباراتهم إلى نهايتها.

قلنا. أنه يمكن الجواب على ذلك بوجهين.

### الوجه الأول.

إن هذا الكلام يتضمن جهلاً بمعنى التمهيص والاختبار، فإن المراد منه ليس هو تمهيص الأفراد كأفراد خلال أعمارهم القصيرة، لكي نتوقع أن يصل كل فرد خلال حياته إلى النتائج النهائية للتمهيص.

بل المراد تمهيص الأمة أو البشرية في أمد طويل، بشكل متتابع لتمهيص الأفراد، في نهاية المطاف. ويتم ذلك عن طريق ما سمي به «قانون الترابط بين الأجيال» فإن كل جيل سابق يوصل ما يحمله من مستوى فكري وثقافي إلى الجيل الذي يليه. ويكون على الجيل الآخر، أن يأخذ بهذا المستوى قدماً إلى الامام. ثم أنه يعطي نتائجها إلى الجيل الذي بعده وهكذا...

وكذلك الحال بالنسبة إلى نتائج التمهيص، فإن كل جيل يوصل إلى الجيل الذي يليه، ما يحمله من مستوى في الإيمان والاخلاص... فيصبح الجيل الجديد، قد وصل بالتلقي إلى نفس الدرجة - تقريباً - من التمهيص التي وصلها الجيل السابق. ثم أن الجيل الآخر بدوره سيمر بتجارب وسيقوم بأعمال معينة وسيصادف ظروف الظلم والاغراء، فيتقدم في سلم التمهيص درجة أخرى، وهكذا.

ويقانون تلام الأجيال، سيأتي على الأمة زمان، يكون الجيل الذي فيها، قد انتج التمهيص الإلهي فيه نتيجة المطلوبة. حيث يتقسم المجتمع إلى قسمين منفصلين: إلى من فشل في التمهيص فاختار طريق الضلال محضاً. وهم الأكثر

الذين يملأون الأرض جوراً وظلماً... وإلى من نجح فيه فاحتار طريق الهداية والاخلاص محصاً وبوجود هذه المجموعة يتحقق شرط الظهور.

إذن، فكيف يمكن أن ندعي العلم بعلم تمحيص أكثر الناس، كما قلناه في السؤال. مع أن النتيجة المطلوبة حاصلة في الأعم الأغلب منهم. وهذا واضح بالنسبة إلى كل البشر الكفرة والمحرفين، فإن التمحيص قد انتج تطرفهم إلى جهة الضلال. كما أنه واضح بالنسبة إلى عدد من المؤمنين المخلصين، حيث تطرفوا إلى جهة الهدى والإيمان. وهذه هي نتيجة التمحيص.

نعم، قد تتعلق الإرادة الإلهية، بتأكيد التمحيص وتشديده أكثر مما هو عليه الآن، متوجهة تعميق اخلاص المخلصين، لكي يكونوا بحق على المستوى المطلوب لقيادة العالم في اليوم الموعود.

وعلى أي حال، فيبقى شرط الظهور محتمل الانجرار في أي وقت، فلا يكون منافياً مع مفهوم الانتظار القوي.

الوجه الثاني: إن التمحيص الدقيق المأخوذ في التخطيط الإلهي، لا يجب أن ينتج نتيجة واضحة فعلية كاملة، بالنسبة إلى كل البشر وإنما اللازم هو أن يصل إلى هدفه، وهو إيجاد شرط الظهور.

بيان ذلك: أن التمحيص يكون على مستويين.

المستوى الأول:

ما يكون من موقف كل فرد تجاه مصالحه وشهواته. وهذا التمحيص موجود بوجود البشرية ووجود مفاهيم الحق والعدل المعلنة بين الناس. ولا ينقطع إلا بانتهاء البشرية لا يختلف في ذلك عصر العية عن عصر الظهور. فإن عصر الظهور ينتج إيضاح الحق وسيطرته على العالم ولكنه لا يقوم بتعديل الغرائز والشهوات.

المستوى الثاني: ما يكون من موقف الفرد تجاه تيارات الظلم واصطهاد الظالمين. وهو تمحيص خاص بما قبل الظهور، لعدم وجود الظلم والظالمين بعده. وهذا هو العنصر المهم الذي أسسه التخطيط الإلهي لتحقيق شرط الظهور.

وشروط الظهور لو كان هو حصول النتيجة في كل الشر، لكان حصولها



صورياً قبل الظهور، كما قال السائل . . . ولكن شرط الظهور ليس بهذه السعة، وإنما هو حصول عدد من ذوي الاخلاص القوي والارادة الماضية، بمقدار كاف لغزو العالم والسيطرة على الشرية بالطروحة الحق.

وحينما يحصل هذا المقدار من الناس، تكون نتيجة التمهيع الكاملة، قد تمخضت بالنسبة إليهم، بإحرازهم درجة الاخلاص العليا. كما تكون قد تمخضت بالنسبة إلى آخرين في التطرف نحو الانحراف والفساد.

وأما الشر الآخرون، فلا مانع أن يصلوا إلى بعض درجات التمهيع ويقفوا . وتبقى الدرجات العليا من مواقفهم وردود فعلهم عامضة غير محصية. وهذا كما هو ثابت بالنسبة إلى أغلب الشر قبل نهايات الغيبة، كذلك يمكن أن يكون ثابتاً بالنسبة إلى بعضهم عند أول الظهور أيضاً.

ولكنا - بهذا الصدد - يجب أن نتذكر الدرجات الثلاث، للاخلاص، التي قلناها . . وكلها نتيجة للتمهيع وإن اختلفت مراتبها ومداليلها وما قلناه قبل أسطر وإن كان صحيحاً في درجة الاخلاص العليا، هاته لا يحصل إلا في عدد معين من البشر ولكن الدرجة الثانية والثالثة من الاخلاص، تحصل في أعداد ضخمة من الناس، قد تشكل أكثر البشر في الجبل المعاصر للظهور. ويكون الظهور نفسه ظرفاً جديداً تتمتع فيه مواهب العديد من الناس على النحو المأمور المطلوب. على ما سوف نسمع في التاريخ القادم.

وعلى أي حال، فمن المحتمل على الدوام وفي أي وقت، أن يكون العدد الكافي لغزو العالم قد تحقق، وإن شرط الظهور قد توفر فيكون الظهور على هذا التقدير - فورياً أو قريباً جداً. واحتمال تحقق الشرط كاف في احتمال فورية الظهور. ومعه يكون مفهوم الانتظار الفوري، موجوداً خلال عصر الغيبة الكبرى.



#### الجهة الثالثة .

من التكاليف المطلوبة في عصر الغيبة الكبرى. الالتزام بالتعاليم الاسلامية  
الحقة النافذة المفعول فيها قبل الظهور

وهذا من واضحات الشريعة، فان مقتضى شمول تعاليمها وعمومها لكل الأجيال، وجوب اطاعتها وتطبيقها على واقع الحياة في كل الأجيال. سواء ما كان على مستوى العقائد والمفاهيم، أو ما كان على مستوى الأحكام. ويقابل هذا الوضوح احتمالان رئيسيان:

#### الاحتمال الأول:

أن ينحرف الفرد مع التيارات المعادية للإسلام، ويتبع عقائدها وأحكامها، ويعتبرها نافذة عليه، ويدع أوامر الإسلام ونواهيه، بل وعقائده في سبيلها. وهذا الحو من السلوك واضح الفساد من وجهة نظر الإسلام. وحسباً منه أنه مستلزم للمعصيان الإسلامي والرسوب في التمهيص الإلهي. ومعنى فساد هذا الوجه، هو أن العقائد الوحيدة الصحيحة والأحكام الوحيدة النافذة في كل العصور، هي عقائد الإسلام وأحكامه. وأما ما يمزو المجتمع المسلم من عقائد غريبة وأحكام وصمية، فلا تعتبر حقاً ولا واجبة الامتثال.

#### الاحتمال الثاني:

أن المهدي بعد ظهوره - على ما سنعرف في التاريخ القادم - سوف يصدر قوانين جديدة، ويعطي للإسلام تفاصيل وتطبيقات جديدة. فقد يكون من المحتمل أن تكون تلك الأحكام والقوانين سارية المفعول خلال الغيبة الكبرى أيضاً. مما يتبع أن يكون الاقتصار على امثال الأحكام السابقة على الظهور، غير كافية.

إلا أن هذا الاحتمال غير موجود البتة: لليقين بأمرين.

#### الأمر الأول:

إن أحكام ما بعد الظهور لن تكون ذات أثر (رجمي) بحيث تشمل الزمن السابق عليها.

فإن الإمام المهدي (ع) إنما يصدر قوانينه الجديدة بناء على مصالح وأسباب تتحقق بعد الظهور، وليس لها في عصر الغيبة الكبرى عين ولا أثر.

## الأمر الثاني:

أنتا - على أي حال - نجهل تلك الأحكام بالمرة، والجهل بالحكم بهذا الشكل، مسبب كاف للمعلومية عن امتثاله أمام الله تعالى ورسوله (ص)، بحسب قواعد الاسلام.

إذن، فتكون الأحكام الاسلامية الصادرة المعلنة، منذ عصر الرسالة، نافذة المفعول، بكل تفاصيلها وخصائصها، من دون معارض ولا ناسخ، ويجب على الفرد إطاعتها وامتثالها. وهو واضح من وجهة النظر الاسلامية.

وهذا هو المراد من عند من الأخبار على اختلاف مضامينها، تأمر المسلم بالبقاء على ما كان عليه من عقيدة وتشريع... بالرغم من تيار الفس وشبهات الانحراف

أخرج ابن ماجه<sup>(١)</sup> عن رسول الله (ص) أنه ذكر التكليف في عصر الفتن فقال: تأخذون بما تعرفون وتعدون ما تتكفرون وتقبلون على خاصتكم وتذرون أمر عامتكم.

والمراد بهذا الحديث الشريف، بعد فهمه على أساس القواعد الاسلامية العامة. . هو وجوب الأحكام بما قامت عليه الحجة من أحكام الاسلام أو عقائده. بمعنى أنه متى دل الدليل الصحيح على كون شيء معين هو حكم إسلامي أو عقيدة إسلامية، وجب الأخذ به، بمعنى لزوم العمل عليه إن كان حكماً ووجوب الاعتقاد به إن كان عقيدة. وأما ما كان مخالفاً لذلك، فيجب رفضه واعتباره انحرافاً وفساداً.

وأما الذين يشخصون ذلك، ويمهمون ما هو الحكم الاسلامي من غيره، وما هو الدليل الصحيح وما هو الفاسد، فليس هم العامة أو الجمهور الذين ينفعون مع كل ناعق يميلون مع كل ريح... هاجم - لا محالة - تؤثر فيهم موجات الانحراف وتعريض المصالح والشهوات. فيجب الاعراض عنهم كموجهين وقادة وأصحاب رأي. وإنما توكل هذه المهمة إلى المختصين بالنظر إلى الأدلة الاسلامية

---

(١) أنظر السنن ص ١٣٠٨ ج ٢ -

واستباح الأحكام، والمفكرين الذين اتبعوا أنفسهم في تحقيق وتدقيق العقائد والمفاهيم والأحكام

وبهذا يريد النبي (ص) أن يلفت نظر الفرد المسلم إلى وجوب الإلتفاف حول هؤلاء الخاصة من العلماء الذين يطلعونه على الحق ويسعدونه عن الباطل، وينقذونه من تيار الفتن، ويحرزون له النجاح في التمهيد للآلهي الكبير.

ومثل هذا الحديث عدة أخبار، رواها الصدوق في إكمال الدين<sup>(١)</sup> عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ففي أحد الأخبار يقول (ع): إذا أصبحت وأمست لا ترى أماماً تأتم به (يعني عصر العيبة الكبرى) فأحب من كنت تحب وأبغض من كنت تبغض، حتى يظهره الله عز وجل.

وفي حديث آخر: تمسكوا بالأمر الأول حتى تستبين لكم. وفي حديث ثالث: فتمسكوا بما في أيديكم حتى يتضح لكم الأمر. وفي حديث رابع: كونوا على ما أنتم عليه حتى يطلع عليكم نجمكم (يشير إلى ظهور المهدي (ع)).

والأمر الأول الذي في اليد، هو أحكام الإسلام وعقائده الصحيحة النافذة المفعول في هذه العصور. ومعنى التمسك به تطبيقه في واقع الحياة، سلوكاً وعقيدة ونظاماً.

وكل هذه الأخبار، تعم العقيدة والأحكام... ما عدا الخبر الأول منها، فإنه خاص بالعقيدة. فإنه أمر الفرد المسلم بحب من كان يحب وببغض من كان يبغض. والحب والبغض بالمعنى الإسلامي الواعي الدقيق، يتضمنان نقطتين رئيسيتين:

#### النقطة الأولى:

ويعتبر الفرد من محبه مثلاً ومقتدى، بصفته مثلاً كاملاً للسلوك الإسلامي والكمال البشري. فيحاول الفرد جهد إمكانه أن يخلو خلوه ويقتفي خطاه حيث لا يمكن أن يصل إلى الكمال بدون ذلك

وفي مقابلة من يبغضه الفرد المسلم من المنحرفين والمنافقين. فانهم مثال للسوء

(١) أنظر المصدر المخطوط

والظلم، يجب الابتعاد عنهم ومغايرة سلوكهم، لكي يمكن للفرد الحصول على الكمال والسلوك الصحيح.

#### النقطة الثانية :

إذ يعتبر الفرد المسلم من يحبه مطاعاً في أقواله، واجب الامتثال في أحكامه. لأن أحكامه هي أحكام الاسلام وأقواله تطبيقات لما يرضي الله عز وجل. إذن، فلا يمكن أن يتحقق السلوك الصالح بدون ذلك.

فانظر إلى الحاسب العقائدي، كيف يعيش في الحياة متمثلاً في السلوك الصالح وإنما حصل التعرض إلى الجانب العقائدي في الأخبار، لا باعتبار اختلاف العقيدة الاسلامية في زمن المهدي (ع). إذ من المعلوم أنه عليه السلام لا يعبر العقائد والأحكام الرئيسية في الاسلام. وإنما يتصرف فيما دون ذلك.

وعلى أي حال، فنحن الآن غير مسؤولين عن أحكام المهدي (ع) بل يكفينا الاعتقاد بما عرفناه من الاسلام. وإكمال ما يحدث بعد الظهور إلى وقته

ومن هنا نعرف أنه لماذا عر في الخبر عن الأحكام الحالية بالأمر الأول أو ما في اليد، وذلك: بمقايستها إلى أحكام ما بعد الظهور. وكذلك التمييز: بمن كنت تحب ومن كنت تبغض. فانه بمقايسة من يجب أن يحبه ويعطيه من أولي الأمر الموجودين بعد الظهور.

وأخرج الكليني في الكافي<sup>(١)</sup> والصدوق في إكمال الدين<sup>(٢)</sup> والعمامي في الغيبة. عن الفضل بن عمر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، حين يسأله الراوي عن تكليفه في زمان الغيبة<sup>(٣)</sup> حين تكثر الفتن ودعاوى الضلال وتنتشر الشبهات. قال الراوي فكيف نصنع. قال. فنظر إلى شمس داخلة في الصفة. فقال: يا أبا عبد الله ترى هذه الشمس. قلت. نعم. قال. والله لأمرنا أبين من هذه الشمس.

فال المطلوب إسلامياً، هو متابعة خط الأئمة (ع) الذين هم البقاء الأمثل للنبوّة

(١) أنظر المصدر المخطوط.

(٢) أنظر المصدر المخطوط.

(٣) أنظر ص ٧٧

والاسلام... باعتبار وضوح ما هم عليه من الحق، كوضوح الشمس المشرقة، وقيام الحججة فيه على الخلق. فلا بد من التمسك به والسير عليه خلال الغيبة الكبرى، لكي ينجو به المسلم من الفتن ويتعد عن مزالق الانحراف ولئن كان هذا الحديث عما لا يؤمن به إلا القواعد الشعبية الامامية، فان الاحبار المتقدمة تعهم وغيرهم من أبناء الاسلام.



الجبهة الرابعة: هل المطلوب خلال الغيبة الكبرى، اتخاذ مسلك السلبية والعزلة، أو المبادرة إلى الجهاد.

ويتم الكلام في هذه الجهة ضمن عدة نقاط:

النقطة الأولى: في محاولة فهم العنوان:

دلنا الوجدان والاحبار الخاصة والقواعد العامة، على ما سمعنا، على أن رمان الغيبة الكبرى، مستغرق بموجات الظلم والانحراف والفساد فهل من وظيفة الفرد المسلم هو السلبية والانعزال عن الأحداث، وعدم وجوب إعلان المعارضة ومحاولة تقويم المورج من الافراد والأوضاع. أو أن وظيفة الفرد في نظر الاسلام هو العمل الاجتماعي الفعال، والجهاد الناجز في سبيل الله ضد الظلم والطغيان.

دلت الآيات الكريمة بعمومها على وجوب الجهاد كقوله عز من قائل: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>(١)</sup>. وقوله: ﴿وَلَا يَنْبَغُ لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا مِنْكُمْ وَلَا يَنْبَغُ لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا مِنْكُمْ وَلَا يَنْبَغُ لَهُمْ أَنْ يَكُونُوا مِنْكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

ودلت الغالبية العظمى من أخبار النبؤ بالمستقل على وجوب السلبية والانعزال. بحيث استعرت كل أخبار العامة تقريباً، وأعلت أخبار الخاصة. ولم يكذ يوجد من الروايات الأمرة بالمبادرة إلى الجهاد والأخذ بزمام الإصلاح، إلا النذر القليل. ومنعروض لهذه الأخبار فيما يلي من البحث.

(١) الأنفال ٦٠/٨

(٢) التوبة: ١٢٠/٩.

فأي الوظيفتين تقتضيها القواعد الإسلامية العامة. وهل تقتضي إحداها على التعيين، أو تقتضي كلا الأمرين، باختلاف الحالات وكيف يمكن فهم هذه الأخبار على ضوء ذلك هذا لا بد من بحثه ابتداء بالقواعد العامة، وانتهاء بالأخبار.

النقطة الثانية: فيما تقتضيه القواعد العامة .  
ويمكن أن نعرض ذلك، ضمن جانبين:  
الجانب الأول:

في الأحكام الإسلامية، على المستوى الفقهي للعمل الاجتماعي أو العرلة .  
ينقسم العمل الاجتماعي الإسلامي المقصود به الهداية والإصلاح إلى وجهتين رئيسيتين: أولاهما: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وثانيتهما: الجهاد أو الدعوة الإسلامية. ولكل منهما مجاله الخاص وشرائطها المعينة.

فالجهاد يتضمن في مفهومه الواعي، العمل على توسيع أصل العقيدة الإسلامية، أما بشرها امتداء أو الوقوف إلى جاسها دفاعاً. . . بأي عمل حاول الفرد أو المجتمع الوصول إلى هذه النتائج. . . سواء كان عملاً سلبياً أو حريباً. وإن كان أوصح أفرادها وأكثرها عمقاً، هو الصدام المسلح بين المسلمين والأخرين.

وأما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمجاله هو الإطار الإصلاحي للمجتمع المسلم، مع انحفاظ أصل عقيدته. ومحاولة حفظه عن الانحراف والتفكك وشبوع العاشة ونحو ذلك.

شرائطها:

وشرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عديدة، فيما ذكر الفقهاء، تدرج في أمرين رئيسيين:

الأمر الأول:

العلم بالمعروف والمنكر، فلو لم يكن الفرد عالماً بالحكم الشرعي الإسلامي، أو لم يكن محرزاً بأن فعل الشخص الآخر معصية للحكم . . . لم تكن هذه الوظيفة الإسلامية واجبة.

## الأمر الثاني:

احتمال التأثير في العرد الآخر. هل لم يكن يحتمل أن يكون لقوله أثر، لم يجب القيام بالأمر والنهي، فضلاً عما إذا احتل قيام الآخر بالمعارضة والمجابهة أو إيقاع الضرر السليخ.

ولذلك ورد عن أبي عبد الله الصافق عليه السلام أنه مثل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو واجب هو على الأمة جميعاً. فقال: لا. فقبل له. ولم؟ قال: إنما هو على القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر. لا على الضعيف الذي لا يبتدي إلى أي من أي. يقول من الحق إلى الباطل. والدليل على ذلك كتاب الله عز وجل. قوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾. فهذا خاص غير عام<sup>(١)</sup>.

وكذلك قوله عليه السلام: إنما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر، مؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلم، فأما صاحب سوط أو سيف، فلا<sup>(٢)</sup>.

وأما الجهاد فغير مشروط بهذه الشرائط. كيف وإن المقروص فيه النصحية ببذل النفس والتمس في سبيل الله تعالى ومن أجل المصالح الإسلامية العليا. وقد أكد القرآن على ذلك في العديد من آياته، على ما سمعنا قل قليل... وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ الْجَنَّةُ يَفْقَهُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَفْقَهُونَ وَيَقْتُلُونَ وَعِدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ. وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ. فَاسْتَشِرُوا بَيْنَكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْعَوَزُ الْعَظِيمُ. التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

إذن، فالجهاد فريضة كبرى لنشر الدعوة الإلهية، داخلية في التخطيط الإلهي لهذية الناس، فيما قبل الإسلام وفي الإسلام «في التوراة والإنجيل والقرآن». وإنما يقوم به على طول الخط، أولئك الصفوة ذوي الاخلاص المخلص والايمان

(١) وسائل الشريعة ج ٢ ص ٥٣٣

(٢) المصدر ص ٥٣٤.

(٣) التوبة ١١١/٩ - ١١٢



الرفيع . . . «التائبون العابدون الحامدون الراكعون الساجدون . . .» .

وقد ورد عن رسول الله (ص) <sup>(١)</sup> أنه قال في كلام له: فمن ترك الجهاد أبسه الله دلاً وفقرأ في معيشتة ومحققاً في دينه. ان الله أعنى أمي بسنابك خيلها ومراكز رماحها وأي بأسلحتها» .

وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، أنه قال: أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحة الله الخاصة أوليائه . . إلى أن قال: هو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة. فمن تركه أبسه الله ثوب الذل وشمله الساء، وديث بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالاسداد، واديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف ومع التصف . . الحديث .

وعن الصادق أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: ان الله عز وجل بعث رسوله بالاسلام إلى الناس عشر سنين، فأبوا أن يقبلوا، حتى أمره بالقتال. فالتخير في السيف ونحت السيف. والأمر يعود كما بدأ «يعني عند ظهور المهدي عليه السلام» .

إلا أن الجهاد على أهميته الكبرى في الاسلام، مشروط بشرطين: الأول: خاص بجهاد الدعوة المتعلق بشر الاسلام في غير المسلمين. وهو تعلق أمر الولي المعصوم به، كالنبي (ص) أو أحد المعصومين بعده ومنهم المهدي (ع) نفسه. بخلاف جهاد الدفاع فإنه غير مشروط بذلك. بل يجب عند الحاجة على كل حال. ولا يفرق في هذا الحكم بين أن يكون الجهاد دموياً أو لم يكن . . بل كان من قبيل الجهاد الشقيفي الاسلامي .

الشرط الثاني: احتمال التأثير، والوصول إلى النتيجة، ولو في المدى البعيد. فلو لم يتمل الفرد أو المجتمع المجاهد الوصول إلى أي نتيجة أصلاً . . لم يجب الجهاد .

وهذا الشرط واضح في الجهاد الدموي، فإنه لا يكون واجباً مع قصور العدة والعدد. قال الله تعالى: «الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً. فان يكن

(١) أنظر هذا الحديث وما بعده في الوسائل ج ٢ ص ٤٦٩

منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين، ماذن الله، والله مع الصابرين»<sup>(١)</sup>. وأما إذا كان الجيش المعادي أكثر من ضعف أفراد الجيش المسلم فلا يجب الجهاد، باعتبار أن احتمال النصر يكون ضئيلاً.

وأما الجهاد العقائدي الثقيفي، فهو وإن كان مشروطاً باحتمال التأثير أيضاً، فإنه إن لم يكن التأثير محتملاً لم يكن هذا الجهاد واجباً، إلا أن هذا إنما يتصور في العرد الواحد، وأما في الثقيف العام للمجتمع، فهو يقضي التأثير في الجملة، على عدد من الأفراد قليل أو كثير. فيكون واجباً، مع توفر شرطه الأول.

فهذه هي وظائف العمل الاجتماعي في الاسلام من الناحية التشريعية الفقهية.

نتائجها:

نستطيع الوصول على صوء ذلك، إلى عدة فوائد ونتائج كبيرة متمثلة في عدة أمور:

الأمر الأول:

إن الجهاد على طول الخط، في تاريخ الشريعة، مقترن في مطلق الدعوة الالهية، بدوي الاخلاص العالي الممحصر، فانه (باب فتحه الله لأولياته). لا بمعنى اختصاص وجوبه بهم، بل بمعنى أن الله تعالى لا يوحّد شرائطه في العالم، إلا في طرف وجودهم، بحسب تخطيطه الكبير فان مهمة غزو العالم كله، ونشر العدل المحصر فيه، مهمة كبرى لا تقوم على اكتاف أحد سواهم، وإلا كان مهدداً بخطر الفشل والدمار.

ولذا حارب النبي (ص) أعداءه وانتصر، واستطاع أن يبلع بالفتح الاسلامي مدى بعيداً في الأرض. ولهذا - أيضاً - فشل الفتح الاسلامي حين فقد خصائصه الرئيسية وتجرد الشعب المسلم عما يجب أن يتحل به من صفات. وتلك الخصائص سوف يحارب المهدي (ع) ويتنصر على كل العالم.

ولكن ينبغي أن نحتط بفرق بين أصحاب النبي (ص) وأصحاب

(١) الأنعام: ٩٦/٨.

المهدي (ع)، وقد أشرنا إليه فيما سبق وهو أن النبي (ص) بُعث في شعب خام غير محصن الاحلاص قبل ذلك على الإطلاق ولا مر بأي تجربة لنشر العدل ولم يكن همه غير السلب والهلب من القبائل المجاورة. ومن ثم كان المتدفعون إلى الجهاد بين يديه (ص) - فيما عدا الوادر - يمثلون الوهج العاطفي الايماني وهيمنة القيادة النبوية عليهم، أكثر مما يمثلون استيعاب القضية الاسلامية من جميع أطرافها وخصائصها.

فلم يكونوا في الأعم الأغلب، محصين ولا واعين، بالدرجة المطلوبة لعرو العالم كله. ولو كانوا على هذا المستوى لما بقي العالم إلى الآن يرزح تحت نير الاستعباد ولكان النبي (ص) نفسه هو المهدي الموعود. . كما أشرنا إليه في التخطيط الاولي.

ومن ثم رأينا أن هيمنة القيادة السوية، حين انحسرت عن المجتمع، بدأ الوهج العاطفي بالخمود التدريجي. وإذ كان قد بقي له من الزخم الثوري ما يقيه مائتي عام أخرى، ينطلق من خلاله إلى منطقة ضخمة من العالم. إلا أن الفتح الاسلامي تحول تدريجياً إلى مكسب تجاري<sup>(١)</sup>، وفشل عن التقدم في نهاية المطاف. وهذه النتائج المؤسفة، يستحيل التوصل إليها - عادة - لو كان الجيش السوي محصناً وواعياً، بحسب اتجاهات النفس الشريرة وقوابس تروابط الأجيال.

والسري ذلك ما سبق أن عرفناه، من أن الشريرة عند بروز الاسلام، كانت مهينة للشرط الأول من شروط عالمية الدعوة الالهية. دون الشرط الثاني، وهو وجود العدد الكافي من ذوي الاحلاص الممحصين.

وأما المهدي (ع) فهو يوحّد الله تعالى هذا الشرط في أصحابه، بعد أن تكون البشرية قد مرت بالظروف القاسية التي تشارك في إيجاد هذا الشرط الكبير ومن ثم سوف يستطيع تطبيق الأطروحة العادلة الكاملة على العالم بأسره.

إذ قال قائل يلزم من ذلك بأن أصحاب المهدي (ع) أفصل من أصحاب النبي (ص)

قلنا: نعم، الأمر كذلك على الأعم الأغلب. ولا حرج في ذلك. فإن

(١) نصبتنا القول في ذلك في تاريخ الغيبة الصغرى ص ٩٤ وبمطعها

أصحاب المهدي (ع) هم أصحاب النبي (ص) وعارفين في سبيل دين  
السي (ص) وعدله. وإنما القصور في البشرية التي لم تكن مهينة لنشر العدل العالمي  
قبل أن يتجسّد التخطيط الإلهي نتيجه المطلوبة، وهو إيجاد الشرط الأخير من شرائط  
الظهور.

#### الأمر الثاني:

إن الجهاد منوط على طول الخط... بوجود القائد الكبير الذي له قابلية غزو  
العالم ونشر العدل فيه. مما لم يتحقق ذلك لا يكون الجهاد واجباً. إلا فيما يكون من  
جهاد الدفاع الذي لا يكون واجباً على الأمة وإن لم تكن محصنة ولم تكن لها قيادة.  
إلا أن هذا من قبيل الاستثناء لأجل الحفاظ على بيضة الإسلام وأصل وجوده. وقد  
أثبتت غالب حوادث التاريخ فشل الأمة الإسلامية في حروب الدفاع حال فقدانها  
للقيادة والوعي. ومن هنا وصل الأمر بنا إلى ما وصل إليه من سيطرة الأعداء،  
حتى غزينا في عقر دارنا وأخذ ما طعمانا وشرابنا، وفقدنا استقرارنا وأمننا.

وعلى أي حال، ففيما عدا ذلك، يكون مقتضى القاعدة العامة، هو إناطة  
وجوب الجهاد بوجود القائد الذي له أهلية عرو العالم ونشر العدل فيه. ومن هنا  
كان وجوب الجهاد حاصلاً في عصر النبي (ص)، وكان مهدداً بالانقطاع التام  
بعده، لولا أن القواد المسلمين، كانوا يحاربون بالوهم العاطفي الذي زرعه  
السي (ص). ومن ثم لم يكن للفتح الإسلامي قابلية الاستمرار أكثر من زمان  
الوهم، مع انعدام التمحيص والقيادة

وهذه القيادة الكبرى، هي التي سوف تتجسد في شخص المهدي (ع)، فيبدأ  
نشر أطروحاته في العالم عن طريق الجهاد، حتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت  
ظلماً وجوراً.

#### الأمر الثالث:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، غير منوط بوجود القيادة الكبرى ولا  
الاخلاص المخلص... بل هو مشروع بشكل يشمل الحالات الأخرى.

حيث نرى أنه لا يحتاج القيام بهذه المهمة الإسلامية إلا إلى معرفة الحكم  
الإسلامي مع احتمال إطاعة العاصي وتأثره بالقول. وأما حاجته إلى توضيح

مضاعفة أو وعي عالٍ أو إخلاص محض، فغير موجودة... وهذا واضح.

بل أننا نستطيع أن نفهم من الشرط الذي أنيط به، وهو توقف وجوبه على عدم الخوف واحتمال الضرر... وقد سمعنا قول الامام الصادق عليه السلام: وأما صاحب سوط أو سيف فلا. إن توقفه على ذلك مأخوذ خصيصاً بنظر الاعتبار لكي يواكب النفوس غير الواعية وغير المحصنة ويكون شاملاً لها، حتى إذا ما خافت الضرر ولم تستطع الصمود، كان لها في الشريعة المبرر الكافي للانسحاب.

وبهذا يحرز التشريع الاسلامي نتيجتين متساندتين:

### النتيجة الأولى:

إن عدداً مهماً من أفراد الأمة، في عصر التمهين والامتحان، يجب عليهم القيام بهذه الوظيفة الاجتماعية الكبرى: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. سواء كان التمهين قد أنتج فيهم الاخلاص العالي أو لم يكن وبذلك يحرز الاسلام - على الصعيد التشريعي على الأقل - حفظ المجتمع المسلم من الانحدار إلى مهاوي الرذيلة والضلال.

### النتيجة الثانية:

إن هذا العدد من أفراد الأمة يكونون - بمقتضى قانون التمهين نفسه - واقفين على المحك الأساسي للتمهين، من خلال قيامهم بهذه المهمة الاسلامية. فان تركوها وأحجموا عنها، فقد فشلوا في الامتحان. وإن قاموا بها أوجب ذلك لهم تكامل الخبرة والتدريب والتربية، مما يسبب بدوره تحمل المسؤوليات الأكبر والأوسع، ويضعهم على طريق الاخلاص المحض والوعي، في نهاية المطاف.

### الأمر الرابع:

إن نتائج ترك الجهاد أهم وأوسع من نتائج ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويكفي في هذا الصدد، أن نعرف الأمر على مستويين:

### المستوى الأول:

إن الجهاد... حيث أنه الوظيفة الاسلامية المشرعة لعزو العالم غير

الاسلامي، وإرجاع الأراضي الاسلامية السلية، فهو أوسع تطبيقاً من الأمر بالمعروف الذي لا حدود له إلا ما كان داخل المجتمع الاسلامي من انحراف وعصيان.

ومن هنا يكون ترك الجهاد موجباً لسلب الأمة نتائج أضخم ومكاسب أكبر من النتائج والمكاسب المترتبة على الأمر بالمعروف، كما هو واضح.

### المستوى الثاني:

إن الأمر بالمعروف بمنزلة الفرع أو النتيجة أو المسبب عن الجهاد... وتركه بمنزلة السبب لوجوبه.

وذلك: أنه لا يجب الأمر بالمعروف في منطقة من العالم، إلا إذا كانت داخلية ضمن حدود البلاد الاسلامية، فلا بد أن تكون المنطقة قد دخلت في صميم هذه الحدود أولاً، ليجب فيها القيام بتلك الوظيفة ثانياً. والغالب أن يكون دخول البلاد إلى حوزة الاسلام، بالجهاد المسلح. فيكون الجهاد مقدمة لوجوب الأمر بالمعروف ويكون الأمر بالمعروف نتيجة له. حيث تكفلت الوظيفة الاسلامية، الأولى اتساع بلاد الاسلام وتكفلت الوظيفة الثانية المحافظة على هذه السعة وضمان تطبيق العدل في البلاد المفتوحة الإسلامية

وأما إذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في البلاد الاسلامية... فستبدأ بالانحدار من حيث الاخلاص والشعور بالمسؤولية، حتى ينتهي بها الحال أن تعمر في عقر دارها وتكون لقمة سائغة لكل طامع وغاصب كما قال الامام الرضا (ع) فيما روي عنه<sup>(١)</sup>: لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليستعملن عليكم شراركم<sup>(٢)</sup>. فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم. ويتسبب ذلك أحياناً إلى المنطقة الاسلامية بيد القوات الكافرة المستعمرة، كما حصل في الأندلس وفلسطين. فيعود الجهاد واجباً لاسترجاعها فقد أصبح ترك الأمر بالمعروف سبباً لوجوب الجهاد.

(١) أنظر الوسائل ج ٢ ص ٥٣٢ وأنظر بحره في الترمذي ج ٣ ص ٣١٧، مروياً عن النبي (ص)

(٢) يعني يباشرون الحكم فيكم

## الأمر الخامس .

نعرف من ذلك كله، متى تكون العرلة والسلبية واجبة، ومتى تكون جائزة ومتى تكون محرمة، بحسب المستوى الفقهي الاسلامي .

إن العرلة والسلبية، مفهوم يحمل معنى عدم القيام بالمعاملات الاجتماعية الاسلامية من الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمن هنا تكون العرلة محرمة حين يكون ذلك واجباً، وتكون واجبة حين يكون ذلك حراماً على بعض الوجوه التي نذكرها فيما يلي . وتكون العرلة جائزة إن لم يكن في العمل الاسلامي موجب الوجوب والتحريم .

### حرمة السلبية :

محرمة السلبية، إنما تنأت من وجوب المبادرة إلى ميادين العمل الاسلامي . أما بالقيام بالجهاد على مستوييه : المسلح وغير المسلح، مع اجتماع شرائطه . وأما بالقيام بالأمر بالمعروف ومحاولة الإصلاح في المجتمع الاسلامي، على مستوييه المسلح وغيره، عند اجتماع شرائطه . وخاصة غير المسلح منه، الذي هو الأعم والأغلب منه .

وعلى أي حال، فإذا وجب العمل الاسلامي حرمت العرلة، وكنت عصيانياً واحرافاً إسلامياً خطيراً وتكتسب أهميتها المصادرة للإسلام، بمقدار أهمية العمل الاسلامي المتروك .

ومن ثم كان ترك الجهاد عند وجوبه، والفرار من الزحف من أكبر المحرمات في الاسلام . طقاً لقوله تعالى : ﴿ومن يومهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة، فقد باد بعض من الله، وماواه جهنم وبئس المصير﴾<sup>(١)</sup> كما أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند وجوبه حرام إسلامياً، مؤذن بالعقاب، كما ورد عن النبي (ص) : إذا أمّتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليأدبوا بوقاع من الله . وعنه (ص) أنه قال : لا تزال أمّتي بحير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك، نزعنا منهم البركات وسلط

---

(١) الأنفال ١٦/٨

بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء ومعنى أنه لا ناصر لهم في السماء أن الله تعالى لا يرعى بعبادهم ولا يقره وجوب السلبية:

وتكون العزلة والسلبية واجبة، عندما يكون ترك العمل الإسلامي واجباً، والمبادرة إليه حراماً. وذلك هي عدة حالات:

### الحالة الأولى:

القيام بالجهاد الإسلامي بدون إذن الامام أو القائد الاسلامي أو رئيس الدولة الاسلامية... فان ذلك غير مشروع في الاسلام، كما ينص عليه الفقهاء، سواء كان القائد غافلاً أو ملتفتاً. فضلاً عما إذا كان العمل موجهاً ضد الامام أو الدولة، سواء كان عسكرياً أو غيره.

وممن نفهم بكل وضوح، المصلحة المتعلقة بهذا الاشتراط فان القائد الاسلامي ايصّر بمواضع المصلحة وموارد الحاجة إلى الجهاد من العزلة الاعتيادي، بطبيعة الحال. وبذلك يكون عمله أدخل في التخطيط الاهلي العام لمهنية البشر، من عمل غيره بل قد يكون عمل غيره هداماً محرماً، كما سيأتي في الحاشية الثاني من هذه القطعة الثانية.

### الحالة الثانية:

القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيما إذا لم يكن يحتمل التأثير، وكان مستلزماً مع الضرر البليغ أو إلقاء النفس في التهلكة فان هذا الأمر والنهي يكون محرماً وحرمة مطابقة مع الفوائد العامة، فان معنى الاشتراط بعدم الضرر، هو سقوط الوجوب معه، فلا تكون هذه الوظيفة الاسلامية بلامر فان كان الضرر بليغاً، كان المورد مندرجاً في حرمة إلقاء النفس في التهلكة أو حرمة التكيل. فيكون محرماً. وإذا حرم الأمر بالمعروف، كانت العزلة والسلبية المقابلة له واجبة

وهذا التشريع واضح المصلحة بالنسبة إلى المحصنين وغيرهم. اما المحصنين فباعتبار أن التصحية وتحمل الضرر في مورد يعلم بعدم ترتب الأمر أو تغيير الواقع، تذهب هذه التصحية هدرًا، بحيث يمكن صرفها في مورد أهم من



خدمات الاسلام وأما بالنسبة إلى غير المحصين فلتنفس الفكرة، مع الأحد بنظر  
الاعتبار ضحالتهم في قوة الارادة وضعفهم في درجة الايمان  
الحالة الثالثة :

فيما إذا كانت العزلة أو السلبية، تتضمن مفهوم المقاومة أو المعارضة أو الجهاد  
صد وضع ظالم أو أساس منحرف. . . فأنها تكون واجبة بوجوب الجهاد نفسه .  
وتكون في واقعها عملاً اجتماعياً متكاملأ . . . ولكن أن تكون مخططاً مدروساً  
وطويل الأمد، يختلف باختلاف الظروف والأهداف المتوخاة من وراء هذه العزلة .

وتندرج هذه السلبية، بالرغم من مفهومها السالب الخالي عن الحركة، تحت  
أهم أعمال الجهاد. قال تعالى : ﴿ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا  
غمصة في سبيل الله، ولا يطؤون موطأ يغيظ الكفار، ولا ينالون من عدو نيلاً إلا  
كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾<sup>(١)</sup>. إذن فالمراد في  
صديق مفهوم الجهاد والعمل الصالح، هو إعاضة الكفار والنيل من أعداء الحق،  
سواء كان ذلك بعمل إيجابي حركي أو بعمل سلبي ساكن .

كما قد تندرج السلبية في مفهوم الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر. . . إذا  
كانت مما يترتب عليها الإصلاح في داخل المجتمع الاسلامي أو تقويم المعوج من  
أفراده، فتكون واجبة بوجوب هذا الأمر والنهي .

ولعل من أهم أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿واللاتي تحالفون نشوزهن فعظوهن  
واهجروهن في المصالح﴾<sup>(٢)</sup>. فإن هذا الهجران نوع من السلبية لأجل نهى  
الزوجة العاصية الناشز عن ما هي عليه من العمل المنكر ضد زوجها .

وكم قد عملت السلبية في التاريخ أعمالاً كبيرة وبعيدة الأثر، قد تعدل  
الأعمال الإيجابية، بل قد تفوق بعضها بكثير .

الحالة الرابعة :

ما إذا خاف الفرد على نفسه الانحراف، واحتمل اضطرابه إلى الانزلاق تحت  
إغراء مصلحي أو ضغط ظالم أو انجاء عقائدي لا إسلامي .

(١) التوبة ١٢٠/٩ .

(٢) النساء ٣٤/٤ .

فانه يجب حل العرود- في مثل ذلك - أن يجنب السبب الموجب للانحراف، ويعتزل عنه، لكي يبرز حسن عقيدته وسلوكه وتكون الحالة إلى هذه العرلة ملحة، فيما إذا لم يجد العرود في نفسه القوة الكافية لمكافحة التيار المحرف أو التضحية في سبيل العقيدة.

إلا أن هذه العزلة لا يجب أن تكون كلية ومطلقة، بل الواجب هو اعتزال التيار الذي يخاف المكلف منه على نفسه أو دينه. وأما اعتزال المجتمع بالكلية، فهذا غير لازم بل غير جائز إسلامياً، إذا كانت هناك فرص للعمل الإسلامي الواجب، من جهات أخرى.

جواز السلبية:

وأما موارد انصاف السلبية بالحوار، فهو كل مورد كان العمل الاجتماعي الإسلامي جائزاً أو كان تركه جائزاً أيضاً. فيكون للمكلف أن يقوم به، أو أن يكون معتزلاً له وسلبياً تجاهه.

إلا أن العالب هو عدم انصاف العمل الإسلامي بالحوار، بل يكون - عند عدم انصافه بالوجوب - راجحاً أو مستحاً. فتكون العرلة المقاتلة له مجروحة ومخالفة للأدب الإسلامي العادل.

وعلى أي حال، فقد استطعنا أن نحمل فكرة كافية على صعيد الفقه الاجتماعي، عن العمل والعرلة في نظر الإسلام، من حيث الوجوب والحزمة والجواز. وبذلك ينتهي الكلام في الجانب الأول.



الجانب الثاني.

من الحديث عن العرلة أو الجهاد، في ارتباط هذه الأحكام الإسلامية بالتخطيط الإلهي العام للبشرية، ويقانون التمحيص الإلهي

عرفنا فيما سبق، ما للظلم وظروف التعسف التي يعيشها الأفراد، من أثر كبير في تمحيصهم وبلورة عقيدتهم، ووضعها على معترك طريق الهدية والصلال

وينبغي أن تعرف الآن، أن الظلم لا يحدث ذلك مباشرة . كيف وإن مدلوله المباشر ومقصوده الأساسي، هو سحق الحق وأهله وإنما يوجب ذلك

باعتبار الصورة التي يحملها الفرد المسلم في دمه عنه ورد العمل الذي يقوم به تجاهه نفسياً أو عملياً. ويكون ذلك على عدة مستويات.

### المستوى الأول.

أخذ العبرة من الظلم عقائدياً وتطبيقاً. والنظر إليه كمثال سيء يجب التجنب عنه والتحرز عن مجانسته.

فإن الظلم بما فيه من فلسفات وواجهات، وبما له من أخلاقية خاصة وسلوك معين، سوف لن يخفي نفسه ولن يستطيع ستر معاييه ونقائصه. بل سوف تظهر متالية نتيجة للتمحيص. أماليب الظلم والاعيه وما يتني عليه من خداع ونقاط ضعف.

وحسبنا من واقعنا المعاصر أن يرى أن صانعي هذه المبادئ، يحاولون تطويرها وتغييرها، وإدخال التحسينات والترميمات عليها بين حين وآخر، حتى لا تكشف نقائصها، ولا تمتصح عل رؤوس الأشهاد. إذن لأي مستوى معين من الفكر المحرف لو بقي بدون ترميم لكاث التحرة والتمحيص، أو تطور الحصار البشرية - على حد قوهم - كهيلاً في فضح نقائصه وإثبات مثله.

### المستوى الثاني:

إتضاع فساد الأطروحات المتعددة التي تدعي لنفسها قابلية قيادة العالم وإصلاحه. انصاحاً حسيماً مباشراً. ولا زالت الشرية تترى - تحت التخطيط الإلهي - وتندرج في هذا الإدراك، وإن بوارده في هذا العصر لأوضح من أن تكرر. بعد أن أصبح الفرد الاعتيادي يائساً من كل هذه المادى من أن تعطيه الحل العادل الكامل لمشكل الشرية.

وقد أشير إلى ذلك في الأخبار بكل وصوح. روى النعماني<sup>(١)</sup> بسنده عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال ما يكون هذا الأمر يعني دولة المهدي (ع) حتى لا يبقى صف من الناس إلا وقد ولوا من الناس يعني باشروا الحكم بهم، حتى لا يقول قائل إنا لو ولينا لعدلنا ثم يقوم القائم بالحق ونعدل

(١) الفيه من ١٢٦

وفي رواية أخرى<sup>(١)</sup>: إن دولتنا آتخر الدول. ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا، لثلا بقولوا إذا رأوا سيرتنا، لو ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء. وهو قول الله عز وجل: ﴿والعاقبة للمتقين﴾.

وسنشتع هذه الجهة بحثاً في الكتاب الثالث من هذه الموسوعة.

#### المستوى الرابع:

ما يترتب على هذا اليأس من إدراك وجداني متزايد، للحاجة الملحة العالمية الكبرى للحل الجديد والعدل الذي يكفل راحة البشرية وحل مشاكلها وهذا شعور موجود بالفعل، بين الغالبية الكبرى من البشر على وجه الأرض، بمختلف أديانهم ولغاتهم وتباعد أقطارهم. فانظر إلى التخطيط الإلهي الرصين الذي يتبع الانتظار للحل الجديد، من حيث يعلم الأفراد أم لا يعلمون.

#### المستوى الخامس:

إدراك مميزات العدل الإسلامي والعمل الإسلامي والقيادة الإسلامية، عند مقارنة نقائه وحلوصه وشموله بالمبادئ المنحرفة والاتجاهات المادية. فيتعين أن يكون هو الحل العالمي المرتقب.

ويرداد هذا الإدراك وضوحاً، كلما تعلق الفرد بالمقارنة والتدقيق والنقد العلمي. فيتبرهن لديه بوضوح أن الأطروحة العادلة الكاملة الصامنة لامتلاء الأرض قسطاً وعدلاً، هي الإسلام وحده. وللتوسع في هذه البرهنة مجالات أخرى غير هذا الحديث.

#### المستوى السادس:

الدربة والتربية على الاقدام على التصحية في سبيل الحق... ذلك الذي يتتبعه العمل الإسلامي، كما سبق أن أشرنا، عن طريق التمحيص الاختياري والاضطراري للأفراد، وانتقال التمحيص عن طريق قانون تلام الأجيال. إذا عرفنا ذلك، فيحسب بما أن يرى أن أحكام العرلة والجهاد والأمر بالمعروف

---

(١) أعلام الوري ص ٤٣٧

التي عرفناها، ماذا تؤثر في هذا التخطيط، على تقدير إطاعتها، وعلى فرض عصياتها. وهذا ما نعرض له فيما يلي:

أما الفرد المسلم الذي له من الاخلاص والايان ما يدفعه إلى إطاعة أحكام الاسلام وتطبيقها في واقعه العملي، فيدفع حين يريد منه الاسلام الاندفاع إلى العمل ويعتزل حين يريد منه الاسلام السلية والاعتزال.

... فهذا هو الفرد الذي سيفور، بالقدح الأعلى والكأس الأدنى من النجاح في التمهيد للاله، وشارك في إيجاد شرط الظهور في نفسه وغيره.

فإن هو اتصل بالمجتمع، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وحاول الإصلاح في أمة الاسلام.. فانه سيظهر عن كذب بقداحة الظلم الذي تعيشه هذه الأمة خاصة والبشرية عامة. وسينقل هذا الشعور إلى غيره، ويطلع الآخرين بأن أفضل حل لذلك هو تطبيق الأطروحة العادلة الكاملة المتمثلة بالاسلام.

وإن هو جاهد، عند وجوب الجهاد أو مشروعيته.. فهذه الوظيفة الاسلامية الكبرى، تحتوي - كما عرفنا - على جانبين رئيسيين. جانب تثقيفي وجانب عسكري.

وإذا عرفنا أن الجانب التثقيفي، ليس هو مجرد طلب التلمظ بالشهادتين، من غير المسلمين. بل هو متضمن - على ما ينص عليه الفقهاء - عرض محاسن الاسلام، بمعنى إظهار جوانب العدل فيه وإثبات أفضليته من النظم الأخرى سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وعقائدياً واجتماعياً وأخلاقياً... وبحود ذلك... إذا عرفنا ذلك، استطعنا أن نفهم كيف أن الفرد المحلص لدى الجهاد التثقيفي وإن المفكر الاسلامي لدى البحث عن بعض جوانب الاسلام... يندفع في تطبيق التخطيط الهل في من حيث يعلم أو لا يعلم.

فإن المفكرين الاسلاميين، يسرون بأنفسهم نحو الكمال... أولاً. ويشقون غيرهم من أبناء أمتهم الاسلامية.. ثانياً. ويطلعون غير المسلمين على الواقع العادل للاسلام. ثالثاً. وينقون الشبهات الملصقة بالاسلام.. رابعاً. وكل ذلك مشاركة فعالة فعلية في التخطيط الهل وفي إيجاد شرط الظهور فإن لهذا الجو الثقافي الاسلامي الأثر الكبير في فهم المسلمين لأطروحتهم العادلة

الكاملة، واستعدادهم للدفاع عنها، ونجاحهم في الصمود تجاه التيارات المحرقة وحصولهم على الاخلاص المحض في مهابة المطالب.

وأما العمل العسكري، فقد ذكرنا أن ما يمت إلى جهاز الدعوة بصفة لا يشرع وجوده في أيام التمحيص وفقدان الامام. كيف وهو لا يقوم به إلا الأفراد المحصوصون، كما عرفنا إذن فهذا الجهاد لا يكون إلا نتيجة للتمحيص، فلا يمكن أن يكون مقدمة له وسبباً لوجوده.

وأما العمل العسكري الدفاعي، فهو بوجوده على غير المحصنين الواعين، يعطيهم درساً قاسياً في تحمل الصبر من أجل الاسلام، والتصحية في سبيل الله. ويربيهم عن طريق هذه التجربة تربية صالحة. من حيث أن فكرة وجوب حفظ بيضة الاسلام وأصل كيانه، واضحة في أذهانهم.

كما أنه يكون محكاً لامتحان الآخرين الذين يتخاذلون عن الدفاع عن الاسلام ويعطون الدنيا من أنفسهم للمستعمر الدخيل، أو يحاربون تحت شعارات لا إسلامية. . . فيشلون في التمحيص الالهي فشلاً مؤسفاً ذريعاً.

فإن أفاد الدفاع وانحسر المد الكافر، فقد انتصرت التصحية في سبيل الله تعالى، وتكامل العمل الاسلامي الكبير بالنجاح. وإن خسرت الأمة ذلك وسقطت بين المستعمر الدخيل، بدأت سلسلة جديدة من حوادث التمحيص والاختبار الالهي، التي تتمثل بما يقوم به المستعمر من ظلم وتعسف وما يدسه من تيار فكري ونظام اقتصادي غريب عن الاسلام. وما يكون لأفراد الأمة من ردود فعل تجاه هذا الظلم الجديد. فقد ينجح في التمحيص اقوام وقد يفشل آخرون. طبقاً للقانون العام. . .

وعلى أي حال، فالعمل الإجتماعي الاسلامي بقسميه الرئيسير: الجهاد والأمر بالمعروف، مشاركة فعالة في التخطيط والتمحيص الالهيين وهما المحك شل أعداد كثيرة من المسلمين يتخلعون عن هذا الواجب المقدس وتتقاعص عنه، ومشل في الامتحان وتخرج عن غربال التمحيص. . . فتبوء بالذل والخسران.

وأما المرحلة، فإن كانت تتضمن تركاً للعمل الاجتماعى الواجب في الاسلام، فهي العصيان والانحراف بعبه. وبها يشت فشل المرء في الامتحان الإلهي

وأما إذا كانت العزلة، منسجمة مع التعاليم الإسلامية، واجبة أو جائزة... فتكون داحلة ضمن التخطيط الإلهي لا محالة، باعتبار أن إدخالها في التشريع يراد به جعلها مشاركة في تنفيذ هذا التخطيط الكبير وتكون مشاركة الفرد فيها منتجة لعدة نتائج مقترنة مترابطة.

### النتيجة الأولى:

انسجام عمل الفرد مع متطلبات التخطيط الإلهي ومصالحه فإن العزلة إما شرعت لمصالح تعود إلى هذا التخطيط، فيكون امتثال المكلف لوجوبها مشاركة حقيقية، فيما يراد إنتاجه من المصالح في إيجاد شرط الطهور

بحلاف ما لو لم يعتزل، كما لو حاهد بغير إذن الإمام أو أمر بالمعروف مع احتمال الهلاك، فإنه يكون من العاشلين في التمهيص، فيسقط رقمه من المخلصين المحصين... من حيث أراد العمل الإسلامي.

### النتيجة الثانية:

النجاح في التمهيص، فإن المعتزل للعمل حين يراد منه الاعتزال، يكون قائماً بوظيفته العادلة الكاملة، ويكون ذلك سبباً لنجاحه في التمهيص، من حيث كونه صابراً على البلاء عتياً عظيم العناء.

لكننا يجب أن نلاحظ في هذا الصدد نقطتين مقترنتين:

### الملاحظة الأولى:

إن العزلة، وإن كانت مطابقة للتعاليم والتخطيطات الإلهية عند مطلوبيتها، إلا أن أثرها في إيجاد الاخلاص العالي والوعي العميق في نفس الفرد، لا ينبغي أن يكون مبالغاً فيه. فإن العزلة، على أي حال، تعني السلبية والانسحاب، والسلبية - في الأعم الأغلب - تعني الراحة والاستقرار. ومن الواضح جداً أن الفرد لا يتكامل إخلاصه ووعيه الإسلامي، إلا بالعمل والتضحية ومواجهة الصعوبات، لا بالراحة والاستقرار. أو على الأقل، سيكون تكامل الفرد في حال السلبية أنطاً منه في حال العمل. في الأعم الأغلب.

ومن هنا يرى الإسلام يرح في تشريعه بين العزلة حيناً والعمل أحياناً لكي تكون إطاعة المكلف على طول الخط سبباً لتمحيصه... عاملاً أو معتزلاً. فإن

العزلة مع استعمار كونها طاعة لله ومع استعداد الفرد في أي وقت للتصحية والغذاء . تشارك مشاركة فعالة في نجاح الفرد في التمحيص  
الملاحظة الثانية .

إن العزلة عند مطلوبيتها، تكون متجة للتمحيص بالنسبة إلى الفرد المعزل خاصة دون غيره بحلاف العمل، حين يكون مطلوباً، فانه يتيح تمحيص الفرد القائم بالعمل وغيره .

ومن هذا الفرق إلى الفرق بين المفهومين، في أنفسهم، فان العمل حيث يعني الاتصال بالعير بسحو أو تأخر، فأنه يجعل كلا الطرفين تحت التمحيص، ليرى من يحسن السلوك فينجح ومن يسيئوه فيفشل

وأما العزلة، فبحث أنها لا تتضمن طرفاً آخر، بل تقتضي الابتعاد عن الغير، في حدودها، فلا تكون متجة للتمحيص إلا للفرد المعزل نفسه

#### النتيجة الثالثة .

حفظ النفس عن القتل من دون سرر مشروع . كالذي يحدث فيه لو جاهد في مورد السبي الشرعي عن الجهاد، أو أمر بالمعروف في مورد الضرر الجليح . . . أو تابع المنحرفين فأدى به انحرافه إلى القتل . . . أو غير ذلك

ومن المعلوم ما في حفظ النفس من الأهمية، لا باعتبار أصل تشريعه، وإن كان مهماً جداً، بل باعتبار دخله في التخطيط الإلهي لليوم الموعود فان قوانين التمحيص إنما تكون مطقة في العالم عند وجود الأفراد وقيامهم بالسلوك المعين الذي يربيههم ويحملهم على التكامل . وأما إذا أهلك الفرد أو علد من الأفراد أنفسهم في غير الطريق الصحيح، فمصاعاً إلى أنهم سيءون بالفشل في التمحيص، فأنهم يتسبون إلى قلة الأفراد المحصين، ومن ثم الناجحين في التمحيص منهم .

إذن فلا بد من الحفاط على النفس، لكي تتعرض للتمحيص، فلعلها تكون من الناجحين، وتشارك في إيجاد شرط الطهور .

وهذا هو المفهوم الواعي والعرض الأعمق للتعقيد الواحة، المصوص عليها في



القرآن وفي أختار أهل البيت عليهم السلام وسعوف عنها بعض التمهيل في  
النقطة الثالثة الآتية.



وبهذا استطعنا أن نلم بمفهوم العزلة ونتائجها. وعرفنا أن المراد منها ليس هو  
الانصراف التام عن المجتمع والاعتكاف في الزوايا. كيف وإن العمل  
الاجتماعي قد يكون واجباً في الاسلام، فتكون هذه العزلة من المحرمات  
بل المراد منها اعتزال العمل الاجتماعي غير الواجب أو العمل المحرم.  
والعزلة في موارد مطلوبيتها تشارك في المنهج العام للتخطيط الالهي لايجاد شرط  
الظهور. كما سبق أن فصلنا.

وعلى أي حال، فالاندفاع في أي من المسلكين - العمل والعزلة، إلى هاية  
الشروط غير صحيح، وإنما الصحيح هو قصر السلوك على مقتضيات العدل  
ومتطلبات الاسلام فإن كان العمل واجباً كان على الفرد أن يعمل وإن كانت العزلة  
واجبة كان على الفرد أن يعتزل، ليكون هذا السلوك ساجداً في التمهيل محققاً في  
نفسه شرط الظهور.

وبهذا انتهى الكلام في النقطة الثانية، فيما تفتسيه القواعد العامة من الالتزام  
بالجهاد أو بالعزلة.

#### النقطة الثالثة :

فيما دلت عليه الأخبار الخاصة من التكليف خلال العينة الكبرى، تجاه ما  
يكون فيها من الانحرافات وأنواع الظلم والفساد.

وأكثرها - كما أشرنا فيما سبق - دال على لزوم العزلة والابتعاد عن الناس وترك  
الأقوال والنشاط على المستوى الاجتماعي. وسرى فيما يلي مقدار مطابقتها  
للقواعد العامة التي عرفناها. فإن استطعنا أن نهم لها وجهاً صحيحاً منسجماً مع  
ما سبق أخذنا بها، وإلا اضطررنا إلى ترك الرواية المخالفة للقواعد، وخاصة بعد  
التشدد السني الذي التزمناه.

وهذه الأخبار ذات مصامين ومذائل مختلفة، فنقسمها بهذا الاعتبار إلى  
أقسام.

## القسم الأول.

في الفتنة التي فيها القاعد خير من القائم.

أخرج الصحيحان<sup>(١)</sup> بلفظ واحد عن رسول الله (ص) أنه قال: ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي. من تشرف لها تشرفه. ومن وجد فيها ملجأ فليعُد به. وذكر كل من الشيعين لها أكثر من سد واحد.

وأخرج مسلم<sup>(٢)</sup> عنه (ص) أنها ستكون فتن. إلا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها والماشي فيها خير من الساعي إليها. إلا إذا برزت أو وقعت، فمن كان له أهل فليلق بآبله، ومن كان له عثم فليلق بغمه، ومن كانت له أرض فليلق بأرضه. الحديث. وذكر له سندين.

وقد أخرج غيرهما من أصحاب الصحاح، هذا المضمون، غير أننا ذكرنا أننا نفتصر عليهما فيما أخرجاه. وهو مضمون افتصر إخراجهم على مصادر إخواننا أهل السنة، ولم نجد في المصادر الإمامية له ذكراً.

ولعمري هذه الأخبار أطروحتان، بعد العلم أن الفتن قد يراد بها التمهيص والإختيار، وقد يراد بها النتيجة السيئة للتمهيص أعني الكفر والانحراف. وكلاهما من معانيها اللعوية. وقد جاء طبقاً للمعنى الأول قوله تعالى: «وفتناك فتونا»<sup>(٣)</sup> وقوله: «وظل داود إنما فتناه»<sup>(٤)</sup>. وطبقاً للمعنى الثاني قوله تعالى: «واحلرهم أن يفتوك عن بعض ما أنزل الله إليك»<sup>(٥)</sup> وقوله: «إن الذين فتوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم»<sup>(٦)</sup>

ولكن المعنى الأول، غير مراد من هذه الروايات جزماً، إذ لا معنى للتخلص

(١) أنظر البخاري، ج ٩، ص ٩٤. ومسلم، ج ٨، ص ١٦٨.

(٢) ج ٨، ص ١٦٩.

(٣) طه ٤٠/٢٠.

(٤) ص ٢٨/٢٤.

(٥) المائدة ٤٩/٥.

(٦) البروج: ٨٥/١٠.

والإنعزال عن التمحيص، بعد كونه قانوناً منطبقاً على كل الشر، في التخطيط الإلهي. فيتعين أن يراد بالفتن المعنى الثاني، وهو الكفر والإنحراف وطبقاً لهذا المعنى يكون في فهم هذه الروايات أطروحتان:

### الأطروحة الأولى:

أن النبي (ص) يشير إلى زمان مستقبل بالنسبة إلى عصره، تحدث فيه الفتن. وينصح المسلمين بالإنصراف عنها والإنعزال عن تيارها والقعود عن العمل معها أو ضدها. بل اللازم هو اللجوء إلى ملجأ أو الخروج إلى الوادي والأطراف هرباً من التدخل في الفتنة.

وإذا صحت هذه الأطروحة، تكون هذه الأحبار، موافقة للقواعد العامة التي عرفناها عند وجوب العزلة، ومخالفة لها عند وجوب العمل والجهاد، حيث يرى هذه الأخبار تأمر بالعزلة على كل حال.

### الأطروحة الثانية:

أن النبي (ص) يشير إلى الفتن نفسها، بقوله: ستكون فتن. لا إنه يشير إلى الزمان الذي تقع فيه، كما هو الوجه في الأطروحة الأولى. فإنه لا ذكر للزمان في هذه الروايات أصلاً. فيكون المراد: أن القاعد عن تأجيج الفتن وإثارتها والمشاركة فيها خير من القائم والقائم خير من الساعي. فإن المشاركة فيها، كلها كانت أقل، كان أفضل.

ومعه يكون مصمومها صحيحاً ومطابقاً للقواعد. فإن المشاركة في الفتنة مستلزم للإنحراف والفساد لا محالة، وهو مما لا يرضاه النبي (ص) لأمره، وينصح بالتجنب عنه. وهذا في غاية الوضوح. ومعه تخرج هذه الروايات عن كونها أمراً بالعزلة. وإنما هي تأمر بالإنعزال عن الفتن لا عن العمل ضدها. بل قد يقال: إن فيها دلالة على جواز العمل ضد الفتن بل على وجوبه. فإن هذا العمل قد يكون هو الملجأ الوحيد للتخلص من الفتن. وقد أمر (ص) أن: «من وجد فيها ملجأ فليعد به».

وعن هذه الأطروحة عدة قرائن مرجحة لها من عبارات هذه الأحاديث الشريفة:

## القرينة الأولى:

قوله (ص): من تشرف لها تشرفه.

فإن المراد أن من تعرض للفتن أثرت الفتن عليه وجرفته تيارها. يقال: تشرف للشيء إذا تطلع إليه. واستشرف؛ إنتصب. ومن المعلوم أن الغالب من أفراد الأمة، ممن لا عمق له في التفكير، ولا دقة في النظر، بمجرد اطلاعهم على المذاهب والفلسفات الإسلامية، تنتصب هذه المذاهب في أذهانهم، بمعنى أنهم يرون لها هبة وهيمنة، ويكومون في طريق الإعتراف بها والتصديق بمضمونها. فيؤدي ذلك بهم إلى الإنحراف عن الإسلام

وأما العمل الذي يعطي للمرد والآخرين الماعة عن الفتن والفرصة الكافية للإصطهاد ومناقشتها، فهو من أعظم الأعمال الإسلامية، وما لا تنفيه هذه الروايات، طقاً لهذه الأطروحة

## القرينة الثانية:

قوله: الساعي إليها

فإن السعي إليها متضمن للتعرض لها والسير في ركاياها. ومنه يعرف أن المراد مما سبقه من القيام في الفتنة والمشى فيها هو ذلك أيضاً. ومنه لا يكون لها أي تعرض للنهي عن العمل ضدها أصلاً.

## القرينة الثالثة:

قوله: من وجد فيها ملجأ فليجأ به، بعد أن تفهم أن (في) بمعنى (من) فكانه قال: من وجد منها. ولا شك أن المراد هو ذلك على أي حال.

والوجه في هذه القرينة. أن الملجأ لا ينبغي أن يفهم منه خصوص المكان المنزوي أو البعيد، بل يفهم منه كل منقذ من الفتنة وما هو مسدود عنها. ومن المعلوم أن الارتباط بأهل الحق، واتحاد العمل الإسلامي، خير ملجأ ضد تيارات الفتن والإنحراف.

نعم، لو احصر حال الفرد في النجاة من الفتنة أن يفر عنها ويتعدى منها، وجب عليه ذلك، بأن يلحق بالأرياف إذا كان له فيها عزم أو إيل! بتعبير الرواية.

ولعل سبب التركيز على هذا الشكل من السلوك، في هذه الأحاديث. هو أن أغلب أفراد الأمة الإسلامية في أغلب عصور الغيبة الكبرى، جاهلون بتفاصيل الشرع الإسلامي وعدم العمق فيه عمقاً يعطي الماعة الكافية عن الانحراف والتأثر بالمبادئ الغربية والآراء المريبة. إذن يكون الواجب على الفرد إذ يشعر بمسؤولية صيانة نفسه من ذلك كله. أن يعتزل المجتمع ويضحى بالغالي والنفيس في سبيل دينه. وإن ألقى به الإعتزال في الريف. وهذا حكم صحيح على القاعدة، كما ذكرنا في الصورة الرابعة للمعركة.

وهذا لا يعني، أن الفرد المسلم الذي يجد من نفسه قوة في الصمود وقابلية على مجابهة التيار الظالم، يجب عليه أيضاً أن يعتزل. كلا. بل يجب عليه أن يعمل وأن يحطط لأجل إعلاء كلمة الله ونرسيع الفهم الإسلامي في نفوس الآخرين.

### القسم الثاني

ما دل من الأحار على عدم المشاركة في القتل، بل تحمله من العير، وإن كان قاتلاً ظالماً.

أخرج إس ماجة<sup>(١)</sup> وأبو داود<sup>(٢)</sup> عن أبي در، نلعط متقارب واللعط لإن ماجة في حديث قال قلت يا رسول الله. أفلا أحد بسيمي فأصرب به من فعل ذلك؟ قال: شاركت انقوم إذن! ولكن أدخل منك قلت يا رسول الله، فإن دخل بيتي؟ قال: إن حبشيت أن يهرك شعاع السيف فألق طرف ردئك على وجهك، فهو بهائم وإثمك، فيكون من أصحاب النار.

وأخرج<sup>(٣)</sup> أيضاً نلعط متقارب واللعط لإن ماجة، قوله في حديث عن الفتر. فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم وأصربوا سيوفكم الحجارة. فإن دخل على أحدكم، فليكن كحير ابني آدم.

(١) ج ٢، ص ١٣٠٨

(٢) ج ٢، ص ٤١٧

(٣) إس ماجة، ج ٢، ص ١٣١٠. وأبو داود، ج ٢، ص ٤١٦

وأخرج الترمذي<sup>(١)</sup> في حديث بنفس المضمون قال: أفرأيت إن دخل على  
بني ويسط يده ليقتلني؟ قال: كس كلب آدم.

وفي هذه الأحاديث إشارة واضحة إلى قوله تعالى: (واتل عليهم نأ إبنى آدم  
بالحق، إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر. قال: لأقتلك. قال:  
إنما يتقبل الله من المتقين. لئن بسطت إلى يدك لتقتلني، ما أنا بأسط يدي إليك  
لأقتلك، إني أخاف الله رب العالمين. إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك، فتكون من  
أصحاب النار، وذلك جزاء الظالمين)<sup>(٢)</sup>.

لم نجد هذا المضمون، في الصحيحين، ولا في أخبار المصادر الإمامية.  
والمدلول العام لهذه الروايات، هو وقوع القتال في داخل المجتمع المسلم بعد  
رسول الله (ص) نتيجة للفتن والإحراف. فيكون من وظيفة الفرد المسلم يومئذ،  
عدم المشاركة في القتال إلى جب أي من الفريقين. بل يجب عليه أن يعتزل  
ويدخل بيته. فإن دخل عليه المقاتلون في جوف بيته، وجب عليه أن يستسلم  
للقتل من دون مقاومة. ويكون حاله حال المقتل من إبنى آدم الذي بسط يده لقتل  
أخيه. وقد مدحه الله تعالى في محكم الكتاب.

إلا أنه لا بد لنا من رفض هذا المضمون جملة وتفصيلاً، لمعارضته لضرورة  
الشرع والعقل.

إن الفرد المسلم إذا رأى الحرب قائمة في المجتمع المسلم بين فئتين  
مسلمتين. فإن حاله من حيث الإقتناع الوجداني السامع مما يعرفه من قواعد  
الإسلام العامة، لا يخلو عن أحد أمرين لا ثالث لهما:  
الأمر الأول.

أن يعلم أن أحد الفريقين إلى جانب الحق والآخر إلى جانب الباطل. كما لو  
كان الرئيس الشرعي للدولة الإسلامية، يحارب فئة ناعية عليه مسخرة عنه. ففي  
مثل ذلك يجب على المكلف الإضمام إلى طرف الحق ضد الباطل. طبقاً لقوله عز

(١) ج ٣، ص ٣٢٩

(٢) المائدة: ٢٧/٥ - ٢٩

من قاتل: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بعث إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله)<sup>(١)</sup>. وإنما يتحقق البغي فيما إذا كان أحد الطرفين المتحاربين يستهدف هدفاً باطلاً. ومن ضرورة الشرع والعقل وجوب محاربة الباطل وحرمة نصرته.

### الأمر الثاني:

أن يعلم الفرد أن الحق بجانب لكلا الفريقين، وأن كليهما ينصر مذهباً باطلاً ويدافع عن هدف منحرف، أو - على الأقل - يشك في ذلك ويحتمله احتمالاً. وفي مثل ذلك لا يجوز له نصرته أي من الفريقين، كما هو واضح. فإن نصرته أي منها نصرته للانحراف والضلال، يقيناً أو احتمالاً. . . وكلاهما حرم في الإسلام.

ومدلول هذه الروايات، من حيث وجوب الاعتزال عن كلا الفريقين، لو حمل على ذلك بالخصوص، لكان أمراً صحيحاً. ولعل هذا هو مراد النبي (ص) من قوله: شاركت القوم إذن. يعني في الباطل والانحراف. إلا أن شمول الرواية لصورة الأمر الأول يبقى نافذ المعمول، وهو أمر غير صحيح

كما أن الأمر بتحمل القتل لو دخل عليه في بيته، أمر لا يمكن قوله، لأنه مخالف لضرورة العقل والشرع معاً في وجوب الدفاع عن النفس، وفي كون المستسلم للقتل قاتل لنفسه، في الحقيقة، فيبوء بإثم نفسه، لا أن القاتل يبوء بالإثمين معاً. ويكون كلاهما مشمولاً لقوله تعالى: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً)<sup>(٢)</sup>. أما إثم القاتل لما شرته القتل. وأما المقتول فلأنه سبب إلى قتل نفسه.

وقد يحظر في الذهن: أن الفرد إذا كان أعزل عن الأسلحة تماماً، يكون الدفاع متعزراً عليه. ومعه يكون الأمر بتحمل القتل منطقياً بالسبة إليه

وجوابه: أن هذا صحيح بالسبة إلى الأعزل، لكنه غير صحيح بالنسبة إلى هذه الروايات، فإنها واردة في غير العزل، تأمرهم أن يكسروا قسيهم ويقطعوا أوتارهم وأن يضربوا بسيفهم الحجارة فإذا تلفت أسلحتهم وجب عليهم تحمل

(١) المائدة: ٢٧/٥ - ٢٩

(٢) الباء: ٩٣/٤

القتل طواعية . وهذا مضمون مستكر في العقل والشرع . . تعلم بعدم صدوره عن النبي (ص).

وأما ما ورد في أخبار الفريقين من أنه إذا التقى المسلمين سيديهما، فالقاتل والمقتول في النار، فهو خاص بغير الدفاع عن النفس جزماً. فإنه إذا كان العرد مدافعاً عن نفسه يكون محقاً وحرره عادلاً! بضرورة العقل والشرع.

ومن هنا نعلم سلامة موقف «ابن آدم» المقتول. فإنه لا دلالة في الآية على أنه لم يدافع عن نفسه، وإن لم يكن في نيته أن يقتل أخاه. وإنما سيطر عليه أخوه بقوته فقتله. بخلاف ما تدل عليه هذه الروايات، من السلبية المطلقة حتى عن الدفاع عن النفس.

إذن، فلا سبيل إلى الأحد هذا القسم الثاني من الروايات. وخاصة طبقاً للتشدد السندي الذي مشينا عليه.

وكيفينا أن نعرف أن كثيراً من الأخبار وصحت ودست في أحبار الإسلام، نصرة للجهاز الحاكم المنحرف، الذي كان يحاول أن يسبغ صفة الشرعية على تصرفاته، فيمنع من مجابهة ظلمه ومقاتلته بالسيف، لكي تستقيم له الحال، ويهدأ منه البال، منطلقاً من أمثال هذه الأحبار.

القسم الثالث: في الأمر بلزوم البيت

لم نجد هذا المضمون في الصحيحين، ولكن أخرج أبو داود<sup>(١)</sup> - في حديث عن العترة - عن رسول الله (ص): قالوا: فما تأمرنا؟ قال: كونوا أحلاس بيوتكم.

وأخرج ابن ماجه<sup>(٢)</sup> عنه (ص) أنه قال: إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف، فإذا كان كذلك، فأت بسيفك أحداً فاضربه حتى ينقطع. ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد حاطة أو منية قاصية. وصححه سننه.

وأخرج الصدوق في إكمال الدين<sup>(٣)</sup> عن الإمام الباقر عليه السلام حين يسأله

(١) ج ٢، ص ٤١٧

(٢) ج ٢، ص ١٣١٠

(٣) أنظر المخطوط.



الراوي . فما أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الزمان - يعني زمان الغيبة - قال :  
حفظ اللسان ولزوم البيت .

وأخرج العماني<sup>(١)</sup> في الغيبة عن الإمام الباقر عليه السلام - في  
حديث - قال : وإذا كان ذلك، فكونوا أحلاس بيوتكم .

وأخرج الشيخ في غيبته<sup>(٢)</sup> عن الإمام الصادق (ع) أنه قال . فإذا كان  
ذلك فالزموا أحلاس بيوتكم، حتى يظهر الطاهر بن الطاهر المظهر ذو الغيبة .

والمراد من هذه الرواية، كسابقاتها، لزوم البيت، يقال جلس وتجلس  
بالمكان لزق . ويقال . فلان جلس بينه أي ملازم لا يرحه . وأخذ وهو الحل  
المعروف قرب المدينة المنورة . والمراد بضرب اليق بعد إلتلاف السلاح  
وكسره .

فيكون المراد الانعزال والإبتعاد عن المجتمع الذي تسوده الفتنة، فيشمل  
ما إذا اتصل الفرد به لأجل إصلاحه وتقويمه ويكون ذلك منتهياً عنه في هذه  
الروايات، خلافاً للحكم الشرعي الإسلامي وقواعده العامة، إلا أن تحمل  
على خصوص بعض مررات العزلة التي ذكرناها، كما لو خاف على نفسه من  
الإنحراف أو غير ذلك .

#### القسم الرابع : الفرار من الفتن :

أخرج البخاري في موضعين من صحيحه<sup>(٣)</sup> عن أبي سعيد الخدري عن  
النبي (ص) يقول : يأتي على الناس زمان حير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها  
شعب الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن . وأخرجه أبو داود<sup>(٤)</sup> وابن  
ماجه<sup>(٥)</sup> بنصه .

(١) ص ١٠٢ .

(٢) ص ١٠٣ .

(٣) أنظر ج ٨، ص ١٢٩، وج ٩، ص ٦٦ .

(٤) ج ٢، ص ٤١٨ .

(٥) ج ٢، ص ١٣١٧ .

وأخرج ابن ماجه<sup>(١)</sup>، تكون هن، على أبوابها دعة إلى النار. فإن تموت وأنت عاص على جدع شجرة حير لك من أن تتبع واحداً منهم.

وشغف الخيال رؤوسها، وجدع الشجرة أصلها والمراد من العص عليه زيادة ملازمته والإلتصاق به وفيه دلالة على الخروج إلى الأرباب والأطراف. . يسكن الفرد البساتين ويجاور الأشجار أو قمم الجبال، لينجو من مجاورة الفتن ولتباع دعة الباطل.

وهذه الروايات، وأن كانت بسعة مدلولها، محالفة للقواعد العامة التي عرفناها، إلا أنه بالإمكان تقييدها كما عملنا في سابقاتها، فتبقى خاصة بصورة وجوب العزلة والسلبية شرعاً. وأما مع حرمتها، يكون الواجب هو العمل الإسلامي الإحتماعي المنتج وفي هذا القسم من الأحكام ما يؤيد هذا التقييد، حيث نجدتها تحث على الجهاد إلى حب الصبح بالفرار من الفتن. بل نحس وجوب الفرار بالمعجز عن الجهاد، ويكون للجهاد الرتبة المقدمة على غيره، كما هو الصحيح في قواعد الإسلام العامة

أخرج ابن ماجه<sup>(٢)</sup>، إن النبي (ص) قال حير معاش الناس هم، رجل ممسك بعتن مرسه في سبيل الله، ويظير على منته، كلما سمع هبة أو فرعه طار عليه إليها، ينتفي الموت أو القتل، مظانه ورجل في عيمة في رأس شعبة من هذه الشعاف، أو بطن واد من هذه لأودية، يفيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه، حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في حير.

وأخرج أيضاً<sup>(٣)</sup> عن أبي سعيد الخدري: أن رجلاً أتى النبي (ص) فقال أي الناس أفضل؟ قال: رجل مجاهد في سبيل الله بنفسه وماله قال. ثم من؟ قال: ثم أمراً في شعب من يعبد الله عز وجل، ويدع الناس من شره

وللمترمذي<sup>(٤)</sup> حديث آخر بهذا المضمون

(١) ج ٢، ص ١٣١٨، وانظر نحوه في صحيح مسلم، ج ٦، ص ٢٠

(٢) ج ٢، ص ١٣١٦

(٣) ج ٢، ص ١٣١٧

(٤) ج ٣، ص ٣٢٠

إذن فالتكليف الإسلامي في عهد الفتن والانحراف، منقسم إلى قسمين، لا ثالث لهما. فأن المسلم الشاعر بالمسؤولية تجاه دينه. . أما أن يكون قادراً على الجهاد أو العمل المتح لتقويم المعوج والكفكفة من التيارات الكافرة. وأما أن لا يكون قادراً على ذلك فإن كان قادراً على العمل وجب عليه ذلك لا محالة. وأن كان عاجزاً عنه فحير له أن يعتزل الفتنة وأهلها. وأما معاشة المسحوقين مع الصعف في الإيمان والإرادة، فتؤدي إلى مالا يحمد عقباه في الدين والدنيا. . كما هو واضح ومُعاش للناس يومياً.

القسم الخامس:

الأمر بالصبر، مع بيان صعوبة تحقيقه للمسلم المخلص، في مجتمع الفتن والانحراف

أخرج الشيخان<sup>(١)</sup> عن ابن عباس عن النبي (ص) قال.

من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من عارق الجماعة شهراً، فمات إلا مات ميتة جاهلية. وفي نسخة مسلم: فميتة جاهلية.

وأخرج<sup>(٢)</sup> عن رسول الله (ص): إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني. وزاد مسلم: - على الخوص.

وأخرج مسلم<sup>(٣)</sup> عن حذيفة بن اليمان في حديث له مع رسول الله (ص) قال (ص): يكون بعدي أئمة لا يبتلون بهدي ولا يستون بسني. وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس. قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: سمع وتطيع للأمير، وأن صرب ظهرك وأخذ مالك. فاسمع وأطع.

وأخرجت حلة من الصحاح الأخرى مثل هذا المصمون، ولكننا تقتصر على ما أخرجه الشيخين، فيها أخرجاه.

(١) البخاري، ج ٩، ص ٥٩، ومسلم، ج ٦، ص ٢١

(٢) البخاري، ج ٩، ص ٦٠، ومسلم، ج ٦، ص ١٩

(٣) ج ٦، ص ٢٠

فهذه هي الأخبار التي تأمر بالصبر. وأما الأخبار الدالة على صعوبة الصبر:

فما أخرجه أبو داود<sup>(١)</sup> عن المقداد بن الأسود، قال: أيم الله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول: إن السعيد لمن جنب الفتن. وإن السعيد لمن جنب الفتنة. إن السعيد لمن جنب الفتنة. ولمن ابتلي فصبر فواها.

وما رواه النعماني في الغيبة<sup>(٢)</sup> عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث: ولا والله لا يكون الذي تمنون إليه أعناقكم إلا بعد أباس.

وعنه عليه السلام في حديث<sup>(٣)</sup> عما يصيب الناس الشر قبل خروج المهدي (ع)، قال: فخروجه إذا خرج يكون عند اليأس والقنوط.

وروى الصدوق<sup>(٤)</sup> عن منصور قال. قال أبو عبد الله عليه السلام: يا منصور إن هذا الأمر، لا يأتيكم إلا بعد يأس. . الرواية

وأخرج ابن ماجة<sup>(٥)</sup> عن النبي (ص) قوله: حتى إذا رأيت شحاً مطعماً وهو متبعاً، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمراً لا يدان لك به، فعملك حويصة نفسك. فإن من ورائكم أيام الصبر فيهن على مثل قبض على الجمر. . الحديث.

وأخرج الترمذي<sup>(٦)</sup> عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله (ص): يأتي على الناس زمان الصابر على دينه، كالفابض على الجمر.

ويقع الكلام في هذا القسم من الأخبار، ضمن أمرين:

(١) ج ٢، ص ٤١٧

(٢) ص ١١١.

(٣) فية النعماني، ص ١٣٥.

(٤) اكسال الدين المخطوط

(٥) ج ٢، ص ١٣٣١.

(٦) ج ٣، ص ٣٥٩

## الأمر الأول:

إن الأمر بالصبر مع الحاكم المنحرف وتحمل ظلمه وتغضبه بالسكوت، غير مطابق للقاعدة الإسلامية، والأخبار الدالة عليه لا يمكن قبولها بحال. وذلك لأنها تعانٍ من الطعن في صدورها عن النبي (ص) وفي دلالتها على المطلوب أيضاً.

أما الطعن في الصدور، فهو وضح إن هذه الأحاديث تتم في مصلحة الحكام الذين تزعموا على الأمة الإسلامية بإسم الإسلام واستنزوا منها دماءها وخيراتنا. فقد أرادوا بوضع هذه الأحاديث أن يأمرؤا المسلمين بالرصوح لهم والصبر على جورهم، وينسبوا ذلك إلى رسول الله (ص).

فإن قال قائل: كيف تكون هذه الأخبار موضوعة، مع أنها تلد هؤلاء الحكام، وتصفهم بالمضائح.

أقول: لا تنافي بين الأمرين، إنطلاقاً من إحدى زوايا ثلاث:

### الزاوية الأولى:

أن يكون وصف الحكام صحيحاً صادراً عن النبي (ص)، وهو لشهرته، لم يستطيعوا مكابرتة وإنكاره. وإنما أضافوا عليه وجوب الطاعة للحاكم المنحرف. فأصبح بعض الرواية صحيحاً وبعضها مذبذباً وهذا هو المظنون بالظن العالب.

### الزاوية الثانية:

أن الحكام استطاعوا في هذه الروايات أن يعرضوا أصح صورة للظلم وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، ورجعوا أن الطاعة تكون واجبة بالرغم من ذلك. إذن فكيف الحال في الظلم الأحب من ذلك؟. أن الطاعة ستكون ألزم على الفرد بطبيعة الحال. إذن فليس هناك صورة من صور الظلم إلا ونجيب فيه الطاعة، للحاكم المنحرف.

### الزاوية الثالثة:

أن الظلم في العصور المتأخرة عن صدر الإسلام كان واضحاً جداً لا يمكن مكابرتة، ومن هنا لم يكن هناك أي عصاصة أو كشف لسر عامض حين صرح

الحكام بذلك. وإنما صرحوا به إستطرافاً إلى غرضهم من ذلك وهو إثبات الأمر بالطاعة منسوبة إلى رسول الله (ص).

وأما الطعن في دلالة هذه الأحبار، فهو معارضتها بأخبار أخرى رواها الشيخان في الصحيحين، نذل خلاف مصابيتها، وتكون أقرب إلى القواعد الإسلامية العامة.

أخرج الشيخان حديثاً<sup>(١)</sup> بلفظ متغارب واللفظ للخاري عن عبدالله بن عمر عن النبي (ص) أنه قال: السمع والطاعة على المرء المسلم، فيما أحب وكره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة.

وأخرج مسلم<sup>(٢)</sup> عنه (ص): إنما الطاعة في المعروف

وأخرج أيضاً<sup>(٣)</sup> عن عبدالله بن عمرو بن العاص في حديث عن معاوية قال: فسكت ساعة. ثم قال: أطعه في طاعة الله وأعصه في معصية الله. إلى غير ذلك من الأخبار.

إذن فتكون هذه الأحبار قريبة على تقييد تلك الأحبار بما إذا لم يأمر الحاكم بمعصية لله أو بشرع قانوناً منحرفاً، أو يؤسس عقيدة باطلة، فإن فعل شيئاً من ذلك فلا طاعة له. ومن المعلوم أن تقديم الخاص على العام من أوضح ما تقتضيه القواعد العامة.

غير أن هذا التقييد، يتبع وجوب طاعة الحاكم المنحرف، إذا أمر بطاعة الله عز وجل. وهو حكم غير صحيح في شريعة الإسلام، فإن وجوب الطاعة خاص بالحاكم الشرعي العادل. وعلى ذلك يمكن حمل بعض هذه الأخبار السابقة. مع طرح ما خالف القواعد العامة منها.

هذا. وأما الأحبار الدالة على صعوبة الصبر في مجتمع الفتن والانحراف، فهو أمر صحيح واضح. إذ ما ظنك بفرد صادق بين كاذبين وأمين بين حائنين ومسلم

(١) البخاري، ج ٩، ص ٧٨، ومسلم، ج ٦، ص ١٥

(٢) ج ٦، ص ١٦.

(٣) ج ٦، ص ١٨

بين معتدين. . كذلك يكون حال المؤمن بين المنحرفين. وهذا هو طبع التمحيص والتخطيط الإلهي على طول خط الغيبة الكبرى.

### الأمر الثاني:

أن الأحبار الدالة على وجود اليأس والقنوط، ذات مصمون صحيح، ومطابق للتمحيص.

فإن طول عصر الغيبة نفسه حلقة من حلقات التمحيص الإلهي إذ يرداد فيها الظلم، حتى يكتسب الهبة النفسية على ضعف النفوس والإرادة، فيطون قدراً حتمياً ووضعاً أبدياً. . فيحصل لديهم اليأس والقنوط

كما أن امتداد غيبة الإمام المهدي (ع) سوف تنكشف في الضمائر المهلهلة والعقائد المادية عن الشك أو الإنكار.

وحيث يكون ضعف النفوس، هو الغالب في كل جيل إذن فيكون الاتجاه العام للمجتمع، لدى العاشلين في التمحيص الإلهي، وهم الأغلب من البشر، كما عرفنا، سيكون هو اليأس والقنوط، كما نطقت به هذه الروايات

### القسم السادس:

#### الأمر بكف اللسان في الغيبة.

سمعنا ما أخرج الصدوق في إكمال الدين عن الإمام الباقر عليه السلام في أفضل ما يستعمله المؤمن في ذلك الرمان - يعني رمان الغيبة - قال حفظ اللسان ولزوم البيت.

وأخرج أبو داود<sup>(١)</sup> عن رسول الله (ص) قال: ستكون فئة صماء بكفاء عمياء<sup>(٢)</sup> من أشرف لها استشرت له. وأشراف اللسان فيها كوقوع السيف.

(١) ج ٢، ص ٤١٧

(٢) وصف الفئة بهذه الأوصاف بأوصاف أصحها، أي لا يسمع فيها الحق ولا ينطق به ولا يفتح الباطل من الحق. هامش النص

وأخرج الترمذي: تكون فتنة... اللسان فيها أشد من السيف<sup>(١)</sup> وأخرجه  
إبن ماجه أيضاً<sup>(٢)</sup> كلاهما عن عبدالله بن عمرو عن رسول الله (ص)  
وأخرج إبن ماجه<sup>(٣)</sup> عنه (ص): أياكم والعن فان اللسان فيها مثل وقع  
السيف.

ولهم هذا القسم من الأحبار أطروحتان:

### الأطروحة الأولى:

إن المراد كف اللسان والإجتناب عن الكلام، في عصر الفتنة، سواء فيما  
يذكي أوار الفتنة أو فيما يضادها، ويكفكف من حاحها ويحفف من ضررها.  
وهذا هو المفهوم من الاطلاق وسعة المدلول في هذه الأحبار، وخاصة الخبر  
الأول منها.

وإذا كان هذا هو المفهوم، فلا بد من تقييده، بمقتضى القواعد العامة، التي  
تبرر العزلة والسكوت أحياناً وتوجب العمل الإجتماعي تارة أخرى. فيحتص  
وجوب السكوت، بترك الكلام الذي يكون مشاركة في الفتنة وإدكاه لأوارها.  
ويبقى الكلام المصاد للفتنة مسكوتاً عنه في هذه الروايات، نعرف أحكامه من  
الأدلة الأخرى في الإسلام.

### الأطروحة الثانية:

أن يكون المراد: وجوب كف اللسان عن المشاركة في الفتنة نفسها. فإن هذه  
المشاركة من أشد أشكال الانحراف، ومستلزم للعزل في التحجيص الإلهي لا  
محالة. ومعها تبقى المشاركة بالقول والعمل في إرالة الفتنة أو تخفيف شرها، أو  
مناقشة اتجاهاتها، واجبة في الإسلام، طبقاً للقواعد العامة التي عرفناها. من دون  
أن تدل هذه الروايات على نفيه.

وتؤكد هذه الأطروحة قربتان

---

(١) ج ٢، ص ٣٢٠

(٢) ج ٢، ص ١٣١٧.

(٣) المصدر والصحة.



## القرينة الأولى:

تشبيه اللسان بالسيف، في الروايات. ومن المعلوم أن استعمال السيف بالشكل المستكر المحرم في عصر الفتنة إما هو فيما يوجب تأييدها وتشديدها، لا فيما يكون صدها، مع اجتماع الشرائط. ومعه يكون استعمال اللسان بالشكل المحرم خاصاً بذلك أيضاً.

ولعل المراد من هذا التشبيه: هو استعمال اللسان في خضم الفتنة موجب - في نهاية الشوط - لهلاك الكثيرين عقائدياً أو حياتياً، فيكون فعل اللسان كمعمل السيف من هذه الجهة. ومن المعلوم أصلاً، أن الكلام الذي يوجب الهلاك هو الكلام الذي يتضمن تأييد الفتنة والسير مع ركب الإحراف. وأما الكلام الذي يراد به إطفاء الفتنة ومناقشة الآراء المنحرفة، ونحو ذلك، ففيه سعادة الدارين وعز الشائتين وموازنة العدل الإسلامي الصحيح، فلا يمكن أن يقال عنه. إنه موجب للهلاك.

معروف من قرينة التشبيه في هذه الأخبار، أن المراد هو السكوت عن الكلام الذي يكون إلى جانب الفتنة.

## القرينة الثانية:

الأخبار الأخرى الواردة في هذا الباب، الدالة على أن المراد من حفظ اللسان ترك الكلام السيئ الموجب لعصيان الله تعالى وغضبه. وهو معنى ما قلناه من أنه يوجب المشاركة في تأييد الفتنة والإحراف. ومعه يبقى الكلام ضد الفتنة جائزاً بل واجباً في الإسلام.

أخرج ابن ماجه<sup>(١)</sup> عن رسول الله (ص) أنه قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل حبراً أو ليسكت. وعنه (ص) أيضاً: إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يرى بها بأساً. فيهوى بها في نار جهنم سبعين خريفاً. وفي حديث آخر أيضاً: وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله عمر وجل عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه.



(١) ج ٢، ص ١٣١٣

## القسم السابع:

الامر بالتقية في عصر الغيبة الكبرى.

وهذا المصمون مما اقتضت عليه أخبار الإمامية، دون غيرهم. فقد أخرج الصدوق في إكمال الدين<sup>(١)</sup> والشيخ الحر في وسائل الشيعة<sup>(٢)</sup> والطبرسي في إعلام الوري<sup>(٣)</sup> عن الإمام الرضا عليه السلام، أنه قال: لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقية له. وإن أكرمكم عند الله أعلمكم بالتقية قيل: يا ابن رسول الله، إلى متى؟ قال: إلى قيام القائم، فمن ترك التقية قل خروح قائما، فليس منا. الحديث.

وفي الوسائل<sup>(٤)</sup> عن معمر بن قنادة، قال: سألت أبا الحسن (ع) عن القيام للولادة. فقال: قال أبو جعفر (ع).

التقية ديني ودين أماني، ولا إيمان لمن لا تقية له

وعن أبي عمر الأحمدي قال قال أبو عبد الله (ع): يا ابن عمر، إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له

وعن أبي عبد الله أنه قال: كان أبي يقول: وأي شيء أقر بعبي من التقية؟ إن التقية جنة المؤمن!

ومن طرائف ما ورد في التفسير<sup>(٥)</sup> ما روي عن حابر عن أبي عبد الله (ع). قال: أجعل بيتا وبينهم سدا، فما استطاعوا أن يطهروه وما استطاعوا له نقبا. قال هو التقية

وعن المفصل<sup>(٦)</sup> قال سألت الصادق (ع) عن قوله تعالى: أجعل بيكم وبينهم ردماً. قال: التقية. فما استطاعوا أن يطهروه وما استطاعوا له نقبا. قال: إذا عملت بالتقية لم يقدروا لك على حيلة، وهو الحصن الحصين وصار بك وبين

(١) أنظر المصدر المخطوط

(٢) ج ٢، ص ٥١٥

(٣) ص ٢٠٨

(٤) أنظر الأحبار، الثلاثة الأئمة في الوسائل، ج ٢، ص ٥١٤

(٥) و(٦) المصدر السابق، ص ٥١٥

أعداء الله سد لا يستطيعون له نقياً قال . وسألكه عن قوله : فإذا جاء وعد ربي جعله دكا قال رفع التقيّة عند الكشف ، فانتقم من أعداء الله أقول : المراد بالكشف ظهور المهدي (ع) في اليوم الموعود .

إلى غير ذلك من الأحبار ، وهي من الكثرة إلى حد الإستغاضة بل التواتر . ومدلولها الإسلامي الصحيح أمران مستشرفان :

#### الأمـر الأول .

المحافظة على النفس من الأصرار التي لا مبرر لتحملها شرعاً . . إبتداء بالقتل وانتهاء بما دونه . لا حرصاً على الحياة ، بل لأجل الحفاظ على المعتقدين بالحق الواقعي من المسلمين والحد من نقصان عددهم بالقتل الذي قد يقع عليهم من قتل المجرمين الظالمين لو واصلوا الأعمال المثيرة لهم وأعلنوا الجهاد ضدهم .

#### الأمـر الثاني :

إحفاء الأعمال الإجتماعية الصالحة ، التي يكون في كشفها نقصان لنتائجها أو إجتثاث جذورها .

وعن هذا الطريق استطاع الأئمة المعصومون عليهم السلام أن يسدوا الثورات الحاصلة في عصرهم والداعية إلى الرضا من آل محمد (ص) . . من دون أن يدعوا أي محال للأحرار للإطلاع على مستندات هذا الإسناد كما أشرنا إلى ذلك في التاريخ السابق

وكلا هذين الأمرين مطلق من منطق عقلائي عام وهو واضح لدى كل من يعمل عملاً سياسياً أو عقائدياً ، أو غيره . أما الأمر الأول فاعتبار وصوح أن الفرد - مهما كانت عقيدته وعمله - ليس على استعداد أن يضحي بحياته أو بأمه بلا موجب أو بموجب مشئلا لا يستحق التصحية . وأما الأمر الثاني - فباعتبار وصوح قيام العقائد في العصر الحديث على الحياة الحرة ، التي يعلب عليها طابع السرية والتكنم . طبقاً لما قلناه من أن كشف حقائقها وتماصيلها قد يكون سبباً لنقصان نتائجها أو إجتثاث جذورها

ومن ثم يكون عدم الأخذ بالتقية ، مؤدياً - على أقل تقدير - إلى بطل وجود العدد الكافي من المحلصين المحصين ، الذين يشكل وجودهم أحد شرائط

الأساسة للظهور، ليتكلموا مسؤولية نشر القسط والعدل في العالم تحت قيادة المهدي (ع). فإن من يقوم بالجهاد - عادة - في كل عصر، ليس إلا النخبة من المحلصين الذين يؤمل فيهم وصول التمحيص إلى نتائجته النهائية الصالحة فإذا لم يكن الأمر بالتقية موجدًا، لوحث المدرة إلى الجهاد، وكان أول المطيعين لهذا الوجوب والمطيق له، هم المحلصون في كل عصر، ومعه، ينسب الجهاد إلى إستصاهاهم أو أكثرهم، مما يؤدي إلى بقاء وجود شرط الظهور أو تعذر، فيمتنع تحقق العرض الإلهي الكبير في هداية العالم.

ولا داعي للإستعمال بالجهاد، فإنه مصافاً إلى عدم تأثيره العاجل بالمحو المطلوب، يكون معيقاً عن إصلاح العالم في اليوم الموعود وإذا دار الأمر بين الجهاد المستعجل في حره من العالم وبين الجهاد المؤجل في كل العالم يكون الثاني هو النافذ طقاً للتخطيط الإلهي، بإعتباره مسيحياً مع الهدف الأسمى من خلق البشرية، الذي عرفناه.

فإن قل قائل: إذا جهاد البعض يبقى البعض الآخر من المحلصين، مدحوراً لتحقيق شرط الظهور.

قلنا له: لو لم يكن الأمر بالتقية موجدًا، وكان الأمر بالجهاد نافذاً، لوجب الجهاد على كل المسلمين ولكان تركه عصياً مافياً للإحلاص، فيجب على كل المحلصين في العالم التصدي له والقيام به، فيؤدي ذلك - تدريجاً - إلى إستصاهاهم جميعاً في كل جيل لما عرفناه من كونهم قلة نارية الكثرة الكاثرة من المحرفين والكافرين. فينتج تعذر وجود شرط الظهور

إذن، فالمفهوم الواعي الصحيح للتقية، وهو بعينه المفهوم الصحيح الذي إستخلصناه من الأمر بالعرلة وكف اللسان الذي إستصاهاست به أحبار المصادر العامة. وليس أمراً زائداً ولا جديداً بالنسبة إليه ليكون مشاراً للإستكار والإستغراب من قبل العامة وأهل السنة فإن الأمر بالعرلة وكف اللسان، مع جعله منسجماً مع القواعد العامة، يكون مؤدياً إلى عين النتيجة التي يؤديها الأمر بالتقية، وهو الحفاظ على المحلصين، لتحقيق شرط الظهور. الحفاظ عليهم عقائدياً وحياتياً.

فان قال قائل: إن أهل السنة والجماعة، لا يؤمنون بنبية المهدي (ع). فكيف يؤمنون بشرط الظهور؟

قلنا. إن شرط الظهور، إنما خطط الله تعالى لوجوده، بإعتبار إستهداف نشر القسط والعدل في العالم في اليوم الموعود. سواء كان القائد المهدي (ع) غائباً قبل ظهوره أو لم يكن. وتكون فكرة شرط الظهور، من الزاوية غير الإمامية لهم المهدي، أن الله تعالى قد خطط لليوم الموعود، قبل ولادة المهدي (ع) ثم إنه عرّ وجّل سوف يوجد المهدي (ع) عند علمه بنجاء الشرائط المطلوبة. إذن بقاء المخلصين ذخراً، أمر صحيح من كلتا الزاويتين الإمامية وغيرها، لفهم المهدي (ع).

بل أننا لو تأملنا قليلاً، لوجدنا أن القعود والعزلة وكف اللسان، مساوق مع التقية، من الناحية العملية على طول الخط. فإنه لا يراد من التقية، إلا إتقاء شر الأشرار وتجنب إثارتهم ضد المخلصين وما قد يقومون به من أعمال. إذن فالتقية لا تتحقق إلا بالقعود عن المجابهة وكف اللسان عن المحرفين. كما أن القعود وكف اللسان محقق للتقية. . . إذن فقد اتفقت أحبار العامة والخاصة على شيء واحد، أو متشابه.

ومن هذا الذي قلناه، نفهم عدة أمور:

#### الأمر الأول:

أن العمل الإسلامي الإجتماعي، لكي يكون مواكباً مع التخطيط الإلهي، يجب أن يتحدد بحدود التعاليم الإسلامية. بدون أن يزيد عليها أو ينقص عنها. ويمثل كل من الريادة والنقصان إنحرافاً عن الشريعة الإسلامية.

أما الزيادة، بمعنى إيجاد العمل الإجتماعي في موارد عدم وجوبه أو عند النهي عنه. . . فإعتبار كونه موجباً لإستئصال المخلصين، ومعيقاً عن إيجاد شرط الظهور، كما عرفنا. وأما النقصان: بمعنى ترك العمل مع الأمر به في الشريعة، فإعتبار كونه عصيانياً وإنحرافاً.

ومن ثم يبدو بوضوح إن الإحتجاج بأحبار التقية وغيرها عما سبق، لإهمال

العمل الإجتماعي الإسلامي، وتركه في موارد وجوبه. حجة باطلة، ووجه غير وجيه. حيث عرفنا أن هذه الأحبار، وإن كانت ذات مدلول واسع بطبيعته، إلا أنها مقيدة لا محالة، بقيد موارد وجوب العمل مع اجتماع شرائطه التي عرفناها. إذ مع وجوبه، تكون التقية والعزلة وكف اللسان عصياناً وإنحرافاً

### الأمر الثاني:

أن الأمر بالتقية وترك العمل الإسلامي، بالشكل الذي فهمناه - خاص بعصر الفقيه، أو بعصر ما قبل الظهور. لما عرفناه من كونه دخليلاً في تحقيق شرط الظهور. وقد حدد في الخبر السابق عن الإمام الرضا (ع) بذلك، حيث قال: إلى قيام القائم، فمن ترك التقية، قبل خروج قائمنا فليس منا.

وأما في عصر ما بعد الظهور، فمن المعلوم لدى كل من يؤمن بالمهدي وباليوم الموعود من المسلمين، بل من سائر الأديان، أن تطبيق العدل في العالم، لا يكون إلا باستعمال السلاح والجهد وترك مجاملة الكافرين والمحرفين. ويكون حكم التقية وكف اللسان مرتفعاً ومن هنا سمعنا المهدي (ع) نفسه، خلال عصر عيته الصغرى يقول - فيما روي عنه - : والله مولاكم أظهر التقية، موكلها بي. فأما في التقية إلى يوم يؤذن لي بالخروج<sup>(١)</sup>.

ومن هنا أيضاً عُبر في بعض الأحبار عن العصر السابق على الظهور، بعصر الهدنة كالذي روي عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: سمعته يقول، وسئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أواجب هو على الأمة جميعاً؟ فقال لا - فقل له - ولم؟ قال. إنما هو على القوي المطاع العالم بالمعروف والمنكر إلى أن قال. وليس على من يعلم ذلك في الهدنة من حرج، إذا كان لا قوة له ولا عدد ولا طاعة<sup>(٢)</sup>.

وفي خبر آخر - عن حبيب بن مشير عنه عليه السلام، قال. سمعت أبي

(١) أنظر تاريخ العمى الصغرى، ص ٥٨٣، وغية النجاة الطوسي، ص ١٦١

(٢) وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٥٢٤

يقول: لا والله، ما على وجه الأرض شيء أحب إلي من التقية. . إلى أن يقول: يا حبيب، إن الناس إنما هم في هدنة. . الخبر<sup>(١)</sup>.

وسترتفع هذه الهدنة، مع الكافرين والمنحرفين، مع بروج حجر الظهور. ويكون بينهم وبين الإيمان بالحق، حد السيف ووقع السلاح، ومناجزة القتال. وسنسمع تفاصيل ذلك في التاريخ القادم إن شاء الله تعالى.

### الأمر الثالث:

إن ما يمتقنه الكثيرون من الامامية وغيرهم، من اختصاص حكم التقية، في اتقائهم أهل المذاهب الاسلامية الأخرى. . . باطل عاية الطلان. بل الحكم مشترك بين سائر المسلمين، في اتقاء بعضهم شر بعض، وفي اتقائهم من غير المسلمين، عند عدم وجوب العمل. فان المحافظة على المخلصين تكون بترك التعرض للقتال، على كلا المستويين، كما هو معلوم. بل أن القتال بين المسلمين لأعظم شراً وأمدح أثراً من القتال مع غيرهم. وحسبنا منه أن نعلم أن وقوعه بين المسلمين، يصدع جمعهم ويشنت شملهم ويطمع بهم عدوهم ويسهل دخول المستعمر إلى بلادهم، كما حدث بالفعل خلال القرون المتأخرة.

فإن قال قائل. إذن فلماذا ورد الأمر بالتقية في أخبار الامامية دون غيرهم. قلنا: إن المصمون الواعي الصحيح متحصل من أخبار كلا الفريقين. وإنما هو اختلاف في الاصطلاح، فقد اصطلح عليه كل فريق باسم مستقل، فسمي في أخبار الامامية بالتقية، وسمي في مصادر أهل السنة بالعزلة. إذن فلم يختص الامامية برواية المصمون، وإن احتصوا بالاصطلاح.

فإن قال قائل: إن بعض الأخبار طبقت وجوب التقية، على اتقاء الامامية من غيرهم من المسلمين. وهو يدل على اختصاص هذا الحكم بخصوص هذا المورد، ويكون قرينة على أن المراد من كل أخبار التقية هو ذلك؟.

قلنا له: صحيح، أن هذا التطبيق موجود في أخبار الامامية ووارد عن الأئمة عليهم السلام. ولكنه من باب تطبيق الحكم العام على بعض موارد. . . باعتبار

(١) المصدر السابق، ص ٤٤

اقتضاء المصلحة له في عصر الأئمة عليهم السلام . لأجل ما كانت تعيشه قواعدهم الشعبية من اضطهاد وتعسف من قبل الحكام في ذلك الحين فكان الأئمة (ع)، لأجل أن يصمّنوا من أصحابهم عدم التسرع والتطرف في رد الفعل تجاه ذلك، مما قد يسبب الوصول إلى نتائج وخيمة هم في عني عنها . فكان الأئمة (ع) يذكرون حكم التقية مطلقاً على هذا المورد المشار إليه . ومعه لا تكون هذه الأحبار قرينة على الاختصاص .

وإن أوصح دليل ، على شمول حكم التقية لجميع المسلمين من ناحية ، وإن الطرف المتقى منه قد يكون من غير المسلمين أيضاً ، من ناحية أخرى . قوله عر من قائل : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ، إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾<sup>(١)</sup> . حيث دلت على حواز تقية المسلمين من الكافرين . وقصة عمار بن ياسر رضوان الله عليه ، مع المشركين في ذلك معروفة مشهورة ، وإنما كانوا يحملونه على الرأفة من الاسلام ، لا من مذهب معين !! . هذا ، وشمول الحكم القراني ، لجميع المسلمين ، يعتبر من ضروريات الدين .

#### الأمر الرابع :

في فهم أخبار التقية ، بمفرداتها وتفصيلاتها على ضوء ما أسلفناه من الفهم العام . ويكون ذلك ضمن فقرات :

#### الفقرة الأولى :

وإن التقية جنة المؤمن ، بمعنى أنها تستر وتحميه . والمحمى هو الترس الذي يحين صاحبه .

قال عز وجل : اتخذوا إيمانهم جنة . وفي الحديث الصوم جنة<sup>(٢)</sup> وكله من الحماية والحراسة من الشر باعتبار اللجوء والتستر تحت السبب الموجب للحماية ، وهو الترس أو الإيمان أو الصوم

ومن المعلوم ما للتقية في موارد جوازها أو وجوبها ، من أثر بالغ في حماية المرد

(١) آل عمران : ٢٨/٣

(٢) مفردات الراغب الاصطفاي ، ص ٩٨



عن كيد الأعداء، وانحراف المحرفين، في العقيدة والحياة والعمل. وليس على الفرد - في سبيل ميل ذلك - إلا أن يسكت عن القول والعمل الذي لا يكون مشروعاً في الإسلام. ومن هنا قال الصادق (ع)، فيما سمعناه من الرواية، في تشبيه التقية بالسد الذي ساء ذو القرنين، قال: إذا عملت بالتقية لم يقدروا لك على حيلة. وهو الحصن الحصين. وصار بيك وبين أعداء الله سد لا يستطيعون له نقباً... لأن الفرد إذا اتقاهم لم يستطيعوا أن يجدوا ضده مستمسكاً أو دريعة لالزال الشر عليه.

#### الفقرة الثانية -

«إن من لا تقية له لا دين له» أو لا إيمان له. وإن وتسعة أعشار الدين في التقية».

وهذا واضح المقصود بعد الذي عرفناه، من استلزم ترك التقية استئصال المحلصين، من دون مرور شرعي. فأي دين يمكن أن يبقى لتترك التقية بعد ذلك؟!

ودلك: أسألكم من التقية، فيما سبق، إلا ترك المقدار غير المشروع من الجهاد والأمر بالمعروف، مما يؤدي إلى إيقاع الخطر الكبير على المحلصين. وليس لأدلة التقية مؤدى أكثر من ذلك. إذن فترك التقية يعني ارتكاب العمل غير المشروع. فإذا كان هذا العمل موجباً لهلاك بعض المحلصين، كان محرماً، بل من أشد المحرمات في الشريعة، فيكون فاعله، بعيداً عن الدين والإيمان كل البعد. كما نطق به الروايات.

وهذا واضح على مستوى سائر الأحيار، سواء منها الواردة عن طريق العامة، أو الواردة عن طريق الخاصة، بعد إعطاء العهم الموحد السابق لها الذي سمعناه.

#### الفقرة الثالثة

قول الامام الرضا (ع) - في الرواية - «إن أكرمكم عند الله أعلمكم بالتقية». فقد مر عليه السلام قوله معنى أكرمكم بمعنى أعلمكم بالتقية وأشدكم تمسكاً بها.

وهذا أيضاً مما لا عيار عليه، بعد النبي عرفناه، وما دلت عليه النبعة من أن

اتقاء بمعنى حذره وخافه وتجنبه، أي وقى نفسه وحماها عن شره. ومن هنا كان المتجنب عن عذاب الله تعالى متقياً، والعمل المؤدي إلى النجاة منه تقوى. وكذلك المتجنب من شر الأشرار وكيد المحرفين يكون متقياً، والفعل المؤدي إلى النجاة منه «تقية».

ومن هنا، يمكن أن نفهم من الآية، الشمول لكلا المعنيين. . . بعد أن وافقت اللغة على ذلك فيكون المراد: إن أكرمكم عند الله أتقاكم من الله ومن الناس. وتفسير الامام الرضا (ع) لها بأحد القسمين، وهو اتقاء شر الناس، لا يعني اختصاصها به، ليكون أمراً مستغنياً. وإنما ذكر أحد القسمين لمصلحة اقتضت ذلك، كمصلحة التوضيح باعتباره معنى خفياً. . . مع إبقاء القسم الآخر على فهم السامع وحكم اللغة. . . وهو تقوى الله تعالى

لكن لا يخفى أن المتقي للناس، العامل بالتقية، إنما يكون كريماً عند الله عز وجل، فيما إذا كانت التقية واجبة أو جائزة شرعاً. إذ تكون تقية الناس من تقوى الله عز وجل، وأما في موارد حرمتها، وهي موارد وجوب العمل الاسلامي العام، فالتقية، تكون معصية مبهدة عن الله عز وجل، منافية مع التقوى، بكل تأكيد



### القسم الثامن:

من الأخبار الدالة على التكليف في عصر الغيبة: ما دل على وجوب الانتظار الموري، وتوقع الظهور في كل وقت، بالمعنى الذي سبق أن حققناه  
أخرج الطبرسي في الاعلام<sup>(١)</sup> والكليني في الكافي والصدوق في الاكمال<sup>(٢)</sup> عن الامام الصادق عليه السلام في حديث عن العيص أنه قال: فعندها توقعوا الفرج صباحاً ومساءً.

وقد سبق أن سمعنا ما قاله المهدي (ع) للشبح المفيد في رسالته إليه - برواية الطبرسي في الاحتجاج<sup>(٣)</sup> - من قوله: فليعمل كل امرء منكم بما يقرب به من

(١) اعلام الوري، ص ١٠٤

(٢) انظر المصدرين المخطوطين

(٣) ج ٢، ص ٣٢٤

محبته، ويتجيب ما يذنيه من كراهته، وسخطها، فان أمرا بعتة فجأة الخ  
الرسالة

وروي عن الامام الصادق (ع) (١) أنه قال: وهو يبعد الدين الحق. الورع  
والعفة والصلاح. إلى قوله: وانتظار الفرج بالصبر.

وعن أمير المؤمنين (ع): انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح الله، فان أحب  
الأعمال إلى الله عز وجل، انتظار الفرج.

وفي الاكمال (٢) عن السي (ص)، قيل له: يا رسول الله، متى يخرج القائم  
من دريتك. فقال: مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلا الله عز وجل لا تأنيكم  
إلا بعتة

وفي منتخب الآثار (٣) عن اكمال الدين أنه أخرج عن الامام الرضا (ع) قوله.  
ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول الله عز وجل: فارتقبوا أبي معكم  
رقيب. فانتظروا أبي معكم من المنتظرين فعليكم بالصبر، فإنما يحيى  
الفرج على اليأس.

وأخرج الترمذي (٤) عن أبي الأحوص عن عبد الله قال قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم: سلوا الله من فضله، فان الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة  
انتظار الفرج.

وفي الكافي (٥) عن أبي الخارود قال قلت لأبي جعفر: يا ابن رسول الله، هل  
تعرف مودتي لكم وانقطاعي اليكم وموالاتي بياكم. قال فقال نعم إلى أن  
يقول: والله لأعطيته ديتي ودين آثاني الذي يدين الله عز وجل به شهادة أن لا  
إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. إلى أن يقول وانتظار قائم والاجتهاد  
والورع.

(١) منتخب الآثار، ص ١٩٨

(٢) نفس المصدر والمصحة

(٣) أنظر المصدر المخطوط

(٤) ص ١٩٦

(٥) ج ١، ص ٢٢٥

(٦) أنظر المصدر المخطوط

وفيه أيضاً عن الامام الباقر عليه السلام، في ذكر الدين الذي يقبل فيه العمل قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له إلى أن يقول: والورع والوفاصع، وانتظار قائما فان لنا دولة، إذ شاء الله جده بها.

إلى غير ذلك من الأحبار، وسيأتي فيها سماعه من الأحبار، المنطقة تفصل الانتظار والمستطير، خلال عصر العيبة، ما يدل على ذلك أيضاً

وقد سبق أن تكلمنا عن المفهوم الصحيح للانتظار، وما قد سردنا الأحبار الدالة على ذلك، وأما السؤال عن منافاة مفهوم الانتظار مع العلامات المجعولة للظهور، أو عدم منافاتها معه، فقد سبق أن ناقشناه. وسيأتي تفصيل ذلك، في القسم الثالث من هذا التاريخ.

وقد يقول قائل: إن أغلب هذه الأحبار، لم تنص على أن المراد هو انتظار ظهور المهدي (ع) أو اليوم الموعود. فبعض المراد هو انتظار لفرح بعد أي شدة فنقول في جوابه. أنه يمكن الإطلاق إلى اثبات احتصاص هذه الأحبار بانتظار ظهور المهدي (ع) من راويين

### الراوية الأولى

الاستفادة من الأحبار المصرحة بذلك، مما ذكرناه وجمعها قرية على أن المراد من الأحبار الأخرى هو ذلك أيضاً وليس في ذلك ما يبالي كلا الأطروحتين الامامية وغيرها في مهم المهدي (ع) فان انتظاره على كل حال من أفضل العادة سواء كان المهدي (ع) موجوداً غائباً أو لم يكن.

### الزاوية الثانية:

إن انتظار الفرج الذي يكون مهماً إلى هذا الحد، ومشدداً عليه في لسان المعصومين عليهم السلام بهذا المقدار . . حيث نسمع أنه أحب الأعمال إلى الله عز وجل، وأنه أفضل العادة، وأنه أساس من أسس الدين . هذا لا يمكن أن يكون انتظار الفرج من مشكلة معينة أو صعوبة فردية. فان غاية ما يطلب من المرء إسلامياً خلال المصاعب هو الصبر، وعدم الاعتراض على الله في ذلك. وأما

انتظار ارتفاع الصعوبة، فلا يعطي مرة زائدة بحسب ما هو المفهوم من القواعد العامة في الإسلام.

وإنما هذا الانتظار الكبير ليس إلا انتظار اليوم الموعود، باعتار ما يستتبعه من الشعور بالمسؤولية والسحاح في التمحيص الإلهي، والمشاركة في إيجاد شرط الظهور، في نهاية المطاف . كل ذلك لمن يشعر بهذا الانتظار ويكون على مستوى مسؤوليته، بخلاف من لا يشعر به، بل يبقى على مستوى المصلحة والأنانية. فانه لن ينال من هذه العادة الفعلى شيئاً.

وستطيع بكل وضوح أن تعرف أنه لماذا أصبح هذا الانتظار اسماً من أسس الدين . لأنه مشاركة في العرص الأساسي لإيجاد الشريعة، ذلك العرص الذي شارك فيه ركب الأسياء والشهداء والصالحين وحس أولئك ربيعاً  
إذن، فهذه الأحبار، لا يمكن أن يكون لها معنى، إلا المشاركة في هذا الهدف الكبير.



#### الجهة الخامسة .

في فضل الانتظار والمتطرين، خلال عصر العيبة الكبرى . والصابرين على البأساء والضراء في عهد العن والاحراف .  
وينطلق إلى الكلام في ذلك من ناحيتين.

#### الناحية الأولى :

فيما تقتضيه القواعد العامة الإسلامية من ذلك .

يقوم الفرد المسلم المحلص في عصر العيبة الكبرى بعدة مهام إسلامية، لها أكبر العصل وأعظم الأثر في تربية الفرد وتكامله، وقربه من تعاليم ربه ورضاه . ويتصل في ذلك - أحياناً - حتى على عصر النبوة وعصر الظهور . وتتلخص تلك المهام في عدة أمور:

الأمر الأول .

الإيمان بالغيب فإن الفرد المسلم في هذا العصر، يختلف حاله عن المسلمين

في عهد النبي (ص) من حيث وضوح الاعتقاد بالعقائد الاسلامية، وقرها إلى  
الحس، طبقاً لما يميل إليه البشر من ميلهم إلى شهادة الحس واشدادهم إلى الزمان  
والمكان.

وقد كان هذا موقراً في عهد النبي (ص)، حين كان هو (ص) الذي يمارس  
الدعوة الاسلامية بيده، فتتوفر على يده العديد من المزايا التي لا يمكن أن يوجد  
مجموعها في أي عصر آخر.

### المزية الأولى:

قوة الاقتناع الناتجة مما له من الثقافة الالهية العالية... وما له من الهية في  
نفوس المسلمين.

### المزية الثانية:

تلقي الوحي من الله عز وجل، في القرآن وغيره. حتى لكان الفرد الاعتيادي  
آنذاك، يحس بأثر تعاليم الوحي في حياته العملية، وتطبيقها في مجتمعه الذي  
يعيشه، ويحس بما يستجد من تعاليم وتوجيهات... وما يزل من قرآن مبشراً  
ومندراً ومعلماً ومهدداً.

### المزية الثالثة:

العدل الشامل الذي ساد الدولة الاسلامية في عصره (ص)... ذلك العدل  
الذي أعطى الدليل التاريخي الخامس على مر العصور، وإلى يوم الطهور  
الموعود... على نجاح التجربة الاسلامية في مجال التطبيق

### المزية الرابعة:

النصر المؤزر المستمر الذي كان يناله الجيش الاسلامي بقيادته (ص)، مما لا  
يمكن أن يخطر على بال، بحسب التخطيطات العسكرية المعروفة يومئذ... بل في  
كل عصر، مع حفظ النسبة بين الجيشين المتحاربين عدة وعدداً. وذلك نتيجة  
للتوفيق الالهى الذي كان يحالعه في غزواته، كما نطق به التنزيل، ودلت عليه  
التجربة التاريخية.

## المزية الخامسة:

شخصيته (ص) من حيث كونه المثل الأعلى للحلق الاسلامي الرفيع فقد طبق على نفسه التعاليم التي جاء بها بدقة وإخلاص، فكان مثلاً يحتذى وقدوة للورى وكمالاً إلهياً، حتى نطق التنزيل بالاعجاب به وتأييده بقوله عز من قائل: ﴿وَأَنْتَ لَعَلَّ خَلْقَ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

إلى غير ذلك من المميزات التي لا شك أن لها الأثر البالغ العميق في تقريب الفرد من الإيمان وإيصاحه له وترسيخه في نفسه. حتى أنه ليكاد يرى جميع العقائد والمفاهيم التي يشر بها النبي (ص) حسية جلية واضحة للعيان، بالرغم من كونها أموراً فكرية أو ميتافيزيقية

ورغم هذا الوضوح، فقد مدح الله تعالى ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾<sup>(٢)</sup> و ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾<sup>(٣)</sup>، وأثنى عليهم في عدد من مواضع كتابه الكبير.

وستوفر مثل هذا الوضوح، في تطبيق آخر لهذه المميزات العديدة، ما عدا الوحي، في الفائد الاسلامي العالمي الحديد، المهدي (ع) الذي سينكمل إيضاح الدعوة الاسلامية وتطبيقاتها على الشر أجمعين

إلا أن شيئاً من هذه المميزات، لا يكاد يوجد في عصر العية الكبرى، عصر العن والانعراف ومن هنا، كان الإيمان بالعقائد الاسلامية بالنسبة إلى الفرد الاعتيادي، أبعد عن الحسن، يحتاج إلى صدر أرحب ووحدان أحصص وتعب في الفحص والتفكير أكثر. خاصة بعد الحكم الاسلامي، وتأكيد القرآن على عدم جواز التقليد في العقيدة، وشجب اتباع الآباء والمربين بدون برهان، بل لا بد للفرد أن يأخذ برمام عقيدته بنفسه ويؤمن بها عن وعي واقتناع.

ومن المعلوم أنه كلما حصل الماء في سبيل العقيدة الالهية، أكثر، واستلزم

(١) الفم ٤/٦٨

(٢) البقرة ٣/٢

(٣) الأنبياء ١٩/٢٦ وسك ١٢/٦٧ واطر ١٨/٣٥

الايان تضحية أكبر... وكانت النتائج صحيحة صالحة... كان ذلك موجباً  
للكمال البشري والقرب الالهي بشكل أكبر وأعظم

وهذا المعنى بالذات، من حملة حلقات التخطيط الالهي لتربية الأفراد  
المخلصين المخلصين في عصر الفتن والانحراف. وسوضح ذلك بعد قليل

الأمر الثاني:

فما يقوم به الفرد المخلص في عصر العيبة تحمل التضحيات والمشاق في سبيل  
إيمانه وثمسه بإسلامه. تلك المشاق التي لم تكن موجودة في عصر النبوة ولن  
تكون موجودة في عصر الظهور.

فإن المشاق التي تبدل عادة في سبيل العقيدة على قسمين

القسم الأول:

ما يبذله الفرد عن طوعية واحتيار، من خدمات وأنعاب. وهو ما صمياه  
بالتحميص الاحتيازي. وعرفها أثره الكبير في تكامل الفرد طقاً لقانون التمهيص  
العام.

القسم الثاني:

ما يقع على الفرد من الأحرار في المجتمع، من قهر ومطاردة وإيلاء، ضد  
إيمانه وأعماله وعقيدته

ويختلف هذان القسمان في ثلاثة مستويات رئيسية:

المستوى الأول.

إن القسم الأول مشترك بين عصر النبوة وعصر العيبة وعصر الظهور. فإن  
لكل عصر من هذه العصور مشاكله التي تحتاج من المخلصين المبادرة إلى حلها.  
وحسباً من ذلك، إن الفرد في عصر النبوة كان يجرح طوعية لينال الشهادة في  
سبيل الحق والواجب.

ولكن القسم الثاني: غير موجود في المجتمع الذي يحكمه الاسلام، سواء في  
عصر النبوة أو عصر الظهور. وإنما هو خاص بعصر الفتن والانحراف...



هذه العصور التي نعيشها، حيث أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وطورد  
المخلصون على اخلاصهم وحسن تصرفهم  
المستوى الثاني:

إن القسم الأول من التضحية مسجّم مع العقيدة، لا يجد الفرد فيه أي  
مجاجة لها أو مناقضة لمقتضياتها. باعتبار كون القيام به مطابق مع تعاليمها وفي  
مصلحة الدعوة إليها والتركيز عليها.

وأما القسم الثاني، فهو يتصنّف - بشكل مباشر وصريح - بمجاجة للعقيدة،  
وأيقاعاً للظلم على الفرد باعتبار ما يحمله من إيمان وما يقوم من عمل في سبيل  
الحق.

المستوى الثالث:

إن القسم الثاني أكثر إيلاماً للنفس وأصعب تحملاً للفرد من الأول.

إن القسم الأول من التضحية، مهما جر من مصاعب وآلام، فإنه أمر  
اختياري للفرد لا يجد فيه أسفاً. وإنما يجد فيه المحلص حلاوة الإيمان وبور العمل  
الصالح.

وأما القسم الثاني، فيجد فيه الفرد ضغط الاضطراب وقسوة المراقبة وضيق  
الآل... ولولا ثقة الفرد بربه وعقيدته، وقائده المهدي (ع)، لكان من الهالكين.

وعلى أي حال، فمن الجلي أن تحمل التضحية من كلا القسمين، كما عليه  
حال العمل العام خلال الغيبة، أصعب منه وأعقد من تحمل قسم واحد من  
العمل. وهذا أيضاً أحد عناصر التمحيص الإلهي وأسبابه، على ما سنذكر

الأمر الثالث:

صمود الفرد ضد الاغراء، بشكل غير موجود، لا في عصر النبوة ولا في عصر  
الظهور.

إن الاغراء الذي قد يواجهه الفرد على قسمين:

القسم الأول:

الاعراء الناتج من مصالحه الشخصية وشهواته النسية، باعتبار ما للشهوات

الغريزية من اندفاع الاشباع، من دون أن تنظر إلى الطرق والوسائل وقد قيل صدقاً: إن الغرائز لا عقل لها.  
القسم الثاني:

الاعراض الناتجة من قبل الآخرين، حين يرى الفرد ما لعصر الفتن والانحراف من محال وحصار وتنظيم. . وما لاتساع تياراته وحكامه من ضمان للمال والشهرة والراحة في الحياة. فيأتي كل ذلك إلى نظر الفرد بهيجاً عطياً يغويه بالاتجاه نحوه والحصول عليه والعمل على الوصول إليه.

والقسم الأول، مواكب للنشئة على طول وجودها الطويل، ما دام في الانسان شهوات وما دامت له مصالح خاصة لا يختلف فيه عصر العيبة الكبرى عما قبله أو ما بعده. وهذا هو المحك الأساسي للتمحيص العام للنشئة أجمعين

إلا أن القسم الثاني خاص بعصر العيبة الكبرى، بصفتها عصر الفتن والانحراف. لوصح أن المصالح الشخصية التي تقتضي الاعراض بالحصول على القوة والمال، كلها موجهة إلى دولة الحق، عند وجودها في عصر السوء أو عصر الظهور. . بحلله في عصر العيبة، فلها موجهة للحصار المادية والحكام المنحرفين.

#### الأمر الرابع:

إيمان الفرد بالمهدي (ع)، وتحتل ما يستلزمه من تصحيات ومصاعب، في مستويات ثلاثة:

#### المستوى الأول:

كونه إيماناً بالغيب فيلاقي من العقبات ما قلناه في الأمر الأول، سواء كان باعتار الايمان باليوم الموعود، الذي يطبق الله تعالى أطروحته الكاملة على الشر. أو باعتار الايمان بالمهدي (ع) على الخصوص كقائد لذلك اليوم الموعود أو باعتار الايمان فعلاً بوجود المهدي (ع) وعييته. . على الاختلاف بين الناس في هذه العقائد الثلاث. فان الايمان بأي واحدة منها إيمان بالغيب، فضلاً عن الايمان بها جميعاً، طبقاً لفهم الامامي للمهدي (ع). فلها جميعاً حارحة عن المحس الاعتيادي. إلا الأولئك الخاصة الذين شاهدوا المهدي (ع) على وجه التعيين وقليل ما هم.

## المستوى الثاني:

استلزام طول مدة الغيبة وقادحها، محسب الذهنية الاعتيادية للبشر، فيما شاهدوا من مقادير عمر الانسان، استلزامه لاستعداد وجود المهدي (ع) خلال هذه المدة، وترجيح موته أو عدم ولادته.

كيف وهو المذحور لشعر العدل ورفع الظلم، فلماذا لا يخرج لنشره وهو يرى الظلم المتعاقم على وجه الأرض وقد أسلعا الجواب على مثل هذه الأسئلة، فلا تعيد.

## المستوى الثالث:

ما يستلزمه الايمان بوجود المهدي (ع) وعلمه بأعمال الناس ومشاهدته للمجتمع عن كثب حال غيبته... من شعور المرء بالمسؤولية المضاعفة، بالتركيز على العمل الصالح على الصعيدين الشخصي والاجتماعي، ليكون عند حسن ظن قائده به وثقة إمامه.

ومن الواضح، أن الإيمان بالغيبة، وما تتضمنه من مصاعب، غير موجود، لا في عصر النبوة، ولا في عصر الظهور.

إذن... فهذه أمور أربعة، تمثل المسؤوليات المهمة والتضحيات الكبرى التي يجب على الفرد المسلم القيام بها خلال العيبة الكبرى. وهي التي - بمجموعها - جعلت هذه الفترة من عمر البشرية الطويل، أصعب الفترات، من حيث تأكد التمحيص وعمق الامتحان والتي جعلت الفوز فيه بالشكل الكامل الشامل، قليلاً ومختاحاً إلى زمان طويل وتربية مستمرة، سواء على مستوى الفرد، أو على مستوى الأمة جميعاً.

كل ذلك، ليتحقق الصمان الأكيد في الحصول على جماعة من الصامدين ضد كل هذه المصاعب، البادرين أنفسهم في سبيل ربهم وعقيدتهم على كل حال، لا تأخذهم في الله لومة لائم. ليكونوا هم أعوان المهدي (ع) في شر القط والعدل على وجه السبطة في اليوم الموعود... وبغير هذا المستوى من الاحلاص، لن يمكن تحقيق الحكم العالمي العادل، بأي حال من الأحوال.

فهذا هو الكلام في الساحة الأولى، في ما تقتضيه القواعد العامة من فصل

الاخلاص والمخلصين خلال عصر الفتن والانحراف، بشكل يفوق غيره من العصور.

### الناحية الثانية

فيما نطقت به الأخبار من فضل المؤمنين المخلصين المصححين في سبيل الله في عصر الفتن والانحراف المنتظرين لليوم الموعود، فيما قبل الظهور أخرج مسلم<sup>(١)</sup> والترمذي<sup>(٢)</sup> وابن ماجه<sup>(٣)</sup> عن النبي (ص) أنه قال العباد في المخرج كهجرة إلي.

والعهم الواعي الصحيح لهذا الحديث الشريف، يتوقف على تقديم عدة مقدمات:

### المقدمة الأولى:

إن المراد بالمخرج، وهو الفتن والانحراف الذي يقع في عصر العيبة الكبرى. باعتبار ما نطقت به أحبار الفريقين ومصادر العامة على وجه الخصوص، من وقوع المرح والقتل والفتن خلال هذا العصر. فإن هذه الأخبار، تكون قرية ندلنا على أن المراد بالمخرج في هذا الحديث هو عصر المرح والفتن، لا نفس المرح، وهو القتل.

### المقدمة الثانية.

يراد بالهجرة إلى النبي (ص): هجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام وهو في واقعها أساس الأعمال الإسلامية جميعاً ومنذوها الذي تنطلق منه، لأنه تعبير آخر عن اعتناق الإسلام نفسه.

### المقدمة الثالثة.

قد عرفنا ما تقتضيه القواعد من أن الإيمان والعمل الإسلامي، كلياً واحداً من العقبات أكثر واحتياج من التوضيحات إلى عدد أكبر، كان مقرباً إلى الله تعالى بشكل أعمق وموجباً لتكامل الفرد بسحو أسرع.

(١) جـ ٨، ص ٢٠٨.

(٢) جـ ٣، ص ٣٣٢.

(٣) جـ ٢، ص ١٣١٩.

## المقدمة الرابعة

يراد بالعادة، معناها العام، لا خصوص الصلاة والصوم، وإن كانت هذه من أقدس أشكال العبادات بل يراد كل عمل مطلوب في الإسلام بحقيقته، المراد امتثالاً للأمر الإلهي، وتطبيقاً لتعاليم الإسلام فشمل العادة بهذا المفهوم سائر الأعمال الإسلامية، الفردية منها والاجتماعية، كما سبق أن حللنا عن ذلك فكرة كافية وحققناه مفصلاً في بحث متكامل عن المفهوم الواعي للعادة في الإسلام.

إذن يتبع من هذه المقدمات الأربع أن مراد النبي (ص) من حديثه هذا هو: أن العمل الإسلامي في سبيل الله بمختلف مستوياته، مما يقع في عصر الهرج والفتن والانحراف له من الفصل عند الله وعند رسوله، كفصل اعتناق الإسلام نفسه

وليس ذلك بالعجيب، بعد الذي سمعناه من الأحبار ورأيناه بالعيان، من محاربة الفتن والانحراف، للعقيدة والمعتقدين، وقهرهم عن ترك الإيمان والخروج عن طاعة الله عز وجل، بمختلف وسائل الظلم والاعراء. . . إذن فتكون المحافظة عن تعقيدة والنقاء عن السلوك الصالح، من الأهمية كالدخول في الإسلام لأول مرة، وليت شعري، قد يكون النقاء عن العمل الصالح مستلزماً للتصحية وامتاع أكثر مما يستلزمه اعتناق الإسلام لأول مرة

وأخرج ابن ماجة<sup>(١)</sup> والترمذي<sup>(٢)</sup> في حديث عن رسول الله (ص) قد سبق أن سمعنا فسماعه، أنه قال: «إن من ورثكم أيام الصر انصر فيهن على مثل فص عن الحمر للعامل فيهن آخر حمسين رجلاً يعملون بعمله

فانعمل الواحد المنشأ، يتصاعف فصله وأجره، يتصاعف التصحية في سبل تحقيقه حتى إذا ما وصلت التصحية إلى أوجها، وكان التمسك بآداب كالفص على خمر في الشدة واللأ، وصل الفصل والآخر إلى أوجه أيضاً وكان العمل الواحد، من الرجل الواحد، في مثل هذا الطرف، معادلاً لعمل خمسين عامل مثله، في حال الرخاء والدعة.

(١) ج ٢، ص ١٣٣١

(٢) ج ٢، ص ٤٣٧

ورقم الخمسين، بطبيعة الحال، لا يراد به التحديد، بل هو مجرد المبالغة والتكثير، كقوله تعالى: ﴿أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾<sup>(١)</sup>. فلا ينافي القول بأن فصل الفرد الصابر المجاهد قد يموق عمل غيره بأصعاف هذا المقدار، بازدياد ما يتحمل من المحن والآلام.

وروى الكليني في الكافي<sup>(٢)</sup> بسنده إلى عمار الساباطي قال قلت لأبي عبد الله (ع) - أيما أفضل العبادة في السر مع الإمام مكم المستر في دولة الباطل، أو العبادة في - ظهور الحق ودولته<sup>(٣)</sup> مع الإمام مكم الظاهر.

فقال: يا عمار! الصدقة في السر أفضل من الصدقة في العلانية وكذلك - والله - عبادتكم في السر مع إمامكم المستر في دولة الباطل وحال الهدنة؛ أفضل ممن يعبد الله عز ذكره، في ظهور الحق مع إمام الحق الظاهر في دولة الحق. وليست العبادة مع الخوف في دولة الباطل مثل العبادة والأمن في دولة الحق... إلى أن يقول قلت: قدر الله رغبتني في العمل وحشنتني عليه.

ولكن أحب أن أعلم كيف صرنا نحن اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الإمام الظاهر مكم في دولة الحق، ونحن على دين واحد.

فقال: أنكم سبقتهم إلى الدخول في دين الله عز وجل، وإلى الصلاة والصوم والحج، وإلى كل خير وفقه، وإلى عبادة الله عز ذكره سراً من عدوكم مع إمامكم المستر، مطيعين له صابرين معه منتظرين لدولة الحق، خائفين على إمامكم وأنفسكم من الملوك الظلمة... مع الصبر على دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف من عدوكم. فبذلك ضاعف الله عز وجل الأعمال، فهيئاً لكم

قلت: جعلت فداك، مما ترى إذن أن نكون من أصحاب القائم، ويظهر الحق. ونحن اليوم في إمامتك وطاعتك، أفضل أعمالاً من أصحاب دولة الحق والعدل

فقال: سبحانه الله. أما نحبون أن يظهر الله تبارك وتعالى الحق والعدل في

(١) التوبة ٨٠/٩

(٢) أنظر المصدر المصنوع

(٣) في المصدر المصنوع ودولة. والظاهر أنه تحريف.

البلاد، ويجمع الكلمة ويؤلف الله بين قلوب مختلفة، ولا يعصون الله عز وجل في أرضه وتقام حدوده في خلقه، ويرد الله الحق إلى أهله، فيظهر حتى لا يخفى شيء من الحق، تخافة أحد من الخلق<sup>(١)</sup>. أما والله يا عمار، لا يموت مكم ميت على الحال التي أنتم عليها، إلا كان أفضل عند الله من كثير من شهداء بدر وأحد. فابشروا.

ودلالة على هذه الرواية على تفضيل العادة والعابدين والصبر والصابرين، خلال عهود الظلم والانتحراف، على العادة في عهود الراحة والرخاء، ذلك الرخاء الناتج عن حصول دولة الحق بقيادة الإمام المهدي (ع) وتطبيقه للأطروحة العادلة الكاملة على العالم. دلالة هذه الرواية على ذلك، أوضح من أن يخفى أو أن يكون محلاً للمناقشة.

ولكننا من أجل تجلية الموقف، نود التمرص إلى نقطتين:

#### النقطة الأولى:

أنه قد اشترط الامام الصادق عليه السلام، في هذه الرواية، في تحديد فصل الصابرين... بأن يكونوا مع إمامهم المستر. يعني: المستر بإمامته، لا يباشر الحكم. فقد يقول قائلًا: أنا الآن في عصر المية الكبرى لسنا مع إمام ظاهر، ولا مع إمام مستر - بذلك المعنى - فلا يكون لمخلصنا من الفصل ما وصف في هذه الرواية.

وبحسب عن ذلك، على مستويين:

#### المستوى الأول:

أنا بالمعل مع إمام مستر، طبقاً للمفهوم الامامي، الذي انطلقت منه هذه الرواية. - ولنا محرومين من هذه المزية لكي لا يشملنا الفصل الموصوف في الرواية. فان المهم هو كون المرء موافقاً مع الإمام إيماناً وعقيدة. وتستطيع أنت أن تضيف إلى ذلك - إن رغبت - كونه معاصراً له في الزمان. وكلا هذين الأمرين متوافران لدى من يعتقد بالمعية. فانه يعتقد أنه على طول الخط معاصراً زمانياً مع إمامه المهدي (ع)، ومتفق معه في العقيدة والإيمان. وأما كون الامام معروفاً

(١) في المصدر المخطوط تخافة أحد من أحد من الخلق وهو تحريف، يرجح أن يكون صحيحه ما أتينا

بالشخص فهذا ليس له أي دخل في صديق كون الفرد معه، كما هو واضح.

وتعبر أدق: إن المهم الذي أكدت عليه الرواية، هو كون الامام مستتر بإمامته خوفاً من الظالمين. . . وكون الفرد مطيعاً له عقيدة وسلوكاً وهذا نفسه متوفر في عصر الغيبة، بالنسبة إلى الفرد المخلص، كما كان متوفراً في عصر الأئمة (ع) فإن كلا العصرين، هما من عصور الفتن والانحراف وانحسار الحق واستتر الامام. ولا يبقى لمعروفة الامام شخصه دخل مهم من هذه الجهة.

#### المستوى الثاني

أنا مقترص - جداً - أن وجود الغيبة يجمع من كوسامع الامام أو بجر الكلام إلى من لا يقول بالغيبة أصلاً. ولكن مع ذلك نقول بشمول الفصل الموصوف في الرواية، للمخلصين الموجودين خلال عصر الفتن والانحراف

فإن ما هو المدرك في ثبوت الفصل، وما هو الأساس في التمييز الإلهي، على ما عرف، إنما هو الخوف، من الظلم والظنود ضد كيد الأعداء وضد مطردة المحرفين. . . فإن العمل والعبادة خلال الخوف، أفضل وأعلى في درجات الكمال، من العمل في عصور الاطمئنان والرخاء. وهذا الخوف العاصف موجود في القرون المتأخرة، كما هو موجود في عصر الأئمة المعصومين عليهم السلام بدون فرق فإن كلا العصرين، من عصور الفتن والانحراف.

ويرداد الخوف وتنكائر المضاعف ضد المخلصين، في العصور المتأخرة عن عصر الأئمة (ع) من عدة نواح:

الأولى. إن الحكم في ذلك العصر، مهما كان مصلحياً ومنحرفاً، كان يقوم باسم الاسلام، وعلى أساس تطبيقه. على حين لا نجد اليوم على وجه الأرض حاكماً على الاطلاق يمثل هذا الاتجاه بعد أن اتجهت أساليب الحكم إلى المادية والعلمانية.

الثانية. أن التنظيم العام الذي تقوم عليه الدولة في ذلك العصر، كان أسط بكثير مما تقوم عليه الدول الآن من جهات عديدة جداً. في الجهر العسكري وجهاز الشرطة ونوع الأسلحة وشكل الحكم وأسلوب التحس والمطاردة، وتنظيم الدولة، والأحزاب والتكتلات. . . إلى غير ذلك.



الثالثة. أنه في ذلك العصر، كانت تغزو المجتمع تيارات إلحادية وأساليب هدامة، إلا أنها كانت ضعيفة، مرفوضة من قبل الرأي العام المسلم ومطاردة من قبل السلطات الحاكمة. وأما التيارات الإلحادية وسحوها، اليوم، فهي مدعومة بتفكير المكبرين وتآليف المؤلفين، ووسائل الاعلام العالمية، ومدعومة أيضاً بالتأييد المطلق من قبل كثير من الدول، تبدل عليها الميراثيات الطائفة والأساليب المائلة. وتطارد من يعارضها ويدعو الناس إلى رقصها والتوجه إلى الحق، المتمثل بالاسلام وتعاليم الله عز وجل.

ومن هنا نفهم أن الظلم فيما بعد عصر الأئمة (ع) أشد وأوكد، والتمحيص الالهي أعقد. فإذا كان لأصحاب الأئمة عليهم السلام، من الفصل ما ذكرته الرواية، فهو أوكد وأعمق في حق المحصلين المتأخرين عن ذلك العصر وكلما تعقد التمحيص وصعب، كان الفصل عند الله أكثر والكمال المحرز في الإيمان والاحلاص أكبر.

#### النقطة الثانية:

قول الامام الصادق (ع) - بحسب الرواية - : لا يموت منكم ميت على الحال الذي أنتم عليها، إلا كان أفضل عند الله من كثير من شهداء بدر وأحد. فابشروا.

وهذا واضح وصحيح، بعد أن نلاحظ أمرين مما قلناه:

#### الأمر الأول:

ما قلناه، من أفضلية المحصلين الكاملين الصالحين لقيادة العالم بين يدي المهدي (ع). من الأعم الأغلب من أصحاب رسول الله (ص). كما سبق أن برها عليه.

#### الأمر الثاني:

ما قلناه قبل قليل، من أفضلية من يعيش في عصر الغيبة ممن يعيش في غيره من العصور، ولو أثبت العرد الحداثة والصمود ضد الظلم والاسحراف فإن قال قائل: انهم قد استشهدوا في سبيل الله تعالى دوماً، فيجب أن يكونوا أفضل ما.

قلنا. كلا. فان الشهادة التي نالها الأغلب في بدر وأحد، كانت باعتبار الاندفاع الثوري والوهج العاطفي الحاراري الذي أوجده رسول الله (ص) في محتمعه كما سبق أن عرفنا. ومثل هذا العمل وإن كان يمثل نجاحاً كبيراً في التمحيص الاختياري، إلا أنه لا يمكن أن يكون مسألتربية الفرد وتكامله، ودقة تمحيصه. فان ذلك ما يحتاج إلى زمان طويل وتسلسل تدريجي بطيء، وتكامل متواصل. ولا يمكن للفرد أن يقفز دفعة واحدة إلى الكمال، مهما كانت الظروف التي عاشها صعبة ومتعبة.

ومثل هذه التربية الطيبة، يمر بها الفرد المسلم بل الأجيال المسلمة في عصر العيبة الكبرى، بشكل أطول وأكثر بكثير مما مر به أصحاب رسول الله (ص) خلال عقدين من الزمن. ومنشع نتائج أوسع وأعمق وذات مستويات أكبر مما نتج بالنسبة إلى الأغلب ممن عاصر النبي (ص). كما استطعنا أن نتبين خطوطه العريضة فيما سبق من البحوث.



وبذلك نستطيع أن نهم سائر الروايات الواردة في فصل الصامدين على الحق المنتظرين لليوم الموعود.

مها. ما رواه الصدوق في الاكمال<sup>(١)</sup> عن الإمام الحسين بن علي عيهما السلام، أنه قال - في كلام له عن المهدي (ع) - له خيبة يرتد فيها أقوام، وشت على الذين فيها آخرون. ويقال لهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين أما أن الصابر في عيبته على الأذى والتكذيب بمحنة المحاهد بالسيف بين يدي رسول الله وآله الطاهرين الأخيار.

وما أخرجه البرقي في المحاسن<sup>(٢)</sup> عن الإمام الصادق (ع)، قال: من مات مكرم على أمره هذا فهو بمنزلة من صرب فسطاطه إلى رواق القائم، بل بمنزلة من

(١) انظر المصدر المخطوط

(٢) ج ٢، ص ١٧٢

يضرب معه بالسيف، بل بمنزلة من استشهد معه، بل بمنزلة من استشهد مع رسول الله (ص).

وأخرج أيضاً<sup>(١)</sup> من مات منكم على هذا الأمر منتظراً له، كان كمن كان في سباط القائم (ع) وعن الإمام الباقر (ع) - في ضمن حديث - أنه قال: القائل منكم: إن أدركت القائم من آل محمد نصرته، كالمقارع معه بسيفه... الحديث بل أن المحضين الكاملين لأعظم حتى من هذه الدرجة كما تدل عليه روايات أخرى:

منها: ما رواه الصدوق في إكمال الدين<sup>(٢)</sup> أيضاً عن الإمام علي بن الحسين (ع) في حديث له عن المهدي (ع). إن أهل زمان غيبتة القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره، أفضل من أهل كل زمان، لأن الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والافهام والمعرفة ما صارت به العيبة عندهم بمنزلة العيان، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله بالسيف. أولئك المحضون حقاً. والدعاة إلى دين الله سرّاً وجهراً.

وما رواه الشيخ في العيبة<sup>(٣)</sup> عن النبي (ص) أنه قال: سيأتي قوم من بعدكم، الرجل الواحد منهم له اجر خمسين منكم قالوا: يا رسول الله، نحن كما معك بنذر وأخذ وحين وأمرل قيا القرآن فقال: أنكم لو تحملون لما حلوا لم تصبروا صبرهم.

إذن هؤلاء المحضون الكاملون، أفضل من عامة المعاصرين للنبي (ص) والسرفيه ما قلناه من حاجة أولئك من حيث التمهيص، وعمق هؤلاء. والشخص الفح لا يتحمل التمهيص العميق بطبيعته، وهو معنى قوله: أنكم لو تحملون لما حلوا، لم تعبروا صبرهم.

وبود أن نعلق على هذه الأخبار الأخيرة بنقطتين.

(١) المصدر والصحة وكذلك الخبر الذي يليه

(٢) أنظر المصدر المخطوط.

(٣) أنظر من ٢٧٥ وأخرجه في الخراج، من ١٩٥

## النقطة الأولى:

إن التعبير بالمسطاط وبالسيف، إنما جاء في هذه الروايات، مماشاة مع ما يعرفه الناس في عصر صدور هذه الروايات وقد سبق أن قلنا في أول القسم الثاني من هذا التاريخ، أننا يجب أن نبحث عن مصاديق جديدة مثل هذه التعبيرات، مناسبة للعصر الذي نتحدث عنه فيكون المراد بالسيف سلاح الامام المهدي (ع) وبالمسطاط مقره أو عاصمته أو نحوها.

ومن المحتمل أن يكون المراد بالمسطاط المدرسة العسكرية، بحسب ما يسطرح عليه اليوم أو المبدأ المستلزم لاتجاه فكري وسلوكي خاص في الحياة.

والقربة على ذلك، ما رواه أبو داود<sup>(١)</sup> عن رسول الله (ص) في حديث له عن الفتة، قال: يصح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين فسطاط إيمان لا يفاق فيه. ومسطاط نفاق لا إيمان فيه. الحديث فان المراد منه - بكل وضوح - المدرستين الفكريتين أو المبدأين العقائديين، شههما فسطاطين لجيشين متحاربين كما كان عليه أهل ذلك الزمان.

## النقطة الثانية.

عرفنا في الحاسب الأول من الحديث عن الانشطار والمتطرين، نفس ما أفادتنا إياه هذه الروايات من كون الفرد المحمص الكامل أفضل من كثير من المستشهدين بين يدي رسول الله كما عرفنا أنه بمرلة المعاصرين مع المهدي (ع) العاملين في سبيل نصرته.

وذلك التجاور المكاني والزماوي، ليس له حساب في العقيدة والعمل، وإنما الذي يؤخذ مظهر الاعتبار هو درجة الاخلاص، والايمان. وقد عرفنا أن أصحاب المهدي (ع) على درجة عليا من الاخلاص المحمص وقوة الايمان. فإذا كان الفرد في عصر العيبة محمّصاً بنفس الدرجة كان مثل أصحاب المهدي (ع) بطبيعة الحال.

إلا أن ما ورد في بعض هذه الروايات، من أن الفرد المحمص في زمان العيبة، كالمشهد بين يدي المهدي (ع)، مما لا يكاد يسحّم مع القواعد رد المروص

(١) ج ٢، ص ٢١١

تمثال المرددين في الاخلاص المحض، مع زيادة الآخر بفصل الشهادة في سبيل الله عر وجل إلا أن يال هذا الفرد في عصر الغيبة، الشهادة في سبيل الله أيضاً.



#### الجهة السادسة.

في المنزلة البيئة والقيمة المنحطة لأعداء المهدي (ع) في عصر الهدية، عصر الغيبة الكبرى وما قبله.

روى العماني في الغيبة<sup>(١)</sup> والصدوق في الاكمال<sup>(٢)</sup> والطوسي في الاعلام<sup>(٣)</sup> عن أبي عبد الله عليه السلام قال أقرب ما يكون العباد إلى الله عر وجل، وأرصى ما يكون عنهم إذا فقدوا حجة الله، فلم يظهر لهم، ولم يعلموا بمكانه وهم في ذلك يعلمون أنه لم تطل حجب الله عنهم ولا تطل بياته. فعدها فتوقعوا المرح صباحاً ومساءً.

وإن أشد ما يكون عصب الله على أعدائه، إذا افتقدوا حجته، فلم يظهر لهم. وقد علم أن أولياءه لا يرتابون ولو علم أنهم يرتابون لما عيب عنهم حجته طرفه عيب ولا يكون ذلك إلا على رأس شرار الخلق ويقع الكلام في هذه الرواية، ضمن عدة نقاط

#### النقطة الأولى.

فما هو مقتضى القاعدة لتحديد درجة مسؤولية الفرد تجاه العصيان لأحكام الاسلام في عصر الغيبة الكبرى.

الصحيح هو تساؤل المسؤولية إلى حد ما في العصيان أثناء عهد العتس والانحراف والاعراء، عنها في الرمس المعاصر لعصر التشريع لكن لا بدرجة يلزم منها اعدام الاحتيار وسقوط التكليف

ويتم الرهان على ذلك بمعرفة عدة مقدمات:

(١) ص ٨٣ وما بعدها

(٢) أنظر المصدر المخطوط

(٣) ص ١٠٤

## المقدمة الأولى.

في إيضاح مراتب الجبر والاختيار.

من الفرد لا تكون إرادته في كل الأفعال على حد سواء، بل تختلف على مراتب متعددة، تضعف في بعضها حتى تنعدم وتوحد في بعضها حتى تنصح . كما يبدو من المراتب الآتية:

### المرتبة الأولى:

الجبر الفلسفي، بمعنى أن الإنسان يقوم بأعماله، كما يصدر النور من الشمس والرائحة من الزهر، أو كالقلم بيد الكاتب والعصا في يد الصرّاف وهو أعز درجات الجبر واتعدام الإرادة وفقدان الاختيار ويقوم هذا الجبر على أحد أسامين:

### الأساس الأول:

الأساس المادي . كالقول بالمادية التاريخية، الذي يربط التطورات التاريخية، وجميع تصرفات الأفراد بتطور وسائل الانتاج . فالفاعل المؤثر - في الحقيقة - هي هذه الوسائل، وليس للإنسان أي يد في تغيير ما يقوم به من أعمال.

وهذا واضح من اتجاه الماديين التاريخيين، إذ لو كان للأفراد اختيار في أفعالهم، لكانوا هم صانعي التاريخ والمشاركين في تطويره، ولم يكن تطويره مستنداً تماماً إلى وسائل الانتاج، كما قد أكدوا عليه.

والظاهر أن كل المذاهب المادية، تقول بالجبر الفلسفي هذا، باعتباره أن القول بالاختيار اعتراف بأمر ميتافيزيقي لا يمكنهم الإيمان به على أنه يتضمن المسافة للعلل المادية الضرورية التأثير في الإنسان تلك العمل التي تقدمها هذه المذاهب.

### الأساس الثاني:

الأساس الإلهي، بمعنى أن الله تبارك وتعالى هو الفاعل المؤثر في إيجاد أفعال الإنسان، إيجاداً قهرياً وأشهر من يقول بذلك هم الأشاعرة من المسلمين واليهود من أهل الكتاب.

وكلا الأساسين باطلان في الاسلام: أما الأساس الأول، فاعتبار مناقضة  
المادية مع الاسلام في الطر إلى الكون والحياة أساساً كما هو المبرهن عليه في كتب  
العقائد وأما الأساس الثاني، فلاستلزامه بطلان الثواب والعقاب، وسقوط الفرد  
عن استحقاقه كما هو المبرهن عليه في كتب العقائد أيضاً

#### المرتبة الثانية:

القسر على فعل معين، بعد الاعتراف بطلان الخير في المرتبة الأولى . كما  
لو شدد وثاق شخص بحبل - مثلاً - والقي في قفاه الماء أو الطعام، أو نقل من مكان  
إلى آخر محمولاً.

ولا يسمى ذلك بالاضطرار اصطلاحاً، وإن كان يمكن أن يسمى به.

#### المرتبة الثالثة:

الاكراه، مع افتراض توفر الاختيار في المرتبتين السابقتين  
وأوضح أشكاله هو التهديد بالقتل أو بالشر المستطير، لشخص على أن يعمل  
عملاً ما، تهديداً قابلاً للتطبيق... فيصطر الفرد لايقاع الفعل قهراً عليه.  
ولهذا الاكراه أشكال أخرى، كما لو كان التهديد متوجهاً إلى شخص والامر  
متوجهاً إلى شخص آخر. كما لو أمرك شخص بفعل، مهدداً إياك بقتل ولدك  
مثلاً. وكما لو كان الامر متعلقاً بايقاع أحد أمور متعددة، لا بإيقاع شيء واحد.  
مثل ما إذا قال ذلك الشخص: اعمل كذا أو كذا وإلا قتلتك.

#### المرتبة الرابعة:

الاضطرار، وهو الالتجاء إلى فعل معين تجنباً لأمر آخر وشيك الوقوع عليه.  
كما لو باع داره التي يسكنها لسداد دينه أو الصرف على صحته... وغير ذلك.  
وهاتان المرتبتان غير متافيتين للاختيار بالدقة، فان الفرد يوقع الفعل بإرادته  
على أي حال، وإن كان فعله قد يكون محالفاً لهُوى النفس أو للعقيدة التي يحملها  
مخالفة شديدة. على حين كانت المرتبتان الأوليتان، متافيتين مع الاختيار مباشرة،  
إذ لا معنى للاختيار الفعلي مع أي منهما.

## المرتبة الخامسة

ما نستطيع أن نسميه بالاضطرار غير المباشر. وهو عبارة عن ردود فعل معينة تجاه مؤثرات عامة أو خاصة، يقوم بها الإنسان بإرادته واختياره. لكن لا يكاد يوجد له منها مناص عرفاً وعادة. وإن وجد المانع منها عقلاً.

يندرج في ذلك الكثير من الأفعال، كاضطرار التاجر إلى بيع سلعته بأرخص مما اشتراها أحياناً وكاستمرار المعتاد أو المدمن على شيء، وعدم استطاعته ترك عادته، كالإدمان على الخمر أو التدخين مثلاً. وكاستمرار المحتص بحقل من حقول المعرفة في التدقيق وزيادة البحوث في حقله، دون الحقول الأخرى فالطبيب المتمرس - مثلاً - لا يمكن له أن يكون فيزيائياً أو مهندساً معمارياً وكالتزام الشخص الاعتيادي بتقاليد مجتمعه وعقائده آثاته. وكاضطرار الجوعان إلى الطعام في موعده، ما لم يصل إلى حد الخوف من الهلاك، فيكون مدرجاً في المرتبة السابقة

ولهذه المرتبة مستويان مختلفان في درجة احفظ الاختيار.

### المستوى الأول:

أن تكون ظروف الفرد وملاساته تعين عليه الفعل، بحيث يكون قاصراً عن تركه، ولا مناص به عرفاً عنه.

### المستوى الثاني:

أن لا يبلغ التسبب إلى درجة القصور، بل تكون له فرصة الاختيار عرفاً، وإن كان الدافع إلى الفعل والحافز عليه شديداً

وأمثلة هذين المستويين، نسبة تختلف بين فرد وآخر وفعل آخر، بحسب اختلاف الظروف النفسية والعقلية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، مما يمر به هذا الفرد أو ذاك. فقد يكون الفرد قاصراً عن ترك شيء، ولا يكون فرد آخر قاصراً عن ترك نفس الشيء أو يكون فرد قاصراً عن شيء دون شيء آخر. فمثلاً قد يكون أحد الأطباء قادراً بحسب ظروفه على أن يحتص بالفيزياء أيضاً. ولا يكون طبيب آخر غير قادر على ذلك، بحسب ظروفه وهكذا



## المرتبة السادسة:

الاختيار المطلق، بمعنى أن يكون للفرد حرية الفعل والترك معاً، بمقدار خمسين بالمئة على السواء.

وهذا أمر سبي أيضاً، فقد تكون أطراف التحجير كلها ممكنة، وليس في أحدها حافر أكثر من الآخر. وقد يكون في بعضها حافر أكثر، وقد يكون في بعضها منشط أو مسعد. وقد يكون بعضها مصطراً إلى فعله بالمرتبة الثانية أو الثالثة، ويكون الاختيار باعتبار الأطراف الأخرى، وهكذا.

## المقدمة الثانية:

إذا عرفنا هذه المراتب الست، أمكنا أن نعرف بوصوح اختلافها في درجة الاختيار، وأن نلاحظ اختلافها في درجة المسؤولية القانونية المترتبة عليها.

فإن كل فعل له أثر قانوني، تتناسب درجة مسؤولية طاعته وعصيانته مع درجة الاختيار تناسباً طردياً. ويدور التشريع مدار الاختيار تماماً، سواء كان التشريع عقلياً أو شرعياً ديباً أو قانوناً وصعياً بل أن كل من يتصدى لوضع أي تشريع فإنه يفترض سلفاً أن من يأمره ويهاه ويعاقبه شخص له اختيار الفعل والترك. وإلا فلا معنى للأمر والهي ولا للصبح والتوجيه. . . ويكون العقاب ظلماً والثواب لعملاً فإنه إذا انعدم الاختيار، انعدمت المسؤولية، إذ يكون للفرد المعاصي عندئذ بأنه كان مقهوراً ومجوراً على العصيان. . . ولا معنى لعقابه حينئذ.

إن قال قائل: فإن هناك الكثيرون ممن يؤمنون بالتواجد القانوني للتشريع ويعملون عليه مع أنهم يؤمنون بالجبر وانعدام الاختيار بالمرة. كالماديين والأشاعرة.

قلنا له. العمل على التشريع من قبل هؤلاء، ناشيء من أن وجداهم الارتكازي قائم على الاختيار، وحياتهم العملية قائمة على الايمان به، من حيث أن تحمل مسؤولية العصيان أمر عقلائي عام. . . فهم مؤمنون بالاختيار عملياً وإن اعتقدوا من الناحية الفلسفية بخلافه، وغفلوا عن المساهمة بين ثبوت المسؤولية وبطلان الاختيار.

وعلى أي حال، فالمسؤولية القانونية، ترداد بإردباد الاختيار وتقل بقلته، كما

أنها توجد بوجوده وتتعلم بانعدامه. فهي موجودة في المرتبة الثالثة وما بعدها بوجود  
الاحتيار في هذه المراتب جميعاً. نعم، قد يكون الفرد العادي معذوراً في بعض  
مراتب الاكراه أو الاضطراب الشديدة، بالرغم من أنه يعتبر عاصياً بالدقة العقلية.  
كما أنه مع سعة الوعي وعمق الأثر، قد لا يكون الفرد معذوراً حتى في هذه المرتبة،  
بل يجب عليه تحمل الشدائد في سبيل أهدافه.

خذ مثلاً أن مرداً عادياً إذا اضطرب إلى سرقة شيء من المتاع أو أكره عليه كان  
معذوراً. ولكن لو أكره الرئيس الأعلى للدولة أو أحد علماء الاسلام على مثل  
هذه السرقة، لا يكون معذوراً التة، لأن في ذلك اقتصاص دولته أو دينه، بل يجب  
عليه تحمل ما يكره والصبر عليه. حتى لو كان هو القتل - أحياناً - إذا كان الهدف  
من العمق والشمول، بحيث تبدل في سبيله النفوس.

وتتضاءل المسؤولية، بنقصان الاحتيار، فهي مورد الفصور - مثلاً - تكون  
المسؤولية منتفية إلى حد كبير. لكنها في مورد الاضطراب غير المباشر تكون ثابتة على  
شكل ناقص، لإمكان أن يتصرف الفرد بشكل يختلف عما قام به من عمل،  
ويكون رد فعله نجاه الحافز بشكل آخر. وتكون المسؤولية كاملة في صورة الاحتيار  
المطلق، بطبيعة الحال.

وليس تفاوت درجات المسؤولية، بدءاً من القول بل له أمثلة كثيرة في  
القوانين. مثلاً: قسموا القتل إلى عمد وشبه العمد والخطأ. ووجدوا من الظلم  
إيقاع عقاب المتعمد على شبه العمد أو الخطأ. كما أنهم قسموه إلى ما كان عن  
سبق إصرار وما لم يكن. ووجدوا من الظلم إيقاع العقاب الذي يستحقه الأول  
على الثاني. ووجدوا من الظلم - أيضاً - إيقاع عقاب السارق الاعتيادي على  
السارق في المجاعة.

ونجد في الاسلام أن عقاب الراي المحض أشد من عقوبة غير المحض إلى  
غير ذلك من الأمثلة. كل ذلك لأن درجة الاحتيار أحدث بالتصاؤل، فتضاءلت  
معها المسؤولية، ومن ثم درجة استحقاق العقاب.

ولك من المثالب الأحييرين خير إيضاح، فإن درجة احتيار السارق العادي في  
ترك السرقة أكبر منها في السارق الخائف الذي لا يجد قوتاً وإن كان الأحيير

مذبذباً أيضاً. كما أن درجة اختيار المحصن المتزوج في التعفف عن الرأ أكبر من درجة الأعزب. وإن كان هذا مذبذباً أيضاً. وهكذا.

وليت شعري، لا أعلم ماذا يقول الماديون وعيرهم من القائلين بالجبر الفلسفي في مثل هذه الموارد الواضحة قانونياً. فانها بما لا يمكن تفسير الفرق بين مراتها بناء على رأيهم، إذ يكون كل العصاة مجبورين على مستوى واحد على العصيان بل يكون هؤلاء القائلين بالجبر مجبورين على اتخاذ هذا الرأي أيضاً ١١.

#### المقدمة الثالثة.

أه كلما توفرت واردات أسباب الإيمان بالاسلام بالنسبة إلى الفرد، ازدادت درجة إمكان اختياره له واعتناقه إياه وإطاعته لتعاليمه حتى ليصبح متساوي الأطراف، كالمرتبة السادسة، بل في طرف اعتناقه حمر قوي ودافع شديد، لا يوجد مثله في طرف تركه كما كان عليه الحال، فيما بعد الفتح في عصر النبي (ص)، حتى أما سبق أن قلنا لأن الإيمان بالعب كاد أن يكون حسيباً، وهو ما سوف يكون عليه الحال بعد الظهور وفي مثل ذلك يكون العصيان ذا مسؤولية كبرى واستحقاق كبير للعقاب.

وكلما صعب طريق الإيمان واردات عقباته ومزالقه، وتكثرت النصحيات التي يتطلبها ومقاومة أشكال الظلم والاغراء التي يواجها. كانت درجة الاختيار والمسؤولية أقل، لا محالة، حتى تصبح من مرتبة الاضطراب غير المباشر بأحد المستويين السابقين بل قد تنقص عن ذلك في بعض الأحيان

ومن الممكن القول أن أكثر حالات العصيان والانحراف في عصر الفتن والانحراف، حيث تتركز المصالح الخاصة ويقل الوارح الاخلاقي والديني، ويدرك الفرد أن كثيراً من الأعمال المحرفة تعتبر ضرورة من ضروريات حياته، ويتوقف أمه وراحته عليها. أن أكثر هذه الحالات هي من قبيل الاضطراب غير المباشر بالمستوى الثاني على أقل تقدير.

وأما الفصور الحقيقي، فيمثل الجزء الأقل، من أسباب الانحراف في العالم ناعتار وصوح القصص الدينية الأولية، كالتلؤل عن مبدأ العالم والغاية

من حلقه . فإذا استطاع الفرد أن يسير مسيراً حسناً في استنتاجه ، استطاع الوصول إلى الحق لا محالة . ومن هنا ، شجبت القرآن تقليد الآباء لمأفاته الصريحة مع تلك القضايا الأولية الواضحة .

ولئن كان القصور ، وهو الجزء الأقل من أسباب الانحراف في العالم ، موجب للعذر عقلاً وشرعاً ، فإن الاضطراب غير المباشر ، وهو الجزء الأعظم من الأسباب ، غير موجب للعذر أساساً . لوجود الاختيار والمسؤولية فيه إلى درجة كافية . وخاصة بعد اتضاح معالم الحق ، وقيام الحجة والبرهان عليه وإمكان التصحية في سبيله إلى درجة معقولة ، من قبل الفرد العادي

إذن ينتج من هذه المقدمات الثلاث : إن المسؤولية القانونية ، وإن كانت متوفرة للمنحرفين في عصر الغيبة الكبرى ، ولم يكن البشر معذورين في عقائدهم وأعمالهم الناطلة . إلا أن الظروف التي يعيشونها تكسبهم من عمق المسؤولية وتقلل من درجتها ، بمقدار ما تقلل من درجة الاختيار ، وتجعل الحامر على الانحراف ، قوياً فعلاً .

وإلى مثل ذلك ، وما يشبهه تشير الرواية التي أخرجها الشيخ في العيبة<sup>(١)</sup> بطريق صحيح عن زرارة عن جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال . حقيق على الله أن يدخل الضلال الجنة . فقال زرارة : كيف ذلك جعلت فداك؟ قال . يموت الناطق ولا ينطق الصامت ، فيموت المرء بينهما ، فيدخله الله الجنة .

والشرح الأول لهذه الرواية : ان المراد من الضلال بالتشديد : المنحرفين من المسلمين ، وإدخالهم الجنة إنما يكون بسبب قلة المسؤولية التي أضر بها إليها ، حتى تكاد تنعدم فيعدم العقاب بالمرّة . وذلك في طرف معقد خال من التسليم الإسلامي ، عند موت الناطق بالحق ، وصمت الموجود .

وقد يراد بالناطق والصامت ، الأئمة المعصومين عليهم السلام فيراد بالصامت الامام المهدي (ع) وبالناطق من قبله منهم عليهم السلام . وتكون الفترة المشار إليها ، هو عصر الغيبة الكبرى الذي نؤرخ له كما قد يراد بالناطق والصامت أي مفكر ومبلغ إسلامي وداعية إلى الحق سواء كان معصوماً أو لا .

فيكون المراد فترة أو عدة فترات صعبة من عصر الغيبة، مع افتراض وجود الارشاد إلى الحق في غير هذه الفترات.

هذا، وأما المهم الدقيق لهذه الرواية، فله محل آخر، ويكفي في هذا الصدد أن العرق بين ما قلناه وبين مؤتى هذه الرواية: هو أن قلة المسؤولية التي أشرنا إليها، ناتج من ظروف الظلم والاغراء. وأما قلة المسؤولية التي تشير إليها الرواية، فتاتجة من ضعف التبليغ الاسلامي، وما يسسه من الجهل والفراغ العقائدي بشكل عام.

وكلا الأمران صحيح، وموجب لصعف المسؤولية، فضلاً عما إذا اجتماعا، كما هو الموجود في عدد من عصور عصر الغيبة الكبرى. ومرادنا من الاستشهاد بهذه الرواية، رفع الاستغراب من قلة المسؤولية مع الانحراف.

#### النقطة الثانية:

أنه بالرغم مما قلناه من قلة المسؤولية إلى حد ما في عصر الغيبة والانحراف إلا أن ذلك لا ينافي قانون التمحيص ولا ينافي صدق الرواية التي سقت ودلت على اشتداد غضب الله تعالى على أعدائه إذا عيب حجته.

ويمكن أن نطلع على ذلك من خلال جانبين:

#### الجانب الأول:

في أن قلة المسؤولية لا تنافي التمحيص

وذلك لأننا لم نقل بانتفاء المسؤولية، كيف... وإن عصيان الله من أشد الأمور مسؤولية وإجراماً ولكننا قلنا بقلتها في صورة الاضطراب غير المباشر عن صورة الاختيار المطلق. أو تعبير آخر، قلتها في عصر الغيبة والانحراف عن عصر التشريع ومجاورة قواد الاسلام، سواء السابقين منهم أو المهدي (ع) بعد ظهوره.

فكل ما يتج لدينا هو أن الفرد الماشل في التمحيص في عصر الغيبة أخف جرمًا من شخص مائل في عصر الطهور. تماماً كما يتج لدينا أن الشخص الساجع في التمحيص في عصر الغيبة أفضل وأحسن من الشخص الساجع في

عصر الظهور<sup>(١)</sup> لأن مصاعفة التمحيص وشدته، يلزم كله هذين الأمرين.

ومعه يبقى التمحيص على حاله، من حيث أساليبه ونتائجه

أما أساليبه، فباعتبار أن قلة المسؤولية النسبية، لا تعني تغير الواقع الذي يعيشه الفرد من الظلم والتعسف والانحراف. كما لا تعني اعدام مسؤوليته تجاهه

وأما نتائجه. فباعتبار أن التمحيص ينتج المطلوب الذي حططه الله تعالى من أجله، وهو وجود العدد الكافي من المخلصين المحصين لنصرة المهدي (ع) بعد ظهوره والتشرف بحمل مسؤولية الفتح العالمي. بل أن نتيجة التمحيص تكون بالنسبة إلى الناجحين أفضل كما عرفنا، وإن كانت مائلة إلى العاشلين فيه قليلة.

الجانب الثاني:

في أن قلة المسؤولية لا تنافي صدق الرواية. وذلك ساء على الإيمان بعبية الامام المهدي (ع) وخط آياته عليهم السلام، الذي صدرت هذه الرواية على أساسه.

وذلك: لأن ما قلناه من قلة المسؤولية يشارك فيها، إلى حد كبير، البعد عن عصر التشريع وصعوبة الوصول إلى تفاصيل الاسلام إلا للاختصاصيين والمدققين الاسلاميين. وأما في عصر التشريع فهذه الصعوبة غير موحودة. لا مكان الرجوع إلى النبي (ص) أو إلى الأئمة (ع) كل في عصره عند الحاجة. ووجوب ذلك في نظر الإسلام.

ونحن في تاريخ الغيبة الصغرى<sup>(٢)</sup> اقمتنا القرائن الكافية التي تثبت أن عدداً من الخلفاء، كانوا يعرفون حق الأئمة عليهم السلام وصدقهم. . . وكانوا - مع ذلك - يناجروهم المطاردة والتعسف والتشكيل.

ومن هذا المنطلق بالتعيين، نعرف المراد من الرواية، إذ تقول: وإن أشد ما يكون غضب الله على أعدائه إذا افتقدوا حجته، فلم يظهر لهم. . . الح. وذلك بعد الالتفات إلى مقدمتين:

---

(١) لكن هناك بعد الظهور تمحيصاً إحصائياً يبع من صدق هذه النتيجة صدقاً مطلقاً على ما سوف يأتي في التاريخ القادم.

(٢) انظر من ٤٤٧ وما بعدها إلى حلة صفحات.

## المقدمة الأولى .

ما عرفناه الآن، من تضاعف المسؤولية في ذلك العصر، عنه في عصر العيبة الكبرى، وهذا في العصيان الاعتيادي، فكيف بمطاردة الأئمة (ع) وقواعدهم الشعبية، مع علم الحكام بأن الحق إلى جانبهم.

## المقدمة الثانية :

إن المراد من قوله - في الرواية - ' إذا افتقدوا حجتهم . . النظر إلى أول العيبة، فقط لأن الافتقاد أو الغيبة إنما حصل في ذلك الحين، وأما ما بعده من الرمان، فهو استمرار لذلك المعنى، وليس افتقاداً آخر.

فيستحق من المقدمتين: أن المراد هو اشتداد غضب الله تعالى على الحكام، في مبدأ الغيبة الصغرى، حيث كانوا يطاردون أولئك الذين يعرفون أن الحق إلى جانبهم. ويعصون ما يفهمونه من الحكم الإسلامي الصحيح.

فإن ناقشنا في المقدمة الثانية، وقلنا بشمول التجسس لكل عصر الغيبة الكبرى. باعتبار المقابلة بين العقرتين في الرواية. فإنه (ع) يقول: أقرب ما يكون العباد إلى الله عز وجل . . إذا فقدوا حجتهم . . وأشد ما يكون غضب الله على أعدائه إذا افتقدوا حجتهم . الحديث. وحيث علمنا أن جانب الرضا شامل لكل عصر الغيبة، وغير خاص بأولها، نعلم أن جانب الغضب شامل لجميعها أيضاً.

وهذا الكلام وجيه إلى حد كبير، ومطابق مع التخطيط الإلهي لما عرفناه من أن التمهيط حتى يسبح نتائجها النهائية في آخر عصر العيبة الكبرى. يكون الناس على طرفين متناقضين - قلة شديدة الإيمان قوية الإرادة إلى درجة عظيمة، وكثرة شديدة الانحراف والعصيان إلى درجة كبيرة. فهذا هو ما تشير إليه هذه الرواية. إذ يكون القرب الإلهي والرضا عن أولئك القلة، ويكون الغضب الشديد على المتطرفين، من هؤلاء الكثرة.

وأما من خلال هذا العصر، فمن الواضح، أن التمهيط كلما سار قدماً وتضاعف درجة، ازداد إيمان المؤمنين وانحراف المخرفين معاً وتضاعف الرضا والغضب المشار إليه في الرواية، بشكل متدرج مقترن

### النقطة الثالثة :

قوله (ع) - في تلك الرواية - وقد علم الله تعالى أن أولياءه لا يرتابون . ولو علم أنهم يرتابون لما غيب عنهم حجته طرفة عين وهو تعبير ورد في عدة روايات<sup>(١)</sup>

منهم من ذلك ، أن الارتباب والشك بوجود المهدي (ع) أثناء غيبته شيء ، في واقعه من الاسحار والفساد الموجود في هذا العصر ، وأما لو حلّ الفكر الاساسي المستقيم ونفسه لما رقى اليه الشك

ونحن وإن كنا قلنا أن طول الغيبة سبب للشك بحسب طبيعة الشر لكونها من الأمور غير المعهودة في ربوعهم . إلا أن الشخص الذي يربط الأمور بمصدرها الحقيقي الأول ، تبارك وتعالى ، ويعرف قدرته الواسعة وحكمته اللامائية ، لا يستعد عليه التصدي لحفظ شخص معين أمداً طويلاً ، لأجل تميز العدل في اليوم الموعود بل يرى أن ذلك لارم ومتعين بعد قيام البرهان على وجود الغرض الأصلي من الخليفة ، وعن حقيقته . واحتصار تحقق هذا الغرض هذا الأسلوب بحيث لو لم تكن هناك أي رواية تدلنا على وجود المهدي ، لكان اللارم على الفكر الاساسي أن يعترف به .

وإنما الذي يجمع من ذلك ، ويرجع في طريقه المصاعب والمتاعب ، هو الانحراف الفكري ، وخاصة إذا وجد لدى بعض القواعد الشعبية الذين هم مذهبهم على الاعترار بوجوده والتسليم بإمامته .

ومن هنا نرى أن أولياء الله المحصين الذين ليس للفتن طريق إلى قلوبهم ولا لضغط والظلم طريق إلى قوة إرادتهم . . . لا يرقى إليهم الشك في المهدي (ع) لأن العوامل النفسية والموانع المنحرفة لذلك غير موجودة لديهم . فيبقون على الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، من الايمان بقدرته وحكمته ، فيسلمون بنتيجة الدليل القطعي الدال على وجود المهدي .

ومن هذا المطلق نعرف ، أنه لو لم يكن الفكر الانساني مدركاً لذلك ، بحيث أمكن سرية الشك إلى أولياء الله تعالى . . . لما غيب الله عنهم حجته طرفة عين .

(١) أنظر إكمال الدين ، مخطوط وعيه العماني ، ص ٨٣ - ٨٤



لاستلزامه نقصان الحججة أو بطلانها بالنسبة إلى البشر، وهو مما لا يمكن أن يصلح من قبل الله تعالى، فإنه ملازم مع أحد أمرين غير ممكنين: أما إلغاء إمامته أو تكليف البشر بالاعتقاد بها بدون دليل، وكلاهما مما لا يكون . . فيتعين المحافظة على ظهوره بالمقدار يشته وجوده وتقوم به الحججة في الاسلام.

فإن قيل . أنه إذا لم يغيب القرض الالهي الذي عرفناه منحرفاً، لأنه يؤدي إلى عدم تنفيذ اليوم الموعود. وهو محال، بعد تعلق الحكمة والمصلحة به لدى الله عز وجل.

قلنا. هذا صحيح، إلا أن غيبته في الحقيقة مانحة عما ذكر في الرواية من أن أولياء الله لا يرتابون. . وهو الذي يعلمه الله تعالى منذ الأزل، فأسس تحطيطه منذ خلق الخليقة عليه. وأما القول بأن الغيبة توجب الارتياح ونقصان الحججة على إثبات وجود المهدي (ع)، فهو قول باطل، كما ذكرنا.

ولو فرض هذا القول تماماً صحيحاً احتاج الأمر إلى أن تدخل تغييرات أساسية في التحطيط الالهي لليوم الموعود، وأدى بنا إلى افتراضات غير واقعة في الخارج، مما يحس في عي اقتراضها، بعد قيام الدليل القطعي على خلافتها. هذا هو تمام الكلام في هذه النقطة الثالثة.

وبه ينتهي الكلام في الجهة السادسة والأخيرة من الفصل الثالث من هذا القسم الثاني من هذا التاريخ.

وبذلك ينتهي هذا الفصل أيضاً. وبه ختام هذا القسم الثاني من التاريخ والحمد لله رب العالمين.





## القسم الثالث

في شرائط الظهور وعلاماته

وينقسم الكلام في هذا القسم، بلحاظ الحديث عن شرائط الظهور تارة  
وعلاماته تارة أخرى... إلى فصلين رئيسيين



## الفصل الأول في شرائط الظهور

وتعرض فيه هذا المفهوم، ضمن عدة جهات.

### الجهة الأولى:

في الفرق بين شرائط الظهور وعلاماته:

عرفنا من شرائط الظهور: وجود العدد الكافي من المحلصين الممحصين لغزو العالم بالحق والهدى وسعرف من علائم الظهور وجود الدجال والخسف وغيرهما.

ويشترك هذان المفهومان: الشرائط والعلائم، بأنها معاً مما يجب تحققه قبل الظهور، ولا يمكن أن يوجد الظهور قبل تحقق كل الشرائط والعلامات. من تحققه قبل ذلك، مستلزم لتحقيق الشروط قبل وجود شرطه أو العاية قبل الوسيلة... كما أنه مستلزم لكذب العلامات التي أحرز صدقها وتوافرها.

إذن، فلا بد أن يوجد معاً قبل الظهور، خلال عصر العيبة الكبرى، أو ما قبل ذلك، على ما سنعرف. ويتدرج وجودها بشكل متساوق حتى يتم، فيتحقق الظهور عند ذلك. ولا يمكن تأخره عن تمامية الشرائط ولا عن تمامية العلامات. فإن تحلف الظهور عن شرائطه يلزم منه تحلف المعلول عن العلة. أو عبارة أدق: يلزم عدم قيام المهدي (ع) بوظيفته الإسلامية وحاشاء. وفشل التخطيط الإلهي في نهاية المطاف. على ما سوضح تفصيلاً فيما يلي من البحث. وإن تحلف الظهور عن مجموع العلامات المحررة الصحة لرم كذبها، بصفتها علامات، وهو خلاف إحراز صحتها، على أقل تقدير.

وبالرغم من نقاط الاشتراك هذه، فإن بينهما من نقاط الاختلاف، والفرق، لا بد لنا من بيانها بشكل يتضح الفرق بين المفهومين بشكل أساسي.

## الفرق الأول:

إن إتاحة الظهور بالشرائط اناطة واقعية، واناطته بالعلامات اناطة كشف واعلام.

وهذا هو الفرق الأساسي المستفاد من نفس مفهوم اللطمين. الشرط والعلامة فإن معنى الشرط في الفلسفة، ما كان له بالنتيجة علاقة عليّة وسببية لزومية. بحيث يستحيل وجوده بدون.

وهذا هو الذي نجده على وجه التمييز في شرائط الظهور. فإنا سنرى أن انعدام بعض الشرائط يقتضي انعدام الظهور أساساً بحيث لا يعقل تحققه وانعدام بعضها الآخر يقتضي فشله ومن ثم عدم إمكان نشر العدل الكامل المستهدف في التخطيط الإلهي الكبير. إذن فلا بد أولاً من اجتماع الشرائط، لكي يمكن تحقق الظهور ونجاحه.

أما العلامة، فليس لها من دخل سوى الدلالة والاعلام والكشف عن وقوع الظهور بعدها، مثالها مثال هيجان الطيور الدال على وقوع المطر أو العاصفة بعده من دون إمكان أن يقال: إن العاصفة لا يمكن أن تقع بدون هيجان الطيور. بل يمكن وقوعها، بطبيعة الحال. وإن كان قد لا تنفك عن ذلك في كل عاصفة.

وهذا هو الذي نجده في علامات الظهور، فانه يمكن تصور حدوثه بدونها. ولا يلزم من تخلفها انقراض سبب أو مسبب. . . غير ما أشرنا إليه من كذب الدليل الدال على كونها من العلامات. وهو بما لا يمكن الاعتراف به بعد فرص استحالة الكذب على السبي (ص) والأئمة (ع)، وكماية الدليل للآيات التاريخية

ومعه، فتنبثق ضرورة وجودها قبل الظهور، بصفتها دليلاً كاشفاً عن وقوعه، لا بصفتها ذات ارتباط واقعي لرومي، كما كان الحال في شرائط الظهور

نعم، ينبغي أن نأخذ ببطر الاعتبار، نقطة واحدة، وهي أن بعض العلامات، كوجود الدجال وقتل النفس الزكية، مربوطة ارتباطاً عضوياً بالشرائط بمعنى أن هذه العلامات من ميات ونتائج عصر الفتن والانحراف الذي هو سبب التمهيص الذي هو سبب إيجاد أحد شرائط الظهور، على ما

سنوضح. إذن يكون بين هذا القسم من العلامات وبين بعض الشرائط علاقة  
سسية لرومية. فيكون لها في نهاية الشوط، نفس المفهوم الذي للشرائط  
إلا أن هذا لا يباي ما قلناه، باعتبار أمرين مقترين -  
الأمر الأول.

عدم وقوع العلامة في سلسلة علل الطهور. بل هي من معلومات ونتائج  
بعض علل الطهور فلا تكون بذلك من العلل، وإن كان وجودها لرومياً قبل  
الطهور.  
الأمر الثاني

ورودها في الأحبار كعلامة ملعنة للنظر إلى وجود الطهور. وهي - ملحاط هذه  
الرواية بالتعيين - لم يلحظ فيها سوى الكشف والدلالة على الطهور... سواء  
كانت من علله أو لم تكن. وليس كذلك حال الشرائط، فإياها، غير معروفة النتائج  
للناس وغير ملعنة لنظرهم على الاطلاق، على ما سذكر  
إذن، فكل ما يتبع من هذا التسلسل في التفكير، هو ضرورة وجود العلامات  
قبل الطهور، وهو أمر صحيح ومشترك بين العلامات والشرائط. وأما أنه يتبع  
تحويل هذه الأمور من كونها علامات إلى كونها شرائط فلا.  
الفرق الثاني:

إن علامات الطهور، عبارة عن عدة حوادث، قد تكون مبشرة، وليس من  
بد من وجود ترابط واقعي بينهما، سوى كونها سابقة على الطهور... الأمر الذي  
برر جعلها علامة للطهور، في الأدلة الإسلامية.

وأما شرائط الطهور، فإن لها - باعتبار التخطيط الإلهي الطويل - ترابط سببي  
ومسبي واقعي، سواء نظرنا إلى ظرف وجودها قبل الطهور، أو نظرنا إلى ظرف  
انتاجها بعد الطهور. على ما سوضح فيما يلي، بعد هذا الفصل.  
الفرق الثالث:

إن العلامات ليس من بد أن تجتمع أصلاً في أي زمان بل يحدث أحدها  
ويتهيء، ثم يبدأ الآخر في زمان متأخر. وهكذا كما أنها قد تجتمع صدفة  
أحياناً. فهي حوادث مبشرة في الزمان كما أنها مبشرة بحسب الربط الواقعي

وأما الشرائط، فلا بد أن تجتمع في نهاية المطاف، هاتها توجد تدريجياً، إلا أن الشرط الذي يحدث باستمرار في البقاء، ولا يمكن - في منطق التخطيط الإلهي - أن يروى. فعندما يحدث الشرط الآخر، يبقى مواكباً للشرط الأول، وهكذا تتجمع الشرائط وتجتمع في نهاية المطاف . . في اللحظة الأخيرة من عصر الغيبة الكبرى. ومن هنا نعرف الفرق الآتي.

#### الفرق الرابع:

إن علامة الطهور، حادثة طارئة، لا يمكن - بطبيعتها - أن تدوم، مهما طال زماها. محلاف شرائط الطهور، وبعض أسبابها، فأنها بطبيعتها قابلة للبقاء، وهي باقية فعلاً، بحسب التخطيط الإلهي، حتى تجتمع كلها في يوم الطهور

#### الفرق الخامس:

إن الملامات تحدث وتتفد بأجمعها قبل الطهور. في حين أن الشرائط لا توجد بشكل متكامل إلا قبيل الطهور أو عند الطهور. ولا يمكن أن تنعدم، وإلا لزم انفصال الشرط عن مشروطه والنتائج عن المقدمات. وهو مستحيل.

والسر في ذلك كامن في الفرق بين النتائج المتوخاة من وراء كلا المهومين فإن الملامات بصفتها دلالات وكوائف عن الطهور، فإن وظيفتها سوف تنتهي عند حدوثه، ولا يبقى لها أي معنى بعده. وأما الشرائط فحيث أنها دخیلة في التسبب إلى وجود يوم الطهور، وإلى تحقق النصر فيه. . فلا بد أن تجتمع في نفس ذلك العهد، حتى تكون مجموعها الشرط الكامل للنجاة. إذ مع تحذف بعضها تتحذف النتائج المطلوبة، لا عمالة.

#### الفرق السادس:

إن شرائط الطهور دخیلة في التخطيط الإلهي، وماخوذة بنظر الاعتبار فيه . . باعتبار توقف اليوم الموعود عليه. بل أنها عرما: أن الشرية كلها من أول ولادتها وإلى يوم الطهور، كرسها التخطيط الإلهي، لايجاد يوم الطهور.

وأما الملامات، فليس لها أي دخل من هذا القبيل بل كل انتاجها، هو اعلام المسلمين وتهيئة الذهبية عندهم لاستقبال يوم الطهور وجعلهم مسوقين بحدوثه في المستقبل أو بقرب حدوثه.



## الفرق السابع:

إن علامات الطهور، يمكن بالانشاء أو بالمحصى والتدقيق، التأكد مما وجد منها وما لم يوجد... باعتبارها حوادث يمكن تحديدها والاشارة إليها. ومن هنا اثبتت دلالتها للمسلمين على قرب الطهور

وأما الشرائط، فقد قلنا احتمالاً أنه من المتعذر تماماً التأكد من اجتماعها.

وذلك، لأن منها: حصول العدد الكافي من المحلصين المحصين في العالم. وهذا مما لا يكاد يمكن التأكد منه لأحد من الناس الاعتياديين لأنه لا يمكن أن تعلم في الأشخاص المحلصين أهم وصلوا إلى الدرجة المطلوبة من التحصيل أو لا. وشك في حدوث العدد الكافي في العالم مهم على استمرار فيبقى العالم بحصول هذا الشرط مغلقاً تماماً. وإنما نعرف حصوله بحصول الطهور نفسه، فإن حصوله يكشف عن وجود سببه وشرطه قبله لا محالة

فهذه هي الفروق بين علامات الطهور وشرائطه ويمكن اعتبار الفرق الأول فرقاً في المهوم والمعنى واعتبار الفروق الأخرى فروقاً في الخصائص والصفات.

## الجهة الثانية:

ما هي وكما هي شرائط الطهور؟:

وبحسب إدراكنا عن شرائط الطهور، إنما نريد بها الشرائط التي يتوقف عليها تعييد اليوم الموعود، ونشر العدل الكامل في العالم كله فيه ذلك اليوم الذي يعتبر ظهور المهدي (ع) الركن الأساسي لوجوده، ومن ثم يتحدد ظهوره عليه السلام بنفس تلك الشرائط. بالرغم من أن فكرة العية والطهور، إذا لاحظناها مجردة، لن نجد لها موطنه بغير إرادة الله عز وجل مباشرة ولكن الله تعالى أراد أن يتحدد الطهور بنفس هذه الشرائط، لأجل اسجاع اليوم الموعود لأن المهدي (ع) مذخور لذلك، فيكون بين الأمرين ترابط عضوي وثيق

وإذا نظرنا إلى هذا المستوى الشامل ارتفعت الشرائط إلى ثلاثة:

## الشرط الأول:

وجود الأطروحة المعادلة الكاملة التي تمثل العدل المحض الواقعي، والقابلة

التطبيق في كل الأمكة والأزمة، والتي تصمم لشرية جمعاء السعادة والرفاه في العاجل، ولكمال الشري المشود في الأجل

إذن بدون مثل هذه الأطروحة يكون العدل الكامل مستعباً، وغير ممكن التطبيق والعدل الخرتي الناقص، لا يمكن أن يكون مجدياً أو مؤثراً في سعادة الشرية لوجود جواب الفص المروسة فيه، تلك الخراب التي يمكن أن تتأكد وترد، فتقصي على مثل هذا العدل في يوم من الأيام.

كما أن العدل الناقص، لا يمكن أن يكون مستهدفاً لله عز وجل، وعطفاً له من قبله تعالى فإن خطط له، هو العبادة الكاملة التي لا تنحقق إلا بالعدل الكامل. وخاصة بعد أن عرفنا أن الشرية كلها قد عملت في التمهيد لذلك الهدف الالهي، فهل من الممكن أن يحبط الله تعالى استغلال جهود الشرية ومآسيتها ليجاد العدل الناقص؟ وهل ذلك إلا الظلم الشيع لشر، جل الله تعالى عنه علواً كبيراً.

إذن يتح من هذا الشرط ثلاثة أمور:

#### الأمر الأول:

أن الهدف في الحقيقة هو تطبيق الأطروحة العادلة الكاملة التي لا تحتوي على ظلم أو نقص.

#### الأمر الثاني:

أن تكون هذه الأطروحة باجرة عند الظهور إذ مع عذمتها يومئذ، يستفي التطبيق بانتقائها، ويتعذر العدل المشود في اليوم الموعود

#### الأمر الثالث:

أن تكون هذه الأطروحة معروفة ولو بمعالها الرئيسية، قل البدء بتطبيقها لما عرفنا في الحديث عن التخطيط الالهي من أن تطبيقها يتوقف على مرور الساس بحظ طويل من التجربة والمحيص عليها، ليكونوا محريين على تقديها وتطبيقها، ولا يمحزونهم أمرها ويهولهم مضمونها ويصعب عليهم امتثالها، فيفسد أمرها ويتعذر نجاحها، كما هو واضح.

## الشرط الثاني :

وجود القائد المحنك الكبير الذي له القابلية الكاملة لقيادة العالم كله ويتم الكلام حول هذا الشرط ضمن نقطتين :

### النقطة الأولى :

يرجع هذا الشرط بالتحليل إلى شرطين .  
أحدهما ، اشتراط وجود القائد للثورة العالمية . حيث لا يمكن تحقيقها من دون قائد

ثانيهما ، أن يكون لهذا القائد قابلية القيادة العالمية .  
أما اشتراط وجود القائد ، فقد برهنا عليه في بحث سابق عن أهمية القيادة في التخطيط الالهي وكل ما تريد إصافته هنا ، هو التعرض إلى :  
قيادة الجماعة :

إن البديل المعقول الوحيد لقيادة الفرد ، هو قيادة الجماعة . فإذا استطعنا مناقشة قيادة الجماعة وإبطاله ، يعني الأحذ بقيادة الفرد ، والإيمان بها كسبب وحيد رئيسي لنجاح اليوم الموعود .  
فإن حال الجماعة لا يخلو من أحد ثلاثة أشكال :

### الشكل الأول :

أن يكون كل فرد قابل لقيادة منفرداً فضلاً عن الاجتماع .

### الشكل الثاني :

أن يكون كل فرد ناقصاً غير قابل لهذه القيادة ، ولكن الرأي العام المتفق عليه بينهم ، قابل لهذه القيادة .

### الشكل الثالث :

أن يكون كل فرد ناقصاً ورائهم العام ناقصاً أيضاً .  
أما الشكل الأول ، فلا شك أنه لا بد من اسقاطه عن نظر الاعتبار ، لعدم

تحققه في أي ظرف من ظروف التاريخ وعدم تحققه في المستقبل أيضاً ما دامت البشرية. ولم يدعه أحد من المثقفين أو المتفلسفين أو الاجتماعيين أصلاً  
إذا توقف اليوم الموعود على مثل هذا الشكل، كان غير ممكن التطبيق إلى  
الأبد، وهو خلاف إجماع أهل الأديان السماوية المعترفة باليوم الموعود.

على أن افترض: أن مجموع الأفراد إذا كانوا قابلين للقيادة منفردين، كانوا  
قابلين لها مجموعين. . . افترض غير صحيح، لأن ممارسة القيادة الجماعية تصطدم  
بتناقض الآراء وتضادها، بخلاف القيادة الفردية. وتنازل البعض أو الأقلية عن  
آرائهم بازاء الآخرين، طمعاً للمعهوم الديمقراطي الحديث. . . يعني التنازل عن  
عدد من الآراء الكبيرة القابلة لقيادة العالم - كما هو المفروض في هذا الشكل  
الأول - وهو خسارة عظيمة وظلم محض.

وأما الشكل الثالث: فلا شك من ضرورة إسقاطه عن الاعتبار أيضاً، فإن  
اجتماع الناقصين لا يمكن أن يحقق كمالاً. فإذا كان رأيهم المتفق عليه ناقصاً،  
كانت قيادتهم ناقصة، وتعذر عليهم تطبيق الأطروحة العادلة الكاملة، بطبيعة  
الحال.

فإن قال قائل: إن هذا النقصان نسبي وغير محدد المقدار. فلهذه يكون  
بمقدار، لا يكون مانعاً من المقصود.

قلنا له: كلا. فإن النقصان بالنسبة إلى كل مبدأ حياتي، راجع إلى الاختلال  
بمتطلباته. فالنقص المقصود هنا، هو النقص المؤدي إلى الاختلال بمتطلبات  
الأطروحة الكاملة. ومعه يكون فرص النقصان مساوياً مع عدم تطبيق تلك  
الأطروحة لا محالة.

وأما الشكل الثاني: فهو ممكن بحسب التصور. بأن يكون رأي الفرد ناقصاً  
غير قابل للإدارة والقيادة. ولكن يكون الرأي العام المتفق عليه قابلاً لها

إلا أننا يجب أن نلاحظ أن قيادة العالم وتطبيق الأطروحة الكاملة من الدقة  
والأهمية، تفوق بأضعاف مضاعفة قيادة أي دولة في العالم مهما كانت واسعة  
وكبيرة. ومن هنا كان للرأي العام لأجل أن يكون كاملاً وقابلاً لهذه القيادة، أن  
يكون كل فرد من مكوناته بالرغم مما عليه من نقصان، ذو درجة عليا من الوعي

والشعور بالمسؤولية والتدقيق في الأمور، بحيث يتحصل بانضمامه إلى غيره ذلك الرأي العام المتمق عليه، القابل للقيادة. وهذه الصمة لم تصبح غالبة في الأفراد على طول الخط التاريخي الطويل لعمر البشرية تجاه أي مبدأ من المبادئ فضلاً عن العدل الكامل. وفي دولة محدودة، فضلاً عن أفراد البشرية في دولة عالمية.

وهذا أمر وجدائي يعيشه كل فرد منا بالنسبة إلى ملاحظة أنحاء الفضل والاضطرار إلى التعديلات المتوالية في الدول والسياسات العامة، مهما كانت قيادتها شخصية أو جماعية. ولم تنجح أي ديمقراطية جماعية لحد الآن من الخطأ والزلل، بل العمد في أكثر الأحيان.

وإنما نقول بإمكان ذلك: في مورد واحد، وهو أهم الموارد وأعظمها، وهو أن هؤلاء الأفراد المحلصين المحصين الذين عرفنا بعض صفاتهم وأساليب تمحيصهم وتربيتهم، إذا قاموا بمهمة يوم الطهور وتمروا على الحكم واطلعوا اطلاعاً واسعاً ومباشراً على دقائق وحقائق الأوضاع في العالم. . فيومئذ يكون ما يتفقون عليه رأياً كاملاً ناصحاً قابلاً للمشاركة في قيادة العالم على وجود الحقيقة. . ومع استمرار التربية بين يدي المهدي (ع) يكون هذا الرأي العام (معصوماً) عن الخطأ لا محالة.

وهذا المستوى هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾. وهو الذي يعتمد عليه المهدي (ع) ويدخل في التخطيط الإلهي في قيادة العالم بعد وفاة المهدي (ع).

وهذه الشورى ليست في الإسلام للمجتمع الناقص أو المحرف أو الكافر. وإنما تكون للمؤمنين الكاملين ﴿الذين يجتنبون كائراً الاثم والمعاصي﴾، وإذا ما عصوا هم ينفقون. والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة، وأمرهم شورى بينهم، ومما رزقاهم ينفقون<sup>(١)</sup>.

فيذا استطاعت الأمة بالتربية الموسعة المتواصلة، تحت القيادة الحكيمة، أن يصل كل أفرادها أو جلهم إلى مثل هذه المرتبة العليا من الكمال، كان الرأي العام المتمق عليه، للأمة الإسلامية كلها «معصوماً» لا محالة، ويكون إجماعها سهل

(١) الشورى ٤٢/٣٧-٣٨

الاجتداد إلى حد كبير، ورأيها قابلاً لقيادة العالم بنفسه. ويومئذ يكون للديمقراطية القائمة على أساس العدل المحض وجه وجيه إن كان ثمة حاجة للاستعانة عن الحكم الفردي يومئذ.

وهذا هو المشار إليه بقوله (ص) فيما روي عنه: لا تجتمع أمتي على خطأ أو على ضلالة. فإن الأمة لا تكون كذلك إلا إذا كان رأيها العام معصوماً لا ما يكون رأياً عاماً في عصر الفتى والاضحاف وانقسام الأمة الإسلامية إلى مذاهب ومبادئ مختلفة.

كما أنه هو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ احْرِجُوا مِنْ دَارِكُمْ لِنَاسٍ﴾ باعتبار أن التشريع الذي أنزل إليهم قابل لتربيتهم حتى يكوّنوا جبراً أمة أخرجت للناس ولن يكوّنوا على هذا المستوى فعلاً إلا مع الطاعة الكاملة، والوصول إلى مستوى «العصمة» في الآراء العامة. وأما في عصر الفتى والاضحاف، فلعنري أنهم ليسوا بالفعل خير أمة أخرجت للناس.

ولذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ احْرِجُوا مِنْ دَارِكُمْ لِنَاسٍ﴾ بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله<sup>(١)</sup> ولن تكون الأمة أمرة وناهية ومؤمنة إلا في ذلك العصر.

وعلى أي حال، يستحيل على عصر الفتى والاضحاف، أن يوجد رأياً عاماً كاملاً عادلاً، يمكنه أن يقود العالم قيادة جماعية في اليوم الموعود ومعه تبطل الأشكال الثلاثة للقيادة الجماعية، ومعه يتعين أن تكون القيادة موطنة بفرد واحد يكون على المستوى الكامل من قابلية قيادة العالم قيادة عادلة. وهذا هو المقصود، فانتنا لا نعي من القائد الواحد إلا ذلك.

### الشرط الثالث.

وجود الناصرين المؤازرين الممّدين بين يدي ذلك القائد الواحد وتنهين البرهنة على ذلك والقول به، بعد فني مرصتين

(١) آل عمران ١١٠/٣

## الفرضية الأولى :

أن يفترض أن هذا الفرد الواحد، يعرف العالم بمفرده .  
وهو واضح الامتناع والبطلان، مهما أوتي الفرد من كمال عقلي وجسمي . . .  
بعد التجاوز عن الفرضية الآتية، وهو إيجاد المعجزة من أجل تحقيق النصر .  
فإن قال قائل : بأن هذا القائد يبدأ العمل مفرداً ويستمر به، حتى يحصل على  
عدد من الأصحاب والمؤيدين كما فعل النبي (ص) .  
قلنا : هذا معناه أنه لا يعرف العالم إلا بعد تحصيل المؤيدين والمناصرين . . . لا  
أن يغزو العالم مفرداً .

## الفرضية الثانية :

إن هذا القائد يغزو العالم عن طريق المعجزة . وقد سبق أن ناقشنا ذلك  
مختصراً . وحاصل المناقشة تلخص في جوابين :  
الجواب الأول .

أما لو كانت الدعوة الإلهية على طول التاريخ، قائمة على إيجاد المعجزات من  
أجل النصر لما وجد على وجه الأرض منذ خلقت أي انحراف أو ضلال، ولما  
احتاج الأمر إلى قتل وجهاد . في حين قدمت الدعوة الإلهية آلاف الأنبياء والعالمين  
كشهداء في طريق الحق، بما فيهم الأئمة المعصومين عليهم السلام، وأوصحهم  
الامام الحسين (ع) في فاجعة كربلاء .

ولو كان الأمر كذلك، لما احتاج اليوم الموعود إلى أي تأجيل أو تخطيط، إذ  
يمكن إيجاده في أي يوم منذ ولدت البشرية إلى أن تنتهي . ولعل الأولى والأحسن في  
مثل ذلك، أن يكون مبي الاسلام وهو حير الشر هو القائد العالمي المنفذ لليوم  
الموعود والمهدف الأساسي من خلق الشر . مع أنه لم يشأ الله له ذلك

## الجواب الثاني :

إن الدعوة الإلهية على طول الخط، على التربية الاختيارية للفرد والأمة، على  
السواء .

وذلك أنه بعد أن وهب الله تعالى للإنسان : السمع والبصر، والفؤاد يعني

العقل والاختيار، وهدها التجديد: طريق الحق وطريق الباطل، وحمله مسؤولية أعماله والأمانة الكبرى التي رفعت السماوات والأرض أن يحملنها، وحملها الإنسان. . . انه في هذا الحق تبدأ فكرة التمهين.

ومن المعلوم أن الايمان المخلص، ولو يشكله البسيط يكون أثم وأرصح من الايمان القهري. . . فانه يتصف بالمحالة والصيق، وفي قلة الاستجابات الصالحة المطلوبة من قل الانسان. وهذا الايمان القهري هو الذي يمكن أن يتبع من جو المعجزات.

إذن، فحيث تنتمي هاتين العرصيتين، بتعبير ما المطلوب، وهو احتياج القائد في تطبيق العدل على العالم إلى الناصرين والمؤيدين، لكي ينتشر بالجهاد انتشاراً طبيعياً.

وتندرج في هذا الشرط، الصفات الأساسية التي يجب أن يتصف بها هؤلاء المريدون. ليكون هذا الشرط في واقعه. وجود المؤيدين على النحو المعين لا المؤيدين كيف كان.

إذ من المعلوم أن المؤيدين المصلحين، لا يمكن أن يقوموا بالمهمة المطلوبة، باعتبار ما تحتاجه من التضحيات الجسام التي تنو مصالحهم عنها من أول الطريق وأهم ما يشترط في هؤلاء المؤيدين، شريطة متعاضدان، يكمل أحدهما الآخر، ويدرج تحتها سائر الأوصاف:

أحدهما: الوعي والشعور الحقيقي بأهمية وعدالة الهدف الذي يسعى إليه، والأطروحة التي يسعى إلى تطبيقها.

ثانيهما. الاستعداد للتضحية في سبيل هدفه على أي مستوى اقتضته مصلحة ذلك الهدف.

وبمقدار ما يوجد في نفس الفرد من هاتين الصفتين، يكون الفرد، قابلاً للعمل الاجتماعي العام والجهاد في سبيل الحق. والتكامل فيها هو الذي يتيح عن التمهين الالهي. ووجودهما في العدد من الناس الكافي لغزو العالم وتطبيق الأطروحة العادلة الكاملة فيه. . . الذي هو الشرط الثالث للظهور. هو النتيجة التي تحصل عن التخطيط الالهي لليوم الموعود. كما سبق أن عرف



ويعتقد ما يفقد الفرد من هاتين الصفتين، يكون عاجزاً عن العمل والجهاد. مهما كان مخلصاً في تدينه على الأساس الانعزالي المتكشف المتحنت. ويعتقد ما يفقد الأمة من هاتين الصفتين تكون عاجزة عن تطبيق العدل في ربوعها، حتى لو اجتمعت كل أفراد الأمة بل جميع الشريعة لانجاحه، ما دام اجتماعهم مصلحياً غير مخلص ولا واع ولا محصن.

ومن هنا، استهدف التخطيط الالهي، إيجاد التمهيد الذي يربي الأمة التربية التدريجية البطيئة نحو إيجاد هذين الشرطين، وتكاملهما في نفوس الأفراد، بحيث يكونون قائلين لقيادة العالم. فيحققون هذا الشرط الثالث. وقد سبق أن حملنا فكرة كافية عن أسلوب ذلك.



يبقى علينا بعد الاطلاع على الشروط الأساسية للظهور، التعرض إلى ملاحظتين:

#### الملاحظة الأولى:

أنه قد يقال ملروم شرط رابع لتطبيق الأطروحة العادلة الكاملة في اليوم الموعود، وهو وجود قواعد شعبية كافية ذات مستوى في الوعي والتصحبة كاف، من أجل هذا التطبيق، لتكون هي رائدة الأول في اليوم الموعود.

إن المحلصين المحصين الذين يتوفر فيهم الشرط الثالث، يمثلون الطليعة الواعية لغزو العالم، وأما تطبيق الأطروحة فيحتاج إلى عدد أكبر من القواعد الشعبية الكافية ليكونوا هم المثل الصالحة لتطبيق الأطروحة العادلة الكاملة في العالم، حين يبدأ انتشاره يومئذ.

وهذا الأمر، لا يخلو من صحة، وقد وفر الله تعالى له في تخطيطه، نتيجة للتمهيد، مستويين من الشعور:

#### المستوى الأول:

الاحلاص الاقتصادي الذي عرفنا أنه عبارة عن استعداد جماعة للتجاوز مع تجربة يوم الظهور وتطبيقاته، وقلنا أن هذا الشعور يوجد عند كثير من الشر، وإن كانوا يمارسون قبل الظهور شيئاً من المصيان والانحراف.

### المستوى الثاني :

الشعور باليأس من كل التجارب السابقة التي ادعت لنفسها حل مشاكل العالم، ثم امتصح أمرها واكتشف زيفها، نتيجة للمحبص والتجربة.

ويمكس هذا الشعور في النفس، على شكل توقع غامض لأطروحة عادلة جديدة تكفل الحل الحقيقي للمشاكل والمظالم البشرية وسيتمثل هذا الشعور بالارتباط نفسياً، بأول أطروحة شاملة تدعى لنفسها ذلك.

وسيكون كلا المستويين من أفضل الأرضيات المحكة لتنقي يوم الظهور، على ما سنشرح في التاريخ القادم.

وأما وجود قواعد شعبية موسعة في العالم، لها شعور واضح بالرضا بتطبيقات اليوم الموعود، فهو مما لا ينبغي أن نتوقعه، بعد الذي عرفناه من التخطيط الإلهي والحديث السوي المتواتر، من أنه لا بد أن تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً... إلى حين الظهور.

وهو - أيضاً - مما لا حاجة إليه، بعد وجود هذين المستويين من الشعور، لدى الناس... . وابتداء المهدي (ع) بغزو العالم، من زاوية في عاية الشدة والقوة، على ما سنعرف في التاريخ القادم أيضاً.. . وسنعرف الصمامات المتوفرة لانتصاره يومئذ... . بدون أن يؤخذ وجود هذه القواعد الشعبية بنظر الاعتبار.

### الملاحظة الثانية :

إن هذه الشرائط الأربعة من شرائط تطبيق العدل المحصن في اليوم الموعود. وإن قلنا. شرائط الظهور، فتصح الشرائط ثلاثة، لأن معنى الظهور مستلزم لوجود قائد معد في التخطيط الإلهي لتكفل مسؤولية اليوم الموعود، وهو يعني التسليم المسبق لتحقيق الشرط الثاني. فلا تبقى لدينا إلا شرائط ثلاثة.

ولو غيرنا وقلنا: شرائط الطهور في الاسلام، فقد اخذنا الشرط الاول مسلماً  
مفروضاً للتحقق، فلم يبق سوى الشرطين الآخرين

ولو أننا مشينا خطوة أخرى، فقلنا بقلّة أهمية الشرط الرابع براء الثالث، بحيث حذفنا الرابع واعتبرناه من الصفات لا من الشرائط، أو أخرجناه في الثالث،

باعتبار أنها يعودان إلى فكرة واحدة من نتائج التمهيص، يتكفل الثالث وجودها المعقد القليل ويتكفل الرابع وجودها المسط العريض.

لومشياً هذه الخطوة، لم يبق لدينا إلا الشرط الثالث، وهو وجود العدد الكافي من المحلصين لعرو العالم وهو الشرط الأساسي الذي قلنا أن التخطيط الإلهي، بعد الاسلام قد استهدفه.

إلا أن الاعراض عن الشرطين الأولين، لا يعني إسقاطهما عن الشرطية، وإنما يعني ديك الشرطين، ويكون التركيب - بطبيعة الحال - على الشرط المتقي

ولا بد لنا في نهاية المطاف أن نشير أن هناك فرقاً أساسياً بين الشرطين الأولين، والشرطين الآخرين فالأولان يتوقف عليهما أصل وجود اليوم الموعود إذ بدون الأطروحة العادلة والقائد الرائد لها، لا معنى لوجوده أصلاً والشرطان الآخران، مما يتوقف عليه نجاح اليوم الموعود وتحقيق أهدافه وبخاصة الثالث الذي هو وجود العدد الكافي من المحلصين لعرو العالم، إذ لولا وجودهم لما أمكن النجاح إلا بالمعجزة، التي عرفنا أن ديدن الدعوة الإلهية على عدم إيجادها



### الجهة الثالثة

في ارتباط شرائط الظهور بالتخطيط الإلهي

حمداً إلى الآن - فكرة مهمة عن هذا الارتباط سعي لنا في هذه الجهة أن نركز الكلام وبعبارة مع تحاشي التكرار جهد الامكان وذلك ضمن نقطتين

#### النقطة الأولى:

عرفنا في الفصل الذي عديناه لبيان التخطيط الإلهي لليوم الموعود أن هذا التخطيط مكرس حصيصاً لأجل إحراح اليوم الموعود وصمان وجود العدل فيه ولو لم يكن لذلك شيء من الشروط، لأمكن إيجادها في أي وقت ولأمكن الاستعناء عن التخطيط أصلاً وإنما تراهي وجود هذا التخطيط، باعتبار الرهنة على وجود هذه الشرائط من ناحية، والرهان على وجوده بشكل طبيعي غير اعجابي، فيما لا يحصر توقعه على المعجزة

والتخطيط الالهي يقوم بتربية البشرية بأسلوب معين لأجل إيجاد هذه الشرائط تدريجياً خلال عمر البشرية الطويل.

قاول هذه الشرط وجوداً هو حصول الأطروحة الكاملة العادلة المتمثلة بالاسلام، باعتبار أن البشرية قبله كانت في مرحلة التربية التدريجية للاعداد لهم هذه الأطروحة، كما سبق أن أوضحنا.

ولم يكن في الامكان أن تسود العالم أطروحة سماوية سابقة، باعتبار كونه (عدلاً مرحلياً) يقصد به التربية إلى تفعل العدل الكامل أكثر مما يقصد به التطبيق الشامل مضافاً إلى ما قلناه من أن تمحيص البشرية لم يكن كاملاً، وكان لا بد لها أن تمر بالتمحيص على الأطروحة الكاملة نفسها

ومن ثم يكون لهذا الشرط السبق المنطقي في التربية على سائر الشرائط الأخرى. إذ لا معنى لوجود الفائد قبل وجود القانون الذي يوكل إليه تطبيقه. كما لا معنى للتمحيص الكامل المتاح للشرطين الآخرين، إلا التمحيص على الأطروحة الكاملة.

فإن قيل. فلماذا لا يمكن وجود الفائد قبل وجود الأطروحة أو معها قلنا في جوابه. إن أردتم من وجود الفائد، وجوده وممارسته لتفائدة فعلاً. فهذا مما لا يمكن نجاحه قبل وجود الأطروحة العادلة والتمحيص الكامل. وإن أردتم وجوده، ولو في العيبة، بمعنى وجوده قبل الاسلام عائناً حتى يأذن الله تعالى له بالظهور.

فهذا الاحتمال، يحتوي على اسفاف في التفكير إذ لا موجب لوجوده في ذلك الحين. وإذا كان حالياً عن الحكمة لم يكن الله تعالى ليفعله. بل إن الحكمة في تأخره عن الاسلام، لعدة نواح مهمة: منها طول العيبة طويلاً مفرطاً لو وجد قبل الاسلام مما يسبب فتح أهواء الشكاكين أكثر. ومنها: عدم وجود ارهاصات كافية واردة لما من قبل الاسلام لاثبات وجوده لو كان موجوداً. إذن فوجوده يومئذ معه صياحه على الناس وانتفاء البرهان على وجوده أصلاً. وهو محذور مهم حطط الله تعالى لرفع رعباً باتاً إلى غير ذلك من النواحي. ومعها فيتعين أن يكون الفائد موجوداً ومولوداً بعد نزول الأطروحة العادلة الكاملة، المتمثلة بالاسلام.

وكان ثاني الشروط تحققاً هو وجود القائد المدخور لليوم الموعود، انطلاقاً من  
راوية الاعتقاد بقيئته عليه السلام.

وقد عرهما لذلك آثاراً مهمة تمت إلى التمهيع بصلة . . كالتربية على طاعته  
واحترام رأيه وامثاله. ولولا العية لم يمكن تحقق ذلك مصافاً إلى مصالح أخرى  
ستذكرها في الجهة الآتية إنشاء الله تعالى.

ومعه يكون لهذا الشرط التقدم المطلق في الرتبة على الشرطين الآخرين،  
باعتبار كونهما مستقيين عن التمهيع . ذلك التمهيع الذي يقوم - بالنسبة إلى  
جزئته المهم - على تقدم وجود القائد وعيئته، بحيث لولا ذلك لكان التمهيع  
ناقصاً نقصاً مهماً. إلى حد يكاد يتعذر إيجاد اليوم الموعود وإنجاحه، على ما سنسمع  
في التاريخ القادم.

وأما الشرطان الآخرين: أعني وجود الصابرين المحصين بالعدد الكافي لعرو  
العالم، ووجود القواعد الشعبية المطلقة. . فهما آخر الشرائط تحققاً. . وهما  
يوجدان مقترنين نتيجة للتمهيع الطويل، في عصر العتق والاحراف، خلال  
عصر الغيبة الكبرى، كما سبق أن أوضحنا.

#### النقطة الثانية .

إن هذه الشرائط التي ذكرناها لليوم الموعود، مع التحفظ على روحها،  
والتوسع في مدلولها، هي شرائط الدعوة الإلهية في كل حين. وبمقدار ما تتضمنه  
دعوة أي نبي أو إمام من نقاط قوة وتركيز هذه الشروط، فإنها تستطيع التوسع  
والانتشار، وبمقدار ما تفقده منها تأخذ بالصيق والضمور وتضطرب إلى الاسحاب  
الجزئي، أو الأخذ بالعزلة والتقية.

بل يستطيع القول بأن هذه الشرائط، بصيغها الموسعة، تكون هي الشروط  
الأساسية لسجاح أي دعوة كانت مما يتوقع لها التوسع والانتشار، أو أنها تطمع  
بذلك بشكل وأخر بمقدار ما تحرره من هذه الشروط تستطيع التقدم والسيطرة،  
بمقدار ما تحسره منها، تضطر إلى الاسحاب والعزلة ومعاملة الناس

ولا يلزمنا في تصور ذلك، إلا تعميم معنى الشرائط وتوسيعها إلى حد ما،  
فيصح الشرط الأول. هو وجود الفكرة المنظمة القانونية التي ندعي لنفسها إصلاح

العالم... وهو ما يصطلح عليه بالمبدأ في لغة العقائديين، أيًا كانت وجهته. فإذا كان للمبدأ قائد محك قدير، وكان له من المؤيدين والمخلصين، المقدار الكافي لنشر دعوته، ومن القواعد الشعبية المناصرة له المقدار الكافي أيضاً... كتب لدعوته النجاح والتقدم لا محالة

وأقصى ما تحاول الدعوات في العالم جاهدة لا يجاده، هو إيجاد هذين الشرطين الأحييين، بعد فرص كونها دعوات مبدئية ذات قيادة. وقد كُرس التخطيط الإلهي على تحقيقها أيضاً، بعد أن أصبحت الأطروحة العادلة الكاملة بميلاد المهدي (ع) دعوة ذات قيادة.

وإن لم تستطع الدعوات إحراز هذه الشرائط، وبخاصة الشرطين الأحييين... كان ذلك مسبباً لتقهقرها وتقدم خصومها ومباوئها. فاما أن تبقى في ميدان الجهاد والمجاسة حتى تبقى عن آخرها وتقطع دعوته بالمرة. وأما أن تأخذ بمسلك السرية والتكنم وبحمالة الناس لأجل المحافظة على مبدئها وقواده... وهو المعنى الرئيسي للتقية، كما أوضحنا فيما سبق.

إذن فالتقية تقترون على طول الخط، وفي جميع الدعوات في العالم، مع قصور هذه الشرائط عن ضمان النجاح... كالمسلك الذي تطبقه الأحزاب المبدئية في العصور المتأخرة، من السرية والتكنم... وكما أمر به الإسلام في العصر الذي لم تتحقق فيه هذه الشرائط بالسبب إلى الأطروحة العادلة الكاملة، وهو عصر ما قبل الظهور.

وعلى أي حال، فالدعوة الإلهية، على طول الخط، كانت تدور مدار وجود هذه الشرائط وعدمها. ويتحل ذلك بكل وصوح، في التاريخ الإسلامي حيث يرى السي (ص) كان ملتزماً في أول دعوته بالسرية والتكنم أو «التقية» حينما لم يكن الشرطان الأحييين. الأبناء والمؤيدين متوفرين لديه ولم يبدأ دعوته إلا بعد أن أحرز من محتوى الشرطين ما يكفي لضمان البقاء ولم يبدأ بالجهاد مع الأعداء، في أول عزواته في بدر، إلا عندما حصل على العدد الكافي من الباصرين المدفعين بالحرارة العاطفية الثورية، التي قلنا أنها الدليل عندهم عن الوعي والاحلاص المحض، لعدم توفر التمحيص الكافي بالسبب إليهم.

واستمر الفتح الاسلامي مسياً على هذا الأساس.. . وإنما بدأ الانحطاط والصمود، مع الانحراف وقلة اختلاص المحصلين وعدم اندفاع المدفعين ونرى الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، إنما يأخذ برمام الإصلاح في الأمة الاسلامية، حين يجد الناصرين المؤيدين، فياجر الساكنين والفاستين والمارقين من القتال ولولا ذلك، لم يكن الجهاد لارماً عليه كما فهمه من قوله عليه السلام. أما والذي فلق الحبة وبرأ السمعة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الباصر، وما أحد الله على العلماء أن لا يفروا عن كلمة ظلم ولا سبغ مظلوم، لا نفيت حبلها على غارها ولسقيت آخرها بكأس أوطا، ولألعنتم دياكم هذه أزهدي عندي من عطفة عمر<sup>(١)</sup>

وإنما أحد الله تعالى على العلماء ذلك، عند قيام الحجة بوجود الباصر، وهو عبارة عن توفر الشرط الثالث، الذي لولاه لما وجب على القائد الاسلامي تكفل القيادة، ولاعتزل علي عليه السلام هذا المركز الهام، ولم يغتره ما فيه من صرلة وشهرة ومال

وإنما أكد على توفر الشرط الثالث، باعتباره وصوح توفر سائر الشروط في دعوته عليه السلام. وعدم وجود بوادر احرامها إلا فيما يعود إلى هذا الشرط. فإن دعوته مبدئية ذات قيادة، وهو شخصه القائد وإنما كان عليه السلام يعاني من توفر الشرط الثالث حيث براه في العهد الأخير من خلافته يحاطب أصحابه بأهم ملأوا قلبه قبحاً ويتمى إنذارهم بحبر من صرف الديار بالدرهم وهذا راجع في حقيقته والتأسف من ضعف الشرط الثالث يومئذ وعدم توفره بالسحب المطلوب للظروف التي كان يعيشها المجتمع يومئذ، مما لا مجال للافاصة فيه

«وحينما يتولى ابيه الامام الحسن عليه السلام مركز الخلافة، والقيادة، ويجاور ساحرة القتال للجهاز المسحوف الحاكم يتفرق عنه جيشه، ويستطيع معاونة شراء صمائر قاده واحداً بعد واحد حتى لم يبق للامام (ع) من جيشه ناصر اضطره إلى الصلح مع معاوية وهذا في واقعه، رجوع إلى المحافظة على الدعوة المبدئية بعد احرام الشرط الثالث أو الرجوع إلى التقية، بالمعنى الذي قلناه

(١) أنظر نيج البلاغة شرح محمد حمزة، ط. مصر، ص ٣٦ وما بعدها

بعد عدم وجود الناصريين المؤيدين. ولتفصيل ظروف هذا الحادث الممتحن الناصري مجال آخر.

ويأتي دور الامام الحسين بن علي عليه السلام بعد ذلك. . فتأتي مئات الكتب من العراق، من الناصريين المؤيدين الناصريين على الحكم الأموي المشهور. . فتوفر له والحجة بوجود الناصريين. أعني الشرط الثالث، بعد توفر الشرائط الأخرى فيشعر بوجوب قيامه بالدعوة الإلهية والثورة لطلب الإصلاح في أمة جده رسول الله (ص)، كما قال هو عليه السلام<sup>(١)</sup>.

وإذ يحرف عنه هؤلاء الناصريون، ويحرم الشرط الثالث، نجد ما يترتب عليه من مأساة دموية كبرى في كربلاء عليه وعلى آله وأصحابه السلام. فيعطي بذلك درساً حائلاً من التصحية والجهاد في سبيل الأطروحة العادلة الكاملة، ليكون موقفه محكاً مقتدياً، لمن يريد أن يكون من الناجحين في التمهيد الإلهي الكبير.

ويأتي دور الأئمة المعصومين عليهم السلام المتأخرين عن الامام الحسين (ع). . فيبدأ عصر الهدية، كما سمعنا تسميته بذلك من قبلهم عليهم السلام. . وذلك. باعتبار عدم توفر الشرط الثالث وانعدام الناصريين المحلصين، أو قتلهم عن المقدار الكافي للثورة.

وينتصح ذلك بجلاء من موقف الامام الصادق (ع) تجاه مبعوث الثورة الخراسانية إليه الذي كان يقول له بأن التأثير هناك أصبح مؤيدوه، فلماذا لا يقوم بالجهاد والمطالبة بحقه في الحكم المباشر. . قائلاً: يا ابن رسول الله لكم الرأفة والرحمة، وأنتم أهل بيت الإمامة ما الذي يمنعك أن يكون لك حق تقعد عنه، وأنت تجد من شيعتك مئة ألف يصرون بين يديك بالسيف.

فقال له (ع) اجلس يا خراساني رعى الله حقك ثم قال: يا حبيبة، اسجري النور، فسحرته حتى صار كالخمرة وأبيض علوه. ثم قال يا خراساني قم فاجلس في النور فقال الخراساني يا سيدي يا ابن رسول الله لا تعدني بالار، فقلت أقالك الله قال قد أقلتك

(١) مقتل الحسين، ص ١٣٩



قال الراوي - وهو حاضر ذلك المجلس - : فسيما نحن كذلك، إذ أقبل هارون المكي، وتعلل في سببته. فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله. فقال له الصادق (ع): ألق نعلك من يدك واجلس في الثور. قال: فألقى النعل من سببته، ثم جلس في الثور. وبعد هبة التفت إليه الامام عليه السلام، وقال: كم تجد بحراسان مثل هذا. فقال: والله ولا واحداً. فقال: أما أنا لا سحر في زمان نجد فيه حصة معاصدين لنا، نحن أعلم بالوقت<sup>(١)</sup>

يتصح لنا من هذه الرواية أمران مقترنان:

أحدهما الصفة التي يجب أن يتحل بها الباصر للدعوة الالهية، نتيجة للاخلاص المحض الذي عاش تجربته واقتطف ثمرته وهي الايمان المطلق بالقيادة، بحيث لا يصرفه عن امثال تعاليمها صارف، ولا تأخذه فيها لومة لائم، وإن جر عليه الويال، وإن لم يفهم وحه الحكمة من التعاليم، بعد أن كان لديه الايمان المطلق بالتعاليم.

ثانيهما: إن هذه الصفة غير موجودة في عصر التمهين والامتحان، أو عصر الهدنة، في العدد الكافي للقيام بالدعوة الالهية. ومن ثم يكون الشرط الثالث منخرفاً فلا يكون القيام بهذه الدعوة واجباً ولا يوجد أي ضمان لحاجتها على تقدير القيام بها... كما كان عليه الحال، في ثورات الثائرين في عصر الامويين والعباسيين، فانها جميعاً كانت تفقد الضمان للحاج، فكان يكتب عليها المشعل، مهما قويت واتسعت برهة من الزمن.

وهذا يستطيع أن نتبين بوضوح، الاهمية البالغة للشرط الثالث الذي يريد الله تعالى بتحطيطه العام إيجاده في البشرية من خلال التمهين، وما هي النتيجة الكبرى التي سوف يتجهها، وما هي الصفة التي يتحل بها المحلص المحض الذي يستطيع المشاركة في تطبيق العدل الكامل على العالم كله، بين يدي القائد المهدي (ع).

إذن، فهذه الشرائط في واقعها، هي شرائط الدعوة الالهية في كل حين. وحيث لم تتوفر على مر العصور، لم تستطع هذه الدعوة شق طريقها المأمول في العالم

(١) السمار، ج ١١، ص ١٣٩، عن المناقب لابن شهر اشوب

بالرغم من أن الله تعالى أنزل دينه ﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾  
ومستشق هذه الدعوة طريقها، ويتحقق مدلول هذه الآية الكريمة، في أول فرصة  
تتوفر فيها هذه الشروط وليس ذلك إلا عند ظهور الامام المهدي (ع).

ولولا التخطيط الالهي لإيجاد الشروط، باعتار استهدافه لليوم الموعود،  
لأمكن عدم تحقق شيء من هذه الشروط في أي وقت من عمر البشرية الطويل  
ولكن الله تعالى، وهو اللطيف الخبير بعباده، شاء أن يتفصل على البشرية باليوم  
الموعود، وأن يرببها لأجل أن يزرع فيها بذور المسؤولية تجاهه وإيجاد الشروط التي  
بها تستطيع تكمل مسؤوليته.



#### الجهة الرابعة:

التخطيط الالهي الخاص بإيجاد القائد وكان للشرط الثاني حصته من التخطيط  
الالهي لليوم الموعود، وهو وجود القائد العظيم الذي يتكامل بعلمه ونعاليمه تطبيق  
العدل المحض الكامل على العالم كله.

ويكون ذلك على مستويين، الأول ملحوظ بإيجاد قانية هذه القيادة في  
شخص القائد والثاني باعتار تكامل هذه القانية لديه، باعتار أطروحة محتملة  
سدكرها ومحاوّل فهمها من الأدلة الإسلامية

ومن هنا يقع الكلام في تفاصيل هذين المستويين.

#### المستوى الأول

في إيجاد القائد العظيم، عني إيجاد الشخص القابل للقيادة العالمية أساساً.  
بحصر السبب لإيجاد هذه القانية في أي شخص، بعد وجود القانية الذاتية  
فيه من ناحية نفسية وعقلية لذلك، بحصر إيجادها بالتعليم والتشقيف من قبل  
شخص مطلع على أساليب هذه القيادة وقواعدها العامة.

فإن لم يكن على وجه الأرض قائد تام المواصفات، لينكمل تربية من بعده من  
الأفراد ليصبحوا قواداً وافتضت المصلحة إقامة الحجة على الشر بإيجاد مثل هذا  
القائد (فانون المعجرات) الذي سبق أن ذكرناه، بوجود معجزة الوحي  
لإيجاد النبي القائد فيكون المعلم والموجه والمربي الذي يوحد من شخص النبي

قائداً عالمياً هو الله تعالى . فيوجد السبي حاملاً إلى البشر أطروحته المبدئية ، وقائلاً للقيادة بمقدار من يدعوهم إلى الإيمان به واتساعه من البشر فإن كانت دعوته عالمية يجب أن تكون قابليته عالمية ، كما سبق أن برهنا عليه . وهكذا كان سبي الاسلام (ص).

وأما إذا كان مثل هذا القائد موجوداً على وجه الأرض ، واحتاجت الدعوة الإلهية إلى قائد جديد فلا حاجة لإقامة المعجزة في مثل ذلك لتربية عصر القيادة في القائد الجديد . لا مكان حصول التعليم على هذا المستوى الرفيع من قبل القائد الموجود ، بعد اختيار الشخص القابل ذاتاً لتلقي هذا التعليم

وقد يحظر في الدهر ، التساؤل عن الحاجة إلى التعليم ، في حين نجد الكثير من القادة المعروفين كسابليون مثلاً ، قد قاموا بالقيادة حسب المسح الذي رسموه ، بدون تعليم مسبق .

والجواب عن ذلك : إن تعليم القائد يمكن أن يكون على أحد مستويات ثلاثة .

#### المستوى الأول :

تلقيه للثقافة العامة الموجودة لدى الفكر الشري ، في فرع واحد أو عدة فروع .

والتعليم على هذا المستوى موحود بالسمة إلى كل قائد ، من يخطر على ذهن السائل . يشترك في ذلك القادة على المستوى الإلهي والقادة على المستوى المادي بل من الممكن أن نقول : أن القيادة لا تتوقف على هذا التعليم أصلاً . بحيث لو كان القائد جاهلاً بفروع المعرفة أمكن أن يتجفع في قيادته ، كما حدث أحياناً في التاريخ ، في بعض القيادات القديمة . نعم ، لو كان القائد هاوياً على مثل هذه المعرفة كان - بلا شك - أفضل .

#### المستوى الثاني :

معرفة قيادة الحروب ، وتحريك القطعات العسكرية . وهو وإن كان ضرورياً للقائد ، إلا أن القواعد العامة لذلك ، مما يتلقاه القادة بالتعليم ، وبدونها يكون فاشلاً لا محالة . وليس كما ظن السائل من تولي القيادة بدون تعليم .

وأما تطبيق ذلك في الحروب، فهو تابع إلى ذكاء القائد وعمق خبرته، وليس  
ما يلقاه بالتعليم من كل القادة.

### المستوى الثالث

معرفة للايديولوجية العامة التي يستهدف نصرها ويحاول إسقاطها وتطبيقها  
وهذا هو الجانب المهم الذي يعطي للقيادة معراها وللحروب معناها وهو  
المحك الذي تحتجب به العبادة الالهية عن غيرها من القادة الاعتياديين يعرفون  
ذلك من الاتجاهات العامة التي يستوحونها من المصالح الخاصة أو المجتمع المحرف  
أو الكافر. فتكون فكرة السيطرة أو الوطنية أو القومية أو غيرها عاصر كافية لتغطية  
هذه الحاجة، من دون حاجة إلى التلقي بالتعليم

وأما القيادة القائمة على الأساس الالهي، فهي تنطلق من عدة روايا كل  
واحدة منها تحتاج إلى تعليم أولاً وإلى مران وتمحيص ثانياً وإلى تكامل وتعميق  
ثالثاً.

### الزاوية الأولى:

استيعاب الهدف الذي من أجله وجدت الشريعة واستهدفت هدايتهم، ومن  
أجلها بعث الأنبياء ووحى الجهاد، وأقيمت الدولة الإسلامية

### الزاوية الثانية

استيعاب دقائق القانون الذي بطن في المجتمع الشرعي، سواء على مستوى  
الدولة، أو قبلها.

### الزاوية الثالثة

طرق الارتباط بالناس وممارسة هدايتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر  
والقواعد العامة التي تمت إلى ذلك بصلة

### الزاوية الرابعة.

العبرة المطلقة ورعص الأدبية، بحيث يمكن الفرد في أية لحظة أن يصحح  
بكمال كيانه في سبيل اهدف الذي عمل من أجله

إلى غير ذلك من الروايا، التي يكون التعبير عنها باحتصار سهلاً، وأما

تعميقها وتطبيقها في عالم الحياة، في غاية الصعوبة، مصافاً إلى المستويين الأول والثاني، العاملين لكل قائد ومن هنا احتاجت القيادة الالهية إلى تعليم.

وهذا هو الذي حصل، بعدما قام التخطيط الالهي، على إيجاد السبب المردوح في القائد: القابلية الذاتية والقابلية التربوية، ومنه نستطيع اقتصاص عدة نتائج مهمة:

#### النتيجة الأولى:

حين يكون السبب في التربية هو التعليم المباشر من قبل الله تعالى أو المتصل به بالواسطة. يكون من المستحيل عادة وجود قائد عالمي يقوم في قيادته على أساس مادي وهو- أيضاً- مما لم يحدث في أي فترة من التاريخ. فان القيادة العالمية لا تكون إلا من التعليم الالهي، ذلك التعليم المبني للأساس المادي وكل القواد الديويين أو الماديين ليسوا علميين على أي حال، وإن قادوا دولاً كبيرة

#### النتيجة الثانية:

إذا كان هذا هو سبب وجود القائد، أمكننا دحض كل حلافة يدعيها صاحبها ويقوم بها عن طريق «السيف» في أي عهد متأخر عن صدر الاسلام، مما يكون قبل الظهور كحلافة العباسيين والعتمانيين أو كل من كان على وئيرتهم، ممن يعلم بعدم توفر هذا السبب لديه ولدى ألقائه من الخلفاء.

#### النتيجة الثالثة:

أما نقول نفس الشيء بالنسبة إلى المهدي الذي يولد في آخر الزمان، طبقاً للفهم غير الامامي.

فانه بعد وضوح انتفاء الوحي بالنسبة إليه، لا يكون قابلاً للقيادة العالمية التي يجب أن يتكفلها بعد انفصاله عن التربية الالهية المباشرة وبالواسطة أيضاً. فانه لا يوجد في عصره قائد عالمي سابق عليه لياشر تعليمه وتكميله.

فإن قال قائل: إن التمهيع الساري المعمول خلال عصر الغيبة الكبرى، كميل بإيجاد مثل هذا الشخص.

قلنا له: كلا، فان غاية ما للتمهيع من مقدرة هو إيجاد الأفراد المحلصين إلى درجة عالية، بحيث يستطيعون المشاركة في قيادة العالم، تحت إشراف القائد

الأكبر. وأما أن يخلق التمهّيص شخصاً له قابلية قيادة العالم، من خلال عدد محدود من السنوات... فلا.

إن قال قائل: فإن التمهّيص يمكن أن يفرض مضاعفة بالنسبة إليه وتشديده عليه، ليصنع منه قائداً عالمياً.

قلنا في جوابه: إن التمهّيص قاصر أساساً عن إيجاد القائد العالمي. فإن التمهّيص شيء والقيادة شيء آخر. ولولا التعليمات الموسعة التي يتلقاها المحصّون من قل المهدي (ع) لقيادة العالم بعد ظهوره... لما أمكنهم ممارسة القيادة لمجرد كونهم محصّين. فإن ما يفعله التمهّيص هو تقوية الإيمان والاخلاص وقوة الإرادة، وهذا مما لا يكفي وحده لقيادة أيّاً كانت، فضلاً عن قيادة العالم. وإن كان يكفي لأن يصبح الفرد حديداً فداً في جيش عقائدي ثوري. وليس للمخلصين المحصّين من وضعية في غزو العالم أكثر من ذلك.

ونحن، وإن كنا لا منكر ما للتمهّيص من أثر بالغ في تثقيف الفرد من النواحي الأخلاقية والدينية، وإطلاعه على المناقشات الماسية لتيارات الانحراف في عصره من وجهة نظر الاسلام. إلا أنها - على أي تقدير - لا يمكن أن تفي بالقيادة العالمية.

إذن، فلا يمكن للتمهّيص أن يوجد المهدي على المستوى المطلوب. وكل شخص وجد متأخراً في الزمان منفصلاً عن التعليم الانبيائي ولو بالواسطة... فانه لا يمكن أن يقوم بمهمة اليوم الموعود

فإن قال قائل: إن المهدي متصل بالله تعالى مباشرة عن طريق الالهام، كما يقول به ابن عربي في الفتوحات المكية<sup>(١)</sup> وغيره. ومعه الالهام هو الذي يباشر تربيته ولا حاجة له إلى تلقي التعليم بالواسطة.

قلنا له: ان هذا صحيح، بالنسبة إلى زمن توليه القيادة فعلاً، ولا كلام لنا في ذلك. وإنما الكلام في جعله قائداً لكي يمارس مهمته بعد ذلك ولم يدع ابن عربي تلقي المهدي للالهام قبل توليه القيادة، كذلك وكل من يفهم المهدي بغير الفهم الإمامي.

(١) أنظر الباب السادس والستين والثلاثمائة من المجلد الثالث، ص ٢٢٧ وما بعدها

ومعه يتعدى القول بوجود المهدي وولادته في آخر الزمان، طبقاً لذلك الفهم... لأن كل من يوحد في العصر المتأخر عن عصر التشريع، لا يمكن أن يكون قائلاً عالمياً لانقطاعه عن الوحي ولو بالواسطة لا يستثنى من ذلك أحد. ومعه فلو قصرنا النظر على ذلك، لزم القول بفشل التخطيط الإلهي، وعدم تنفيذ اليوم الموعود. إذن فلا بد من تصور التخطيط الإلهي بالنحو المنسجم مع الإيمان بغيبة المهدي، ومشاركة الغيبة نفسها بنقطة وافر من هذا التخطيط.

فإن الأسلوب الوحيد الذي يمكن به ربط الإمام المهدي (ع) في تربيته القيادية بالوحي، ولو بالواسطة هو أنه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ليكون قد تلقى الحقائق الكبرى عن طريق آبائه عن النبي (ص) عن الوحي الإلهي.

فإذا تم ذلك، تعين كونه مولوداً في زمان أبيه وناقباً إلى الآن، محفوظاً بعناية الله تعالى، من أجل أن يقوم بالقيادة الكبرى في اليوم الموعود. إذن فقد أصبحت الغيبة الكبرى من الأسباب الضرورية لنجاح الدعوة الإلهية في ذلك اليوم.

بمعنى، يمكن أن يفترض بعض الافتراضات لتصوير ارتباط المهدي بالوحي، بدون الغيبة. كتسلسل وراثية قاننية القيادة العالمية طيلة هذه المدة بدون انقطاع، إلى أن تتم شرائط اليوم الموعود، ويكون القائد الموجود في ذلك الحين هو المهدي. أو يفترض انفصال ولادته عن وفاة أبيه بزمن طويل!! بطريق استعجالي، وتلقيه التعليم عنه بحوا استعجالي أيضاً. وغير ذلك من الافتراضات. إلا أن شيئاً منها لم يقل به أحد من المسلمين، فهو منفي بضرورة الدين واجماع المسلمين فيتعين القول بالغيبة أعني بقاء الطويل من زمان أبيه إلى حين ظهوره.

#### النتيجة الرابعة.

إننا نجد أن عرفنا أن السبب الوحيد الموجود لقاننية قيادة العالم، استطاعنا أن نبرهن به على بطلان كل مهدوية مدعاة على طول التاريخ أو تدعى في المستقبل مما لا يكون متصلاً بالوحي ولو بوسائط. فإن الشخص الذي لا تتوفر لديه هذه الصفة يتعدى عليه بالمرء القيام بالمهام الكبرى المنوطة بالمهدي (ع) ومن ثم لم نر شخصاً مدعياً للمهدوية استطاع السيطرة على العالم كله، مصداقاً إلى غفلة المدعي.

عن عدم تمامية إنتاج التخطيط الالهي للعدد الكافي من المحلصين المحصين  
ومن هنا يكون لنا مستمسك برهاني، ضد مدعي المهنوية، اسق في الرتبة  
من الدليل الذي أشرنا اليه في التاريخ السابق<sup>(١)</sup> من اننا نستكشف من مثل  
الدعوة المهدوية المدعاة انها دعوة كاذبة، وان قائدها ليس هو المهدي المنتظر. لأننا  
لا نعي بالمهدي، إلا القائد العالمي القائم بأطروحة الحق العادلة الكاملة.



### المستوى الثاني:

في تكامل قابلية القيادة العالمية من الكامل إلى الأكمل، بلحاظ أطروحة  
نطرحها ونحاول البرهنة عليها. ويقع الكلام في ذلك في جواب ثلاثة:

الجانب الأول:

في تحديد الأطروحة التي نقصدها، والمفهوم الذي نريده. يعرض معنى  
التكامل بالنسبة إلى الكامل العظيم الذي له قابلية قيادة العالم، وأسباب ذلك.  
أن درجات التكامل المتصورة للعقل لانهاية العدد، كلما وصل الفرد إلى مرتبة  
منها، استحق أن يرقى إلى درجة بعدها. تبدأ بأول درجات الإيمان وتنتهي بالرحود  
اللاهائي الجامع لكل صفات الكمال، الله عز وجل.

وحصول الانسان على الكمال اللاهائي، غير ممكن، كما ثبت في الفلسفة  
الاسلامية، إلا أن نصاعده من الكامل إلى الأكمل فالأكمل، في عاية الامكان  
والوضوح. وكل درجة يصل إليها الفرد، فهي درجة محدودة ليست لا متناهية  
بطبيعة الحال.

ومن هنا يسير الناس المؤمنون في درجات الكمال، من القليل إلى الكثير ومن  
الكثير إلى الأكثر. ومن هنا ينشئ إمكان القول بتكامل ما بعد العصمة. وإمكان  
تربية المعصوم وان كان خير البشر، فانه ان كانت الدرجة الدنيا من تكامله هي  
أعلى من كل الشر، فالدرجة العليا كذلك لا محالة. وإذا كان هذا التكامل ممكناً،

(١) انظر تاريخ الفقيه المصري، ص ٣٥٥



كان ضرورياً، لما أشرنا إليه من أن الفرد كلما وصل إلى درجة من الكمال استحق  
الدرجة التي بعدها، لا يختلف في ذلك المعصوم عن غيره... بحسب البرهان المقام  
في الفلسفة

ويمكن لقائد عالمي، من يوجد عنده المستوى الأول من قابلية القيادة العالمية،  
كالمهدي (ع) أن يتكامل بأسباب معينة، يمكن ارجاعها إلى ثلاثة أسباب:  
السبب الأول:

الإلهام. فانه ثابت للقائد العالمي الذي وجد المستوى الأول بالنسبة إليه  
ويمكن إثبات ذلك بعدة أدلة نذكر منها اثنين:

الدليل الأول:

ما ورد في الأخبار، من أن الامام إذا أراد أن يعلم شيئاً أعلمه الله تعالى  
ذلك. وقد خصص الشيخ الكليني في الكافي باباً كاملاً لنقل هذه الأخبار  
والامام، هو القائد العالمي ببلغتنا الحديثة، فإذا حطر في ذهنه شيء لم يستطع  
التوصل إلى جوابه أو حله، أسعفه الله تعالى بالإلهام في ذهنه ذلك الجواب  
المطلوب.

الدليل الثاني:

إن القيادة العالمية لدى صغورتها وتعدد مشاكلها، لا يمكن القيام بها إلا من  
قل قائد ملهم، يستوحي عدداً من الأخبار ويتلقى التعاليم من هذا المصدر  
اجليل. فإذا توقف القيام بها على الإلهام، وجب على الله إيجاد هذه المعجزة، طبقاً  
لقانون المعجزات، ازجاء لحاجات الدولة الإسلامية العالمية، التي هي الهدف  
الأساسي من إيجاد البشرية.

وسنعرض لذلك تفصيلاً في تاريخ ما بعد الظهور

السبب الثاني.

ما يمر به القائد من مصاعب وعن. فانها توجب تصاعد كماله وترسخه،  
بنفس التفسير الذي ذكرناه للتكامل الناتج عن التمهيم، مع حفظ الفرق في  
المرتبة فقط. حيث يفوق هذا الكمال ذلك الكمال الثابت للفرد العادي بما لا

يقاس من المراتب. تبعاً للمرق بين الكمال المسبق للإمام والكمال المسبق للفرد العادي.

ولا يمكن أن نسمي هذا التكامل بالتمحيص، بالرغم من أنه يحمل نفس فكرته وقاعدته العامة، من حيث كونه مساً لتساعد الكمال. إلا أن المعنى الأساسي للتمحيص هو اختبار الحيد من الرديء، والمعنى الذي اصطلاحناه هو السبب الذي يحول الفرد من القصور والضعفة إلى الكمال والرفعة. وكلا هذين الأمرين هير موجودين سلفاً في القائد العالمي. بل هو في أول مراتبه القيادية، في درجة عالية من الكمال بحيث لا يقاس إليه أي فرد من البشر.

### السبب الثالث:

ما يقوم به القائد من أعمال وتضحيات في سبيل دعوته وخدمة دينه وربه، فإنه يتكامل بذلك ويرداد في أفق وجوده العظيم ترسخاً وعمقاً.

ومن أمثلته من التاريخ تقبل النبي إبراهيم الخليل عليه السلام الأمر بقتل ولده بكل رحابة صدر. وقوام الامام الحسين عليه السلام بثورته الدامية بالرغم من عظيم التضحيات. ومن هنا قال له جده نبي الاسلام (ص): بأن لك مقامات لن تنالها إلا بالشهادة على ما روى عنه.

وهذا يحمل نفس المعنى الذي قلناه للتمحيص الاختياري، بالنسبة إلى الفرد الاختيادي المصحح مع اختلاف المرتبة، بطبيعة الحال. وأيضاً من الصعب تسميته بالتمحيص، بل هو من التكامل الاختياري من الدرجات العليا.

وكليهما تكامل القائد باحد هذه الأساس الثلاثة، أو بأي سبب آخر اردادت قيادته حسناً وكمالاً وسهل عليه التطبيق للأطروحة الكاملة. واستطاع بقايلياته العليا وتفكيره العمق الملهم، تذليل المصاعب العالمية عن درب الدعوة الالهية. فإن قيل: أن هذا متوفر لدى القائد العالمي، في أول مراتب قابليته للقيادة، فما الحاجة إلى الزائد.

قلنا: أن قابلية قيادة العالم، تتضمن ذلك بلا شك. ولكن هذه القابلية قابلة للريادة والتكامل ومن الواضح أن الشرير يتحس شحس الأصل، والنتائج تنعقد بتعمق السبب. فكذلك هذا القائد، عند حصوله على تكامل ما بعد العصمة،

فإن تطبيقاته وأعماله سوف تسهل وتعمق عما كانت عليه أكثر وأكثر، بطبيعة الحال.

وسياقي في الجانب الثالث، ما يلقي ضوءاً أكثر على هذه الأطروحة

الجانب الثاني:

في محاولة استعادة هذه الأطروحة من الأدلة الإسلامية: الكتاب الكريم والسنة الشريفة:

وأشد هذه الأدلة صراحة ما أخرج الكلي في الكافي<sup>(١)</sup> بسند صحيح عن الامام الباقر (ع) أنه قال: 'لولا أنا بزاد، لانعدنا. ومثله أبحار أخرى عن الامام الصادق والهادي عليهما السلام بسدين آخرين.

وفي خبر آخر عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال: 'لولا أنا برداد لانعدنا قال الراوي: قلت: تردادون شيئاً لا يعلمه رسول الله (ص) قال: 'أما أنه إذا كان ذلك عرض على رسول الله (ص) ثم على الأئمة ثم انتهى الأمر اليها

وعقد الكلي<sup>(٢)</sup> أيضاً باباً بعنوان: 'ان الأئمة (ع) يردادون في كل ليلة جمعة وأورد فيها ثلاثة أحاديث، مما يدل على ذلك. وفيها التصريح باستفادة علم جديد عن طريق الالهام، وهو السبب الأول للتكامل الذي ذكرناه. وفيه التعبير بقوله: 'ولولا ذلك لانعدنا. ويقول: 'لولا ذلك لقد ما عدي

ولفهم هذا التفاد المشار اليه في هذه الأبحار أطروحتان.

الأطروحة الأولى:

ان هذا التفاد ناشيء من الأعمال العظام والتصحيات الجسام التي يقوم بها الامام طبقاً لمسؤولياته العظمى. فإها توجب تضائل الطاقة المحترمة فيه، لولا التوفيق الإلهي للتكامل.

الأطروحة الثانية:

ان هذا التفاد ناشيء من مواجهة المشاكل المستجدة التي لا تكفي القابليات

(١) انظر باب لولا أن الأئمة يردادون بعد ما عندهم (المحطوط)

(٢) انظر المصدر المحطوط

السابقة للامام لتغطية حلولها وتذليل مشاكلها، مما يجعل الدعوة الالهية متوقفة على اريداد الامام وتلقيه للالهام.

ويمكن أن تصبح هاتان الأطروحتان، بعد تدقيقهما، وجهاً واحداً مشتركاً لتفسير هذا الأمر، لا حاجة الى الدخول في تفاصيله

وعلى أي حال، فقد دلت هذه الأحار، بكل صراحة، على تكامل الامام، وترايد المستمر، من تكامل ما بعد العصمة. لوصوح ان المراتب المسبقة لهذا الكمال، تمثل درجة العصمة بأحسن صورها، طبقاً للفهم الامامي الذي انطلقت منه هذه الأخبار. فكيف بالتكامل الجديد الذي يحصلون عليه.

ويمكن ان يستفاد ذلك من القرآن الكريم، من عدد من مواضع:

منها: قوله تعالى غاطباً بيه العظيم: وقل رب زدني علماً<sup>(١)</sup>. وهو صريح بما نريد التوصل اليه، من حيث ان النبي (ص) حير البشر وأعلمهم، ولكنه مع ذلك قابل للزيادة في العلم.

منها قوله تعالى: وإذ قال إبراهيم. رب ارب كيف نحي الموز. قال. أولم تؤمن؟. قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي. قال: فحد أربعة من الطير فصرهن إليك، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً يأتيتك سعياء، واعلم ان الله عزيز حكيم<sup>(٢)</sup>.

من ابراهيم عليه السلام، ازداد بعد هذه الحادثة اطمئناً و يقيناً، وترايد في مراتب التكامل العليا، بكل وصوح. فان الهدف منها لم يكن سوى حصول الاطمئنان وقد تحقق الهدف بعد وقوعها.

ومنها قوله تعالى: ﴿وان يونس لم المرسلين إذ ابق الى الفلك المشحون، فساهم فكان من المدحضين، فالتقمه الحوت وهو مليم. فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون﴾<sup>(٣)</sup>. فقد أوجب تسيحه في بطن الحوت له كمالاً استحق به المجاة من هذا السجى الذي كان يقدر له التأييد لو لم يل هذا

(١) طه ١١٤/٢

(٢) البقره ٢٦٠/٢

(٣) الصافات ١٣٩/٣٧ - ١٤٤

الكمال بالتصرع الى الله تعالى والعمل الاختياري في التقرب اليه عز وجل .

ومنها قوله تعالى «وبادى نوح ربه فقال - رب ابي من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح، فلا تسأل ما ليس لك به علم - ابي اعطتك ان تكون من الجاهلين قال رب، اعود بك ان اسألك ما ليس لي به علم، والا تعمر لي وترحمي اكن من الخاسرين»<sup>(١)</sup>

فانه لا شك ان نوح عليه السلام ارداد بعد وعط الله عز وجل اياه وتعليمه له، ارداد كمالاتها كان عليه قبل ذلك، واد تتج هذه الريادة الحديدية، فبها تسير مع سائر التصحيحات في سبيل الدعوة الالهية، بما فيها الاستعانة عن الولد، اذا كان عملا غير صالح، وعصوا فامسدا في التخطيط الالهي ومن هنا سمعه يقول: «رب أعوذ بك أن أسألك ما ليس بك علم».

ومنها قوله تعالى «وان كادوا ليفتنوك عن الذي أوحينا اليك لتفترى عديا غيره. وادن لا تُفدوك خليلا. ولولا ان تشاك، لقد كدت تتركس اليهم شيئا قليلا، اذن لأدقنك ضعف الحياة وضعف الممات، ثم لا تجد عليا نصيرا»<sup>(٢)</sup>

فان الآية، وان كانت دالة على ان النبي (ص) لم يركس، الى الكفار، ولم يقارب الركون اصلا، باعتبار جعل ذلك في جواب لولا الامتناعية. . الا انها تدل - بكل وضوح - ان عدم الركون ناشئ من التثبيت الالهي، ذلك التثبيت الذي ارداد به النبي (ص) كمالاته العظيمة ولولا ذلك لكان الكمال السابق على التثبيت غير مانع من مقارنة الركون. ومن هنا اقتضت مصلحة الدعوة الالهية، افاضة هذا التثبيت عليه صل الله عليه وآله.

الى غير ذلك من الموارد والآيات في القرآن الكريم

وبذلك نستطيع - بكل وضوح - ان ننفي نقاط الضعف والذنوب عن الانبياء، كما يريد المشركون ان يفهموه من القرآن الكريم. فانه بعيد كل البعد

(١) هود، ٤٦/٤٧ -

(٢) الاسراء، ٧٣/٧٤ -

هن ذلك، وانما هو من التسامي من كمال عظيم الى اعظم، من تكامل ما بعد المعصمة مع توفر قابلية القيادة الكبرى، في الدرجة السابقة من الكمال، فصلا عن المراتب العليا منها . وللتوسع في الكمال عن هذا الموضوع مجال آخر في العقائد الاسلامية .

وعلى اي حال، فقد ثبت بالكتاب الكريم والسنة الشريفة، وجود التكامل، بل ضرورته للدعوة الالهية، بالنسبة الى كل من أوكل اليه قيادة العالم من الاسباء والمرسلين والأئمة عليهم السلام اجمعين .

#### الحاجب الثالث:

في تطبيق هذه القاعدة على المهدي (ع) بعد ثوبتها بالأدلة الاسلامية . . . وبه نتبين دحالة الغية في التخطيط الالهي، بشكل اكيد وشديد، لا يمكن التخلي عن افتراض في طريق كمال التطبيق في اليوم الموعود .

والمنحصر مما سبق، هو انه عليه السلام يتكامل - بعد المعصمة - خلال هيئته، بعدة اسباب:

#### السبب الأول:

الالهام بالمعنى الذي قلنا بصحته، ودلت الاخبار على وجوده . فلش كان آياؤه عليهم السلام يتكاملون في كل ليلة جمعة، خلال عدد محدود من السنين، فهو يتكامل خلال عدد غير محدود، يصل الى عدة مئات، بل قد يصل الى الآلاف من السنين . من يدري؟ . . . ومعه تكون النتيجة أكبر وأصحح من النتائج التي وصل اليها آياؤه عليهم السلام في اثناء حياتهم .

فان قيل: بانه يلزم من ذلك كون الامام المهدي (ع) حراً من آبائه، وهو خلاف الأدلة الدالة على ان الأئمة المعصومين من نور واحد، وانهم متساوون في الفضل ليس فيهم أفضل سوى أمير المؤمنين (ع) وصي رسول الله (ص) .

قلنا: يمكن الجواب على ذلك بجوابين:

#### الجواب الأول:

انه لا حير في ذلك . فليكن المهدي (ع) أفضل من آبائه، باعتبار أن التخطيط الالهي معقد بإيكال اليوم الإلهي الموعود دونهم .

وقد دلت على ذلك الروايات، ولعل أوضحها الخبر السابق الذي أخرجه  
النعمان في الغيبة<sup>(١)</sup> عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام حين سئل: هل ولد  
القائم؟ فقال: لا، ولو أدركته لخدمته أيام حياتي.

وفي حديث آخر<sup>(٢)</sup> عن الريان بن الصلت قال: للرضا عليه السلام: انت  
صاحب هذا الأمر؟ فقال: أنا صاحب هذا الأمر، ولكي لست بالذي أملؤها عدلا  
كما ملئت جورا. وكيف أكون ذلك على ما ترى من ضعف يدي. وإن القائم هو  
الذي إذا خرج كان في سن الشيوخ ومطر الشبان. الحديث.

وأما الأدلة المشار إليها الدالة على تساوي الأئمة (ع) فيمكن أن تحمل على  
تساوهم في الإمامة، أو في قابليتهم للقيادة العالمية بنقض الطعن عن تكامل ما بعد  
العصمة. كما يمكن أن يستثنى منها المهدي (ع) بالخصوص نظرا إلى هذه الأدلة  
الآخرى.

#### الجواب الثاني.

أنه لا يلزم مما قلناه انفصالية المهدي (ع) على أمائه، خلافا لما نجعله السائل، ولما  
قلناه في الجواب الأول.

وذلك لأن نفس تلك الروايات دلت على أن كل ما يحصل عليه إمام متأخر  
من الكمال، يعطيه الله تعالى لكل الأئمة المتقدمين عليه ولرسول الله (ص)  
أيضا وقد سبق أن سمعنا قول الإمام السائر (ع) - في حديث - : أما أنه إذا  
كان ذلك عرض على رسول الله (ص) ثم على الأئمة ثم انتهى الأمر إليها.

وفي حصر آخر للكُليني في الكافي<sup>(٣)</sup> عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: ليس  
يخرج شيء من عند الله عز وجل، حتى يبدأ برسول الله (ص)، ثم بأمير المؤمنين  
صلوات الله عليه ثم بواحد بعد واحد، لكي لا يكون آخرنا أعلم من أولنا.

(١) ص ١٢٩

(٢) أنظر الكافي (نسخة خطوة)

(٣) المصدر نفسه

## السبب الثاني .

لتكامل الامام المهدي (ع)، ما يحدث في عصر الغيبة من الانحراف والفتن .  
فانه موجب لتكامله من جهتين .

## الجهة الأولى .

ما يواجهه عليه السلام شخصيا من الظلم والانحراف، انطلاقا من  
الاطروحة الثانية التي ذكرناها في القسم الاول من هذا التاريخ، وهي اطروحة  
حماء العزوان، التي تقول . ان المهدي (ع) خلال غيبته يعيش كفرد عادي في  
المجتمع . اذن فهو يواجه ما يواجهه الآخرون من أنحاء الظلم والانحراف .  
فيحصل على الافراد المحصين السالحين من ناحيتين رئيسيتين .

## الناحية الاولى .

الرصيد العظيم الذي يملكه عليه السلام، في التفسير الصحيح ورد الفعل  
الصائب تجاهه، على حين لا يصل الفرد الاعتيادي الى ما يقارب ذلك في اقصى  
تكملة خلال حياته . و اذا كان هذا الرصيد موجودا من اول الامر، كان التكامل  
بالسنة اليه اسرع واعمق انتاجا، بشكل لا يقاس بالآخرين بطبيعة الحال  
الناحية الثانية .

طول الرمس، وسوء الظلم الكثيرة التي يواجهها المهدي (ع) خلال عمره  
الطويل . فلئن كان الفرد الاعتيادي يمكن ان يكون محمضا خلال العشرات القليلة  
من السنين، فكيف يمكن يعيش في عالم التكامل عشرات العشرات من السنين .  
وقد يحطر في الدهس . انا ذكرنا فيما سبق ان تمحيص الفرد يؤثر فيه نتائج  
التمحيص للاجيال السابقة، عن طريق قانون تلازم الاجيال، بمعنى ذلك عن  
الحياة الطويلة السابقة

فقول في جواب ذلك : انا ذكرنا الى حسب ذلك . ان قانون تلازم الاجيال لا  
يقتضي تنقل تحدر الاجيال السابقة الى اللاحقة مئة بالمئة، وان كان يشارك في  
ذلك مشاركة فعالة . فكيف يقاس ذلك بالتجارب التي يهاها الشخص نفسه،  
والتكامل الذي يحرزه .

على ان الفرد يرد الى عالم التمحيص فجاء تماما، يحتاج الى تلقي تجارب



الساقيين أولاً، والريادة عليها من تجارب نفسه ثانياً. وهذا ملغى لدى الشخص الذي أحرز الكمال بنفسه سلفاً والتعسير الصحيح للحياة، مما يغنيه عن تحشم تلك المتاعب وقضاء الوقت الطويل فيها. بل هو يقضي الوقت المتبقي في التصاعد في درجات جديدة علياً من الكمال

الجهة الثانية:

انه يمكن ان يقال على شكل الاطروحة المحتملة: ان معاصرة المهدي (ع) التاريخية الطويلة، للأجيال، توجب له الاطلاع المباشر على قوانين تطور التاريخ وتسلسل حوادثه وما يؤثر في المجتمعات البشرية ونعوس الافراد من مؤثرات سلبية وإيجابية، مما لا يمكن التوصل اليه عن طريق آخر أصلاً، كمراجعة التواريخ المسجلة أو معاصرة الحقبة الزمانية خلال حياة قصيرة.

فإن التاريخ أضيق وأعجز من أن ينقل إلينا تفاصيل الحوادث بشكل دقيق وعميق، ولا يمكن أن يعيش من خلاله نفس الحوادث المؤرخة بشكل موضوعي حالص... وقد سبق أن برها على ذلك في مقدمة تاريخ العيبة الصفري<sup>(١)</sup>.

وأما الحقبة الزمانية المعاصرة لحياة الفرد الاعتيادي، فهي أيضاً أضيق وأعجز من أن تطلعه على التاريخ الشرقي العام. وإنما يستتج الفرد منها أموراً بمقدار قابلياته ومستوى تفكيره وحدود الرمان والمكان التي يعيشها.

فلا يقاس كل ذلك، بمن عاصر التاريخ كله وعاش خلال تقلباته وإطلاقاته خلال عصر الفتن والانحراف، واستطاع ان يربط الاسباب بمسبباتها... فإنه يستطيع ان يلم بقوانين التاريخ بنظرة أوسع وأشمل، مما يسر له الى حد بعيد وضع المخططات ذات التأثير الفعال في أي ميدان من ميادين الحياة، بعد ظهوره، بل وحتى في عصر عيبته، بعد الذي عرماه، طبقاً لاطروحة خماء العوان، من ان المهدي يعمل - في بعض الحدود - خلال غيبته، في مصلحة الاسلام والمسلمين

ولا يبقى تجاه هذه الاطروحة من تسؤل، الا ما دل من الأحار على ان الامام متى أراد أن يعلم أعلمه الله تعالى ذلك<sup>(٢)</sup>. فإنه قد يقال: انه لا حاجة الى هذه

(١) انظر ص ٢٥ وما بعدها إلى عدة صفحات

(٢) أخرج الكليني في الكافي مدعاً منها في باب مصروف ان الائمه إذا شقوا أن يعلموا علموا

الاطروحة بعد أن كان في إمكان الامام المهدي (ع) أن يعلم بقوانين التاريخ تفصيلاً، من حوادثه أيضاً، بمجرد أن يريد ذلك.

ويمكن الجواب على هذا التساؤل على عدة مستويات، نذكر منها مستويين.

### المستوى الأول:

أنه ورد في الأحبار أن الله تعالى قد يحجب الالهام عن الامام (ع) متى شاء. فمن ذلك: ما أخرجه الكليني في الكافي<sup>(١)</sup> بسنده عن الامام الباقر (ع) أنه قال: يبسط لنا العلم فنعلم، ويقبض عنا فلا نعلم. ومعه ممن المحتمل - على أقل تقدير - أن تكون بعض القوانين العليا أو الكلية للتاريخ، يحجب الالهام بها عن الامام المهدي (ع) لكي يعيشها في الحياة، ويستخرجها عن طريق التجارب الحسية المباشرة لتطورات التاريخ.

وإذا كان الاطلاع المباشر أكثر رصوحاً في النفس، من العلم النظري، كانت المصلحة متعلقة لا بحالته، بتحويل المهدي (ع) على حوادث التاريخ مباشرة، وحبب الالهام عنه، بهذا الخصوص، لكي يكون أكثر كمالاً، وأسهل تطبيقاً ليوم الموعود.

### المستوى الثاني:

إن هذه القاعدة - إذا أراد الامام أن يعلم أعلمه الله ذلك، التي نطقت بها الأحبار، بالرغم من عمقها وسعتها، وأصلية الواجد لها على كل الآخرين إلا أنه - مع ذلك - لا ينبغي المبالغة في نتائجها

فإن فيها نقطة ضعف رئيسية، وهي تعليفها على الإرادة، فإن الامام إذا أراد أن يعلم أعلمه الله تعالى، وأما إذا لم يرد أن يعلم فإن اعلام الله تعالى له لا يتحقق. فإذا استطاع أن يصم إلى هذه القاعدة أمرين آخرين استطعنا أن نعرف كيف أنه لا ينبغي المبالغة في نتائجها.

### الأمر الأول:

إن الامام عليه السلام، بالرغم مما يستدل عليه في الفلسفة من استحالة

---

(١) انظر في الكافي، باب ان الأئمة إذا شئوا أن يعلموا علموا

الغفلة عليه. لا يمكن الالتزام بكونه ملتفتاً إلى كل الأمور في الكون دفعة واحدة. فإن ذلك من خصائص الله عز وجل وحده. ولا يقوم ذلك البرهان بإثباته.

إذن والغفلة، بهذا المعنى ضرورية الثبوت للإمام بلا إشكال. ومع الغفلة لا يمكن أن يريد أن يعلم فإن إرادة العلم تتوقف على الالتفات لا محالة، وبدونه لا معنى لهذه الإرادة.

فإذا لم يرد الإمام أن يعلم، لا تنطبق هذه القاعدة بطبيعة الحال، وأعلام الله تعالى إياه لا يتحقق.

### الأمر الثاني:

المظنون جداً، ارتباط هذه القاعدة بالموارد الحرفية، والحوادث المتجددة، فهي كل حادث معين إذا لم يجد الإمام (ع) حلاً لمشكلته وأراد أن يعلم ذلك أعلمه الله تعالى إياه. وأما شمول هذه القاعدة لعمومات واسعة، كالعلم بكل شيء أو بكل الحوادث في الأرض أو بكل التاريخ البشري مثلاً، فمن المستبعد جداً أن الإمام يطلب من الله تعالى العلم بذلك دفعة واحدة. والمذكور العام للقاعدة الذي يعطيه سياقها، يأبى شمولها لمثل ذلك.

فإذا تمّ هذان الأمران، كان من المتعين للمهدي (ع) حين تتعلق المصلحة باطلاعه على القوانين العامة للتاريخ، أن يعيش هذا التاريخ، وينظر تفاصيل حوادثه وترابطها وتسللها لكي يستتبع، هو بفكره النافذ وبالأهامة المتابعة في كل واقعة، ما يمكن التوصل إليه من هذه القوانين.

### السبب الثالث:

من أسباب تكامل الإمام المهدي (ع)، في تكامل ما بعد العصمة. خلال عيته ما يقوم به عليه السلام من أعمال وتصحيات اختيارية في سبيل الاسلام والمسلمين.

ويتم الاطلاع على ذلك بعد ثبوت مقدمتين سبق أن عرّفاهما

### المقدمة الأولى:

إن الفعل الاختياري للعهد يسعى به إلى الكمال والأكمل، حسب مرتبته

السابقة من الكمال. وقد سبق أن سمينا في تكامل ما قبل العصمة بالتمحيص الاختياري. فإن كان قائداً عالمياً، معصوماً، كان الكمال الذي يحوزه بتضحياته التي تكبر وتتسع تبعاً لاتساع مسؤولياته... عظيماً وجليلاً.

المقدمة الثانية:

إن الامام المهدي (ع) كما قلنا في أطروحة حفاء العنوان السابقة، يقوم بالعمل في مصلحة الاسلام والمسلمين، ضمن شرائط عرفناها.

يتيح من هاتين المقدمتين، إن ما يقدمه المهدي (ع) من أعمال في سبيل الله والاسلام، يكون سبباً في تكامله المستمر، من الكامل إلى الأكمل، وخاصة فيما يعود إلى القرب الالهي والرقى المعنوي.

إن قال قائل إن ما يقوم به من هذه الأعمال، هينة وقليلة بالنسبة إلى منزلته العليا... بحيث لا تكاد تسبب له التكمال.

قلنا في جوابه: أولاً. أسألو سلمنا صالة هذه الأعمال، بالنسبة إليه، لا نستطيع أن نسمي تكامله بمقدارها... وإن أوحى له تصاعداً قليلاً في درجات الكمال... بعد أن عرفنا أن التصحيات الاختيارية سبب للتكمال على أي حال.

ثانياً: إن الأعمال التي يقوم بها المهدي (ع) ليست بالقليلة ولا الهينة، كيف وقد يتوقف عليها حفظ المجتمع الاسلامي، ودفع اللاء عن المسلمين. وقد سبق أن سمعنا في رسالته التي أرسلها إلى الشيخ المفيد، برواية الطبرسي في الاحتجاج<sup>(١)</sup>. أما غير مهملي لمراعاتكم ولا ناسي لذكركم، ولولا ذلك لزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء.

هذه الأعمال، بالرغم من صالتها النسبية لوقيت بأعمال يوم الطهور إلا أنها ذات أثر عظيم في نفس الوقت، في إيجاد التكمال ومياله من الكمال تابع للتأثير التي يصل إليها، لا الأسلوب الذي يقوم به. كما هو الحال في كل فرد عامل في سبيل الحق، بل في كل عمل على الإطلاق، فانه تقاس الأعمال بالتأثير لا بالمقدمات

\*\*\*

فهذه هي الأسباب الثلاثة التي تسبب تصاعد المهدي (ع) في درجات الكمال خلال غيبته الكبرى، بحسب معرفتنا لا بتحو الحصر الكامل. وإذا كان مبدأ التكامل وأقل مراتبه هو قابلية قيادة العالم، فكيف بالتكامل المصاعف الكبير الحليل الذي يحرز . . عما يكون له أهم الأثر في تعميق التطبيقات الحكيمة التي يقوم بها المهدي (ع) في اليوم الموعود.

ملحوظة :

تختص هذه الأسباب الثلاثة، الأطروحة الامامية لعهد المهدي (ع) القائمة على الإيمان بوجوده وغيبته.

وأما العهد الآخر، القائم على ولادته في آخر الزمان، فكما لم يستطع أن يستوعب قابليته لقيادة العالم، كما عرفنا . لا يستطيع هذا العهد أيضاً أن يقول بتكامله إلا بالمقدار القليل الذي يتكامل به الفرد المؤمن الاعتيادي خلال حياته.

فإذا صححنا كلا الأمرين. انفصال المهدي عن الوحي حتى بالواسطة، مما يجع عنه قابلية القيادة العالمية، وعدم تكامله الطويل خلال الزمان . لزمنا افتراض أن المهدي (ع) حين يولد في آخر الزمان ليس أكثر من فرد من المحلصين المحصين الذين عرفنا عدداً من خصائصهم. وإذا كان القائد كذلك فكيف بالجنود؟ معه يستحيل عليه - عادة - القيام بالمهمة الكبرى لليوم الموعود وتمهيد الغرض الإلهي الأكبر فيه.

إذن فهذا العهد للمهدي (ع) مساوق مع انكار اليوم الموعود من الناحية العملية . وينحصر تنفيذ التخطيط الإلهي لايجاده، بوجود الغيبة الطويلة لا محالة . ومن هنا تدحل العيبة كجزء رئيسي في التخطيط الإلهي الكبير.

هذه نهاية الكلام في الجانب الثلاث. وبه ينتهي الكلام عن المستوى الثاني في تكامل قابلية القيادة العالمية . وهو نهاية الكلام عن الجهة الرابعة في التخطيط الإلهي الخاصة بإيجاد القائد.

وهو نهاية الفصل الأول عن شرائط الطهور

## الفصل الثاني

### في علامات الظهور

ونتكلم في هذا الفصل ضمن عدة جهات.

الجهة الأولى:

في تحديد المصحح العام الذي سير عليه اتجاه الروايات الدالة على تعداد علامات الظهور.

ويقع الكلام في ذلك ضمن عدة نقاط

النقطة الأولى:

سبق أن ذكرنا تفصيلاً في القسم الثاني من هذا التاريخ، المصحح العام الذي سير عليه اتجاه روايات التسو بمقتضى الرمان شكل عام سواء منها ما دل على علامات الظهور أو على أشراط الساعة أو على انحراف الرمان، وبحوثها من الروايات. فيكون ذلك المصحح شاملاً لهذا الفصل حملة وتفصيلاً وقد سبق ذلك، ولا حاجة إلى التكرار.

وعليه الآن أن نصيب إلى ذلك أمرين ملخصهما في الفقرتين التاليتين

النقطة الثانية

إن الروايات التي تدل على حدوث حوادث معينة في مستقبل الرمان، على ثلاثة أقسام.

القسم الأول.

ما ورد مربوطاً بظهور المهدي (ع) من نص الرواية كما هو الحال في الأعم

الأغلب من أحيار المصادر الامامية. حيث كرست كلها تقريباً لذلك، وقلٌ فيها  
التعرض لامارات الساعة التي تحدث بعد الظهور.  
القسم الثاني.

ما ورد مربوطاً بالساعة وقيام يوم القيامة وهو الأعم الأغلب من أحيار  
المصادر العامة، حيث لم يربط بظهور المهدي (ع) منها إلا القليل نسبياً  
القسم الثالث:

ما ورد مهملاً من الساجيتين السابقتين. بمعنى تكفل الرواية لبيان حدوث  
الحادثة من دون أن يهمهم منها ارتباطها بالظهور وقيام الساعة  
ولكل القسمين الأولين، قسمان متشابهان

أحدهما: ما دل على وقوع الحادثة قبل الظهور أو قبل قيام الساعة مباشرة. .  
بمعنى الفصل بينهما بأيام قليلة أو زمن قصير كالذي ورد أن بين قتل النعمان الزكية  
وبين ظهور المهدي (ع) خمسة عشر يوماً على ما سيأتي أو ما ورد من أن  
الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق. إذن فوجود شرار الخلق، قبل قيامها  
بقليل.

ثانيهما: ما دل على وقوع الحادثة قبل الظهور أو قبل قيام الساعة، بشكل  
يناسب وقوعها بمراحل زمنية طويلة. وليس في الرواية ما يدل على التقارب بينهما  
كما ورد في بعض الروايات من قوله: لا تقوم الساعة حتى يحدث كذا وكذا. ومن  
قوله: لا يكون الذي تمهدون إليه أعناقكم (يعني الظهور) حتى يحدث كذا  
وكذا. . . ونحو هذا من الكلام.

فما كان موقتاً ومصحوباً من العلامات، كما لو دل الخبر على وقوع الحادثة قبل  
الظهور أو قبل الساعة مباشرة. فلا كلام في ذلك فإنه يمكن العمل بها  
واعتمادها إثباتاً تاريخياً كافياً لو انطلق عليها التشدد السني الذي صرن عليه

وما لم يكن موقتاً يمثل هذا التوقيت، كان الظاهر انفصال الحادثة برمان كبير  
عن الوقت المحدد - الظهور أو الساعة - قد يبلغ مئات السنين أو الآلاف  
حتى أن عدداً من الحوادث التي سمع التسويها، قد حدثت بالفعل، وقد حدثت  
بعضها قبل عدة قرون. . . ولم يحدث إلى الآن الظهور فضلاً عن الساعة

فما ورد مربوطاً بالمهدي (ع)، بشكل مباشر أو غير مباشر، مما حدث أو لم يحدث، هو في حقيقته من علامات قيام الساعة أيضاً. . باعتبار ما قلناه من أن مفهوم العلامة ليس إلا الحادثة التي جعلت منياً للناس عند حدوثها إلى حدوث ما يليها، وكاشفة عنه. ومن المعلوم أن الحادثة المتقدمة على الظهور والكاشفة عنه، كاشفة عن قيام الساعة أيضاً إذن فمن الصحيح أن تنسب علامات الظهور إلى الساعة، وتجعل علامات عليها. كما ورد بالفعل في العديد من الروايات

وما ورد مربوطاً بالساعة بشكل غير مباشر ولا قريب، يمكن لنا جعله علامة على الظهور، بنفس اعتبار التقابل السابق. وكذلك ما ورد مهملاً من الارتباط بالظهور والساعة، أن نجعله من علامات الظهور أيضاً. ولا يبقى من علامات الساعة الخاصة بها، إلا ما يقع قبل قيامها بقليل، بحسب الخبر الدال عليه. وفي مثله يتعين أن يكون واقعاً بعد الظهور أيضاً

إن قال قائل: فإن هذه الحوادث التي جعلناها علامة على الظهور، لا يتعين فيها ذلك فإنها كما يحتمل حدوثها قبل الظهور لتكون علامة عايه، يحتمل حدوثها بعده، فلا تكون علامة عليه.

نقول: هناك عدة قرائن تدلنا على تقدم الأعم الأغلب من الحوادث الواردة في الأخبار، متقدمة على الظهور، وتصلح أن تكون علامة عليه وإن ورد في الأحبار مربوطاً بقيام الساعة، أو مهملاً عن الربط.

#### القرينة الأولى:

وجود الدليل التاريخي على وقوع الحادثة التي نثبت بها الرواية. فإن معنى ذلك تقدمها على العصر الحاضر وهو دليل على تقدمها على الظهور أيضاً. ومثاله التنبؤ بهلاك الدولة العباسية، ووجود الحروب الصليبية . . على ما سنذكر.

#### القرينة الثانية:

ارتباط الحادثة بعصر الفس والاسحراف، كوجود الكذابين أو الدجال أو الحروب المنحرفة. وقد علمنا تقدم عصر الفس على الظهور. . فيكون كل ما هو مرتبط بهذا العصر، متقدماً على الظهور أيضاً.

إن قال قائل: فكيف علمنا تقدم عصر الفس على الظهور. . مع أن عندنا



من الروايات السابقة الدالة على انحراف الزمان، لم يكن مربوطاً بظهور المهدي (ع) بحسب صراحته ومدلوله المباشر... وهو الأعم والأعلى من روايات العامة. فكيف تثبت تقدم عصر الفتن على الظهور بشكل مطلق.

قلنا: يمكن الجواب على ذلك، في مستويين:

#### المستوى الأول:

إن تقدم عصر الفتن على الظهور، أو عصر الظلم على العدل، من واضحات الاسلام بل من واضحات كل من يؤمن باليوم الموعود والقاطع للظلم، من أهل الأديان. إذن فكل ما دل على وجود الانحراف، فهو حاسم بما قبل الظهور.

#### المستوى الثاني:

وجود عند صحم من الروايات تربط الفتن والانحراف بما قبل الظهور، بالصرحة، والدلالة المباشرة، فتكون هذه الروايات قرينة على أن المراد من الروايات الأخرى، نفس هذا المصمون أيضاً. وقد سبق أن رويّا كلا هذين الشكلين من الروايات في القسم الثاني من هذا التاريخ

إن قال قائل: فكيف نكون على يقين بأن مثل هذه الحوادث ناشئة من الانحراف السابق على الظهور. إحد لعلها من الحوادث الناشئة من الانحراف السابق على قيام الساعة، كما ورد في الأخبار، بأن الساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق<sup>(١)</sup>.

قلنا له: إن مثل هذا الاحتمال فاقد الأهمية بالمرّة، وذلك لامكان الجواب على عدة مستويات

#### المستوى الأول:

إن ما دل على قيام الساعة على شرار الخلق لا يثبت طمناً للتشدد السدي، ولا يكفي للآيات التاريخية على ما سذكر في التاريخ القادم<sup>(٢)</sup>

(١) أنظر الصواعق المحرقة، ص ٩٨، وعبد الشيخ الطوسي، ص ٢١٨

(٢) وهو الكتاب الثالث من هذه الموسوعة

## المستوى الثاني:

إن هذه الاخبارات الموسعة الكثيرة عن الفتن والانحراف، لا يجتمل أبداً أن تكون عائدة إلى ما قبل قيام الساعة وإن السياق العام لهذه الروايات يأتي عن هذا الفهم تماماً، كما هو واضح لمن راجعها.

مصافاً إلى أن الاتجاه العام لروايات التسبؤ بالمستقبل هو زيادة سرد الحوادث كلما كان الزمان المستقبل أقرب سبباً وقلتها كان ذلك أبعد ومن المعلوم أن عصر ما قبل الظهور أقرب بكثير من عصر ما قبل يوم القيامة ومعهم فمن غير المحتمل أن ترحم كل هذه الحوادث المروية إلى ذلك الزمان السحيق في البعد بل يتعين رجوعه إلى عصر ما قبل الظهور بطبيعة الحال وهو المطلوب ويكفي لعصر ما قبل القيامة، رواية واحدة أو اثنتان مثلاً، تعربان عن أنها لا تقوم إلا على شرار الخلق

## المستوى الثالث:

إن هناك عدداً كبيراً من الروايات، تربط حوادث الفتن والانحراف ربطاً مباشراً بما قبل الظهور فتكون هذه الروايات قرينة على حل الروايات الأخرى على ذلك أيضاً.

## القرينة الثالثة:

إن الحادثة الواحدة، كالخسف بالبيداء، مثلاً، يتكرر ذكرها في عدة روايات منها ما هو مربوط بالساعة ومنها ما هو مربوط بالمهدي، ومنها ما هو مهملة فيكون ما دل على ارتباطه بالمهدي (ع) أي على تقدمه على ظهوره، قرينة على باقي الروايات

أما الروايات التي تذكر الحادثة مهملة عن الربط، فحملها واضح، لأنه من باب حمل المطلق على المقيد، فكان هذه الأحبار المهمة ذكرت الحادثة مربوطة بعصر ما قبل الظهور أيضاً

وأما الروايات التي تربط نفس الحادثة بعام الساعة، وتجعلها من إماراتها فاعتبار أن هذا الارتباط ناسب مع البعد الزمني الكبير كما عرفنا، فيكون شاملاً لعصر ما قبل الظهور وما بعده فيكون حدوث الحادثة - من رواية هذه

الروايات - في أي من العصرين محتملاً - فدلالة ما دل على ارتباط الحادثة بعصر ما قبل الطهور، يتعين الالتزام بوقوعها في العصر السابق على الطهور، ويتتفي احتمال وقوعها في العصر المتأخر عنه.

وبشكل بوهامي آخر نقول أننا إذا قلنا بتأخر مثل هذه الحادثة عن عصر الطهور، فقد كذبنا بالروايات، الدالة على تقدمها عليه، وأخذنا بالروايات الدالة على تقدمها يوم القيامة وإن قلنا بتقدم الحادثة على الطهور، فقد أخذنا بكلام القسمين من الروايات، فإن ما هو متقدم على الطهور متقدم على يوم القيامة بطبيعة الحال. والأخذ بقسم من الروايات أولى من تكذيب قسم منها فيتعين القول بتقدم الحادثة على عصر الطهور، أي الالتزام بوقوعها خلال عصر العيبة الكبرى

#### القرينة الرابعة:

قيم الدليل في كثير من الأحيان على تقدم الحادثة المعنية على بعض الحوادث المتقدمة على الطهور أو المعاصرة له، فيكون ذلك الدليل نفسه كافيّاً لإثبات وقوع تلك الحادثة المعنية قبل الطهور.

مثاله - ما ثبت في الروايات من تقدم وجود الدجال، على نزول المسيح، الذي هو بدوره معاصر مع الطهور. فيتعين أن يكون وجود الدجال متقدماً على الطهور... إلى غير ذلك من الأمثلة.

فهذه القرائن وسحورها يشهد أن الأعم الأغلب مما رواه العامة من الحوادث مسبوقة ومربوطة بقيام الساعة، هي في واقعها من علامات الطهور

نعم لا يمكن تأسيس قاعدة عامة في ذلك، بل لا بد من وجود إحدى هذه القرائن في كل مورد مورد وكل حادثة حادثة. وما لم تقم القرائن على تعيينه يبقى عصر وقوع الحادثة مجهولاً لا محالة.

#### النقطة الثالثة

إن هذه القرائن التي ذكرناها لا تختص بتعيين زمن حدوث الحوادث، بل تشمل، بشكل واحد، سائر الخصائص والتفاصيل المعطاة في الروايات إذ يمكن

على الدوام جعل بعض الروايات قريبة على بعض، لإثبات شيء أو نفيه...  
وخاصة بعد الالتزام بالتشدد الستدي الذي سرنا عليه.

الجهة الثانية:

في مفهوم العلامة وانقساماتها

تتضمن العلامة، كما سبق، معنى الكشف والدلالة والأراءة بالنسبة إلى ما  
هي علامة عليه... وهو الظهور فيها جمعا الآن. وستكلم بعد قليل في سبب  
وجود هذا الكشف.

وتنقسم العلامات، بهذا المفهوم، إلى قسمين:

التقسيم الأول:

تقسيمها باعتبار ارتباطها بالتخطيط الإلهي إلى قسمين:

أحدهما: الحوادث التي تكون مندرجة ضمن التخطيط الإلهي. كحوادث  
الانحراف التي أصححت علامات للظهور.

ثانيهما: الحوادث التي لا تكون مدرجة في هذا التخطيط... بل تكتسب  
صبغة تكوينية مستقلة في وجودها عن الإنسان كخسوف القمر في آخر الشهر،  
وكسوف الشمس في وسطه، ونحو ذلك مما ورد جعله علامة للظهور في الأحبار.

التقسيم الثاني:

تقسيمها من حيث القرب والبعد عن الطهور، إلى قسمين.

أحدهما: ما كان قريباً إلى الطهور، بحيث يمكن أن يعد من مقلّماته الأخيرة  
كقتل النفس الركية، كما ورد في الأخبار.

ثانيهما: ما ياسب، بحسب دلالة الخبر الدال عليه، مع الفاصل الزمني  
الطويل بيه وبين الطهور.

وإذا لاحظنا كلا التقسيمين، كانت الأقسام أربعة:

الأول: ما كان مدرجاً في التخطيط الإلهي وقريباً من الطهور كقتل النفس  
الركية، لو ثبت دليل نقله.

الثاني. ما كان مندرجاً في هذا التخطيط ويعيداً عن عصر الظهور. كوجود دولة العاصيين والحروب الصليبية

الثالث: ما كان أمراً تكوينياً قريباً من الظهور، كالكسوف والخسوف المشار إليه.

الرابع. ما كان أمراً تكوينياً بعيداً عن عصر الظهور، كالذي ورد في الأخبار من حصول الميصادات ووجود أسراب الجراد وشحة الأمطار في عصر العمية الكبرى.

ومن هنا يقع الكلام في هذه الأقسام لأجل التدقيق فيها من ناحية، وبيان معنى سببها للكشف عن الظهور، وأنها كيف ولماذا أصبحت علامة عليه. من ناحية ثانية.

أما العلامات المربوطة بالتخطيط الإلهي بشكل عام، فمن الواضح أن هذا التخطيط حيث كان مكرساً لأجل التقديم والتهبة لليوم الموعود، يوم ظهور المهدي (ع) فالمرء حين يعرف ذلك وحين يعرف أسلوب هذا التخطيط، بالحو الذي أسلفناه، يستطيع أن يشخص من الحوادث ما هو مربوط به وما هو غير مربوط. وتكون الحوادث المدرجة فيه حاملة معنى التقديم والتهبة ليوم الظهور، بحسب معرفة الفرد المفكر، فتكون كلها كاشفة عنه ومن علاماته لا محالة.

وتكون هذه العلامة مطابقة للقواعد الأولية، لا بد من الالتزام بها سواء ورد ذكرها في الروايات أو لا . . بعد أن تم الرهان على وجود التخطيط الإلهي وصحته. وهذه هي المرة الرئيسية لهذا الشكل من الروايات عن غيرها

عل أنها قد وردت في الروايات بالمعل. . ويسدرج في ذلك جميع ما أسلفناه من أحجار انحراف الزمان وأهله، سواء منها ما ورد مربوطاً بالمهدي أو مربوطاً بالساعة، أو مهملاً عن الارتباط. . كما برها عليه في الجهة السابقة

وأما بالنسبة إلى الحوادث التكوينية التي مشرت الروايات بوقوعها قبل الظهور ولو برمز طويل. فالسر الأساسي في كاشفتها عن الظهور وكوها علامة عليه، هو أن السبي (ص) والأئمة (ع) يختارون بعض الحوادث الكبرى الملقاة للنظر مما

يعلمون وقوعه في المستقبل، بالوحي أو بالألغام، فيحرون به مرتبطاً بالظهور، حتى إذا ما وقعت الحادثة في الأزمان ثبت عند الحيل المعاصر لها والأجيال المتأخرة عنها صدق هذه الأحبار، بالحس والوجدان، فيثبت بالقطع واليقين صدق الأحبار بالظهور وهذا هو معنى كاشفيتها عن الظهور، وكونها علامة عليه

ومن هنا لا معنى لكون بعض هذه الحوادث علامة، إلا إذا ورد في الروايات ذكره، وجعل منها علامة على الظهور وأما بدون ذلك، فلا تكاد تصحح الحوادث الكونية المعثرة خلال العصور، للكشف عن الظهور.

وأما بالنسبة إلى الحوادث الكونية القريبة من الظهور، بحسب دلالة الأحبار، فالسر الأساسي في دلالتها على الظهور هو أن الله تعالى يوحد بعض الحوادث الكونية، حصيصاً لأجل أن نصح علامة على الظهور، لأجل العات نظر الناس إليه، وخاصة أولئك المحلصين المحصين الذين كانوا ولا زالوا ينتظرون الظهور. إذن فهذا القسم من الروايات يكتسب علاميته من التخطيط الإلهي الخاص لأجل إلعات النظر إلى الظهور.

إلا أن هذا القسم، كسابقه، لا يعرف كونه علامة على الظهور ما لم يرد ذكره في الروايات. لو صرح أن حدوث الحادثة معها كان عربياً وملفتاً للنظر، لا يكون علامة على الظهور، بدون المعرفة المسقة بذلك. بواسطة نقلها في الأحبار بهذه هي حلة الأقسام لعلامات الظهور بما فيها من اختلاف في سببها في الكشف عن الظهور

#### الجهة الثالثة.

في مناقشة بعض الأسئلة والاشكالات التي قد ترد على علامات الظهور.

#### الاشكال الأول:

إن بعض العلامات المذكورة في الأحبار متضمنة للمعجزات وحواري الطبيعة. وهي مما لا يمكن حدوثها، ومعه لا بد من الاختصار على ما يقع بشكل طبيعي من العلامات.

والجواب عن ذلك: إن قانون المعجزات هو الحكم العصف في ذلك، وقد سبق أن لخصنا مصمونه وبتطبيقه على العلامات يعرف أن كل علامة كانت واردة

شكل محصر في مقام إقامة الحجة من قبل الله تعالى على البشر، فهي ممكنة الوقوع بل ضرورية لا محالة. ومطابقة للقواعد العامة المرهنة على صحتها في الاسلام.

وان لم تكن العلامة المقولة واقعة في هذا السيل، لم تكن مطابقة للقاعدة ولزم رفض دليلها ما لم يكن قطعياً ولبس في الاسلام دليل قطعي يدل على ذلك وإذا تصفحنا العلامات، لم نجد منها ما هو قائم على أساس إحصائي، غير بعض الحوادث الكونية السابقة على الظهور، كالخسوف والكسوف في غير أوانه والصيحة. وسوف يأتي عند التعرض إلى تفاصيل العلامات ما هو متفق معها مع قانون المعجزات، وما هو مخالف.

### الاشكال الثاني.

إن كل علامات الظهور تنصمر أحياناً بالمستقل فكيف يمكن أن نتأكد من صحتها، مع أنه لا يمكن للبشر الاطلاع على المستقل والحوار على ذلك أنه لا يمكن الاحبار بالمستقل إلا عن طريق التعليم من قبل علام العيوب جل شأنه، أما بالوحي أو بما يت إليه صلة بواسطة أو بوسائط، كما كانت عليه صفة النبي (ص) والأئمة المعصومين من بعده، على ما هو الثالث في عقيدة الاسلام وأما المناقشة في ذلك، فهي تحتاج في حواشيها إلى الاستدلال من جديد عن أصل العقيدة، وهو مما لا مجال له في هذا التريخ

إذن، فما دام المعصوم (ع) عازماً بحدوث المستقل، أمكنه الاحبار به بطبيعة الحال. وهناك من المصالح ما ندعو إلى ذلك، وهي أن تكتسب العلامات كاشفيتها المطلوبة عن الظهور فإنا قلنا بأن حجة ما يتوقف على الاحبار به ووروده في الاحبار ويكون في هذه الاحبارات مشاركة حقيقية في التخطيط الإلهي لليوم الموعود

ومعه، فليس علينا إلا أن نطرح إلى ما وصلنا من هذه الاحبار، فإن كانت إثباتاً تاريخياً كاملاً للعلامة المعينة، أمكن الأخذ به بطبيعة الحال. وإلا لزم رفضه، لأنه غير كاف للإثبات، لا لكونه موضعاً للمناقشة في أساسه النظري.

### الاشكال الثالث:

ب علامات الظهور، كما تكون مسببة للمخلصين المحصنين المؤيدين للمهدي (ع)، فتعدهم نفسياً لاستقباله ومواررته كذلك تكون العلامات منبهة لأعداء المهدي (ع) الذين من المحتمل أن يعدلوا العدة ضده. وخاصة إذا حدثت العلامات القريبة من الظهور، في يوم من الأيام. فيكون هذا التنبيه صد مصلحة اليوم الموعود، كما هو واضح. فكيف كان ذلك؟!.

والجواب على هذا الاشكال يتم على عدة مستويات

#### المستوى الأول:

أنا إذا لاحظنا ما عليه البشر اليوم، بل على الخط التاريخي، وجدنا أن هذا الاشكال غير ذي موضوع بالنسبة إلى أي فرد منهم.

أما مسكرو اليوم الموعود ووحيد المهدي أساساً، باعتار الاتجاه المادي أو غيره فهم بطبيعة الحال يسكرون علائم الظهور جملة وتفصيلاً، ولا يعتبرون شيئاً من الحوادث كاشفاً عنه أو دالاً عليه وهم في نهاية الشوط لا يتوقعون الظهور لكي يستعدوا ضده بعدة أو عدد.

وأما المعترفون باليوم الموعود من أهل الأديان المختلفة، فليس عندهم علامات له ولم يلتفتوا إلى أي تقديرات إليه أو كواشف عنه ومعه يكون حالهم في عدم توقع الظهور حال منكره.

ومثلهم من هذه الجهة، المسلمون المحرفون الذين ساروا على أساس مادي أو مصلحي في انحرافاتهم، في عصر الفتى والانحراف.

ولا يبقى - بعد ذلك - إلا المسلمون المحصلون الذين يعتقدون بالمهدي (ع) ويتطرون ظهوره، وهم على احاطة ذهنية كاملة بالعلامات، فهم الذين تلفتهم الحوادث إلى يوم الظهور، وتعدهم نفسياً وإيمانياً واجتماعياً لاستقباله ومواررته. بعد أن يكون التمهيد اللاهوتي قد أثر أثره فيهم وأنتج نتيجته، على أحد المستويات الأربعة السابقة.

#### المستوى الثاني:

إن هؤلاء المحرفين أو الكافرين الذين يخشى من التماثل إلى علائم



الظهور. . لن يلتفتوا إليها، وإن عرفوا مجملًا أن هناك أخبارًا تدل على ذلك. وتعود غفلتهم عن ذلك إلى عدة أسباب أهمها ما يلي.

#### السبب الأول:

إن الانحراف بنفسه يحمل الفرد على التشاغل بما تقتضيه مصالحه وانحرافه. . . ويتعدى به عن الالتفات إلى النقاط المهمة إلى الحق في الكون. ومن هنا قد تمر بعض العلائم أو كلها وهو في غفلة عن هذا، قد جعل انحرافه من بين يديه سداً ومن خلفه سداً عن ادراك الحق والتعامل معه

#### السبب الثاني:

أنهم يعيدون نفسياً وفكرياً عن الفحص عن أخبار هذه العلامات في بطون الكتب والمصادر القديمة، وعن الفحص عن وجودها الكوني أو الاجتماعي حين تحققها. بعد أن كانت الحياة قد أحدثت تلايبيهم واستغرقت أوقانهم وجهودهم.

#### السبب الثالث:

إن هؤلاء حتى لو صادف أن اطلعوا على بعض الأخبار الباقلة لعلامات الظهور أو سمعوها عن الأفواه. . . فسوف لن يأخذوا منها بمحصلاً واضحاً أو دليلاً موثقاً، بعدما عرفوا من اكتشافها بالرمزية وسيرها طناً لفهم الناس المعاصرين لعصر الصدور. مصافاً إلى تحقيق السد وتدليل سائر المشكلات التي يحتاج تدليلها إلى فهم مترابط متكامل، وهو مما يفقده الأعم الأغلب من الشر.

وحيث لا يفهم الفرد المراد، لم يستطع تطبيق العلامة المحرر عنها. عن هذه الحادثة أو تلك، بل يبقى مردداً لديه على طول الخط. وتبقى العلامات مشتبهة التطبيق في نظره.

#### السبب الرابع:

إن هؤلاء لو صادف أن رأوا علامة من علائم الظهور، مهما كانت واضحة، كالكسوف والخسوف في غير أوانه. . . فافهم سوف يعمونها فهماً مادياً علمياً، لا بحثاً، فإن لم يجدوا حاولوا أن يفكروا في إيجادها. فإن لم يستطيعوا انتظروا أن يأتي العلم بحديد في هذا المصمار ١١ وأمامنا الآن محاولاتهم عن فهم وجود الحياة على الأرض، ولم يصلوا إلى الآن إلى نتيجة حاسمة، ولم يقيموا بعد، ناسداها إلى غير

المادة . . مع أن صراحتها الميتافيزيقية أضعاف الصراحة في علامات الظهور .

### المستوى الثالث :

أنه لو فرضنا أن أعداء المهدي (ع) صسطوا علامات الظهور ورأوها عند تحققها وفهموا معراها، واستعدوا ضد المهدي (ع) فإن الظهور، ليس أمراً اتوماتيكياً قهرياً بعد حدوث العلامات مباشرة . بل هو أمر احتياري عبط من قبل الله تعالى عز وجل . ومعه فمن الممكن تأجيل الظهور ولو لعدة سنوات، حتى ينقطع الاستعداد ولا يظهر المهدي (ع) إلا على حين غرة من أعدائه

فإن قال قائل : فكيف بالعلامات التي دل الدليل على قربها من الظهور فإن نعلمه عنها وتأجيله بعدها، خلاف المروص

قلنا : يجاب على ذلك بوجهين :

### الوجه الأولي :

إن معنى القرب من الظهور، ليس هو الفصل الرمائي بعدة أيام فقط . وما دل على ذلك يمكن طرحه بالتشديد السدي الذي غشي عليه، كما سيأتي في قتل النفس الركية . بل القرب الرمائي ما يكون مقابلاً للتأخر لقرن أو عدة قرون . ومعه تكون العشرات أعوام والأقل والأكثر قريباً من الظهور ومن المعلوم أن الاستعداد العسكري لا يبقى مركزاً طيلة هذه المدة

### الوجه الثاني :

إن الدلالات العديدة، على ما سذكر في التاريخ القادم، تدل على حصول الظهور في وقت يصعب جداً على أعداء المهدي (ع) مقابلته بالسلاح ولو قابلوهم فإن ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والطبيعية، توجب لهم الحرمة لا محالة .

ومعه فمن الممكن أن يفترض، أو لا بد أن ندرك أن هذه العلامات القريبة من الظهور، لا تحدث إلا في زمان يعجز أعداء المهدي (ع) عن مقابلته بالسلاح . وبعد أن تحدث يمكن أن يسعها الظهور مباشرة . وهم لا يستطيعون المقاومة، ولو استطاعوا شيئاً، فهم سيعملون حتماً

هذا، على أن كل من يؤمن بالله تعالى وباليوم الموعود، يؤمن لا محالة بأن الله تعالى هو الصامم لتطبيق العدد المطلق في الأرض كلها في ذلك الحين، تطبيقاً

لغرضه الأساسي من إيجاد البشرية وإذا كان الله هو الصامس، فهو القادر على  
تعيّنه على كل حال، ولي يحول دونه حائل



#### الجهة الرابعة:

في تقسيمات عامة لهذه الروايات.

لنرى ما الذي يمكن الاستعانة منه والاستدلال به وما الذي لا يمكن  
والذي يمكن أن نلاحظه هو انقسام هذه الروايات، الناقلة للعلامات، إلى  
تقسيمين رئيسيين الأول من جهة ترتيبها الرمائي والثاني من جهة اعتماده على  
المعجزة

ومن هنا ينبغي أن يطلق الكلام من خلال ناحيتين  
الناحية الأولى: في الترتيب الرمائي للحوادث  
ونتكلم في ذلك ضمن عدة نقاط.

#### النقطة الأولى:

في الحوادث التي دلتا التاريخ على حدوثها

وذلك: أن النبي (ص) أو أحد الأئمة (ع) يجرى بوقوع بعض الحوادث قبل  
وقوعها، مربوطة بالمهدي (ع) أو غير مربوطة، فتحدث هذه الحوادث فعلاً.  
فجدها ونحن في العصر المتأخر، قد حدثت وانتهت وسمع النبؤ بوقوعها أيضاً.  
وان أكثر القرائن على صدق هذه الروايات هو حدوث الأمور التي أحررت  
بحدوثها ما لم يقع دليل خارجي على عدم صحتها في بعض الأحيان، كما  
سنشير إليه

ومن الطريف أن بعض التسووات قد قالها النبي (ص) وسجلها أهل الحديث  
في مصادرهم، قبل حدوث الحادثة المطلوبة ثم حدثت الحادثة فعلاً باليقين في  
التاريخ بحيث نعلم جرمها أنها لم تسجل في المصادر بعد حدوثها وهو لعمري  
لأحدى المعجزات التي تشارك في الدلالة على صدق العقيدة نفسها فضلاً عن  
إثبات المهدي (ع) وأوضح أمثلة ذلك النبؤ بالحروب الصليبية على ما سذكره

وما دل الدليل على حدوثه في التاريخ مما ورد التنبؤ بحدوثه، علة أمور:

### الأمر الأول:

أخبر السي (ص) بانحراف القيادة الإسلامية في المجتمع بعده.

فمن ذلك: ما أخرجه مسلم في صحيحه<sup>(١)</sup> عن السي (ص) أنه قال: أنه ستكون هبات وهات وأنه<sup>(٢)</sup> قال: ستكون أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن عرف فقد برىء ومن أنكر فقد سلم. وأنه قال<sup>(٣)</sup> أنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون... الحديث.

وعن حذيفة بن اليمان، في حديث، . . فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سني، ويهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر. فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر. قال: نعم. دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها<sup>(٤)</sup>

وعنه (ص)<sup>(٥)</sup>: يكون معدي أئمة لا يتدون هداي ولا يستنون بسني، وسيقوم فيهم رجال، قلوبهم قلوب الشياطين، في جنحهم أس.

وأخرجت الصحاح الأخرى كالتزمذي وابن ماجة والمصادر الأخرى كأحمد والحاكم، مثل ذلك. غير أننا لا نذكر فيما أخرجه الصحيحان أو أحدهما، إلا عنها كما سبق.

وهذا ما حدث بالفعل بعد السي (ص) حين قام احكم في المجتمع المسلم على المصلحة والأثرة وتفاصيل ذلك أشهر من أن يذكر واستعمال المقاصف والخمور في بلاط الخلفاء يكاد أن يكون من الواضحات، يذكر في الكثير من المصادر<sup>(٦)</sup> وما ذكرناه في تاريخ العيبة الصغرى من ذلك كفاية لمن اكتفى<sup>(٧)</sup>.

(١) - ج ٢ ص ٢٢

(٢) المصدر ص ٢٣

(٣) نفس المصدر والصفحة

(٤) المصدر ص ٢٠

(٥) المصدر والصفحة

(٦) انظر ابن خلكان ج ٢ ص ٢٣٤ وأبو الفداء ج ١ ص ٣٥٤ وابن الوردي ج ١ ص ٢٣٢ والمسعودي ج ٤

ص ١١ والكمال ج ٦ ص ٢٢٩ وغيرها

(٧) انظر مثلاً ص ١٢٤ وص ٣٤٧

## الأمر الثاني:

أخبار السي (ص) أو أحد الأئمة (ع) عن شؤون دولة بني العباس  
وقد اتحد ذلك في المصادر المتوفرة لدينا، عدة أساليب:

### الأسلوب الأول:

في التشديد ببني العباس والظعن فيهم من حيث انحرامهم وفسادهم  
وحروجهم عن جادة الحق وقد اختصت المصادر الامامية بذلك، فيما يعلم.

فمن ذلك: ما رواه العمالي في غيته<sup>(١)</sup> عن السي (ص)، أنه التفت إلى  
العباس فقال: يا عم ألا أحبك بما حبري به جرثيل؟ فقال: بلى، يا رسول الله.  
قال: قال لي: ويل لدريتك من ولد العباس. فقال: يا رسول الله، أفلا أجنب  
النساء فقال: قد فرغ الله مما هو كائن.

وفي حديث آخر<sup>(٢)</sup> عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله (ص)  
لأبي: يا عباس، ويل لولدي من ولدك، وويل لولدك من ولدي. فقال: يا رسول  
الله، أفلا أجنب النساء أو قال: أفلا أحب النساء. قال: إن علم الله قد مضى  
والأمور بيده وإن الأمر سيكون في ولدي.

ودولة بني العباس، واضحة للعيان في التاريخ. وما وقع بينها وبين أولاد علي  
وفاطمة. أولاد النبي عليه وعليهم الصلاة والسلام، من الخلاف، وما داقوه من  
بني العباس من التشريد والمطاردة والتعسف، أوضح من أن يذكر وأشهر من أن  
يسطر. كما أن ما تكبده العباسيون من ثورات العلويين التي تعد بالعشرات خلال  
تاريخهم الطويل، معروف موصوف. وحسبك أنه قد أشغل الجزء المهم من مقاتل  
الطالبيين لأبي العرج الأصبهاني والكثير من فصول التاريخ الاسلامي. وقد حاولنا  
أن نستعرض بعضه في تاريخ العيبة الصغرى، في حدود ما يعود إلى تلك  
الفترة<sup>(٣)</sup>.

(١) ص ١٣٦

(٢) المصدر والصفحة

(٣) أنظر ص ٨٠ وما بعدها إلى عدة صفحات

وهذا التقابل، هو المصادق الواضح لقوله (ص): ويل لولدي من ولدك وويل لولئك من ولدي.

وأما قوله (ص): قد مرغ الله عما هو كائن، أو أن علم الله قد مضى، فأوضح ما يراد به هو الإشارة بطرف حقيقي إلى التخطيط الإلهي لليوم الموعود، باعتباره مستلزماً لوجود الانحراف في المجتمع، وليس من مصلحة التمهيع رفعه وتبديله قبل يوم الظهور إذن فهذا التقابل يسعى أن يكون قاتماً ليشترك والتمهيع والتخطيط الإلهيين.

وإنما لم يشر إلى ذلك صريحاً باعتباره عدم تحمل المستوى الثقافي لذلك العصر، التصريح يمثل هذه القوايين العامة الإلهية وإنما درجت هذه المعاني من خلال الكتاب والسنة تدريجاً.

وأوضح دليل على كون المراد هو ذلك، قوله (ص) وإن الأمر سيكون في ولدي وذلك في يوم الظهور، فإن أول من يحكم حكماً عاماً بامداداً على العالم من ولد فاطمة وعي عليهما السلام، إنما هو الإمام المهدي (ع). وسحكه ينتهي ذلك التقابل بين الفريقين.

الأسلوب الثاني: الأحبار هلاك بني العباس وروال ملكهم

كالحذر الذي ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث أنه قال ثم يملك بنو العباس فلا يرالون في عنوان من الملك وعصارة من العيش، حتى يخنموا فيما بينهم، فإذا اختلفوا ذهب ملكهم<sup>(١)</sup>.

ودولة العباسيين أسست بعد وفاة الإمام الباقر (ع) ثمانية عشر عاماً، حيث توفي عليه السلام عام ١١٤<sup>(٢)</sup> وتولى أبو العباس السفاح، أول خلفاء بني العباس خلافة عام ١٣٢<sup>(٣)</sup>.

وقد بدأ بحمهم بالأفول عند سيطرة الأتراك على الحكم ثم ابرعوا تماماً عن المشاركة الفعلية في الحكم في عصر الموحدين وعصر السلاجقة حتى إذا لم يبق

(١) عيه العباس من ١٣٩

(٢) الإرشاد للمفيد من ٢٤٥

(٣) مروج الذهب جـ ٢ ص ٢٥١

للخلافة أي هبة أو قيادة، وتصارب المجتمع المسلم في داحله، أضح طعمة  
سائعة لهجمات التار بقيادة هولاء المعولي. حيث سقط آخر خلفائهم عند الله  
المستعصم بالله عام ٦٥٦ (١).

### الأسلوب الثالث:

مدح العباسيين والثناء عليهم وتمجيد بعض خلفائهم وقد اختصت برواية  
هذه الأحبار المصادر العامة وليس في المصادر الامامية منها أثر

فمن ذلك ما أحرجه الترمذي<sup>(٢)</sup> عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص)  
للعباس. إذا كان عداة الاثني فأنني أنت وولدك حتى أدعوهم بدعوة يفعلك الله  
بها وولدك فعدا وعدوا معه. فالسبا كفاء ثم قال. اللهم اعمر للعباس وولده  
معمرة ظاهرة وباطنة لا تعادر دسا اللهم احفظه في ولده.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا معرفه إلا من هذا الوجه  
وقال في الصواعق<sup>(٣)</sup> وصح عن الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما: ما  
أهل البيت أربعة ما السباح وما المدر وما المصور وما المهدي.

وعقب ابن حجر على ذلك بقوله فإن أراد بأهل البيت ما يشمل جميع بني  
هاشم، ويكون الثلاثة الأول من نسل العباس والأخير من نسل فاطمة، فلا  
اشكال فيه وإن أراد هؤلاء الأربعة من نسل العباس أمكن حمل المهدي في كلامه  
على ثالث خلفاء بني العباس، لأنه فيهم كعمر من عبد العزيز في بني أمية، لما أوتي  
من العدل والسيرة الحسنة

ولأنه جاء في الصحيح أن اسم المهدي يوافق اسم النبي (ص) واسم أبيه  
اسم أبيه، والمهدي هذا كذلك لأنه محمد بن عبد الله المصور ويؤيد ذلك خبر  
ابن عدي. المهدي من ولد العباس عمي لكن قال الذهبي تفرد به محمد بن  
الوليد مولى بني هاشم، وكان يصح الحديث<sup>(٤)</sup>

(١) دليل خارطة بغداد ص ٢٧٧

(٢) ج ٥ ص ١٣١٩

(٣) ص ٩٩

(٤) المصدر والصحة

ونحن لنا ثلاثة تعليقات على هذه الأحبار

### التعليق الأول:

إن الحديث الثاني غير مروي عن النبي (ص)، بل عن ابن عباس، فلا يكون حجة أصلاً، ولا يصلح للثلاث العقائدي ولا التاريخي

### التعليق الثاني:

إن كل هذه الأخبار، مما لا يمكن أن تثبت أمام التشدد السني، حتى مع وثاقة روايتها لأن هناك قرينة عامة واضحة تدل على الوضع فيها جملة وتفصيلاً وهي عمالتها لجهاز حاكم إصراره والنساء عليه وكل ما كان هكذا لا يمكن قبوله، بعد التشدد فإنه ما أكثر الأحاديث التي وصفت لتأييد الملك وتشييد أركانه وإسراع صفة الشرعية عليه . مع شدد الأسف

### التعليق الثالث:

إن واصفي الحديثين الأخيرين، يريدان القول بأن المهدي الذي بشر به رسول الله (ص) هو المهدي بن المصور العباسي، ويرى ابن حجر يوافق على ذلك ويدافع عنه بالأدلة.

وحقيقة الأمر هو أن كثرة ما ورد عن النبي (ص) في المهدي من أحاديث وشهرتها بين الناس وانظارهم للمهدي (ع) كمصيح للعالم انعكست عن ذوي النفوس المخرقة على شكل الطمع في أن يبال هو أو ولده هذا المصباح الإلهي الكبير، وإن يطبق عليه شأن رسول الله (ص) وبشارته، فمن هنا كثرت دعوى المهديونية في التاريخ الإسلامي ومن هنا أيضاً تصدى المصور إلى تلقيب ولده بالمهدي إيماناً لذلك، وخاصة وهو يحتمل أنه سأل الخلافة في يوم من الأيام ثم أن كل هؤلاء تهاووا على صحرة الواقع، حين لم يستطيعوا أن يقوموا بالمهمة الأساسية التي يؤمن بها للمهدي المنتظر كل من يؤمن به، وهو إصلاح العالم بشكل شامل كامل وقد سبق أن قلنا إن عدم قيامهم بهذه المهمة وانقراضهم قبل ذلك، أول دليل على كذب دعوى المرء منهم أنه هو المهدي المنتظر.

وأما ما احتج به ابن حجر من أنه صح أن اسم أبيه فهو كما لم يصح ولم يثبت وسوف نبحث عن ذلك في كتاب قادم من هذه الموسوعة



ولعل من أوضح عدم صحة ذلك إمكان استداع ذلك من قبل الكثيرين،  
فإن بإمكان كل شخص اسمه عبد الله أن يسمي ولده عمدا ويلقبه بالمهدي، لكي  
تكون له أطماع في بيل القيادة أو الرئاسة العامة في المجتمع

فاللارم ليس هو النظر إلى هذه الصفة بالتمعين، مما ورد من صفات المهدي،  
لكن تطبيقها على الأشخاص بل اللارم هو توخي مجموع الصفات والخصائص  
المتعلقة بالمهدي وتطبيقها على الفرد المدعي للمهدوية، بما فيها من كونه من ولد  
فاطمة (ع) وما فيها السيطرة على العالم خلال حياته. ولا شك أن هذه الأوصاف  
لا تنطبق على أي واحد من مدعي المهدوية إلى الآن في التاريخ.

#### الأسلوب الرابع:

أخبار السي (ص) عن خروج الروايات السود من خراسان، وجعلها إحدى  
علائم الظهور والاحترار في ذلك كثيرة منطوقة بين العريفيين وسيأتي نقلها  
وتحقيقها في جهة آتية من هذا الفصل

والمهم الآن، هو تحقيق وتحقق هذا الاحتمال وهو أن يكون المراد بهذه  
الرايات ثورة أبي مسلم الخراساني على الأمويين، تلك الثورة التي مهدت لقيام  
الدولة العباسية. ومعه فتكون هذه العلامة مما قد تحققت في الخرج، وإن فصل  
بينها وبين الظهور زمان طويل. فإن ذلك لا ينافي كونها علامة عليه، كما سبق  
ويرجح هذا الاحتمال. أن شعار هذه الثورة كان هو السواد وبقي شعاراً  
للعباسيين بعدها.

ويرحمه أيضاً ما ورد في المحار<sup>(١)</sup> عن ركان بن أبي ركان الواسطي، قال.  
قتل رجل رأس أبي عبد الله (الامام الصادق عليه السلام)، فمس أبو عبد الله ثيابه  
وقال: ما رأيت كالיום أشد بياضاً ولا أحسن منها فقال: جعلت فداك هذه ثياب  
بلادنا، وجئتك محير من هذه قال: فقال: يا معتب أقصصها منه. ثم خرج  
الرجل. فقال أبو عبد الله (ع): صدق الوصف وقرب الوقت. هذا صاحب  
الرايات السود الذي يأتي بها من خراسان. ثم قال: يا معتب الحق فسله ما  
اسمه. ثم قال: إن كان عبد الرحمن فهو والله هو قال: فراجع معتب فقال: قال اسمي

عبد الرحمن . قال : فلما ولى ولد العاص ، نظر إليه ، فإذا هو عبد الرحمن أبو مسلم . ومن الصحيح تاريخياً أن اسم أبي مسلم عبد الرحمن ، وإن الامام الصادق معاصر لثورته وظاهر قوله : هذا صاحب الرايات السود . كونه إشارة إلى ما ورد عن النبي (ص) بهذا المعنى ، وخاصة مع قوله (ع) : صدق الوصف وقرب الوقت والمراد به قرب خروج الرايات السود أو قرب ثورة أبي مسلم الخراساني ، لا قرب ظهور المهدي (ع) وإن اقترن أحبار النبي (ص) بالشارة بالمهدي عليه السلام .

إذن ، فهذا الاحتمال يكون راجحاً جداً ، لولا مناقشتين

### المناقشة الأولى :

إن رواية هذا الخبر مجاهيل ، فلا يثبت مؤداه ، فضلاً عن التشدد السني الذي الترمذاه .

### المناقشة الثانية :

معارضته بما ورد عن النبي (ص) أنه قال : «إذا رأيتم الرايات السود قد حرحت من حرامان فأتوها ولو حرواً على الثلج ، فإن فيها خليفة الله المهدي» وفي حديث آخر أنه (ص) قال : «أنا أهل بيت احتار الله لنا الأحره على الدنيا ، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء شديداً ونظريداً حتى يأتي قوم معهم رايات سود . . . حتى يدهمونها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها فسطاً كما ملؤها جوراً . فمن أدرك ذلك فليأتهم ولو حرواً على الثلج ، فإن فيها خليفة الله المهدي»<sup>(١)</sup>

وكلا هذين الخبرين ، واضحان في ارتباط ظهور المهدي (ع) بخروج الرايات السود ، حتى أن الخبر الأول يصرح أنه موجود ضمن حاملي هذه الرايات . مع أنه من المقطوع به في التاريخ ، وجود ما يريد على ألف عام بين ثورة أبي مسلم وبين الظهور ، ولعله سيزيد على ذلك بكثير .

إلا أن كلا هاتين المناقشتين لا تصحان

أما المناقشة الأولى فلا تصح لأن التشدد السني الذي الترمذاه خاص بأحبار

(١) انظر الخبرين في الصواعق المحرقة ، ص ٩٨

التنبؤ عن المستقبل، وليس عاماً لكل الأخبار. ومعه فهذا الخبر الذي نقلناه عن البحار لا يتدرج ضمن هذا المنهج، لأنه ليس من أخبار التنبؤ بالمستقبل إذن فهو قابل إلى حد ما للاثبات التاريخي. وكونه مجهول الرواة لا يضر بذلك، كما برهنا عليه في المنهج الذي أسسنه في أول تاريخ العيبة الصعري<sup>(١)</sup>

وأما المناقشة الثانية: فالمعارضة بين الخبرين، في الواقع، تتج فشل الخبرين الأخيرين وسقوطهما عن قابلية الإثبات التاريخي، وسيكتب اللقاء، عدنل للخبر الذي نقلناه عن البحار.

فاما عند دوران الأمر بين صدق هذين الخبرين أو ذلك الخبر، بحيث يتمين الإلتزام بكذب أحدهما. لا بد وأن نحسب حساب القرائن المؤيدة لأحد الخبرين

والشيء الذي يريد أن بقوله، بهذا الصدد هو: إن الجهار العاسي الحاكم حين وجد أن هناك ارتباطاً بين حروح الرايات السود وبين ظهور المهدي (ع) على لسان رسول الله (ص)، كما استعاضت الأخبار عنه (ص) على ما سوف سمع. أحبوا جعل هذا الارتباط وثيقاً وقريباً، فجعلوا هذه الأخبار الدالة على ذلك، لتكون موحية بأن المهدي المقصود هو المهدي العاسي، لأنه هو المرتبط والقريب من ثورة أبي مسلم الخراساني وراياته السود، بل هو مندرج في صمها شكل وآحر، كما جعلوا الحديث دالاً على ذلك

والذي يدلنا على وضع هذين الحديثين، ما قاله صاحب الصواعق نفسه حين أوردهما فقد أورد أولاً قوله: «أنا أهل بيت اختار الله لنا... الخ». وعلق عليه بقوله: «وفي سنده من هو سيء الحفظ مع احتلاطه في آخر عمره». ثم أورد قوله: «إذا رأيت الرايات السود... الخ». ثم قال: «وفي سنده ضعيف له ماكير. وإنما أخرج له مسلم متبعة، ولا حجة في هذا والذي قبله، لو فرض أنها صحيحان لم رعم أن المهدي ثالث خلفاء بني العاس»<sup>(٢)</sup>

ولم يطمع اس حجر في هذين الحديثين، من رواية كوسها دالين على وجود

(١) انظر ص ٤٧

(٢) الصواعق ص ٩٨

المهدي المنتظر (ع)، فانه أورد الكثير من هذه الأخبار مؤيداً غير طاعين فيها. وإنما طعن فيها لكونها ضعيفين حفظاً لموضوعية البحث وأما طعناً للتشدد السدي، وقيام القرائن على عدم صحة هذين الحديثين، باعتبار ما فيها من تأييد للجهاز الحاكم آنذاك، فيسعي إسقاطهما عن كل حل، كما عرفنا.

وعليه فالمطلوب أن المراد بالرايات السود، رايات أبي مسلم الخراساني، فإن ثورته بدأت من خراسان، وانجذبت إلى بغداد بأعلامها السود الخماقة وقد جعلت علامة على الطهور، باعتبار أهميتها في التاريخ والعائتها بظر الخيل المعاصر والأجيال التي بعدها. ولا يصح بذلك الفعل الرمزي الطويل بينها وبين الطهور، كما أسلفنا، شأنها في ذلك شأن العديد من العلامات التي ذكرت للطهور، مما سقت أو سيأتي الكلام عنها.

ولا يبقى في مقابل هذا الطعن إلا احتمال أن يكون المراد بالرايات السود، رايات أخرى تمزج من حراسان في مستقبل الدهر، لا يكون بينها وبين الطهور، إلا القليل إلا أن هذا الاحتمال مما لا يمكن اثباته بدليل.

وعلى أي حال، فقد أصبحت أحاديث الرايات السود من أحجار علائم الطهور، وفيها إشارة لدولة العباسيين، وإن انتهى القرب الرمزي بينها ومن هنا جعلنا هذه الأخبار أسلوباً رابعاً من أساليب التبرؤ لدولة بني العباس.

### الأمر الثالث:

ما ورد من التبرؤ بروال دولة بني أمية، قل رواها، بطبيعة الحال كالتبرؤ الذي ورد عن الامام الباقر (ع) أنه قال: «يقوم القائم في وتر من السنين: تسع، واحدة، ثلاث، خمس». وقال: «إذا احتلبت بنو أمية وذهب ملكهم». الحديث<sup>(١)</sup>.

وقد عرفنا أن الامام الباقر (ع) قد توفي قبل روال ملكهم وقيام دولة العباسيين، بثمانية عشر عاماً.

(١) غية النعماني ص ١٣٩

## الأمر الرابع :

ما ورد من التنقيح باختلاف أهل المشرق والمغرب .  
كالذي ورد عن الامام الباقر (ع) أيضاً، في نفس الحديث الأخير، حيث قال «واختلف أهل المشرق والمغرب»<sup>(١)</sup> .  
ولهذا الاختلاف أطروحتان، قد يكون المراد أحدهما، وقد يكون المراد كلاهما :

### الأطروحة الأولى :

اختلاف أهل المشرق والمغرب في حدود البلاد الإسلامية، وعلى الأساس الإسلامي بشكل عام .

وهذا ما حدث في التاريخ طويلاً، حيث كان الشرق يحكمه العباسيون والغرب - بمعنى الأندلس الإسلامية - يحكمه الأمويون كما أن المغرب - بمعنى الشمال الإفريقي - حكمه المهدي الإفريقي محمد بن عبيد الله، حتى انتقلت ذريته إلى مصر، وأسسوا الدولة الفاطمية . وفي كلا الحالتين، كانوا مفصلين عن خلافة الشرق العباسية، وماوئين لها .

### الأطروحة الثانية :

ما حدث في العصر الحديث، وهو ما رك دميته منذ الحرب العالمية الثانية إلى الآن . من وجود الدولتين الكبيرتين في العالم، التي تمثل احدهما زعامة ما يسمى بالشرق أو الكتلة الشرقية، وتمثل الأخرى زعامة ما يسمى بالغرب .

وإذا نظرنا إلى حدود هاتين الدولتين، وجدنا للمعكرتين اللتين تقومان عليهما . الرأسمالية والشيوعية، جدوراً تاريخية تمتد حوالي قرنين من الزمن وعلى أي حال فهما معاً وليدتا المد الحضاري الأوروبي الحديث، القائم على الأساس المادي المحض المناقص للأديان جميعاً، كما هو معروف من بحوث العقائد الفكرية عادة وعلى أي حال، فقد جعل هذا الاختلاف باحدي هاتين الأطروحتين، من

(١) المصدر نفسه

علائم الطهور، بصمته ملمناً للنظر من ناحية، ومشاركاً في الانحراف المستع  
للتمحيص، كما عرفنا من ناحية أخرى.

#### الأمر الخامس

##### التبؤ بثورة صاحب الرّيح

فمن ذلك: ما أخرجه الصدوق في الاكمال<sup>(١)</sup> عن ابن عباس عن رسول الله  
عن الله عز وجل في بعض كلامه مع رسوله في المعراج، حيث جعل ذلك من  
علامات الطهور فقال: «وحراب الصرة على يد رجل من دريتك يتبعه الزبوح»

وقد في الارشاد<sup>(٢)</sup>: «قد جاءت الآثار بذكر علامات لزمان قيام القائم  
المهدي عليه السلام، وعدد عدداً كبيراً منها، إلى أن قال: «وحرّوح العبيد عن  
طاعة ساداتهم وقتلهم مواليتهم».

وكل ذلك مما حدث بالفعل على يد صاحب الرّيح، كما سبق أن عرفنا في  
تاريخ الغيبة الصغرى<sup>(٣)</sup>، وكيف أنه عاث في المجتمع المسلم فساداً وكلف الدولة  
العاسية كثيراً، وكبد الصرة وكثيراً من المدن الأعاجيب من القتل والنهب  
والتشريد.

اسمه علي بن محمد، رعم أمه علوي ولم يكن - على ما يذكر  
التاريخ - كذلك. فان سبه في عبد قيس وأمه من بني أسد بن حزيمة<sup>(٤)</sup>. وعلى أي  
حال فرواية الصدوق تؤيد كونه علوياً على حين نجد الامام العسكري (ع)  
برؤية ابن شهر آشوب<sup>(٥)</sup> يعني ذلك ويقول: «وصاحب الرّيح ليس من أهل  
البيت» وقد سبق أن بحثنا ذلك في التاريخ السابق<sup>(٦)</sup>

وعلى أي حال، فمن المحتمل، أن يكون مراد الامام العسكري (ع) به عن

(١) أنظر اكمال الدين المخطوط

(٢) أنظر ص ٣٣٧

(٣) أنظر ص ٧٩ وما بعدها

(٤) أنظر الكامل ج ٥ ص ٣٤٦

(٥) ج ٣ ص ٥٢٩

(٦) أنظر تاريخ الغيبة الصغرى ص ١٨٨ وما بعدها

أهل البيت عقائدياً وفكرياً كابن نوح الذي لم يكن من أهله لأنه عمل غير صالح، وإن ارتبط به نسبياً والله العالم بحقائق الأمور.

الأمر السادس:

أخبار النبي (ص) بوقوع الحروب الصليبية.

وذلك: فيها أخرجه أبو داود وابن ماجه في صحيحيهما<sup>(١)</sup> بالفاظ متقاربة عن النبي (ص)، واللفظ لأبي داود: «ستصلحون الروم صلحاً آمناً، فتعرون أئمتهم وهم عدواً من ورائكم، فتصرون وتعمون وتسلمون ثم ترجعون حتى تنزلوا بحرج ذي ثلول فيرفع رجل من أهل الصراينة<sup>(٢)</sup> الصليب فيقول علب الصليب. فيغضب رجل من المسلمين<sup>(٣)</sup> فيدفعه. فعند ذلك تعذر الروم وتجتمع للملحمة».

وأصاف أبو داود<sup>(٤)</sup> بسند آخر «ويثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتلون، فيكر الله تلك العصابة بالشهادة».

وأما ابن ماجه<sup>(٥)</sup> فأصاف إلى الحديث الأول بسند ثانٍ: «فيأتون تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية إثنا عشر ألفاً».

وهذا الحديث الشريف مطابق كل المطابقة مع فترة التاريخ الاسلامي. وقد قلنا أن أول دليل على صحة الأخبار وقوع ما أخبر به. وهذا الحديث بن أوضح مصاديق ذلك، لأن مصمومه واقع في التاريخ بالقطع واليقين.

ولش كانت الأخبار التي أسلمناها في هذا الفصل، قد سجلت في كتب الأخبار بعد وقوع حوادثها فكان يمكن لبعض الماديين أن يطعموا بصحة سسنها إلى النبي (ص) ويزعموا أنها وصحت بعد حدوث الحادثة. إلا أن هذا الحديث الشريف لا يحتمل فيه ذلك على الإطلاق. لأنه صدر عن النبي في صدر الاسلام،

(١) أبو داود ج ٢ ص ٤٢٥ وابن ماجه ص ١٣٦٩

(٢) ابن ماجه: من أهل الصليب.

(٣) ابن ماجه: فيقوم إليه

(٤) المصدر والصفحة

(٥) المصدر والصفحة

قبل الحروب الصليبية بمئات السنين، وسجل الحديث في المصادر قبل حدوثها  
بأكثر من قرنين من الزمن.

فإن أبا داود توفي عام ٢٧٥<sup>(١)</sup> وابن ماجه توفي عام ٢٧٣<sup>(٢)</sup> على حين  
سقطت القدس بيد الافرنج الصليبيين عام ٤٩٢<sup>(٣)</sup>

وهذه المصادر الحديثة متواتره عن أصحابها، لا يحتمل الريادة فيها فوق ما  
سجله مؤلفوها وما زال أهل السنة من المسلمين يعتمدون عليها في الفقه والعقائد  
والتاريخ.

ومن هنا يمكن أن يعتبر ذلك من المعجزات التي تؤيد عقيدة الاسلام، وصدق  
كلام النبي (ص) وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . . . فضلاً عن  
إسنادها لفكرة وجود المهدي، كما سبق أن أشرنا

ونحن إذا لاحظنا المئة سنة أو الأكثر السابقة على الحروب الصليبية، نجدها  
حالية عن الفتوحات الاسلاميه تقريباً، وهادئة من جانب الروم تماماً. ما عدا  
حركة الفتح تجاه الهند<sup>(٤)</sup> وما عدا بعض المدوشات المتقطعة التي تحدث بين  
المسلمين والروم، والتي تكون فيها المادة من الروم عادة، كاندني حدث عام  
٣٦١<sup>(٥)</sup> وعام ٤٢١<sup>(٦)</sup>. وفيما سوى ذلك يمكن القول أن السلام أو الهدنة، كانت  
سارية المفعول بين المعسكرين.

وهذا هو المصادق الواضح لقول النبي (ص) - في الحديث - . «ستصاحون  
لروم صلحاً آمناً». وليس المراد به، طاهراً، المصالحة المتفق عليها بين  
المعسكرين.

ومعه لا يكون هذا الصلح أو الهدنة، قائماً على أساس الموازنة للدين كهموا أو  
الرصوح هم ليكون محرماً في الاسلام. وإنما السر في ذلك هو أن جدوة الثورة

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٣٨

(٢) المصدر ص ٤٠٧

(٣) التكميل ج ٨ ص ٨٩

(٤) انظر الفتوحات الاسلاميه ج ١ ص ..

(٥) التكميل ج ٧ ص ٤٤

(٦) المصدر ص ٢٤١



الحرارية التي أوجدها السي (ص) في المجتمع الاسلامي، كما اشرنا إليها، قد بدأت بالتنازل والخمود في تلك العصور فكان انحراف المسلمين وتاسيهم لتعاليم دينهم، وتفصيلهم لمصالحهم الضيقة، قد أوجب إعراصهم عن الجهاد وتغافلهم عن احكامه والاكتماء بواقعهم المريع الذي كان في ذلك الحين يعاين من أشد الأزمات والانقسامات في داخل الدولة الاسلامية المرفقة وكانت الخلافة العباسية قد بدأت تنمط انعاسها الأخيرة.

وقد أدت هذه الهدنة المصحفة مع الروم إلى تبادل بعض الثقة وحسن الظن بين المعسكرين. مما أوجب لهما معاً أن لا يجدا مانعاً عن الاتفاق أحياناً، بل الاشتراك في عمل عسكري موحد وهو ما حدث مرة أو أكثر في القرن السابق على الحروب الصليبية وهو المصداق الواضح لقول السي (ص) «فتعرون أنتم وهم عدواً من ورائكم، فتصرون وتعمون وتسلمون»

ولعل أوضح الحوادث صراحة في ذلك، ما حدث عام ٣٧٥ على ما يحدثنا التاريخ<sup>(١)</sup> من أنه وقع اختلاف بين ملوك الروم مع بعضهم، فاستنجد بعض منهم بملوك الإسلام، وذلك النعم هو «وردة» الرومي وكان من أكاره رؤوسهم وقواد جيوشهم وعطاء بطارقتهم قطع في الملك ولا فئدة له على قتال المتنازعين. فكانت أمانت عبد بن حمدان أمير حلب والموصل بيانة عن الخليفة، واستنجد به رصاهره فأجابه ابن حمدان واستجاش بالمسلمين من الثغور فحصل له جيش ضخم، فقصده قتال الروم بذلك الجيش فأخرجوا له جيشاً بعد جيش وهو يهرمهم، فقوى جناه فقصده القسطنطينية، ومع تلك الحيلوش «وردة» الرومي الطالب لتملك القسطنطينية.

فاطر كيف اتفق هذا الحمداوي والرومي على حرب بقية الروم وانتصرا عليهم. كما قال السي (ص). وإن لم يدم هذا النصر طويلاً، فانه حين أراد فتح مدينة القسطنطينية، جمعوا له جيوشاً كثيرة وقتلوه قتالاً شديداً حتى اسهرم<sup>(٢)</sup>

ومما يدلنا على تبادل بعض الثقة بين المعسكرين حوادث أخرى: منها أن وردا الرومي المذكور حين انهزم عن القسطنطينية، فكر بأن يستند إلى عصب الدولة بالعراق، فكانته ووعده بذلك الطاعة فأجابه بجواب حسن ووعده بأن يصبره

(١) الفتوحات الاسلامية ج ١ ص ٣٤٧

(٢) المصدر والصفحة

فبلغ ذلك ملوك الروم . وكان ملكان منها أحويش مشتركين في ملك القسطنطينية ، فكانتا  
عصدا الدولة وبعثاله هدايا واستمالاه . فقوى في نفسه ترجيح جانبها ، وأعرض عن نصر  
ورد الرومي . . . إلى آخر الحوادث (١).

وهناك حوادث أخرى تدل على وجود هذه الثقة المتبادلة ، لا تحصى على المتشع .  
هذه قال قائل إن ظاهر الحديث السوي الشريف ، أن النصر المشترك الذي يجره  
الروم والمسلمون نصر حقيقي وأكيد ، على حين عرفه أن هذه الحروب التي ذكرناها ،  
كانت نهايتها القرار .

قلنا أن كل ما يدل عليه الحديث الشريف ، هو أنهم يتصورون ويؤمنون  
ويسلمون . ولا شك أن هذا قد حدث في الحروب السابقة على هجومهم على  
القسطنطينية ، وأن انهزموا بعد هذا الهجوم .

وأما قوله (ص) . ثم ترجعون حتى نزلوا بمصر دي ثلث . فليس فيه دلالة على أنهم  
راجعون بالنصر . والمرح للشار إليه ، كأنه كناية عن المنطقة التي صار إليها الجيش  
المهزوم

وبعد فترة من ذلك قامت الحروب الصليبية ، من قبل أناس جدد غير أولئك  
المتعاهدين مع المسلمين . ومن هنا جد الحديث البوي الشريف يقول : « ويرفع رجل من  
أهل الصراية الصليب ولم يقل رجل منهم أي الروم . لأن رادة الحروب الصليبية كانوا  
غير أولئك الأسبقين ، بحوالي قرن وإن كان الحيل المتأخر من الروم البيزنطيين قد اشترك  
فعلاً في تلك الحروب . ولا يكون بين رفع الصليب والانتصار المشترك أية علاقة مباشرة ،  
ولأنما هو مجرد الترتيب الزمني .

ويكون معنى رفع الصليب من قبل أهل الصراية ، وهم الأوروبيون الأفرنج . .  
معناه اتحاد الصليب شعاراً لهم ورمزاً لانتصارهم ، واستعلائهم الدين المسيحي لاستعمار  
المسلمين والتوصل إلى قتلهم واستغلال مواردهم واقتصادياتهم . ويكون قوله : « عذب  
الصليب » ، عبارة رمزية عن هذا الشعار ، متصفاً للتعاضل بالنصر رفعا لمعنويات الجيش  
المهاجم .

وهذا بالضغط هو الذي أعلن في ابتداء الهجوم الصليبي . إذ قالوا عند العزم عليه :

(١) النصر ج ١ ص ٣٤٧

«وحق الانجيل هذا حيد لنا ولهم - يعني الأوروبيين والصفاية - وتصيح البلاد نصرانية»<sup>(١)</sup> وقال أحد زعمائهم: «إذا عرمتهم على جهاد المسلمين فأفصل ذلك فتح بيت المقدس، تخلصونه من أيديهم ويكون لكم الفخرة»<sup>(٢)</sup>.

وكان ذلك عام ٤٩١، وقد استطاعوا أن يحققوا هدفهم هذا في العام المقبل فقد احتلوا البيت المقدس بعد سلسلة من المذابح فيها وفي كل مدينة إسلامية مروا بها في طريقهم. حيث لم يكن مرادهم الفتح فقط، بل التثبي من المسلمين، وإبادتهم والانتقام من فتوحهم المظفرة.

ففي بلدة البيت المقدس نفسها كما يقول لنا التاريخ<sup>(٣)</sup>: «ركب الناس السيف ولث العرع في البلدة أسوعاً يقتلون فيه المسلمين». وقتل القريج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم، ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف وأخذوا من عد الصحرة نبعاً وأربعين قديلاً من الفضة وزن كل قديلاً ثلاثة آلاف وستمائة درهم وأخذوا توراً من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي. وأخذوا من القناديل الصغار مئة وخمسين قديلاً نفرة، ومن الذهب نبعاً وعشرين قديلاً، وغموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء».

وبقي البيت المقدس تحت الاحتلال المباشر للصليبيين ما يقرب من مئة عام، توسعوا من خلالها إلى دمشق وبيروت وعكا ويافا وحيدا وصور وغيرها من المدن المسلمة حتى سلط الله تعالى عليهم جماعة من عباده الشجعان بقيادة صلاح الدين الأيوبي فأدقوهم طعم المرار والاندحار، وبصر الله تعالى دينه وأعل كلمته، بعد دهر من المحنة والتمحيص

وقد بدأ صلاح الدين بالأطراف، فاسترحمها منهم، في حروب قاسية، حتى استطاع فتح البيت المقدس عام ٥٨٣هـ<sup>(٤)</sup> بالصلح، بعد حصار طويل ومناوشات طويلة، أظهر فيها كل من المسلمين والامريخ عاية الاستئصال والصمود.

(١) الكامل ج ٨ ص ١٨٥

(٢) المصدر والصفحة وانظر الفتوحات الإسلامية ج ١ ص ٥٠٠

(٣) الكامل ج ٨ ص ١٨٩ والفتوحات ج ١ ص ٥٠٤

(٤) الكامل ج ٩ ص ١٧٥ وص ١٨٧ والفتوحات ج ١ ص ٥٢٠

وهذا هو المصداق الحقيقي القطعي لقول النبي (ص) - في الحديث الشريف - «يعصب رجل من المسلمين، فيقوم إليه فيدقه» يعني يقوم إلى الصليب فيدقه. وهذا الرجل هو صلاح الدين الأيوبي نفسه، وعصه المشار إليه في الحديث إنما هو لأجل احتلال الصليبيين بلاد الاسلام، وبغاية تنظيمها منهم وإعلاء كلمة الاسلام فيها. والفكرة في أساسها من أعظم الأفكار الاسلامية شموحاً وإخلاصاً ومشروعية، وإن كان التطبيق أحياناً يبتلى من روايا مسخرة حادة.

وقوله «يقوم إليه»، يعني يتصدى لمعارضته ومقاومته ومداكلته وقوله «يدقه»، أي يكسر الصليب ويده ويصيه. وهو معنى إخراج الصليبيين من بلاد الاسلام، وإزالة حكمهم واحتلالهم عنها.

ولما في نصر هذه الحملات الطامرة، بعد أن كانت جدوة الثورة الحاررية لدى المسلمين قد حذت مد قريب من الرمس، لما هيها تفسيرات وبيانات، يطول المقام بعرضها

وقوله (ص) «بعد ذلك تعدد الروم وتجتمع للملحمة» كناية عن بدء عصر لهبة الحديثة في أوربا تلك الهبة التي بدأت جذور حرارتها والتحسن إياها من خلال الحروب الصليبية نفسها. فبما كنا نحدد الانحراج يستجيبون بالمسلمين ويتعاهدون معهم ويشتركون معاً في حروب ذات هدف موحد وهذا معناه أن فكرة الاستعمار الأوروبي لم يكن لها وجود، بل كانت أوربا تنظر إلى المجتمع المسلم نظرة الند للند على أقل تقدير.

ولكن هبة الحروب الصليبية هي التي أوحى التحسن الأوروبي وإداقتها طعم الانتصار والاثراء على حساب الشعوب الضعيفة، وكل ما فعلته أوربا بعد ذلك أنها حررت هبتها عن العصر الديني وأبدلته بالمفهوم المادي العلماني للعالم، وهذا هو الفرق الأساسي بين الهبة الأوروبية الحديثة والهبة الصليبية.

يشير إلى مثل هذا المفهوم بعض المؤرخين<sup>(١)</sup> ويقول: «إن تلك الحروب وإن هلك فيها كثير من النفوس، ودمت فيها كثير من الأموال، من غير حصول على

(١) المصنفات الانلامية ج ١ ص ٣٦٦

المقصود، وباعتبار فشل الأفرنج واندحارهم في تلك الحروب. لكنه أعقب نتائج نافعة لهم.

منها: أنهم من ذلك الوقت شرعوا في ترتيب العساكر وتعلموا بمواصلتهم المسلمين صناعة التحارة والزراعة وكثيراً من العلوم العقلية والفلكية. والعوا التواريخ النافعة وتوسعوا في معرفة علم الفلك وألفوا فيه، وتخلقوا بأخلاق الحصر وتعودوا الأسفار براً وبحراً لاكتشاف أحوال الأقطار، واكتشفوا أمريكا في أسفارهم سنة ٨٩٠ هجرية، ولم تكن معلومة لأحد قط.

واكتسبوا أنواع العروسية واللعب بالخيل والرماح.. وتعلموا أيضاً المشورة في الأحكام وعلموا أن الملك يفسد بالاستبداد وعدم المشورة فدبوا لهم أحكاماً وقوانين يرجعون إليها واستكثروا من جمع كتب الإسلام وترجمتها بلسانهم ليعلموا معانيها، فاحدثوا منها ما يكون به صلاح الملك. واتخذوا مدارس لتعليم أنواع الفنون، وعرفوا أن الملك لا يتظم إلا بذلك كله. انتهى كلامه

إذن فالأساس الذي أيقظ عندهم النهضة الحديثة على صحافتها وجريوتها، هو ما أوجسته الحروب الصليبية من الانفتاح على العالم والشعور بالمسؤولية تجاه الرقي والتقدم، في الاتجاه الذي فهموه وطبقوه

وبسطة العذر إلى الروم، باعتبار نقصهم لعهد الهدنة وإقرارهم لفكرة الحروب الصليبية

ومعنى اجتماعها هو محاولة رزع الاتفاقي بين شعوبها والشعور بالمسؤولية واهداف المشترك بينهم علمياً واقتصادياً وسياسياً، كما سمعنا

ولعل أوضح وأصح والطف عبارة رمزية يمكن أن يمر بها على هذا العذر والاستعمار بما يحمل من تخطيطات فكرية وعقائدية وعسكرية واقتصادية. ما قاله السبي (ص) - برواية ابن ماجة - «يأتون تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً». وهذه الأرقام ليست للتحديد بل للتعبير عن مجرد الكثرة، مع بيان اختلاف مراتبها، فعدد الأفراد الذين يعملون تحت كل غاية أكثر عدداً من مجموع الغايات.

وهذا هو الذي حصل فعلاً. فقد جاءت أوروبا إلى الشرق المغلوب على أمره،

تمت عشرات الشعارات والمصالح بل المئات منها. وأما المؤيدين المعرورين بكل عاية من هذه الغايات، والمتحمسين لها على اعتبارها العاية القصوى في الكون بزعمهم فأفرادهم يعدون بالآلاف بل بالملايين

ولكن السي (ص) لم يكن يمكنه التصريح قبل أكثر من ألف عام لا بعشرين ألف. حفظ لقانون: «كلم الناس على قدر عقولهم» ولم يكن المجتمع يومئذ بقادر على فهم شيء مما وقع بعد ذلك، وأكثر مما صرح به الحديث الشريف «فإن مجموع المعالين لأوربا نصف الحديث الشريف مائة وستون ألفاً من الناس

وأما ما أضافه أبو داود إلى الحديث، وهو قوله: «ويثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتلون، فيكرم الله تلك العصاة بالشهادة» فهو عبارة عن الثورات التي يقوم بها المسلمون خلال التاريخ، ضد المملحة الكبرى الاستعمار والتعصير بالثورة أو صبح فريضة عن ذلك

وقوله: «فيقتلون»، يعني معسكر المسلمين ومعسكر الروم، أو المستعمرين إلا أن الاستعمار سيكون أقوى من أن يقهر، والمسلمون الثائرون بالرغم من اندفاعهم وإحلاصهم أقل عدداً وعدة من أن يستطيعوا الدفاع الحقيقي السبع بل هم لا محالة - على أفضل تقدير - سينهارون في ميدان الشهادة واحداً بعد الآخر «فيكرم الله تلك العصاة بالشهادة».

وبن إد: لاحظنا تاريخ الثورات التي قامت في بلاد الإسلام منذ تاريخ الاستعمار إلى ما بعد بداية القرن العشرين الميلادي بعدها قائمة على أساس إسلامي، بشكل وآخر. كثرة الحرائر في بدايتها بقيادة الشيخ عبد القادر الحارثي، وثورة العشرين في العراق بقيادة الشيخ محمد تقي الشيرازي

وإن أصبحت الثورات في العالم تقوم على أساس مادي صرف في العقدين الأخيرين تقريباً. وذلك تحت التأثير الأوربي المادي الذي عرفنا في عصر داربا وسيطر على أفكارنا وحياتنا، حين لم نجد بلاد الإسلام مقاومة حقيقية وجوياً عسكرياً حاسماً، على المد المادي الجارف.

الأمر السابع من العلامات التي تحققت في التاريخ، مقاتلة الترك

أخرج البخاري في كتاب الجهاد من صحيحه<sup>(١)</sup> عن رسول الله (ص) أنه قال «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين هم الوجوه دلى الأنوف، كأن وجوههم المحان المطرقة» الحديث. وقد عقد الترمذي وأبو داود وابن ماجة في صحيحهم أبواباً بهذا العنوان، فراجع.

وهذا منه (ص) في الأرحح إشارة إلى وصول الفتح الاسلامي إلى بلاد الترك وقد تحقق ذلك بعد وفاة النبي (ص) عام اثنين وعشرين للهجرة، بقيدة عبد الرحمن بن ربيعة

و«ذلف الأنوف» صغارها. يقال ذلف الأنف إذا صغر واستوت أرسنه، فصاحبه أدلف، والمؤث ذلفاء والجمع ذلف بصم مكيون والمحان جمع محن وهو الترس والمطرقة بصم الميم وتشديد الراء، مأخوذ من الطرق، يقال طرّق الحديد إذا مدده ورققه وهو كناية عن سعة الوجه

ومن هنا ورد في بعض الأحاديث وصمهم بكونهم عراض الوجوه، كالأدي أخرجه ابن ماجة<sup>(٢)</sup> «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين عراض الوجوه» الحديث

وأخرج مسلم عدة أحاديث بهذا المصموم<sup>(٣)</sup> ولم يذكر فيها اسم الترك، غير أنه يمكن أن يكون ما أخرجه البخاري قريبة عليه فيكون ذلك مما نحقق في التاريخ الاسلامي

الأمر الثامن: فتح القسطنطينية:

أخرج مسلم أن رسول الله (ص) قال «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بذاق، فيخرج اليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ» . إلى أن يقول «فيفتحون قسطنطينية» . الخ. الحديث.

وهذا ما تحقق فعلاً، بعد عدة قرون من تسجيله في المصادر الحديثة، فضلاً

(١) الفتوحات ج ٦ ص ١٥٢

(٢) أنظر ج ٨، ص ١٧٥ وما بعدها

(٣) أنظر ج ٨ ص ١٧٥ وما بعدها

عن زمن التسوء به من قِيلَ النبي (ص) فيكون من هذه الناحية، كما قلنا في التسوء بالحروب الصليبية، على مستوى المعجزات

وفاتح القسطنطينية هو السلطان محمد الثاني بن السلطان مراد، من أوائل الملوك العثمانيين، الذين حكموا البلاد الإسلامية باسم الدين ردحاً طويلاً من الزمن. وقد تم الفتح ودخول المسلمين فيها عام ٨٥٧ للهجرة<sup>(١)</sup> وسميت بعدئذ باسمبول نسبة لها إلى الاسلام بعد النصرانية، وأصبحت العاصمة الرئيسية للدولة العثمانية.

ونكرر هنا القول الذي ذكرناه في موقف صلاح الدين الأيوبي... من أن فكرة الفتح أساساً مجيدة وعظيمة في الاسلام، ومن هنا أعتبر النبي (ص) الجيش الفاتح «من خيار أهل الأرض يومئذ» وهذا لا ينافي وجود نقاط ضعف في العقيدة أو السلوك من الجهات الأخرى.

لا يفي بعد هذا الاحتمال أن يكون المقصود من الحديث النبوي هو أن فاتح القسطنطينية هو الامام المهدي (ع) بعد ظهوره، كما ورد في بعض الأحاديث<sup>(٢)</sup> وقد يستدل على ذلك بأطراء النبي (ص) على العاتحين، كما سمعنا، فإن أشد انطباعاً على أصحاب المهدي (ع) منه على الجيش العثماني بطبيعة الحال

هذا الاحتمال غير صحيح، لصراحة الحديث النبوي، بأن القسطنطينية تؤخذ من الروم، وهو ما حدث في الفتح العثماني. وأما المهدي (ع) سوف يفتحها تارة أخرى، إلا أنه سوف يأخذها من المسلمين المحررين، كما يأخذ سائر البلاد الإسلامية غيرها. وإنما ذكرت في الأحبار لأهميتها الجغرافية واستراتيجيتها العسكرية

ويؤيد ذلك، قوله في الحديث النبوي عن الجيش العاتح: «فيقاتلونهم فيهمزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً». ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء ويعتج الثلث...»

(١) الفتوحات، ج ٢ ص ١٦٤ وما بعدها

(٢) انظر كشف الغمة، ج ٣، ص ٢٦٤



الحديث<sup>(١)</sup> وهذا الانقسام مما لا يمكن حله في جيش المهدي العاتق للعالم كله،  
سبعة الخال

وأما وصفهم بكونهم من خيار أهل الأرض، وإن شهداءهم أفضل  
الشهداء... فقد عرفنا تفسيره الصحيح.

وعلى أي حال، فهذه الأمور الثمانية، هي أهم ما ورد في الأخبار من  
العلامات التي تحققت في التاريخ.



#### علامات أخرى متحققة:

بقيت هناك عدة علامات ذكرها الشيخ المفيد في الإرشاد مختصراً، وقال أنها  
وردت في الآثار وجاءت بها الأخبار. منها عدد قد تحقق في التاريخ، أو يمكن حله  
على مصاديق مفهومة متيقنة وإنما عرلناها عن العلامات السابقة لأسألم بعدها في  
الأخبار، فيما عدا رواية المفيد لها مرسلأ بدون سند.

وتكون القاعدة العامة، في التشدد السني، رفضها ما لم تقم قرائن واضحة  
على صدقها. وقد سبق أن قلنا أن أدل دليل على صدق الرواية تحقق مضمونها في  
الخارج على مدى التاريخ. وسختار ما يمكن القول بتحقيقه فذكره فيما يلي:  
أولاً. مقتل الحسين

ولا شك أن العشرات من ذرية الامام الحسن الرضي عليه السلام، ثاروا في  
أيام الدولة الأموية والعباسية، وواجهوا من القتل والتشريد من قبل السلطات  
الشيعة الكثير. كما هو أوضح من أن تدخل في تفاصيله. ولمن يراجع مقاتل  
الطالبيين لأبي الفرج حير المعرفة بذلك.

وإن في دولة طمرستان التي أسسها الحسن بن زيد الحسيني العلوي عام ٢٥٠،  
والتي استطاعت الصمود ردياً طويلاً من الدهر، بالرغم من كيد الأعداء، حير  
دليل على صمود هذه الذرية الطاهرة واستبسالهم ضد الظلم والظغيان  
نعم، هناك احتمال أن يراد بالحسيني: النفس الزكية التي ورد أنها تقتل قبل

---

(١) من ٣٣٦ وما بعدها

الظهور بحمص عشرة ليلة إلا أنه ليس باحتمال وجيه، لأن الخمر الدال على مقتل النمس الركية في مثل ذلك الموعد، غير مقول بالتشدد السدي على ما سيأتي كما أن كون النمس الركية التي تقتل في ذلك الحين - لو صح - من أولاد الحس عليه السلام، أمر لا دليل عليه.

ثانياً: اختلاف بني العباس في الملك الديوي وحقيقته التاريخية أوضح أيضاً من أن نعاص في تفاصيلها وقد سبق في هذا التريخ والذي قبله عن ذلك الشيء الكثير.

ثالثاً: إقبال رايات سود من قبل خراسان وقد عرفنا ابطاق ذلك على ثورة أبي مسلم الخراساني. وفي هذه العلامة احذر مستندة سوف نرونها فيما بعد.

رابعاً: ظهور المغربي بمصر وتملكه الشامات ولعمري أن مصر قد عرفت الشام واستولت عليها، عدة مرات في التاريخ الاسلامي. كالذي فعله اس طولون ثم المعز العاطمي ثم إبراهيم باشا. ثم كان آخرها تلك المحاولة التي سميت باسم الجمهورية العربية المتحدة. إلا أن المغربي من هؤلاء هو المعز العاطمي، لأنه من ذرية المهدي العلوي الافريقي الذي نشر دعوته عام ٣٩٦هـ<sup>(١)</sup> في الشمال الافريقي. ونقبت دولته قائمة، حتى انتقل عنها المعز بعد بن اسماعيل الى مصر عام ٣٥٨هـ<sup>(٢)</sup> وأزال عنها كافورا الأخشيدي.

وفي نفس العام سارت جيوشه إلى طبرية ومنها إلى دمشق واستولى عليها قائده اس فلاح عام ٣٥٩ هـ وحطب فيها المعز واستقر فيها ملكه<sup>(٣)</sup> فانظر كيف ظهر المغربي بمصر، وملك الشامات، طغماً لهذه السوءة.

(١) الكاس، ج ٦، ص ١٣٣

(٢) ابن الوردي، ج ١، ص ٣٠٨

(٣) المصدر، ص ٤٠٩

## خامساً: نزول الترك الجزيرة:

وأرض الجزيرة هي أرض العراق فيما بين الهرين، وهو اصطلاح قديم ومعروف

وقد بقيت هذه الأرض تحت الحكم العثماني التركي ردحاً طويلاً من الزمن، يبدأ من عام ٩٤١ هجرية، ويستمر بقية القرن العاشر والقرون التي تليه حتى القرن الرابع عشر الحالي، حيث سقط حكمهم عام ١٣٣٥ هجرية، بالاحتلال البريطاني للعراق<sup>(١)</sup> أثناء الحرب العالمية الأولى

وهذه من التسويات التي حدثت بعد صدور الحديث وكتاته في المصادر بعدة قرون. حيث توفي الشيخ المفيد صاحب الارشاد عام ٤١٣هـ<sup>(٢)</sup> وحصل الاحتلال التركي للعراق بعده بحمسة وثمانية وعشرين عاماً. إذن فهو من هذه الناحية، كعدد مما سبق، تسوءاً بالغ على مستوى المعشرات

## سادساً: نزول الروم الرملة:

والروم في لغة عصر المعصومين عليهم السلام، هم الأوربيون بشكل عام، كما سبق أن ذكر في تاريخ العبة الصغرى<sup>(٣)</sup> والرملة منطقة في مصر ومطقة في الشام. وعلى كلا الحالين يكون هذا التسوء احساراً عن الاستعمار الفرنسي، أما إلى مصر بقيادة نابليون بونابرت في حملته المشهورة، أو إلى سوريا حيث بدأ الاحتلال الفرنسي فيها بإحراج العثمانيين عنها بعد الحرب العالمية الأولى.

وعلى أي حال، فالتسوء واقعة وصحيحة على المستوى التاريخي وهذه أيضاً من التسويات الاعجارية التي سجلت في المصادر قبل حدوثها بقرون

سابعاً. حلع العرب اعتها وتملكها البلاد، وخروجها عن سلطان المعجم:

وهو ما يعيشه في هذا العصر، عصر الثورات في البلاد العربية. بقصد التحرر من الاستعمار الأجنبي، وسيطرة أشخاص من أهل البلاد على الحكم.

وحلع الاعة تعبير مجازي أما عن الثورة أو عن الانحراف عن زمام الدين

(١) دليل خارطة بغداد، ص ٢٨٦ إلى ص ٢٩٥

(٢) أنظر الكافي والألف، ج ٣، ص ١٧١، ط السبع ١٣٧٦ - ١٩٥٦

(٣) أنظر ص ٢٥٦ وما بعدها

واحكامه حلاً وتصريف الأمور تحت شعارات أخرى لا تمت إلى الدين بصلة. وكلاهما قد حدث فعلاً. والتعير بالعرب ربما كان قريحة على ذلك، حيث يمكن أن يدل على أن الثورات تقوم على أساس شعار العروبة لا على أساس الاسلام.

وتملكها البلاد، يعني سيطرة أناس من أهل البلاد على الحكم. وخروجها عن سلطان المعجم عبارة عن محاولتها التحرر من الاستعمار والخروج عن سيطرته. فان لفظ المعجم غير مختص بالفرس، كما يتحيل العامة، بل يشمل كل شخص غير عربي، مهما كانت لغته.

فانظر إلى هذا التنويه الذي لم يحدث إلا بعدما يزيد على الألف عام من صدوره وتسجيله في المصادر.

ثامناً: ثقب في الفرات، حتى يدحل الماء في أزقة الكوفة:

يقال: ثقب النهر، إذا كثر ملؤه وأسرع جريه. وهو عبارة أخرى عن الفيضان. وقد حصلت هذه السوءة في العديد من السنين، وشاهدت الكوفة مثل هذا الفيضان كثيراً. وقد عاصرنا بعض ذلك.

تاسعاً: عقد الجسر بما يلي الكرخ بمدينة بغداد:

كان الناس في بغداد، خلال العصر العباسي بشكل عام، يكتفون بجسر أو جسرين بين جابحي دجلة<sup>(١)</sup> في الأغلب. وأما اليوم فينبى حانبي بغداد عدة جسور، بعضها تجاه الكرخ وبعضها تجاه الرصافة.

ولم نستطع أن نشي تاريخياً أن أول جسر عقد إلى جانب الكرخ، كان في أي عام ومن قبل أي سلطة. وليس ذلك مهماً في حدود بحثنا هاشراً: اختلاف هتفين من المعجم، وسفك دماء كثيرة فيما بينهم.

وإذا كان المراد من المعجم، غير العرب من الشر، كما قلنا، كان كل حرب تقع بين معسكرين أو دولتين غير عربيتين، يمكن أن يكون مصداقاً هذه السوءة. ويكفي أن يعرف أن مثل هذه الحروب لم تكن مهمة ولا ملغية للطرف عالياً في

(١) أنظر دليل خارطة بغداد، ص ١٤٩ وص ١٩٣

زمن النبي (ص) والأئمة المعصومين (ع). وإنما انحضت هذه الحروب في الأرمية المتأخرة عن ذلك بعدة قرون.

ولسنا بحاجة إلى تحصيل المثال على ذلك، من الحروب . بعد الحروب التي وقعت بين ألمانيا وفرنسا أو بين بريطانيا وفرنسا أو بين تركيا واليونان أو غير ذلك خلال التاريخ الحديث.

بل يكفي النظر إلى الحربين العالميتين في النصف الأول من القرن الحالي. فإن كل واحدة منها تمثل خلافاً دموياً بين عدة دول غير عربية. وقد تسببت إلى إزهاق الملايين من العوس. وقد كانت أشد تأثيراً على بلاد الاسلام من الحروب الأوربية الداخلية التي كانت تحدث بين الأفرنج في العصور الأسبق منها.

نكتفي بهذا المقدار من التوضات المتحققة تاريخياً، وهي مجموعها تشكل دليلاً قطعياً على صدق قائلها المعصومين (ع) ذلك الصديق الدال على صدق سائر أقوالهم بما فيه اخبارهم عن ظهور الامام المهدي (ع)

وقد يخطر في ذهن هذا السؤال. وهو أبا باستعراض هذه العلامات الواقعة تاريخياً، بل حتى العلامات التي لم تقع، عما سذكره . يرى أن أكثرها تدور حول المنطقة الاسلامية من العالم. وأما التفرص إلى حوادث تقع في المناطق الأخرى، فهو في غاية القلة. فلماذا حدث هذا الاختصاص

منقول في جوابه . إن لهذا الاختصاص دحلاً أساسياً في التخطيط الإلهي ليوم الظهور فإن المحلصين المحصين الذين يتم إعدادهم لتكمل مسؤولية الظهور مع المهدي (ع) هم من المسلمين لا محالة. وهم الذين يسمى أن تسهم العلامات - كما قلنا - إلى تحقق الظهور. مصافاً إلى الأفراد المحلصين من المرتبتين الثابتة والثالثة، من مراتب الإخلاص التي قلناها

ومعه فمن المنطوق أن تختص هذه العلامات، بالشكل الذي تحقق هذا الهدف . وذلك لا يكون إلا إذا كانت تحدث في العالم الاسلامي، أو تكون ملقطة لنظر المسلمين إن حدثت في الخارج. وعلى هذا درجت كل العلامات الواردة عن النبي (ص) والأئمة (ع) إبقاء لهذا الغرض.

وبهذا ينتهي الكلام في النقطة الأولى من الساحة الأولى، وهو ما دل التاريخ على حدوثه من العلامات

## النقطة الثانية :

فيما يشك في حدوثه من العلامات .

وما يمكن ضبطه من أسباب الشك ، كقاعدة عامة ، مبان :

أحدهما : الشك في مدلول الرواية ، باعتار العلم برمزيتها ، وإن المراد منها مصاديق لا تنصح من اللفظ بصراحة . ومن هنا لا يفهم بوضوح انطاقها على الحوادث التاريخية الحاصلة . . . وعدمه .

ثانيهما : الشك في مآقله التاريخ ، بمعنى احتمال أن يكون المشار إليه في بعض التسويات ، أموراً أهمها التاريخ ، ولم يتعرض لها . وما أكثر ما أهمل التاريخ من الحوادث .

ويتدرج في ذلك عدد من الوقائع والحروب ، وبحوها ، المذكورة في هذه الروايات . وسحتمل عنها فكرة كافية في الجهة الآتية من الكلام ان شاء الله تعالى . ولا يوجد ما يحول دون هذا الشك ، سوى التدقيق الرائد في فهم الروايات ، ومحاولة تنظيمها منطقياً موافقاً لقواعد الاسلام ، كما سيجول في الجهة الآتية مع التدقيق في المصادر التاريخية ، وفهمها فهماً منطقياً ايضاً . وما بقي من الشكوكات ، لو فرض ثوبها بالتشدد السدي ، فالأفضل إيكال علمها إلى الله عز وجل .

## النقطة الثالثة .

فيما يشك في تقدمه على الظهور ، وتأخره عنه ، بأحد السببين السابقين ويكون تداركه بالتدقيق في الروايات وفهمها فهماً منطقياً بما في ذلك الروايات التي تتحدث عن الحوادث السابقة على الظهور أو التي تتحدث عما يحدث بعده . ولصابط الذي يمكن التوصل إليه الآن ، قبل الوصول إلى تفاصيل الجهة الآتية . هو أن كل حادثة تدل على الانحراف أو على بعض نتائجها ، فهي متقدمة على الظهور ، باعتارها مرتبطة بعصر الفس والانحراف المسبب عن المحييص الالهي ، كما سبق أن عرفنا .

وكل رواية تدل على حس الزمان وحصول الرفاء فيه وتطبيق الاسلام ، فهو راجع إلى ما بعد الظهور . وقد أسلف ذلك ، وأفصأ لقرينة على أن ما دل على

الانحراف غير مربوط بالحوادث المباشرة لقيام الساعة، بل بالحوادث السابقة على الطهور.

إلا أن ما يدرج ضمن هذا الشك قليل نسبياً، مع تكفل الكثير من الروايات، التصريح بهذا التوقيت.

#### النقطة الرابعة

فيما يعلم متأخره عن الطهور من الحوادث. وهو لا يكون من علامات الطهور بطبيعة الحال.

يُدرج في ذلك ما يقع بعد الطهور مباشرة أو ما يتبع عنه، أو ما يقع بعده بتاريخ طويل، أو ما يقع قبل قيام الساعة مباشرة وكل ذلك قد يعرض قيام الدليل على تعيينه الرمي، كما هو الأعلب، وقد يعرض الشك في ذلك وتعلل الاستدلال عليه فيبقى علمه إلى الله عز وجل. وكل ذلك مما سذكر تفاصيله في التاريخ الآتي من هذه الموسوعة إن شاء الله تعالى.

وبهذا تنتهي الناحية الأولى من الجهة الرابعة، في الترتيب الرمي للحوادث.

#### الناحية الثانية.

في انقسام علامات الطهور من ناحية وقوعها على الأسلوب الطبيعي أو الاعجازي.

وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام، يقع الكلام فيها ضمن ثلاث نقاط.

#### النقطة الأولى:

في الحادث الطبيعي الذي لا إعجاز فيه وإنما اكتسب علاميته وإماريته عن الطهور، باعتباره حادثاً مهماً ملحقاً للطهر، اختاره النبي (ص) أو أحد الأئمة عليهم السلام، ليكون دالاً على الطهور.

يُدرج في ذلك كل ما أسلفناه مما وقع من العلامات في التاريخ، وكل الحوادث التي اكتسبت علاميتها ودلالاتها باعتبار دمجها في التخطيط الإلهي كما قلنا. كما يدرج في ذلك كثير من العلامات المروية الأخرى، كقتل النفس الركية وحروب الدجال، وعدد من الحروب المروية مما عرفه وما سعرفه

ولا بد أن نلاحظ، بهذا الصدد، أن المراد من كونه طبعياً، هو أن الحادث المقصود حقيقة للرواية لم يقع عن طريق المعجزة وقد تكون الدلالة المطابقة للعبارة القائمة على الرمز، توحى بوجود المعجزة، كالخبر الذي ورد عن الدجال أن معه جبة ونار صار حنة وجنته نار، والخبر الذي ورد عن انحسار العرات عن كنز من ذهب. وبحره مما سيأتي مع تفسيره في الجهة الآتية.

النقطة الثانية.

ما كان قائماً على المعجزة بمقدار إقامة الحجة، طبقاً لقانون المعجزات الذي ذكرناه.

وبحسب في صدد حساب ذلك، لا بد أن نرجع فيه إلى كل مورد، لرى مطابقتها لهذا القانون وعدمه. وهذا واضح.

وأما لا بد الآن من الإشارة إلى ما سبق أن اشترنا إليه، ولم نعط تفسيره الكامل. من أن الاستفادة من بعض الروايات قيام بعض العلامات على الاعجاز، حصيصاً لتبني المحلصين المحضين على الظهور. فما هو تفسير ذلك؟

ولعل أوضحها وأصرحها في ذلك ما روته المصادر الامامية، بسند يكاد يكون متشابهاً لولا اختلاف في سجع الساج، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: - برواية الشيخ الطوسي<sup>(١)</sup> - . وآيتان تكويان قلب القائم، لم تكونا مد هط آدم عليه السلام إلى الأرض. تنكشف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره.

فقال رجل: يا ابن رسول الله، تنكشف الشمس في آخر الشهر، والقمر في النصف؟

فقال أبو جعفر: أي لأعلم مما تقول، ولكنهما آيتان لم تكونا مد هط آدم عليه السلام.

(١) الغيبة، ص ٢٧٠ وانظر الإرشاد ص ٣٣٩ وغيره اشعاري ص ١٢٤



وروى النعماني في غيته<sup>(١)</sup> عن أبي جعفر عليه السلام أيضا انه قال . وان  
بين يدي هذا الامر انكساف القمر لخمس تقى والشمس لخمس عشرة،  
وذلك في شهر رمضان، وعنده يسقط حساب المجمين».

ويسد آخر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال : «علامة خروج  
المهدي كسوف الشمس في شهر رمضان في ثلاث عشرة واربع عشرة منه»

ولا شك بإمكان ذلك عقلا، وليس مستحيل فالكسوف الشمسي يقع  
بسبب توسط القمر بين الشمس والأرض. ومن الواضح انه لا فرق في  
النتيجة وهي اختفاء الشمس، بين ان يكون القمر مظلما في آخر الشهر او ان  
يكون مضيقا في وسطه.

كما ان خسوف القمر يحدث لتوسط الأرض بين الشمس ولا فرق  
في ذلك أيضا بين ان يكون هلالا في اول الشهر او آخره، وبين ان يكون  
بدرا في وسطه. غير ان الظل الارضي اذا صار على القسم المظلم من القمر لم  
يؤثر فيه شيء ولم يمكن رؤيته . وأما اذا صار هذا الظل على القسم المضيء من  
القمر، اي الهلال، اثر فيه وذهب سعصه او جميعه

فحسب التحرير العفنى ممكن وبقدرة الله تعالى ممكن وهو الذي خلق  
الكون، وله التصرف فيه كيف يشاء . وأما الشيء الذي لا بد ان نعرفه هو  
مطابقتها لقانون المعجرات، مع التأكد من كفاية هذه الاحار للآيات التاريخي  
مع التشدد السندي الذي تسير عليه.

أما بحسب قانون المعجرات، فلا شك ان في حدوث ذلك تأكيدا  
وترسيحا لفكرة المهدي (ع) في اذهاب الناس، لا عند المحلصين المحصين  
فقط، بل عند كل من يعرف بان هذه الآية ستقع قبل الطهور وسيتحول  
العديد من الناس الى أشد المؤمنين بالمهدي (ع) والمدافعين عنه، ممن لم يكن  
قل ذلك على هذا الايمان أو سعيير آخر انه بوجوب صعود درجات  
الاحلاص في انفس المحلصين لإحدى مراتب الاحلاص السابقة

ولعل ظاهر هذه الروايات، كون هذه الآية من الآيات القرينة من

(١) من ١٤٥

الطهور ومعه يكون ايجادها ارشادا وتسيها للمخلصين المحصين بالاستعداد  
للقاء القائم المهدي (ع) والجهاد بين يديه. باعتبار ان الفرد مهم لا يشعر  
بنجاح شرط الطهور وتحققه كما قلنا ولعله أيضا يعمل عن عدد العلامات التي  
تقع وقوعا طبيعيا او يجهل ارتباطها بالمهدي (ع). ومن هنا كان لا بد للتسيه  
القوي ان يقع لكي يمر كل الصمائر المحلصة.

ومن المعلوم ان التفات مجموع المحلصين المحصين الى قرب الطهور  
ووقوعه ضروري. لان المعروض ان عندهم بمقدار الحاجة لا أكثر. فان  
نقصوا كان ذلك محلا سجاح اليوم الموعود. ومن هنا انشئت الحاجة الى هاتين  
الآيتين

واما من حيث كفاية هذه الاحبار للاثبات التاريخي، فهي من حيث العدد  
متعاضدة ومتساندة في اثبات مؤداها ومعه تكون مقبولة، ما لم تُنْصَف مع  
قانون المعجرات. والآن لرم رفضها فهو حرم توقف إقامة الحجة، او ايجاد  
اليوم الموعود عليها، فهو، والا كان قانون المعجرات مافيا مع هذه الروايات.  
وبحي لا يستطيع الحرم هذا التوقف لكفاية المعجرات الاخرى لاقامة الحجة  
واصطلاحها بالمهمة، فلا يتعين الحاجة الى هذه المعجزة بالتحسين

نعم، لو لم تكن هذه الظاهرة اعحارية، بل كانت مادرة الوقوع حدا في  
الكون، بحيث لم توجد في عمر البشرية الطويل وان كانت لعلها قد وجدت  
قلها، كما قد يستشعر من الرواية. فهي مثل ذلك تكون الروايات الدالة على  
حدوثها كافية للاثبات التاريخي.

الا ان هذا المهم بعيد جدا، بعد فرض حدوث الخسوف والكسوف  
النادرين في شهر واحد، فتفى الظاهرة اعحارية. ولتدقيق هذه الفكرة مجال  
اخر.

ولعل مما يتدرج ضمن هذه المعجرات الصيحة والنداء، مما لم يحمله  
على تحمل طبيعي. ومنها الخسوف بالنداء اذا لم يحمله على العقاب الديني  
المستعجل او على حماية اهل الحق وسيأتي التعرض الى كل ذلك في الجهة  
الآتية ان شاء الله تعالى.

### النقطة الثالثة .

ما دل على اقامة المعجزات أكثر مما يقتضيه قانون المعجزات

واوضح ذلك واصرحه ما دل على قيام المعجزات من قبل انصار الباطل والمحررين عن الحق وذلك أدهى وأمر من مجرد قيام المعجزة بلا موجب، فان فيه تأييدا للباطل واعراء بالخجل يستحيل صدوره عن الله عز وجل

فان قال قائل : ان مرور مشروعية ذلك هو انه قائم على أساس التمهيص والامتحان وسبب له . حيث تدل الأدلة على ان سبب التمهيص منقسم الى قسمين طبيعي واعجازي ولعمري ان السبب الاعجازي أشد تمحيصا واكد نتيجة . فان الايمان يكذب من قامت المعجزة على يديه من اصعب الاشياء

قدا . كلا ، فان هذا مما لا يستقيم بالرهان . فان التمهيص الموجب لتربية الحقيقية ، ليس هو الا ما كان عن سبب طبيعي وعن عيش حياتي طويل .

واما التمهيص الاعجازي ، فقد يكون ممكنا لو توقف عليه انعام الحجة يسدح في ذلك كل معجزات الانبياء فانه - لا محالة - بحث للتمهيص والاحتشار اذ يرى من يؤمن بتأثيرها بمن يكفر بها .

واما المعجزة الموهمة بالباطل والمعرفة للجاهل ، فغير ممكنة الصدور عن الله عز وجل بالرهان والايمان يكذب من قامت المعجزة على يديه غير ممكن الا عن أساس الانحراف . وذلك ليس الا للرهان القائم على ان الله تعالى لا يظهر المعجزة عن يد الكاذب ، كما برهن عليه في محله من العقائد الاسلامية .

فكيف يكون الباطل المستحيل طريقا للتمهيص واقامة الحق ، وتربية المخلصين ولعمري ان ذلك قائم على الفهم السلي لقوانين الاسلام

اذ ، فلا بد من استعراض ما ورد من الروايات المتصلة بحوادث من هذا القبيل ، لاجل التحلص عنها في الجهة الآتية . ولا بد ان نلاحظ سلما ان ما هو الميراث في الرقص والاحد بالرواية ، انما هو مقصودها الواقعي لا عبارتها الرمزية

وسدكر الآن عددا مما خالف قانون المعحراث، فما كان صريحا في ذلك  
رهصاه وما كان رمزيا باعتار العهم المتكامل للروايات الذي سوف يأتي في  
الجهة الآتية، امكن الاحد نه على تقدير امكان اثباته بالتشدد السدي

ويمكن تعداد المههم من ذلك ضمن الامور التالية

#### الامر الاول.

طول عمر الدجال، على اساس الاطروحة الكلاسيكية المشهورة عنه.

حيث دل ما اخرجته مسلم في صحيحه من الروايات وعبره، على ان  
الدجال هو ابن صائد، وانه لم يؤمن برسول الله (ص) بالرغم من طلبه  
شخصيا منه. بل هو ادعى الرسالة، وحاول عمر من الخطاب قتله، فقال له  
رسول الله (ص) «ان يكره فلي تسلط عليه، وان لم يكره فلا حير لث في  
قتله»<sup>(١)</sup> وفي رواية اخرى «ان يكره الذي ترى فلي تستطيع قتله»<sup>(٢)</sup> وفي  
رواية ثالثة. «فان يكره الذي تحذف فلي تستطيع قتله»<sup>(٣)</sup>

والمراد: انه لو كان هو الدجال، فهو غير قابل للقتل اساسا، لان الله  
تعالى قد قدر له طول عمره وهذا النص، بالرغم من انه لا يعطي الحرم بان  
ابن صائد هو الدجال بالتحسين ولكنه يدل بوضوح بانه لو كان هو الدجال،  
فهو ممن لا بد من بقائه الى حين قيامه وظهوره وبما يؤيد ذلك ما اخرجته  
مسلم ايضا<sup>(٤)</sup> عن رسول الله (ص) انه قال. «ما بين خلق آدم الى قيام  
لساعة خلق اكرم من الدجال» لو فهمنا منه طول العمر

ولا يريد ان يافش في ان ابن صائد هو الدجال ام لا. فقد طعن في  
ذلك محمد بن يوسف الكشي في كتابه البيان<sup>(٥)</sup>. وانكره ابن صائد نفسه،  
فيما اخرجته مسلم عنه<sup>(٦)</sup> قائلا ويرعمون ابي الدجال، ألسنت سمعت رسول

(١) صحيح مسلم، ج ٨، ص ١٩٢

(٢) المصدر، ص ١٨٩

(٣) المصدر، ص ١٩٠

(٤) المصدر، ص ٢٠٧

(٥) ص ١٠٨

(٦) ج ٨، ص ١٩٠

الله (ص) يقول، انه لا يولد له قال الراوي: قلت: بل قال. فقد ولد لي: أوليس سمعت رسول الله (ص) يقول. لا يدخل المدينة ولا مكة. قلت: بل قال. فقد ولدت بالمدينة وها أنا ذا أريد مكة.

ومما يدل على طول عمر الدجال: حديث الحساسة، الذي أخرجه عدد من الصحاح منهم مسلم<sup>(١)</sup> وفيه يقول: والرجال أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هطنتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان عليّ كلتاهما. فإذا علمنا انه لم يؤذن له بالخروج من حين عصر نعيم الداري إلى الآن، وهو ما يريد على الألف عام عرفنا كيف يدل هذا الحديث على طول عمره.

ولعمري ان من العجب ان اخوانا أهل السنة والجماعة، يؤمنون به وبالمصادر الحديثة التي دلت عليه. ولكنهم يستعدون غيبة المهدي (ع) وطول عمره مع قلة الروايات عن الدجال وطول عمره وتكاثرها عن المهدي (ع). بالرغم في سببية الامام المهدي (ع) لهداية العالم وتبديد العرص الالمي الكبير، وليس الدجال كذلك.

فالجماعة يرون الدجال شخصا طويل العمر، عائنا معزلا في جزيرة في البحر، كما يدل عليه حديث الحساسة. واما المهدي (ع) فمحصس بولد في زمانه على حين ان الذي ينبغي ان يقال بكونه هو الحق عكس ذلك. لو مشينا على الاطروحة الكلاسيكية لفهم الدجال. وهو ان المهدي طويل العمر وعائب عن الانظار بالشكل الذي ذكرناه في القسم الاول من هذا التاريخ، واما الدجال فمحصس بولد في حينه

فان المهدي (ع) مذخور لثورة الحق وتطبيق الغرض الالمي الكبير فهل بالامكان ان يقال. ان الدجال مذخور لثورة الدطل واغراء الناس بالجهل؟ وهل يصح ان يكون هذا عرصا إهيا، بشكل من الاشكال!!.

واما الصحيح، انطلاقا من هذه الاطروحة، كون الدجال شخصا اعتياديا

منحرفا او كافرا يوفق لانتشار حكمه وسلطته على رقعة كبيرة من الارض.  
فيكون كل من اتبعه على الساطل، وكل من خالفه على الحق.

واما على الاطروحة المقابلة، وهي التي تنفي ان يكون الدجال شخصا بذاته وانما هو عبارة رمزية عن التيارات الكافرة والمحرقة فكريا وسياسيا واقتصاديا. فهذا ما سنعرضه بشكل تفصيلي في الجهة الآتية وقد يكون من الدليل عليها ما ورد من طول عمر الدجال على أي حال.

### الامر الثاني:

ما ورد من مع الدجال دخول الحرمين: مكة والمدينة، بطريق اعجاري يدل عليه حديث الجساسة نفسه<sup>(١)</sup> اد يقول فيه الدجال: ولما ادع قرية الا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتاها. كلما أردت أن ادخل واحدة أو واحدا منها استقلي ملك بينه سيف صلباً يصدني عنها. وهذا الحديث غير صالح للاثبات التاريخي، بعد التشدد السني الذي اتخذناه

وهو لا يوضح لماذا يحرم على الدجال دخول مكة والمدينة، ولماذا يجمع عنهما منها اعجاري. فان كلا الامرين لا يصحان.

فان هذه الحرمة لا يحلو حلها من احد شكلين:

### الشكل الاول:

ان تكون حرمة تكوينية قهرية، يحفظها الله تعالى من أجل حفظ احترام البلدين المقدسين من ان يعيث الدجال فيها فسادا.

وهذه الحرمة غير ثابتة لبلدين السليدين جرماً، والا لما أمكن احراق الكعبة في عهد يزيد بن معاوية الاموي<sup>(٢)</sup>، ولا استباحة المدينة ثلاثة ايام في وقعة

(١) المصدر والصفحة

(٢) الكامل، جـ ٣، ص ٣٥٤

الحرة<sup>(١)</sup> ولا هجوم القرامطة على الكعبة وسعكهم الدماء في المسجد الحرام وخلعهم الحجر الأسود ونقله الى هجر<sup>(٢)</sup>.

وإذا لم تكن مكة والمدينة محصتين تحصيماً إلهياً قهرياً صد هذه الحوادث وأمثالها، فلا معنى لمع الدجال عنهما بهذا الشكل على أي حال.

### الشكل الثاني:

ان تكون الحرمه تكليفية، تشبه في فكرتها حرمة القتل والسرقة، مع امكان الفعل بحسب أصله وتنشأ هذه الحرمه من أحد سببين محتملين، ان تم أحدهما فهو، والا كانت هذه الحرمه منتمية أيضاً

### السبب الاول:

ان الدجال شخص كافر نجس، كالكلب والخنزير في نظر الاسلام. فيحرم عليه دخول الحرمين المقدسين

ولا يريد ان يناقش في كفر الدجال ونجاسته، الا ان حرمة دخوله، على هذا التقدير، من تكليف المسلمين، فيجب عليهم دفعه عنها وصدّه عن دخولها ان استطاعوا. أما هو فلا يشعر بهذه الحرمه، لانه كافر، وهو خلاف ظاهر الحديث

### السبب الثاني:

ان يكون سبب الحرمه تحصين اهل مكة والمدينة من الغواية والانحراف الذي يعطيه الدجال.

وهذه الحرمه صحيحة، وثابتة لمعطي الانحراف وأحده الا انها غير مختصة باهل مكة، بل شاملة لكل الناس على انها قد شرعت لاجل وضع الناس تحت التمهيط والاحتراز، ومن حيث اطاعة هذا التشريع وعصيانه، بما في ذلك اهل الحرمين والدجال نفسه، فلا معنى لان يكون التحصين مكتسباً

(١) المصدر، ص ٣١٠ وما بعدها

(٢) المصدر، ص ٢٠٤ وأظهر تاريخ المعية الصغرى ص ٣٦٠

اهمية وقوة فوق درجة التمحيص الالهي. ولئن كان الحرمان مقدسين في الاسلام، فان ساكنيهما كسائر الناس، لم يثبت لهما افضلية عن الآخرين

ومعه فالصحيح، ان الله تعالى اذا اراد مع الدجال من دخول مكة والمدينة، شكل لا يزيد المخطط العام للدعوة الالهية، فانه يوجد أحد امرين:

#### الامر الاول:

ان يصرف الله تعالى ذهن الدجال وهمته اساسا عن عرو هاتين المدينتين أو دخولهما، بشكل لا يستلزم الخير ولا الاعجاز، فمثلا يمكن أن تصح ظروف الدجال بشكل يدرك بوصوح عدم مطابقة دخول المدينة ومكة مع مصلحة.

#### الامر الثاني:

ان يمنع الدجال من دخولهما من قبل المسلمين الصالحين، عن طريق الحرب أو غيرها

هذا كله طبقا للمفهوم الكلاسيكي للدجال

#### الامر الثالث

اختلاف الزمان عما هو عليه الآن.

فمن ذلك ما احرجه مسلم<sup>(١)</sup> عن رسول الله (ص) وقد تحدث عن أيام الدجال قال الراوي «قلنا يا رسول الله، وما لث في الارض قال اربعون يوما، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة، وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كالسنة، اتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا. اقدروا له قدره».

وكما روى طول الرمان روى قصره أيضا

أحرج البخاري<sup>(٢)</sup> عن النبي (ص) انه قال: «يتقارب الرمان» الح.

(١) ج ٨، ص ١٩٧

(٢) ج ٩، ص ٦١



وأخرج ابن ماجه<sup>(١)</sup>: قال رسول الله (ص) - وهو يتحدث عن الدجال - : «وان أيامه أربعون سنة، السنة كصيف السنة، والسنة كالشهر، والسنة كالخمعة، وآخر أيامه كالشجرة، يصح أحدكم على باب المدينة، فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي. فقيل له: يا رسول الله. كيف يصلي في تلك الأيام القصار قال: تقدرון فيها الصلاة، كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال، ثم صلوا».

ويكفينا في بطلان الحديثين، تناقيهما وتعارضهما في المدلول، من حيث دلالة أحدهما على طول الزمن والآخر على قصره، في نفس الوقت، وهو عصر الدجال.

فان قال قائل: ليس الطول والقصر، على وجه الحقيقة، بل يراد به الكفاية عن الجو النفسي الذي يعيشه المسلمون يومئذ. فانه من المحسوس وجدانا مع الأس والفرح ينقضي الزمان بسرعة، فكأنه قد قصر، ومع الهم والكمد ينقضي ببطء فكأنه قد طال.

قننا. ان هذا التفسير يطل المهم الاعجاري للحديث، ويجعل المسألة نفسية طبيعية. لا انه لا يحل التعارض، لتهافت الخبرين من حيث الدلالة على الجو النفسي يومئذ. والمفروض هو الحديث عن الجو العام لدعم المسلمين، فهل هو جو المرح لكي يكون الزمن قصيرا كما دل عليه أحد الخبرين، أو هو الجو والكمد، لكي يكون الزمن طويلا، كما دل عليه الخبر الآخر. اذن فالتعارض لا زال موجودا.

فان قال قائل: لعل حركة الدجال تحدث في بلاد السويد والبرويح التي يختلف فيها نظام الايام عن نظامنا.

قلنا: هذا لا يمكن حمل الحديث عليه لوجهين:

الوجه الاول:

ان المفروض في المهم الاعتيادي للدجال، هو خروجه في بلاد الاسلام،

(١) ج ٢، ص ١٣٦٢

وما أخرجه ابن ماجه صريح في أن المسألة لا تعدو الحجاز والعراق والشام.  
فراجع، في حين أن البلاد الاسكندنافية ليست من بلاد الاسلام  
الوجه الثاني:

ان النظام المعطي في الحديث ثلاثين عاماً في بابه، والحديث الذي يحبرنا  
عن طول الزمان يقول: ان يوماً واحداً من أيام الدجال طوله كطول سنة  
واليوم الذي بعده طوله كطول شهر واليوم الذي بعده طوله كطول اسبوع.  
وباقى الأيام الى الآخر كأيامنا اعتيادية.

والحديث الذي يحبرنا عن القصر، يقول ان السنة نفسها تصغر تدريجاً،  
فتصبح أولاً كطول سنة أشهر، ثم كطول الشهر ثم كطول الاسبوع، وهكذا  
حتى تنقضي الأيام في النهاية كالشرارة الواحدة، وتكون السنة عبارة عن ٣٦٠  
شرارة. قد لا تعدو الساعة الواحدة الرمية.

ومثل هذا النظام في الطول أو القصر، لا يوجد في أي مناطق العالم كما  
هو معلوم.

فإذا عرفنا ان إيجاد هذا النظام الجديد في أيام الدجال، بالمعجزة، لا مبرر  
له، بل يكون في مصلحة الدجال نفسه، عرفنا عدم صحة هذه الأحبار. ما لم  
تدخل في فهم منظم متكامل جديد، سدكره في الجهة الآتية انشاء الله تعالى.

#### الامر الرابع:

قتل الدجال لمؤمن ثم حيّاه له.

عن ذلك ما أخرجه مسلم<sup>(١)</sup> عن أبي سعيد الخدري، قال: «حدثنا رسول  
الله (ص) حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيه حدث أن قال: يأتي وهو عرْم عليه  
أن يدخل بقاب المدينة، فيتهي إلى بعض الساح التي تلي المدينة فيحرق اليه  
يومئذ رجل هو حير الناس أو من حير الناس. فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي  
حدثنا رسول الله (ص) حديثه»

فيقول الدجال «أرايتم ان قتلتم هذا ثم أحبيته، أنشكون في الأمر

(١) ج ٨، ص ١٩٩ وانظر البحاري، ج ٩، ص ٧٦ ملقط مغرب جداً

فيقولون. لا. قال. فيقتله ثم يحييه. فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك أشد قط بصيرة مني الآن. قال. فيريد الدجال أن يقتله، فلا يسلط عليه»

وفي حديث آخر لمسلم<sup>(١)</sup> عن رسول الله (ص) يقول فيه: «فإن رآه المؤمن قال: يا أيها الناس، هذا الدجال الذي ذكر رسول الله (ص) قال. فيأمر الدجال به فيشج، فيقول. حدوده وشحوه، فيوسع بطنه وطهره صرناً قال. فيقول أو ما تؤمن بي قال. فيقول أنت المسيح الكذاب

وقال. فيؤمر به فيؤثر بالمشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه قال. ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له: قم فيستوي قائماً قال. ثم يقول له. أنؤمن بي. فيقول. ما ارددت فيك إلا بصيرة

ثم يقول. يا أيها الناس، انه لا يعمل بعدي بأحد من الناس قال. فيأخذ الدجال ليدنحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً، فلا يستطيع إليه سبيلاً فيأخذ يديه ورجليه، فيكذب به، فيحبب الناس إنما قدده في النار، وإنما ألقى في الحنة. فقال رسول الله (ص). هذا أعظم شهادة عند رب العالمين»

وهذا المصموم الذي يدل عليه ظاهر العبارة، من أوضح موارد إقامة المبتلين للمعجرات، وقد سبق أن برهنا على صاهه.

وقد يمكن الدفاع عن هذا المصموم، بأن تمكين الله تعالى للدجال من إقامة المعجرات، يراد به فضحه وكشف كبره وغلطته للناس عن طريق صمود هذا المؤمن أمامه.

إلا أن هذا الدفاع غير صحيح، فإنه إنما يصح على تقدير انحصار أسلوب فضحه وكشف دجله بذلك إلا أنه من المعلوم عدم انحصاره بذلك إذ يمكن أن تكشف عنه أفعاله، عن طريق التمهيط الذي يمر به، فيوجب فضحه نفسه بنفسه ويجري إلى حتفه بطلعه، كالذي نرى من المادى، المحرفة اليوم، ومن بعض الحسابة السابقين، الذين لم يحملوا بعدهم إلا الكراهة، كالخجاش وطهرل بك وتيمورل بك واصراهم ومعه لا حاجة إلى إقامة المعجرات من أجل كشفه

(١) ج ٨، ص ٢٠٠

وبدلنا على ذلك قول المؤمن - في نفس الرواية - . «يا أيها الناس، انه لا يفعل بعدي بأحد من الناس يشرهم بأنه لن يقتل أحداً بعده ومعنى ذلك أن قتله للناس معروف فيهم مشهور بينهم، والتدمير من ظلمه عام في المجتمع حاله في ذلك حال سعيد بن جبير الذي دعا حين أراد الخجاج قتله قائلاً اللهم لا تسلطه على أحد به - . في قصيته المشهورة ومعها فلا حاجة إلى قيام لمعجزة لكشفه.

هذا بحسب ظاهر العارة وأما حمل هذه الأحاديث على الرمر، فهو في عاية الاشكال.

الأمر الخامس: صحامة الخمار الذي يركبه الدجال.

ودلت: فيما رواه الصدوق في اكمال الدين<sup>(١)</sup> عن رسول الله (ص) يقول فيه: «انه يخرج على خمار ما بين أدنيه ميل، يخرج ومعها جة وبار، وحل من حر وسهر من ماء» الخ. الحديث

ومن المعلوم أن ما بين أدني الخمار الاعتيادي لا يعدو عرض الأصبعين أو الثلاثة أصابع فإذا كان هذا المكان به بمقدار ميل، فكيف صحامة أجزء جسده الأخرى.

وهذا - بلا شك - من فوارق الطبيعة المسونة إلى أحد البطلين، وقد برها على عدم امكان الأحده أو التصديق به، بحسب القواعد الإسلامية العامة

نعم، يمكن حمله على الرمر، على ما سيأتي في الجهة الآتية عطفاً على عدد من الأمور التي أخرجها الصدوق من صفات الدجال، مما يمكن حمله على الرمر، ويبرز في المهم المتكامل العام، على ما سوضح إن شاء الله تعالى

وأما أن معه حبلاً من حر وسهر من ماء، فهو معارض، مما أخرج بصحيحان<sup>(٢)</sup> عن المعيرة بن شعبة أنه قال - واللفظ للبحاري - وما سأل أحد النبي (ص) عن الدجال ما سألته وأنه قال لي: ما يصرك منه؟ قلت: لأهم يقولون أن معه جبل حبر وسهر ماء قال: هو أهون على الله من ذلك»

(١) أنظر السبعة مخطوطة

(٢) البخاري، ج ٩ ص ٧٤، ومسلم، ج ٨، ص ٢٠٠

وسياقي تفسير ذلك، بشكل يرتفع به التعارض بين هذين الخبرين، فاستطر

#### الأمر السادس

ما أخرجه الصحيحان<sup>(١)</sup> عن رسول الله (ص) أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تصبيء أعناق الابل بصريء»

ومن الواضح أن ما يدل عليه طاهر العادة، حادث معجز لا ربط له بإقامة الحججة، فلا يكون الاحراز عنه قابلاً للتصديق

إلا أن المطعون أنه يراد به ظهور المهدي (ع) نفسه. فإنه يظهر في أرض الحجاز، كما دلت عليه الروايات، كما سياقي في التاريخ القادم وأما التعبير عنه بالنار فاعتاد كونه نازعاً عن المشركين والكافرين والمحرفين مع الإشارة إلى سعة صوته وبوره بمعنى عدله ولطفه، بالمقدار الذي يفهمه الناس أيام عصر النبي (ص) من سعة الأرض، وأنه بين أرض الحجاز إلى بصريء الشام نون بعيد ومسافة مترامية

والنص على أعناق الابل، فيه دلالة على أن الابل متوجهة بوجهها وعنفها إلى مصدر النار والور. ومعنى ذلك: أن التوجه إلى نور المهدي عليه السلام والمعتقد بهداه هو المستصبيء بوجه والمهتدي بعدله وحكمه.

وأما كون الظهور من اشراط الساعة، فواضح، باعتبار كونه سابقاً عليها، ولو بدهر طويل من الزمن.

#### الأمر السابع النار التي تخرج من اليمن

وذلك فيما أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup> عن النبي (ص) في تعداد اشراط الساعة، أنه قال: «وأحرها نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم» وفي رواية أخرى: «ونار تخرج من قعر عدن ترجل الناس». ويحواه ما رواه الشيخ في العيبة<sup>(٣)</sup> إلا أنه قال: «تسوق الناس إلى المحشر».

(١) البخاري، ج ٩، ص ٧٣، ومسلم، ج ٨، ص ١٨٠

(٢) ج ٨، ص ٣٩ وكذلك الحديث الذي بعده

(٣) انظر ص ٢٦٧

والظاهر، أن هذا - على تقدير صحته - من أشراف الساعة المتأخرة عن الظهور، والقريبة من يوم القيامة. كما تشير إليه الرواية الأولى، مصرحة أنها آخر الآيات ومعه يخرج عن محل بحثنا، فلا حاجة إلى تمحيصه الأمر الثامن: أنه سوف يحسر الفرات عن كنز من ذهب.

أخرج الصحيحان<sup>(١)</sup> بسند يكاد يكون مشتركاً ويلفظ واحد عن النبي (ص) أنه قال: «يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب، فمن حفره فلا يأخذ منه شيئاً»

وأخرها<sup>(٢)</sup> بسند آخر بقول: عن جبل من ذهب. وأصاف مسلم<sup>(٣)</sup> عليه. «يقتل الناس عليه، فيقتل من كل مئة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم: لعلني أكون أنا الذي أنعوه، ومثلها رواية أخرى أيضاً<sup>(٤)</sup>. وأخرجت الصحاح الأخرى مثل ذلك، غير أنها لا تروي عنها فيما أخرجاه

وبن حين إذا عصصنا النظر عن عدم إمكان إثبات مثل هذا المصمون، بالتشدد السني، أمكأ أن نفهمه على عدة أطروحات

### الأطروحة الأولى:

ما هو ظاهر العبارة من أن ماء الفرات يكشف ويرول عن محله، فيظهر تحته أكداً عظيمة من الذهب، فيطمع فيه الناس ويقتلون على أحده والتكليف الاسلامي الواجب يومئذ - كما نصح به الرواية الأولى - «أن لا يشارك الفرد في الطمع ولا في الحرب، بل عليه أن يصرف عن الأحده من هذا الذهب تماماً»

وهذه الأطروحة لو صحت، فهي لا تدل على حصول المعجزة، في انحسار الفرات، بل لعنه يحسر تحت ظروف طبيعية معينة، كتعبير بحراه، فيرى الناس تحته ذهباً كثيراً لم يكونوا يعلمون بوجوده

إلا أن حصول ذلك بعيد جداً بالوحدان، لا يكاد يكون محتملاً أصلاً

(١) البخاري ج ٩، ص ٧٣، ومسلم ج ٨، ص ١٧٥

(٢) من لمصدرين والصحيحين

(٣) ج ٨، ص ١٧٤

(٤) المصدر، ص ١٧٥

## الأطروحة الثانية -

أن يعسر هذا الحديث بمقدار الخيرات العظيمة التي ينتجها هذا النهر المبارك . أما بحمله على الخيرات الزراعية التي تحصل على جانبيه على مر التاريخ، وقد تحصل في بعض السنين أصعاف ما تحصل في سنوات أخرى. وأما بحمل الخير على أنه سيُسْتَحْرَج من مياهه الفط المسمى بالذهب الأسود. ولعل هذا أنسب بما يعطيه الحديث من أن الكبر كاس في جوف الفرات أو تحت مائه، وأنه لا يمكن استخراجه إلا بإزالة الماء بشكل من الأشكال

ومعه، يحمل اقتال الناس على الناس الاستعماري على منطقة الفرات طمعاً بكونه من قبل الدول الكبرى المعددة، هذا التنافس الذي كلف الكثير من الأموال والنفوس . وأما بقاء الواحد بالثمة من المتحاربين، فلا بد أنه يحمل على المبالغة في كثرة القتل لا على التحديد.

## الأطروحة الثالثة

أن يحمل الفرات على معنى الحق أو الدعوة الإلهية، بقرينة قوله عز من قائل : «وهو الذي مرج البحرين . هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج، وجعل بينهما برزخاً وحجراً ومحموراً»<sup>(١)</sup> مع تفسير الفرات بالحق والأجاج بالباطل بقرينة ورودها في سياق الحديث عن الدعوة الإلهية، فيما سبقها من الآيات. قال الله تعالى «ولو شئت لبعثت في كل قرية نذيراً» فلا تطلع الكافرين وحاهدهم به جهاداً كبيراً وهو الذي مرج البحرين . «الح» ويحمل الحجر المحجور على الفاصل الدائري البرهاني الذي لا يمكن حطه بين الحق والباطل

ويكون معنى انحسار الفرات عن الذهب، انصاح الحق بمقدار كبير وريادة تخصيصه ومؤيديه، في عصر العتق والانحراف . فيتصدى لهم جماعة من المحررين والكافرين، فيقاتلهم المؤمنون دفاعاً عن أنفسهم فيكثر القتل حتى يمكن أن يقال. على وجه المبالغة أنه لم يبق من الناس المتحاربين، إلا واحداً من الثمة. ويحمل السبي عن الأحذ من الذهب على لزوم عدم الاعتداء على الحق والمشاركة في الحرب ضده.

(١) الفرقان ٥٣/٢٥

فإن صحت إحدى هذه الأطروحات الثلاث، فهو، وإن لم تصح كلها، ولم يصح الخبر بالشدد السني، فقد اسرحنا منه، وإن صح سنداً ولم يفهم مدلوله، أوكلنا علمه إلى الله تعالى ورسوله.

### الأمر التاسع: وقوع المسخ:

أخرج ابن ماجه<sup>(١)</sup> عن النبي (ص): «بين يدي الساعة مسح وحسف وقذف» وفي حديث آخر: «يكون في آخر أمني حسف ومسح وقذف» وهذا المصمون حديثان أحران

وأخرج المفيد في الإرشاد<sup>(٢)</sup> عن أبي الحسن موسى (ع) في حديث قال «والمسخ في أعداء الحق».

وهذا المصمون لا يمكن أن يصمد لبعد فإن المسح وإن كان ممكناً ومتحققاً في التزيح، كما نص عليه القرآن الكريم. إلا أنه لا يقع في هذه الأمة، للدليل: ندال عن أن العقوبات التي وقعت على الأمم السابقة لا يقع مثلها على هذه الأمة، ومن هنا سميت بالأمة المرحومة.

نعم، يمكن أن يحمل المسح على الرمز، من حيث انتقال الأمر من إهداية إلى الضلال. وهو أمر صحيح ومتحقق في عدد من الأمراء إلا أن حمل الروايات عليه خلاف الظاهر.

### الأمر العاشر: رجوع الأموات إلى الدنيا

احتص بذلك الشيع المصد في الإرشاد<sup>(٣)</sup>، حيث روى مرسلاً قائلًا: «قد جاءت الآثار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي (ع) وحدث تكون أمام قيامه وآيات ودلالات» وعد منها: «أموات يستشرون من الصور حتى يرجعوا إلى الدنيا، فيتعارفون فيها ويتزاوون».

وظاهره حدوث ذلك خلال عصر العيبة الكبرى ولعله من الآيات الخاصة

(١) نظر كل ما رويته هذا عن ابن ماجه في ج ٢، ص ١٣٤٩، وما بعده

(٢) ص ٣٣٨

(٣) أنظر ٣٣٧



المسببة للمخلصين على قرب الظهور. ولكن مما يحون الخطاب أن هذا الخبر مما لا يصلح للإثبات التدريجي، لكونه مرسلًا، ليس له سند

فان قال قائل: فان هذا حير من أحبار الرجعة، وهي كثيرة. وليس معنى الرجعة إلا رجوع الاسنان إلى الحياة بعد الموت

قلنا: أن الرجعة يقال بها عادة بعد الظهور، وليس قبله. وهذا الخبر يصح بوقوع قيام الاموات أمام قيام القائم (ع) أي قبله، وهو مما لم يقل به أحد.

وأما تحقيق أحبار الرجعة وإعطاء العهم المتكامل لها، فسوف يأتي في التاريخ القادم إن شاء الله تعالى.

الأمر الحادي عشر خروج الشمس من مغربها

عد في الارشاد، في نفس السياق السابق لعلامات الظهور، عد منها. طلوعها من المغرب<sup>(١)</sup>.

وأخرج البخاري<sup>(٢)</sup> عن رسول الله (ص) أنه قال «لا تقوم الساعة. حتى تطلع الشمس من مغربها. فإذا طلعت وراها الناس أمموا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها حيراً»

وأخرج مسلم عدة أحاديث منسوبة لهذا النص<sup>(٣)</sup> وأخرج أيضاً<sup>(٤)</sup> «أول الآيات حروحاً طلوع الشمس من مغربها»

وروى الشيخ في العبة<sup>(٥)</sup> عن رسول الله (ص) أنه قال «عشر علامات لا بد منها وعد منها طلوع الشمس من مغربها»

ولطاهر أن هذه الآية من علامات الساعة المباشرة، دليل رطها في الأحاديث بالرمس الذي لا ينفع نفساً إيمانها، لم تكن آمنت من قبل وهو يوم القيامة، على التفسير المشهور.

(١) ص ٣٣٦

(٢) ج ٩، ص ٧٤

(٣) ج ١، ص ٩٥ وما بعدها

(٤) ج ٨، ص ٢٠٢

(٥) ص ٢٦٧

ومعه فالشمس تخرج من مغربها عند خراب النظام في المجموعة الشمسية  
لدى اقتراب يوم القيامة.

وأما كونها من علامات الظهور، بحيث تحدث خلال عصر العية الكبرى،  
فلم يثبت إلا بخر الارشاد الذي قلنا أنه لا يكفي وحده للثبات التاريخي.

وفي بعض الأحبار تفسير خروج الشمس من مغربها بظهور المهدي (ع) بعد  
غيبته أخرج الصدوق في الاكمال<sup>(١)</sup> بإساده عن الزال بن سرقة قال حدثنا  
علي بن أبي طالب (ع) فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله ثم قال «سلوي  
أيها الناس قبل أن تفقدوه، ثلاثاً. فقام إليه صعصعة بن صوحان فقال يا أمير  
المؤمنين متى يخرج الدجال. فتحدث عندئذ أمير المؤمنين عليه السلام وقال فيما  
قال يقتله الله عز وجل بالشام على يد من يصلي عيسى المسيح بن مريم  
خلعه. وبعد أن انتهى من كلامه قال الزال بن سرقة فقلت لصعصعة بن  
صوحان. يا صعصعة ما عني أمير المؤمنين (ع) هذا القول فقال صعصعة: يا  
سيرة ابن الذي يصلي خلفه عيسى بن مريم هو الثاني عشر من العترة الناصية من  
ولد الحسين بن علي (ع) وهو الشمس الطالعة من مغربها، يظهر عند الركن  
والمقام، فيظهر لأرض ويضع مiron العدل فلا يظلم أحد أحداً. الحديث

وهذا التفسير أمر محتمل على أي حال، بعد حمل التعبير على ترميز لا على  
الحقيقة ولا يباي ذلك ربطها بالأية الكريمة المشار إليها، فإما أيضاً مفسرة  
بالظهور في بعض الأحبار على ما سوف يأتي التاريخ القادم لكن يهون الخطب أن  
هذا الخبر الذي أخرجه الصدوق، لا يثبت أمام التشدد السدي  
الأمر الثاني عشر: الصبيحة.

وهو مما احتضنت به المصدر الامامية، وأكثر من روايته وأكدت عليه  
فمن ذلك، ما رواه العمادي في العية<sup>(٢)</sup> عن أمير المؤمنين (ع) أنه كان  
يتحدث عن بعض العلامات قلنا وهل قبل هذا شيء من شيء أو بعده من

(١) انظر النسخة المطبوعة

(٢) ص ١٣٧

شيء فقال. صحيحة في شهر رمضان، تفرع اليقطان وتوقف النائم وتخرج الفتاة من خدرها»

وفي رواية أخرى<sup>(١)</sup> عنه عليه السلام أنه قال: - فيما قال - «الفرعة في شهر رمضان قليل» وما الفرعة في شهر رمضان فقال: أو ما سمعتم قول الله عز وجل في القرآن: ﴿إِنْ شَاءَ رَبُّكَ لَيَمَسَّنَّ عَلَيْهِم بِأَبْصَارِهِمْ السَّمَاءَ فَظَلَّتْ أَعْيُنُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ هي آية تخرج الفتاة من خدرها وتوقف النائم وتخرج اليقطان».

وعن<sup>(٢)</sup> أبي عبد الله الصادق (ع) أنه قال: «للقائم خمس علامات . وعد منها: الصبيحة من السماء»

وفي رواية أخرى<sup>(٣)</sup> عن الإمام الباقر عليه السلام - فيما قال - «فتوقعوا الصبيحة في شهر رمضان وحروج القائم إن الله يفعل ما يشاء»

وفي الاحتجاج<sup>(٤)</sup> في التوقيع الذي أحرجه السمر الرايع السمرى قبل موته عن المهدي (ع) - يقول فيه - «ومن ادعى المشاهدة قبل خروج السمياني والصبيحة، فهو كذاب مفتر».

وروى الشيخ الصدوق في الإكمال<sup>(٥)</sup> عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث عن المهدي عليه السلام، قال: «ومن علامات خروجه . . وعد منها: وصبيحة من السماء في شهر رمضان».

وفي مستحبات الأثر<sup>(٦)</sup> عن بابيع المودة عن أبي عبد الله عليه السلام «خمس قبل قيام القائم من العلامات وقال في آخره فتلوت هذه الآية - يعني قوله تعالى أن شاء ربك عليهم من السماء الآية - ، فقلت: أهي الصبيحة. قال.

(١) من ١٣٣

(٢) المصدر والمصحة وانظر فيه الشيخ، من ٢٦٧

(٣) من ١٣٥

(٤) انظر من ٢٦٧، ونظر تاريخ الحية الصرى، من ٦٣٣ وما بعدها

(٥) انظر المصدر المخطوط

(٦) من ٤٥١، وعد بابيع، من ٤٦٦

نعم، لو كانت الصيغة حصعت أعناق أعداء الله عز وجل ورواه أيضاً في تفسير  
الرهان<sup>(١)</sup> ضمن اثني عشر حدثاً من أحوار الصيغة.

وهذه الآية من القرآن، لا تدل على وقوع الصيغة بالنعيم، بل لا تدل على  
وقوع شيء على التحقيق، لتعليق الحدث عن مشيئة الله عز وجل بل قد يقال  
أنها تدل على عدم وقوع ما هو المعلوم على المشيئة لما أشار إليه الشيخ الطوسي<sup>(٢)</sup>  
قائلاً: أحقره - يعني الله تعالى لشيء (ص) بأنه قادر على أن يزل عليه أية ودلالة  
من السماء تظل أعناقهم لها حاصعة، بأن تمنحهم إلى الإيمان لكن ذلك نقيص  
العرض بالتكلف، لأنه تعالى لو فعل ذلك لما استحقوا ثواباً ولا مدحاً لأن  
المُلتجأ لا يستحق الثواب والمدح على فعله، لأنه يحكم المفعول به أقول وأشار  
إلى بعض هذا المعنى الططائي في تفسير الميراث<sup>(٣)</sup>

لا أن ذلك لا ينهي صحة مثل هذه الروايات، لأن الأئمة عليهم السلام لم  
يستدلوا بالآية للدلالة على وقوع الصيغة، بل للدلالة على إمكانه بمشيئة الله عز  
وجل. وأما وصول الإيمان بنسبها إلى حد الأخاء والخصوع لقهري، كما قال  
الشيخ الطوسي، فهو مما لا سلم به، لو صرح بحفظ الاختيار بعدها إذ بصورة  
العمل أن يسري بعض الماديين لتفسيرها عن أساس مادي «علمي»<sup>(٤)</sup> فإن  
الشبهات المادية في عصر الفتن والاحراف أوسع من أن نحصر فمن آمن بما دلت  
عليه الصيغة بوصح من إثبات دعوى المؤمنين، كان مختاراً في فعله وتفكيره

يكفيها من ذلك استدلال الأئمة (ع) في هذه الأحبار دلالة على إمكان  
الصيغة، ولو صح كلام الشيخ كان هذا الاستدلال باطلاً، لأنه يستحيل على الله  
تعالى أن يلحق الفرد إلى الإيمان في حين أن هذه الأحبار كثيرة، وقائمة للإثبات  
التاريخي.

إذ نزل الدليل على بطلانه، كان ممكناً بقدره الله تعالى، فإدلت عليه هذه

(١) في تفسير سورة الشعراء في المجلد الثاني، ص ٧٦٢

(٢) تفسير البيان، ج ٨، ص \*

(٣) ج ١، ص ٢٧٢

الطائفة الكبيرة من الأحرار، كان أمراً صحيحاً وثباتاً، وتكون الصيحة من الدلائل القرينة المنتهة على الظهور.

هذا، ويبقى السؤال عن مصموم الصيحة وهل هي مجرد صوت بلا معنى، أو أنها كلام معنى ذو مدلول، وما هو مدلوله وسيأتي جواب ذلك في التاريخ القادم، حيث نقيم القرائن على أن المراد بها النداء باسم المهدي (ع) وليست شيئاً آخر غيره.

الأمر الثالث عشر - الخسف في البيداء:

وهو مما استفاضت به أخبار الفريقين.

أخرج مسلم<sup>(١)</sup> عن أم سلمة عن رسول الله (ص). «يعود عائد بالبيت، يبعث إليه بعث، فإذا كانوا سيداء من الأرض خسف بهم فقلت يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهاً؟ قال يحسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على بيته».

وأخرج أيضاً عن حفصة أنها سمعت النبي (ص) يقول: «ليؤمن هذا البيت جيش يعرفونه، حتى إذا كانوا سيداء من الأرض يحسف بأوسطهم ويأدي أولهم آخرهم، ثم يحسف بهم، فلا يبقى إلا الشريد الذي يحمر عنهم».

وفي حديث ثالث أن رسول الله (ص) قال: «سيعود هذا البيت - يعني الكعبة - قوم ليست هم معة ولا عدد ولا عدة يبعث إليهم جيش، حتى إذا كانوا سيداء من الأرض خسف بهم».

وفي حديث رابع. «إن أناساً من أممي يؤمنون بالبيت يرحل من قريش قد لحا بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم فقلت يا رسول الله، إن الطريق قد يجمع الناس قال: نعم، فيهم المستصر والمجور وابن السيل، يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون شتى، يعنهم الله على بياتهم».

وأخرج ابن ماجة والترمذي وأحمد والحاكم، وغيرهم، أحاديث في ذلك، غير أننا لا نذكر هنا فيما أخرجه الشيخان أو أحدهما، توجيهاً للاختصار.

(١) ج ٨، ص ١٦٧، وكذلك الأحرار التي بعده

ومن المصادر الامامية، ما رواه العمالي في الغيبة<sup>(١)</sup> عن أبي عبد الله (ع) أنه قال «للقائم خمس علامات، وعد منها. الخسف في البيداء».

وفي حرر آخر<sup>(٢)</sup> عنه عليه السلام قال الراوي «قلت له ما من علامة بين يدي هذا الأمر؟ فقال بل قلت وما هي؟ قال هلاك العباسي إلى أن قال والخسف في البيداء».

وفي حرر آخر<sup>(٣)</sup> عنه عليه السلام أنه قال: «من المحتوم الذي لا بد أن يكون قبل قيام القائم، خروج السفين وحسف بالبيداء».

وذكر الشيخ المفيد<sup>(٤)</sup> مما ذكر من العلامات قال وحسف بالبيداء

وفي منتخب الأثر<sup>(٥)</sup> عن تفسير الكشف في تفسير قوله تعالى ﴿ولو ترى إذ فرغوا فلا فوت وأحدوا من مكان قريب﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما برلت في حسف البيداء وذلك إن ثمانين ألفاً يعرفون الكعبة ليحرقوها، فإذا دخلوا البيداء خسف بهم

وفيه أيضاً<sup>(٦)</sup> عن مجمع البيان في تفسير الآية نفسها، عن أبي حمزة الثعالبی، قال سمعت علي بن الحسين والحسين بن الحسن بن علي نقولان هو جيش البيداء يؤحدون من تحت أقدامهم

وفيه أيضاً<sup>(٧)</sup> عن أم سلمة، تقول قال رسول الله (ص) يعود عائذ بالبيت، فيبعث الله جيشاً حتى إذا كانوا بالبيداء - بيضاء المدينة - حسف بهم

وأخرج في تفسير الرهان عدداً من الأحبار الدالة على ذلك أيضاً، منها ما عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السلام، قال «يمرح القائم فيسير

(١) ص ١٣٣، وانظر غيبة الشيخ، ص ٢٦٧

(٢) غيبة النعماني، ص ١٣٩

(٣) المصدر، ص ١٤١

(٤) ص ٣٣٤

(٥) ص ١٥٦

(٦) ج ٢، ص ٨٧٥، في تفسير سورة سبأ

(٧) المصدر والصفحة

حتى ينتهي إلى البقاء، فيحرق جيش السفيناء، فيأمر الله عز وجل الأرض، أن تأخذ بأقدامهم. وهو قوله عز وجل. ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزَعُوا فِلا هُوتَ وَأَحْدُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ...﴾ الحديث.

وهذا الخسف الموعود، وإن كان اعجازياً، إلا أنه لا منافاة فيه مع وقانون المعجزات، بل مسجّم معه تمام الانسجام يتضح ذلك مما تدل عليه هذه الروايات نفسها من أن هذا الخسف إنما يحدث لأجل إنقاذ العائد الذي يعود بالبيت، أو القوم الذين لا عدد لهم ولا عدة ويكفوا أن تتصور أن هؤلاء القوم هم ممثلو الحق الحقيقيين الذين يتوقف عليهم النصر يوم الظهور سواء كان المهدي نفسه أحدهم، كما ربما تدل عليه الرواية الأولى مما ذكرناه والأخيرة، أو لم يكن. يكفينا ذلك لفهم ضرورة إنقاذهم ولو بالسحو الاعجازي. وقد سبق أن قلنا: إن كل ما يتوقف عليه الظهور، فهو مما لا بد أن يحدث لكونه مرتبطاً بالعرض الإلهي الأعلى لهداية البشر. وهو من أهم وأخص أشكال إقامة الحجّة، والمطابقة مع قانون المعجزات

وسبأتي في الجهة الآتية مقدار ارتباطه بمصر العنن والانحراف، والتخطيط العام للعلامات

فهذا هو المهم من العلامات الاعجازية التي يحتل فيها الخروج على قانون المعجزات والريادة عليه. وقد ثبت أن عدداً كبيراً منها مما لا واقع له، لو فهمنا المعنى المظنفي عبر الرمزي وإن حدوث المسح وإحياء الأموات قبل الظهور وطول عمر الدجال وصحابة حمراء وقتله للمؤمن وإحيائه له، مما لا أساس له وإن انحسار المرات عن الذهب ليس بعجاء بل هو أمر طبيعي وإن حروح الشمس من معربها ليس من علامات الظهور، وإن الصيحة والخسف مطابقة لقانون المعجزات غير محالفة له، وقد نطق بها الأخبار الكثيرة، فلا بد من الالتزام بها

هذا تمام الكلام في النقطة الثالثة فيما دل على إقامة المعجزات أكثر مما يقتضيه القانون

وبه ينتهي الكلام في الساحة الثانية في انقسام علامات الظهور من ناحية المعجزات.

وهو نهاية الكلام في الجهة الرابعة، في بعض التسميات العامة لهذه الروايات.

#### الجهة الخامسة:

في تعداد مفردات العلامات، ومحاولة فهمها فهماً مطّلاً شاملاً.  
ويقع الكلام فيها ضمن ناحيتين أساسيتين، باعتبار تعداد مفردات العلامات المتبقية بعد الجرد السابق، من ناحية، ومحاولة إعطاء المفهوم العام المنظم المتكامل عن مجموع العلامات أو عن أكثرها، بمقدار الامكان، من ناحية ثانية.  
ولا بد أن يبدأ بالتعداد أولاً، لسحاول أن نهم كل علامة مروية فيها مستقلاً منفرداً، لئلا نرى في الناحية الثانية الآتية ارتباطها المجموعي مع العلامات الأخرى.  
الناحية الأولى:

في تعداد مفردات العلامات، عبر ما سبق أن أوردنا فيه الروايات ونحن إذ نحاول هذا التعداد، لا ينبغي أن نشوحي الاستيعاب، فانه يوجب التطويل بلا طائش، وإنما نذكر العلامات الرئيسية، وسحاول تحديد مفهومها وتوقيتها وخصائصها الرئيسية. ويورد هذه العلامات ضمن عدة نقاط:  
النقطة الأولى خروج الرايات السود من خراسان:

وقد سبق أن تكلمنا عن مفهومها وحدودها بشرة أبي مسلم الخراساني فلا بد أن نورد هنا بعض ما يدل عليها من الروايات، كما وعدنا، وبعضها ما يحتمل فيه المعارضة مع هذا المفهوم عل ما نسمع.

فمن ذلك. ما أخرجه الترمذي<sup>(١)</sup> عن رسول الله (ص) أنه قال: «تخرج من خراسان رايات سود، فلا يردها شيء» حتى تنصب بإيلياء». قال الترمذي. وهذا حديث غريب حسن.

وروى العماني في العية<sup>(٢)</sup> عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: «انتظروا النمرج من

(١) - ج ٣، ص ٣٦٢

(٢) ص ١٣٣



ثلاث. ف قيل يا أمير المؤمنين، وما هي؟. فقال. . والرايات السود من خراسان.

وعد في الارشاد<sup>(١)</sup> من العلامات التي وردت بها الآثار: «إقال ريات سود من خراسان».

وروى الشيخ في العيبة<sup>(٢)</sup> عن أبي جعفر (ع) قال: «تزل الرايات السود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة. فإذا ظهر المهدي (ع) بعث إليه بالبيعة»

وهذا الخبر الأحير دال على قرب ظهور هذه الرايات من ظهور المهدي (ع) إلا أنه بمفرده غير قابل للثبات التاريخي، مع التشدد السدي الذي سربا عليه، نعم، لو فرض صحة الخبر لدل على عدم كون هذه الرايات هي رايات أبي مسلم الخراساني

النقطة الثانية: قتل النفس الزكية.

وقد احتضت بذلك المصادر الامامية أو كادت، ولم يذكر في صحاح العامة ما يدل على ذلك.

فمن ذلك ما رواه النعماني<sup>(٣)</sup> عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال. «للقائم خمس علامات. . وعد منها قتل النفس الزكية».

وأخرج النعماني أيضاً<sup>(٤)</sup> والمفيد في الارشاد<sup>(٥)</sup> والشيخ في العيبة<sup>(٦)</sup> عنه عليه السلام، في تعداد أمور محنومة. منها. قتل النفس الزكية

وروى النعماني أيضاً<sup>(٧)</sup> عنه عليه السلام، قال الراوي:

---

(١) ص ٣٣٦

(٢) ص ٢٧٤

(٣) انظر غية النعماني، ص ١٣٣

(٤) المصدر، ص ١٣٤

(٥) ص ٣٣٨

(٦) ص ٢٦٦

(٧) العيبة، ص ١٣٩

«قلت له. ما من علامة بين يدي هذا الأمر؟ فقال بلى

«قلت: وما هي؟ قال. هلاك العاصي وقتل النفس الزكية»

وأخرج المعبد في الارشاد<sup>(١)</sup> عن أبي جعفر الباقر<sup>(ع)</sup> والشيخ في العيبة<sup>(٢)</sup> والصدوق في إكمال الدين<sup>(٣)</sup> عن أبي عبد الله الصادق<sup>(ع)</sup> بلفظ متقارب - واللفظ للمعبد - أنه قال «ليس بين قيام القائم عليه السلام وقتل النفس الزكية أكثر من خمس عشرة ليلة»

وعد في الارشاد<sup>(٤)</sup> مما جاءت به الآثار من العلامات لزمان قيام القائم، قال «وقتل نفس زكية يظهر الكوفة في سبعين من الصالحين وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام».

وروى الصدوق أيضاً<sup>(٥)</sup> عن الامام الصادق<sup>(ع)</sup>، قال «حس قل قيام القائم . . . وعد منها قتل النفس الزكية» وعنه<sup>(ع)</sup> أيضاً «قل قيام القائم خمس علامات محتومة، وعد منها قتل النفس الزكية» وفي رواية أخرى في تعداد أمور محتومة عن الامام الباقر<sup>(ع)</sup> قال «وقتل النفس الزكية من المحتوم» إلى غير ذلك من الأخبار.

ولا بد أن شكلم عن النفس الزكية، صحن عدة أمور.

### الأمر الأول:

يراد بالنفس الزكية. النفس الكاملة الطيبة، من ركا إذا ما وطأ ويراد بالمعنى مطلق الاسلام التكامل بالعلم والاحلاص والتصحفة ويمكن أن يراد - بالدقة - من الكمال أحد معيين

(١) ص ٣٣٩

(٢) ص ٢٧١

(٣) نظر المخطوط

(٤) ص ٣٣٦

(٥) انظر هذا الحديث وما يليه من الاحديث في السحرة المخطوطة من اكمال الدين

## المعنى الأول.

ما هو المطلوب إسلامياً من الفرد المسلم من قوة الإيمان والارادة واندفاع الاخلاص والتصحية ومعه يكون المراد بالنفس الركية مع عصر النظر عما يأتي في الأمر الثالث - شخصاً من المحلصين المحصنين في العينة الكبرى، وأنه يقتل نتيجة للفتن والامحراف.

## المعنى الثاني:

أن يكون المراد من الكمال - في هذا الصدد - : البراءة من القتل. فيكون مساوياً لقوله عر وجل: ﴿أَقْتُلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾، لقد حُتَّتْ ثِيَابًا نَكَرًا<sup>(١)</sup>. ولعل التعبير بالنفس الركية بالقرآن يوحي تماماً بأن المراد من الأحبار نفس ذلك المعنى، وهو البراءة من القتل.

غير أن الذي يقرب المعنى الأول، ويكون قرينة عليه، هو أن المساق والمتبادر من كل واحدة من هذه الروايات، إن المراد بالنفس الركية رجل معين يكتب مقتله أهمية خاصة. ولا شك أن هذا مسجّم مع المعنى الأول. لأن مقتل الرجل المحلص المحصن، لا يكون - عادة - إلا على صعيد عالٍ من مستويات العمل الاسلامي، فيكون ملفتاً للطرف الاجتماعي، ومثيراً أسفاً إسلامياً عميقاً. بخلافه على المعنى الثاني، إذ مجرد كون المقتول بريئاً من القتل لا يكسبه أهمية خاصة ولا يكون مقتله ملفتاً للطرف، على حين ينبغي أن تكون العلامة مما يعرف - عادة - بين الناس، ولا سقطت فائدة دلالتها على الظهور.

على أنه على هذا المعنى الثاني، يمكن حمله على معنى كلى واسع. ويكون المراد أن من آثار عصر الفتن والامحراف أن يقتل عدد من الناس بدون ديب. وهذا ما حدث فعلاً على أعداد ضخمة من الشر على مر التاريخ.

فإن كان المعنى الأول منسجماً مع ما هو المساق والمفهوم من هذه الروايات، دون المعنى الثاني، تعين الحمل عليه ولا تكون الآية قرينة عليه. لإمكان أن يكون المراد من النفس الركية من الآية المعنى أيضاً، أو أن يختلف معنى الآية عن معنى الرواية.

(١) الكهف: ٧٤/١٨.

## الأمر الثاني

هل تقتل النفس الركية بين الركن والمقام.

لا شك أن المركوز في الأدهان والمتأفل على الألس هو ذلك حتى اعتبره صاحب «منتجب الآثار» من المسلّمات فقال<sup>(١)</sup> «وقتل النفس الركية قتل محمد بن الحسن الذي يقتل بين الركن والمقام

إلا أن ذلك لا يكاد يثبت بعد التشدد السني الذي الرماء، فقد أورد صاحب المحرر حديث لا يكادان يثبتان بعد هذا التشدد. وأما لارتكار الدهي فلا يكفي للآثبات التاريخي أيضاً فإن حدث ذلك في مستقبل الزمان، كان دليلاً على صدقه، وإن لم يحدث لم يكن علياً أن يتطره، فإنه لا دليل له عليه.

مضافاً إلى معارضته، بما رواه الشيخ المعيد في الإرشاد من حدوث. قتل نفس ركية ظهر الكوفة في سبعين من الصالحين<sup>(٢)</sup> وقد سمعاه وهذا الخبر وإن لم يكن له قاعدية الآثبات، إلا أنه ليس بأسوأ حالاً من خبر مقتله بين الركن والمقام، فيصلح معارضته، ومع المعارضة يتساقطان معاً عن إمكان الآثبات التاريخي

وأما ما ذكره في الإرشاد<sup>(٣)</sup> أيضاً من حدوث دبح رجل هاشمي بين الركن والمقام، كما سمعاه فهو لا يدل على المقصود إذ قد لا يكون هذا الرجل هاشمي دكياً محضاً مضافاً إلى ضعف الخبر وعدم كفايته للآثبات التاريخي

## الأمر الثالث

إنطاق هذه الروايات عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن أبي طالب، أبي عبد الله، الملقب بالنفس الركية، الناصر في زمن أبي جعفر المصور الخليفة العباسي.

ولعمري أن هناك ما يدل على هذا الإنطاق، فلو استطعنا أن نهي القرائن الدالة على نفيه تعيين الالتزام بإثباته وإن النفس الركية المقصودة، هو هذا الناصر العلوي. ومن هنا يقع الكلام على مستويين:

(١) انظر المصدر، ص ٤٤٤

(٢) ص ٣٣٦

(٣) نفس الصفحة

## المستوى الأول:

في القرائن الدالة على معنى هذا الانطاق وإن النفس الركبة الموعودة هو غير هذا الثائر العلوي

وهي عدة قرائن محتملة

## القرينة الأولى.

إن النفس الركبة لا بد أن تقتل بين الركن والمقدم وهذا الثائر العلوي لم يقتل هناك

وهذا على تقدير ثبوته قرينة كافية، على معنى هذا الانطاق، إلا أنه مما لم يشت كما أسلفنا.

## القرينة الثانية:

تأخر احراز الأئمة عليهم السلام هذه العلامة من علامات الطهور عن مقتل هذا الثائر العلوي. مما يدل على أن مقتل النفس الركبة يبقى متوقفاً ومنظراً بعد مقتل النفس الركبة: الثائر.

وهذا على تقدير ثبوته قرينة كافية أيضاً على معنى الانطاق إلا أنه لم يشت من كل ما وحدناه من الروايات الدالة على هذه العلامة، مروية عن الأمامين الباقر والصادق عليهما السلام أما الإمام الباقر (ع) فعصره سابق على عصر العلوي الثائر. وأما الإمام الصادق (ع) فهو معاصر للمصور العباسي وللنفس الركبة الثائر. وكان عليه السلام يعني لعن الله من الحس - والد النفس الركبة - بحاح ثورته وثورة ولديه، ويقطع أمله في سبل الخلافة، ويقول له: «إن هذا الأمر، والله ليس إليك ولا إلى أبيك، وإنما هو هذا - يعني السعاح - ثم هذا - يعني المصور - ثم تولده من بعده، لا يزال فيهم حتى يؤمروا الصبيان ويشاوروا النساء.

«فقال عند الله - والله يا جعفر، ما أطلعك الله على عية، وما قلت هذا إلا حسداً لا بى. فقال: لا والله، ما حسدت لك. وإن هذا - يعني المصور - يقتله على أحجار الریت، ثم يقتل أحياه بعده بالطموف، وقوائم قرسه في الماء»<sup>(١)</sup>

(١) مقتل الطالبي، ص ١٨٩

وعلى أي حال، وليس هناك أي دليل على صدور مثل هذه الروايات بعد هذا  
الناثر العلوي. إن لم يكن المظنون خلافه.

### القرينة الثالثة:

إن هذا الناثر العلوي لم يكن ركبياً محضاً، إذن، فلا بد أن تتوقع مقتل  
مخلص محض بعد ذلك، غير هذا الناثر.

والدليل على انحراجه ادعاؤه المهدوية، فيما بروي عنه في مقاتل الطالبين  
وقد قدمه أبوه على أنه هو المهدي، بعد روال الدولة الأموية وقتل تأسيس الدولة  
العباسية، فثلاً في حطه له في بني هاشم<sup>(١)</sup> «وقد علمتم أن لم يزل سمع أن  
هؤلاء القوم إذا قتل بعضهم بعضاً حرج الأمر من أيديهم فقد قتلوا  
صاحبهم - يعني الوليد بن يزيد - فهم سابع محمد، فقد علمتم أنه المهدي

فقال له الامام الصادق (ع) «أب والله، ما هي البيث ولا إلى بيت، ولكنك  
لهؤلاء، وإن ابنك لمقتولاً»<sup>(٢)</sup>.

وكن محمد بن عبد الله بن الحسن، مد كان صبياً، يتوارى ويراسل الناس  
بالدعوة إلى نفسه، ويسمى بالمهدي<sup>(٣)</sup>

ولسا يريد أن يدخل في مناقشة ذلك، وبكفا اليقين بأنه قتل قبل أن يملك  
العالم، وهو دليل كاف على كذب المدعي، كما قلنا ولكن المقصود أنه على هذا  
المسلك لا يكون ركبياً بل كدماً محرجاً إذن فلا بد أن تتوقع مقتل شخص آخر  
يكون ركبياً محضاً غير هذا الناثر.

والالتزام بانحراف هذا الناثر، لو صح هذا العمل التاريخي، أمر لا ماص  
منه ولكنه لا يعني كونه هو المقصود بالنبؤ، في علامات الطهور

وأما تسميته بالنفس الركية، فقد سماه بذلك من كان يعتقد بكونه ركباً، حتى  
اشتهر به، وقد استعمل لقبه في الروايات طبقاً لشهرته

(١) المصدر، ص ١٨٨

(٢) المصدر، ص ١٨٩

(٣) المصدر، ص ١٧٧

## القرينة الرابعة :

تقدم مقتل هذا الثائر العلوي على ولادة المهدي المنتظر عنه السلام ومعه لا يصح جعله علامة على ظهوره ومعه لا بد أن نتظر مقتل شخص آخر يسمى أو يوصف بالنفس الزكية .

إلا أن هذه القرينة لا تصح، لوصوح إمكان جعل العلامة سابقة على ولادة المهدي (ع) بعد أن كان التخطيط الإلهي لليوم الموعود، لا يبدأ بدء الإسلام محسب، بل بدء الشرية من أولها إذن فكل الارهاصات تشر إليه وقد سمعنا جعل هلاك الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية وحروج الرايات السود من العلامات وكل ذلك مما حدث قبل ولادة المهدي عليه السلام

القرينة الخامسة :

إن التبؤ بمقتل النفس الزكية جاء في الروايات، مقترناً أو متأخراً عن بعض ما يعلم بعدم حدوثه إلى الآن إذن فيكون مقتضى الفهم العام من السياق أنه أيضاً لم يتحقق إلى الآن ومعه يتبين أن لا يكون مشراً به إلى قتل ذلك الثائر العلوي، بل إلى مقتل رجل آخر، يقتل في مستقبل الدهر

فمن ذلك رواية الخمس علامات، كقول الإمام الصادق عليه السلام: «للقائم خمس علامات، السعياي واليماني والصبيحة من السماء، وقتل النفس الزكية والخسف بالبداء»<sup>(١)</sup> ورواية تعداد الأمور المحتومة كقوله عليه السلام: «الداء من المحتوم والسعياي من المحتوم واليماني من المحتوم وقتل النفس الزكية من المحتوم... الحديث»<sup>(٢)</sup>.

ومن المعلوم أن خروج السعياي واليماني والصبيحة مما لم يحدث، إذن فقتل النفس الزكية، مما لم يحدث أيضاً.

وهذا الكلام غير صحيح، فإن ما يقتضيه السياق هو عدم حدوث كل هذه الأمور عند صدور الرواية وهذا صحيح. ثم أن بعضها يسرع بالحدوث وبعضها

(١) غيبة النعماني، ص ١٣٣

(٢) المصدر، ص ١٣٤

يتأخر وهذا لا ربط له بظهور الكلام وصياقه. وبخاصة ان العطف في الرواية بين العلامات بالواو، وهي ليست دالة على الترتيب، مثل «أو» أو «ثم»، كما يوصى المحقق

### القرينة السادسة:

ما سبق أن سمعناه من الخبر القائل: «ليس بين قيام القائم وبين قتل النفس الزكية إلا خمس عشرة ليلة». وحيث نعلم بالقطع واليقين تأخر الظهور عن مقتل ذلك الثائر العلوي لا بخمس عشرة ليلة، بل بأكثر من ألف عام إذن فيتعين أن لا يكون التسوُّ منصفاً على ذلك، بل على مقتل رجل آخر

إلا أن هذه القرينة غير صحيحة، فإن هذا الخبر وإن تعدد في المصادر، فقد رواه المعيد في الارشاد والشبح في العيبة والصدوق في إكمال الدين وغيرهم إلا أن ذلك يعود إلى راو واحد. فإنه مروي عن ثعلبة عن شعيب عن صالح. وقد وصف ثعلبة في الارشاد والاكمال باسم ميمون ووصف شعيب في العيبة والارشاد بالحداد، ووصف في الاكمال بالحداء ووصف صالح في الارشاد بابن ميثم وفي الاكمال بابن مولى بني العتراء.

وعلى أي حال، فإن هذا الخبر على أحسن تقدير حبر واحد، وقد رفضنا التمسك بمثله في تشددنا لندي.

إذن قدم يثبت في هذه الفكرة وهي أن النفس الزكية الموعود ليس هو النفس الزكية الثائر العلوي بل يبقى ذلك محتملاً على أي حال، وسدكر في المستوى الثاني مشتاتة والفراش الدالة على صحته.

### المستوى الثاني:

فما يدل من القرائن على ثبوت هذا الانطافئ وإن التسوُّ منصوب عن ثورة ذلك العلوي، ليس إلا.

فمن ذلك ما رواه الاصبهاني في المقاتل<sup>(١)</sup> بسنده عن محمد بن علي - الباقر عليه السلام - عن ابيه، قال: «النفس من ولد الحسن»

(١) من ١٨٤



وهذا الحديث واضح الدلالة في الإشارة إلى النفس الركبة المعهود التسوية بها في الأحبار. وهو لم يطق إلا على هذا التأثير العلوي، بل قد قيل فيه حصيصاً، كما هو ظاهره حيث أوردته الأصمهباني في ترجمته.

ومن ذلك ما رواه أيضاً<sup>(١)</sup> بسند إلى عبد الله بن موسى: «إن جماعة من علماء أهل المدينة أنوا علياً بن الحسن، فذكروا له هذا الأمر - يعني المطالبة بالحكم - فقال - محمد بن عبد الله أولى بهذا مني. فذكر حديثاً طويلاً قال - ثم أوقفني على أحجار الرث فقال - ههنا تقتل النفس الركبة قال فرأته في ذلك الموضع المشار إليه مقتولاً»

وما رواه أيضاً بسنده عن مسلم بن بشر، قال: «كنت مع محمد بن عبد الله، عبد عاثم حرم فقال لي ها هنا تقتل النفس الركبة - أقول يعني نفسه - . قال: فقتل هناك».

ومن النفس الركبة ليست إلا ذلك التأثير العلوي، ولعمري أنها علامة مهمة وملعة للخطر، حيث انسمت ثورته، حتى حاف منها المصور، كما يتضح لمن راجع المقاتل ولا نريد أن ندخل في تفاصيله.

#### النقطة الثالثة: ظهور الدجال:

وقد احتضت به المصادر العامة تقريباً، وليس في المصادر الامامية إلا النزر القليل. وأما في مصادر العامة فالأخبار عنه وعن صفاته أكثر من أن نحصى، وقد بسط إليه كثيراً من الصرائف، لا بد من تحصيلها بعض النطر عن بعضها على الرمر - وهو ما ستكلم عنه فيما بعد - ليرى ما يتم منها، وما لا يتم. وشكلم عن ذلك ضمن أمور

#### الأمر الأول:

مقتضى الفواعد العامة التي عرفناها، لزوم الاعتراف بحروح الدجال، احتمالاً لأن الأخبار الدالة على وجوده بالغة حد التواتر القطعي بلا شك لكن صفاته وتفاصيل حصائصه لا تثبت، لأنها واردة - في أغلب - في أخبار آحاد لا

(١) المصدر والصحة

يمكن بالتشدد السني الأخذ بها. ومعه يكون هالك محال كبير في حمله وحمل عدد من صفاته على الرمز، على ما سوف يأتي.

الأمر الثاني:

فما أخرجته المصادر العامة من صفاته.

وحسب مكتمي بما أخرجهم الصحيحان توجيهاً للاختصار، ما لم تدع حاجة خاصة إلى التوسع.

أولاً: أن النبي (ص) حذر أمته منه

أخرج البخاري<sup>(١)</sup> عن أس قال: قال (ص) ما بعث بي إلا أندأ أمته الأعور والكذاب. إلا أنه أعور وإن ركم ليس بأعور. وأخرج مسلم<sup>(٢)</sup> نحوه.

ثانياً: أن النبي (ص) استعاذ من فتته:

أخرج البخاري<sup>(٣)</sup> عن عائشة رضي الله عنها، قالت. سمعت رسول الله (ص) يستعيد في صلاته من فتة الدجال

ثالثاً: أنه كافر.

أخرج البخاري<sup>(٤)</sup> في الحديث السابق عن أس. «وأن بين عينيه مكتوب: كافر» وأخرج مسلم<sup>(٥)</sup> في حديث: «مكتوب بين عيه: كافر. يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب».

رابعاً: أنه يدعي الربوبية.

أخرج ابن ماجة<sup>(٦)</sup> عن رسول الله (ص) في صفة الدجال وفيه يقول «انه يقول أنا ربكم»

---

(١) ج ٩، ص ٧٥ - ٧٦

(٢) ج ٨، ص ١٩٥

(٣) ج ٩، ص ٧٥

(٤) المصدر، ص ٧٦

(٥) ج ٨، ص ١٩٥

(٦) ج ٢، ص ١٣٦٠

وهيأ أخرجہ الصدوق من خبر الدجال<sup>(١)</sup> ما يدل على ذلك

إذ يقول عن الدجال انه «يأتي بأعلى صوته يسمع ما بين الخافقين من الجن والانس والشياطين. يقول «إليّ أوليائي، أنا الذي خلق عسوى وقدر مهدى، أنا ربكم الأعلى»

وقد بوقشت دعواه هذه في الأخبار بعدة وجوه:

#### الوجه الأول:

قول النبي (ص) - فيما روى ابن ماجه - : «ولا ترون ربكم حتى تموتوا». والمراد الاستدلال برؤيته في الحياة على عدم كونه إلهاً، لأن الله تعالى لا يرى

#### الوجه الثاني:

قول النبي (ص) فيما سمعناه: «أنه مكتوب بين عييه كافر يقرؤه كاتب وغير كاتب».

#### الوجه الثالث:

«أنه يطعم الطعام ويمشي في الأسواق وإن ربكم لا يطعم الطعام ولا يمشي في الأسواق ولا يروى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»<sup>(٢)</sup>.

#### الوجه الرابع:

«أنه أعور. وأن الله ليس بأعور».

وقد أخرج الشيخان ذلك، وهو مما يزيد فكرة دعواه للربوبية، بالرغم من أنها لم يخرجها ما يدل عليها صريحاً. إذ لا تصلح هذه الأخبار إلا لمناقشة هذه الدعوى، وإلا كان التأكيد على كونه أعور، أمراً مستأنفاً

أخرج البخاري<sup>(٣)</sup> عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال «قام رسول الله (ص) في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال اي

(١) انظر المصدر المخطوط

(٢) انظر اكتمال الدين المخطوط

(٣) ج ٩، ص ٧٥

لأندركموه وما من شيء إلا وقد أندركموه ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله شيء لقومه. إنه أعور، وإن الله ليس بأعور».

وأخرج في حديث آخر<sup>(١)</sup> عن صفته أنه: «رجل جسيم أهر جعل الرأس أعور العين كأن عينه عتبة طافية».

وأخرج مسلم<sup>(٢)</sup> في حديث: «إلا أنه أعور وإن ريكم ليس بأعور» وفي حديث آخر «الدحال أعور العين اليسرى» وفي حديثين آخرين «أنه مسح العين».

ونجد هذا المصمون في سائر الصحاح وفي مسند أحمد ومستدرک لحاكم وغيرها، بشكل مستفيض.

خامساً: طول عمره.

وهو لما لم ينص عليه الشيوخ في صحيحها صراحة وقد أخرج مسلم ما يدل على ذلك بغير الصراحة. وهو أمران:

#### الأمر الأول:

حديث الحساسة<sup>(٣)</sup> الذي يقول فيه الدحال عن نفسه «أن المسيح وبى أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها». إلخ. وحيث نعلم أن الدحال لم يؤذن له بالخروج إلى حد الآن، إذن فهو لا زال ناقياً إلى حد الآن، وسبقني إلى حين يؤذن له بالخروج.

#### الأمر الثاني:

أحذر ابن صياد التي تدل حلة منها أنه كان معاصراً للمسيح (ص) ولم يؤمن به.

كالتحيز الذي أخرجه مسلم<sup>(٤)</sup> عن عبد الله قال: «كنا مع رسول الله (ص) فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد، فصر الصبيان وحلّس ابن صياد. فكان رسول

(١) المصدر والصفحة

(٢) ج ٨، ص ١٩٥ وكذلك ما بعده من الأخبار

(٣) المصدر، ص ٢٠٥

(٤) نفس المصدر، ص ١٨٩

الله (ص) كره ذلك. فقال له النبي (ص) ترمت يداك أتشهد أبي رسول الله؟ فقال: لا بل تشهد أبي رسول الله فقال عمر بن الخطاب: ذرتي يا رسول الله حتى أقتله. فقال رسول الله (ص): إن يكن الذي ترى فلي تستطيع قتله. وفي حديث آخر<sup>(١)</sup>: «إن رسول الله (ص) قال: أن يكنه فلي تسلط عليه وإن لم يكنه، فلا حير لك في قتله».

ومن الواضح دلالة مثل هذا القول على وجود غرض إلهي في حفظ حياته، والتمع عن قتله، ليكون هو دجال المستقبل!!.

وبعض الأحبار التي أخرجها مسلم<sup>(٢)</sup> تدل على تكذيب ابن صياد نفسه للشائعة التي تقول أنه الدجال... وقد سبق أن روي بعضها.

سابقاً قتله للمؤمن وأحيأوه له وقد حَرَّج الشيطان ذلك، وقد سبق أن نقلناه وناقشناه.

سابقاً: «إن معه ماء وناراً».

فمن ذلك ما أخرجه البخاري<sup>(٣)</sup> عن النبي (ص) أنه قال في الدجال: «أن معه ماء وناراً، فناره ماء بارد وماءؤه نار».

وأخرج مسلم<sup>(٤)</sup>: «إن الدجال يجرح وإن معه ماء وناراً. فأما الذي يراه الناس منه فأن تحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب. فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً، فإنه ماء عذب طيب».

وأخرج في حديث آخر «أنه يجيء معه مثل الحنة والنار، فإني يقول أنها الجنة هي النار».

ثامناً «اختلاف نظام الزمان في عهده» وقد سبق أن رويناه وناقشناه.

وتاسعاً: «أنه أهون على الله من ذلك».

(١) المصدر والصفحة

(٢) مصدر، ص ١٩٠ - ١٩١

(٣) ج ٩، ص ٧٥

(٤) ج ٨، ص ١٩٩، وكذلك الحديث الذي بعده

وظاهره نهي أن يكون معه جبل حيز وسر ماء . وقد سبق أن روياه عن كلا الصحيحين

عاشراً : ما رواه ابن ماجه<sup>(١)</sup> : «إن من فتنه أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ، ويأمر الأرض أن تست قست وإن من فتنه أن يمر بالحي فيكذبونه ، فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت وإن من فتنه أن يمر بالحي فيصدقونه ، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تست قست ، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمدّه حواصراً وأدّره ضرراً . وأنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطه وظهر عليه ، إلا مكة والمدينة . . . الحديث .

حادّي عشر : «أنه ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال» . أخرجه مسلم . وفي حديث آخر أنه قال : «أمر أكبر من الدجال»<sup>(٢)</sup> .

ثاني عشر : «أنه يقتله المسيح عيسى بن مريم عند برونه»

وقد أخرج مسلم أكثر من حديث ذال عل ذلك فمن ذلك<sup>(٣)</sup> قوله (ص) عن الدجال : «بينما هو كذلك ، إذ بعث الله المسيح بن مريم ، فيرسل عند المارة البيضاء شرقي دمشق ، بين مهودتين فيطلبه حتى يدركه ساب لَد فيقتله» .

وفي حديث آخر قال رسول الله (ص) : «يخرج الدجال في أمّني أربعين . . . فيبعث الله عيسى بن مريم ، كأنه عروة من مسعود ، فيطلبه ، فيهلكه»

فهذه هي المهم من صفات الدجال في المصادر العامة الأساسية

الأمر الثالث : في تحييص هذه الصفات .

لا شك أنه بغض النظر عن فهم رمزي شامل لهذه الأحبار ، لا يصح شيء من هذه الصفات تقريباً .

إبنا إذاً أحدياً بالتشديد السني ، فالأمر واضح ، لأن هذه الأحبار - في غالبها - آحاد لا يمكن الاعتماد عليها .

(١) - ٢ ، من ١٣٦٠ وما بعدها

(٢) كلاماً في ج ٨ ، ص ٢٠٧

(٣) انظر ج ٨ ، ص ١٩٨

وإن عصصا النظر عن التشدد، يرى أن هذه المصاميم اعجابية المحتوى  
مسوبة إلى الدجال وهو من أشد الناس كهراً وطغياناً. وقد سبق أن بيانا عدم  
إمكان ذلك

ولعمري، أن كلنا نقطعي الصعف هاتين صعف السند وإيجاد المعجرات  
المحرفة، مستوعتان للأعم الأغلب من هذه الصفات، ما عدا صفات طعيمة  
ككوبه أعور العيبين! فإنه مستعصم النقل في الأحبار

ومعه يدور الأمر بين شيئين لا ثالث لهما، فإما أن يرفض هذه الأحبار تماماً.  
وأما أن نحملها على معنى رمزي يخالف لظاهرها ومن الواضح رجحان الحمل  
على المعنى الرمزي على الرفض التام وخاصة وأن مجموع هذه الأحبار موافق عن  
النبي (ص)، ولا نحتمل فيه - وهو القائد الرائد للأمة الإسلامية - أن يربي الأمة  
على مثل هذه العجائب والسماسف فيتعين أن يكون المراد الحقيقي معان  
اجتماعية حقيقية واسعة، عمر عنها النبي (ص) تمثل هذه التدابير طبقاً لقانون  
حدث الناس على قدر عقولهم آخذاً المستوى المكري والثقافي لعصره سطر  
الاعتبار ومن هنا ينصح باب الأطروحة الثانية لمهم الدجال. وهي التي ستعرض  
ها في الساحة الثانية الآتية

وعلى كل حال، سواء رفضنا هذه الأحبار، أو حملناها على غير ظاهرها، فإن  
المفهوم - على كلا التقديرين - أن وجود الدجال أمر محق، ولكنه ليس رجلاً معيماً  
متصفاً بهذه الصفات التي يدل عليها ظاهر هذه الأحبار ولم يتحقق ذلك فيما  
سبق، ولم يتحقق في المستقبل وإنما هو عبارة عن طوهر اجتماعية عمالية كافرة،  
سيأتي التعرض لها إن شاء الله تعالى.

#### النقطة الرابعة: ظهور السفيناي:

وقد احتضنت به المصادر الامامية، وليس له في المصادر الأولى للعامة أي  
أثر ولعل فيه تعويضاً عن فكرة الدجال الذي احتضن به العامة أو كادوا،  
لمبررات معينة سنأتي الإشارة إليها.

والأحبار عنه في المصادر الامامية، وإن كانت كثيرة، إلا أنها لا تلغ بأي حال  
مقدار أبحار الدجال التي جعلت بها المصادر العامة كما أنها حالية عن مسمة الأمور  
الاعمارية إلى السفيناي، على ما سنعرف وبذلك ندفع لاعتراض المهم الذي

كان وارداً على أحرار الدجال، من حيث عدم إمكان صدور المعجزة من أصحاب  
العمل والمسحوقين.

وتتم بإصاح فكرة السفياني ضمن أمور:

الأمر الأول. في الأخبار الدالة على وجوده وصفاته.

أولاً في تسميته وإثبات أصل وجوده.

أخرج الشيخ في عيته<sup>(١)</sup> عن أبي عبد الله الصادق (ع)، أن أبا جعفر  
الناقر (ع) كان يقول: «حروح السفياني من المحتوم» وفي خبر آخر<sup>(٢)</sup> عن أمير  
المؤمنين (ع) قال: «قال رسول الله (ص). عشر قبل الساعة لا بد منها.  
السفياني... الحديث.

وأخرج الصدوق في الاكمال نحواً من هذا الأخير<sup>(٣)</sup> وفي خبر آخر عن أبي  
عبد الله (ع) قال: «إن أمر السفياني من المحتوم» وفي خبر آخر عنه (ع). «قبل  
قيام القائم خمس علامات محتومات. اليماني والسفياني... الحديث.

وأخرج النعماني في عيته<sup>(٤)</sup> عن أبي عبد الله (ع) أنه قال «للقائم خمس  
علامات: السفياني... الحديث.

وأخرج<sup>(٥)</sup> أيضاً عنه عليه السلام، قال الراوي: قلت له: ما من علامة بين  
يدي هذا الأمر. فقال: بل قلت وما هي؟ قال. هلاك العباسي وحروح  
السفياني. ... الحديث.

وفي خبر آخر<sup>(٦)</sup> عنه عليه السلام في تعداد علائم الظهور، قال: «إد احتف  
ولد العباس. وطهر السفياني. ... الحديث.

وفي البيان الذي حتمت به العبة الصعري، وهو ما أخرجه السعري عن

---

(١) المصدر والصحة

(٢) انظر المصدر المخطوط

(٣) المصدر، ص ٢٦٧

(٤) انظر ص ١٣٣

(٥) المصدر، ص ١٣٩

(٦) المصدر والصحة



الامام المهدي (ع) يقول فيه<sup>(١)</sup>. «من ادعى المشاهدة قبل خروج السفينتين والصبيحة، فهو كذاب مقتر». .

إلى غير ذلك من الأخبار. . وهي بمقدار تكفي للاثبات التاريخي، ومعه لا بد من الالتزام بوجود السفينتين في الجملة.  
ثانياً: اسمه ونسبه .

في خبر<sup>(٢)</sup> عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال: «يخرج ابن آكلة الأكباد عن الوادي الياس. إلى أن قال: اسمه عثمان وأبوه عنسة وهو من ولد أبي سفين».

وأخرج الشيخ<sup>(٣)</sup> عن علي بن الحسين عليه السلام في حديث. قال: «ثم يخرج السفينتين الملعون من الوادي الياس، وهو من ولد عنسة بن أبي سفين».

ثالثاً: زمان خروجه على وجه الاجمال.

أخرج الشيخ<sup>(٤)</sup> عن أبي عبد الله (ع) قال: «يخرج الثلاثة . الخراساني والسفيني واليماني، في سنة واحدة في شهر واحد، في يوم واحد. . . الحديث.

وأخرج الصدوق<sup>(٥)</sup> في إكمال الدين عنه عليه السلام، قال: «إن أمر السفينتين من المحتوم وخروجه في رجب».

رابعاً: مكان خروجه:

أخرج الصدوق<sup>(٦)</sup> عن أبي منصور المجلي، قال. «سألت أبا عبد الله (ع) عن اسم السفينتين، فقال: «وما تصنع باسمه، إذا ملك بكور الشام الخمس. دمشق وحمص وفلسطين والأردن وقنسرين، فتوقعوا الفرج. قلت. يملك تسعة أشهر؟ قال لا. ولكن يملك ثمانية أشهر لا يزيد يوماً».

(١) الاحجاج، ج ٢، ص ٧

(٢) انظر مسند الاثر، ص ٤٥٧ من إكمال الدين

(٣) نظرية الشيخ، ص ٢٧٠

(٤) المصدر، ص ٢٧١

(٥) انظر المصدر المخطوط.

(٦) المصدر المخطوط

وأخرج النعماني<sup>(١)</sup> عن أبي جعفر محمد بن علي (ع) في حديث طويل يقول فيه: «لا بد لبني فلان<sup>(٢)</sup> من أن يملكوا، فإذا ملكوا، ثم احتلوا تفرق ملكهم ونشئت أمرهم، حتى يخرج عليهم الخراساني والسفياي، هذا من المشرق وهذا من المغرب، يستقلان إلى الكوفة كفرنسي رهاق هذا من هنا، وهذا من هنا، حتى يكون هلاك بني فلان على أيديهما. أما أهم لا يقون منهم أحداً».

ثم قال: «خروج السفياي واليماني والخراساني في سنة واحدة. في شهر واحد، نظام كنظام الخرز، يتبع بعضه بعضاً... الخ». الحديث.

وأخرج أيضاً<sup>(٣)</sup> عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال: «لا بد أن يملك بنو العباس. فإذا ملكوا واحتلوا ونشئت أمرهم، خرج عليهم الخراساني والسفياي، هذا من المشرق وهذا من المغرب يستقلان إلى الكوفة كفرنسي رهاق، هذا من هنا وهذا من هناك، حتى يكون هلاكهم على أيديهما. أما أهم لا يقون منهم أحداً أبداً».

خامساً: عقيدته:

يظهر من بعض الأحاديث أنه مسيحي، أو من صائغ المسيحيين كالخبر الذي أخرجه الشيخ في العيبة<sup>(٤)</sup>. قال «يقول السفياي من بلاد الروم متصراً في عنقه صليب، وهو صاحب القوم».

ويظهر من بعض الأحاديث أنه من المسلمين المحرفين المعصيين لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. كالذي أخرجه الشيخ<sup>(٥)</sup> عن أبي عبد الله (ع) قال «كأنني بالسفياي - أو لصاحب السفياي - قد طرح رجله في رحبتكم بالكوفة، فتنادى مباديه: من جاء برأس شيعة علي فله ألف درهم. فيشب الحار على جاره

(١) النظر في النعماني، ص ١٣٥

(٢) يعني بني العباس

(٣) المصدر السابق، ص ١٣٧

(٤) ص ٢٧٨

(٥) نفس المصدر، ص ٢٧٣

ويقول هذا منهم. فيضرب عنقه ويأخذ ألف درهم أما أن إمارتكم يومئذ لا تكون إلا لأولاد البغايا... الحديث

سادساً. إن الجيش الذي يخسف به في البداء هو جيش السفياي نفسه:

فمن ذلك ما أخرجه النعماني<sup>(١)</sup> يستند إلى الامام أبي جعفر الناصر عليه السلام، أنه قال في حديث ذكر فيه السفياي. «ويبعث السفياي بعثاً إلى المدينة فيهدي المهدي منها إلى مكة. فيبلغ أمير جيش السفياي أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً على أثره، فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفاً يترقب على ستة موسى بن عمران. قال: ويرسل أمير جيش السفياي البداء، فيبادي صناد من السماء. يا بيداء أيبدي القوم، فيخسفهم. فلا يعلت منهم إلا ثلاثة... الحديث.

ومن ذلك ما رواه في متحجب الأثر<sup>(٢)</sup> عن يابيع المودة مروياً عن علي كرم الله وجهه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِد فزعوا أفلا فوت﴾. قال: «فبيل قائما المهدي يخرج السفياي فيملك قدر حمل امرأة تسعة أشهر. وبأي المدينة جيشه حتى إذا انتهى إلى البداء خسف الله به».

وما رواه أيضاً<sup>(٣)</sup> عن البرهان في علامات مهدي آخر الزمان مروياً عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قال: «السفياي من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان. إلى أن قال: ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرم فيبلغ السفياي، فيبعث إليه حداً من جنده، فيهرمهم. فيسير إليه السفياي من معه. حتى إذا جاوزوا بيداء من الأرض حسف بهم، فلا يجو منهم إلا المحبر عنهم» إلى غير ذلك من الأخبار.

فإن صحت هذه الأخبار، كانت كل الأخبار التي تتحدث عن الجيش الذي يخسف به في البداء، والتي هي مستحصصة بين المريقيين، كانت دالة على بعض أعمال السفياي. وبخاصة وقد سمعنا من الأخبار التي أخرجتها صحاح العامة من

(١) انظر النعماني، ص ١٤٩ وما يعلها

(٢) ص ٤٥٤

(٣) نفس المصدر، ص ٤٥٨

ذلك: إن الخسف يكون بسبب تهديد الجيش لعائذ يعود بالبيت الحرام أو قوم لا عدة لهم يعودون به. وما نحن سماع هذه الأحبار تفسر هذا العائد وهؤلاء القوم بالمهدي (ع) وأصحابه. وهو مطلب واضح لا عار عليه، إذ من يمكن أن يستحق هذا الدفاع الإلهي عنه غيره عليه السلام.

إلا أن صعوبة واحدة تبقى، وهي أن هذه الأحبار الأخيرة، هل هي قبلة للإثبات التاريخي مع التشدد السني أو لا. ومهما كان الجواب، فالأمر موافق مع الاعتبار كما رأينا.

فهذه هي أهم الأوصاف التي ذكرت للسعياني في المصادر الإمامية ولا شك أن أكثرها لا يمكن إثباته تاريخياً بعد التشدد السني

نعم، بعد حل حملة منها على الرمية، من أجل أن تربط بالمصموم العام لمصر التمهيد والامتناع. . يكون مصموم أكثرها صحيحاً عن ما سرى.

### الأمر الثاني:

في تمحيص دلالة هذه الأحبار بوجه عام، مع عص النظر عن التشدد السني والحمل الرمي.

فإن في هذه الأحبار عدة نقاط ضعف، مما يصعب احتمال صدورها عن المعصومين عليهم السلام، ومن ثم إمكان الأحاد سها بصفتها صالحة للإثبات التاريخي.

### النقطة الأولى.

انتهاقت من ناحية مدة ملك السعياني إذ سمع من أحد الأحبار أنه بمقدار حل امرأة تسعة أشهر ومن حبر آخر نفى ذلك صراحة، وأنه لا يملك أكثر من ثمانية أشهر.

### النقطة الثانية.

إذ من هذه الأحبار ما يدل على أن حركة السعياني مشاركة في روال ملك بني العباس، مع حركة الخراساني. وهذا يعني أنها قد حدثت وانتهت لأن ملك العباسيين قد زال منذ أمد بعيد.

ولكن ينافي ذلك دلالة الأخرى على ارتباط حركة السفياي بالخسف، فإن الخسف مما لم يحدث بعد قطعاً إلى حد الآن. ومعه يكون السفياي متأخراً عن دولة العباسيين بدهر طويل، بحيث لا يمكن الارتباط بهم بأي شكل من الأشكال.

### النقطة الثالثة

أنه دلت بعض هذه الأحبار على أن زوال ملك بني العباس نتيجة لحركتين مصادتين متعاصرتين هما حركة الخراساني وحركة السفياي ولم يعرف شيء من ذلك في التاريخ وإنما العزو المغولي هو الذي استأصلهم وأزال دولتهم، وبقي بعدهم منفرداً بالحكم مدة من الزمن، ولا يعرف له قرين آخر في المطقة.

### النقطة الرابعة

التهمات في تعيين عقيدته كما سمعنا. وأنه هل هو من المسيحيين أو من المسلمين المنحرفين.

وقد يحظر في الدهر أن الخبر الثاني الذي رويناه في عقيدته، لم يدل على أنه من المسلمين وإنما دل على مطاردته لشبهة علي عليه السلام فلعله مسيحي يعمل ذلك إذن فلا تنافي بين الخبرين.

إلا أن هذا لا يصح، لأكثر من جواب. أولاً. أن المسيحي مهما كان شديداً صد المسلمين، من العبد جداً أن يخصص عداوته بشبهة علي دون غيرهم وإنما هذا من عمل المسلمين المنحرفين عادة وثانياً. أن الخبر الأول الدال على كونه مسيحياً، غير قابل للثبات التاريخي، على كل تقدير، لأنه ليس مروياً عن معصوم، فإن الشيخ أخرجه بسنده عن بشر بن غالب قال: «يقول السفياي الحج وليس فيه دلالة على أنه مروي عن أحد المعصومين عليهم السلام».

### الأمر الثالث:

وقد يحظر في الدهر اتحاد شخصي الدحال والسفياي في رجل واحد وخاصة بعد التشدد السدي الذي اتخذناه، وإسقاط تفاصيل أوصافهما عن الاعتبار. ولا يبقى من المتيقن إلا أن كلا الاسمين عنوان لرجل منحرف خارج على تعاليم الاسلام ومفسد في مجتمع المسلمين، ففي الامكان انطباقهما على رجل واحد وحركة واحدة.

ومما يؤيد ذلك ما عرفناه، من أن التعبير بالدجال هو المتخذ في المصادر العامة عادة، والتعبير بالسفياي هو المتخذ في مصادر الامامية، ففي الامكان افترض أن يكون التعبيران معاً عن رجل واحد، نظر إليه أصحاب كل مذهب من زوايتهم المذهبية الخاصة.

إلا أن هذا لا يكاد يصح، لا على المستوى الرمزي ولا على المستوى الظاهر أما على المستوى الرمزي، فالأمر واضح، لأن الدجال يمثل حركة الانحراف عن الاسلام أساساً أو الكفر الصريح، بسبب الشهوات واتاع المصالح الخاصة والسفياي يمثل حركة القلاقل والشهات في داخل نطاق المجتمع المسلم على ما سنوضح فيما يأتي. ومن المعلوم أن هاتين الحركتين مستقلتان لا اتحاد بينهما على المستوى العام، وإن اتفقتا في بعض النتائج ضد الاسلام وأما على مستوى الأحذ بالظاهر، فواضح أيضاً على مستويين:

#### المستوى الأول:

فما إذا أخذنا بالتشدد السدي ورفضنا الأخذ بالصعات المسوبة إلى هذين الشخصين، فإنه يكفينا ظهور الاسمين في تعدد المسمين، وإن جهلنا بصفاتها إذ لو كانا شخصاً واحداً لغير عنه في الأخبار بتعبير واحد

#### المستوى الثاني:

فما إذا لم نأخذ بالتشدد السدي، وأخذنا بالصعات المسوبة إليهما، فيكون الفرق بينهما أوضح وأصرح، والتعدد آين.

وأهم الفرق بينهما في حدود ما أعطته الأخبار التي سمعناها، ما يلي:

أولاً. إن الدجال يمتصر فيه طول العمر، دون السفياي

ثانياً. إن الدجال يدعى بابن صائد، والسفياي يدعى عثمان بن عيسى.

ثالثاً. إن السفياي من أولاد أبي سميان، دون الدجال

رابعاً. إن الدجال يدعى الربوية، دون السفياي

خامساً. إن الدجال كافر. وأما السفياي فلا نص في الأخبار يدل على ذلك،

إن لم يكن الظاهر كونه مسلماً.

سادساً: إن الدجال يملك كل قرية وسط كل وادي، ما عدا مكة والمدينة  
 وظاهر ذلك أن حركته أوسع من حركة السعياي على سعتها  
 سابعاً: إن الدجال أعور العينين. وأما السعياي فهو ذو عيين سليمين  
 وهذه العروق، يمكن أن تكون في عالها فرقاً بين الحركتين على المستوى  
 الرمزي الذي أشرنا إليه.  
 النقطة الخامسة. ظهور اليماني.

وقد احتضت به أيضاً المصادر الامامية، ووصفت حركته بأنها حق .  
 باعتبار كونه داعياً إلى المهدي عليه السلام  
 روى العماني<sup>(١)</sup> عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «للقائم خمس  
 علامات. السعياي واليماني» «الحديث»  
 وفي رواية أخرى عنه (ع)<sup>(٢)</sup> في تعداد أمور محتومة، قال واليماني من  
 المحتوم.  
 وروى أيضاً<sup>(٣)</sup> عن الامام الرضا (ع) أنه قال. «قل هذا الأمر السعياي  
 واليماني...» الحديث.  
 وفي رواية أخرى<sup>(٤)</sup> عن أبي جعفر محمد بن علي (ع) في رواية طويلة ذكر فيها  
 راية السعياي والخراساني، ثم قال «وليس في الرايات راية اهدي من راية  
 اليماني. هي راية هدى، لأنه يدعو إلى صاحبكم، وإذا حرق اليماني حرّم بيع  
 السلاح على الناس وكلهم مسلم. وإذا حرق اليماني فاهض إليه، فإن رايته راية  
 هدى، ولا يحمل لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك، فهو من أهل النار، لأنه  
 يذهب إلى الحق، وإلى طريق مستقيم».

(١) الغيبة، ص ١٣٣

(٢) المصدر، ص ١٣٤

(٣) المصدر والصحة

(٤) المصدر، ص ١٣٥

وأخرج الشيخ<sup>(١)</sup> عن أبي عبد الله عليه السلام، حديث الخمس علامات،  
وعد منها خروج اليماني

وفي رواية أخرى<sup>(٢)</sup> عن أبي عبد الله (ع) قال: «خروج الثلاثة. الخراساني  
والسفياني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، وليس فيها راية  
بأهدى من راية اليماني، يهدي إلى الحق»

وفي رواية أخرى<sup>(٣)</sup> عن محمد بن مسلم قال: «يخرج قبل السفياني مصري  
ويدي»

إلى غير ذلك من الروايات في مختلف المصادر الامامية. وهي مستعيسة  
تقريباً، وصالحة للاثبات التاريخي بالرغم من التشدد السدي الذي اتخذه، إذ  
ليس في مقابلة قرية نافية إلا أن ما يشت بها هو حركة اليماني في الحملة، وأما  
سائر الصفات، بما فيها كونه على حق، فهو بما لا يكاد يشت بالتشدد السدي

هذا تم ذلك، أمكن حمله على بعض الحركات التي حدثت في اليمن. فيكون  
من العلامات التي حدثت في التاريخ وهذا هو المطابق لمبحثنا في البحث. لكن لو  
افترضنا الاعتراف بكونه على حق، واحتملنا أن يكون قائد الحركة بمبدأ وأن لم  
تكن الحركة في اليمن، أو كان مطلق الحركة اليمن ولم تقتصر عليها، فتكون من  
الأمر الموعودة التي لا دليل على سبق حدوثها

وأما على المستوى الرمزي، فهي تمثل حركة أهل الحق في مقابل الانحراف  
والصلال الموحود في عصر العيبة، على ما مسدكه

النقطة السادسة: خروج ياجوج وماجوج:

أخرج مسلم وابن ماجة<sup>(٤)</sup> عن الواس بن سمعان عن رسول الله (ص) حديثاً  
مطولاً يذكر في أوله الدجال وبعض صفاته وأفعاله ثم يذكر نزول عيسى بن مريم  
عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق.

(١) حية الشيخ، ص ٢٦٧

(٢) المصدر، ص ٢٧١

(٣) ج ٨، ص ١٩٨

(٤) ج ٢، ص ١٣٨٦



ثم يقول . - واللفظ برواية مسلم - : «فيسما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أنه قد أخرجت عاداً لي لا يذان لأحد بقتلهم، فحرز عادي إلى الطور ويبحث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حذب يسلمون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ثم يمر أحمرهم، فيقولون لقد كان في هذا ماء مرة

ويعصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم حيراً من مئة دينار لأحدكم اليوم فيرعب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم اليعب في رقابهم فيصحبون فرسى كموت نفس واحدة.

ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر، إلا ملأه ردمهم وتتهم. فيرعب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيراً كأعناق النحت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.

ثم يرسل الله مطراً لا يُكسر منه بيت مدر ولا بر، فيمسل الأرض حتى يتركها كالرلقة ثم يقال للأرض ابني ثمرتك وردّي بركتك فيومئذ تأكل العصاة من الزمانة ويستطبلون بقحمها. وبارك الله في الرسل حتى أن اللقحة من الابل لتكفي ألفاً من الناس واللقحة من النفر لتكفي القبيلة، واللقحة من العمم لتكفي القحدة.

وأخرج مسلم بسند آخر<sup>(١)</sup> عن يزيد بن حابر نحو ما ذكرناه، ورائد بعد قومه. «لقد كان بهذه مرة ماء. ثم يسиров حتى يتنها إلى حل الحمر وهو جبل بيت المقدس، فيقولون. لقد قتلنا أهل الأرض، هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بشاهم إلى السماء، فيرد الله عليهم بشاهم مخصوبة دماء»

فهذه هي أفعال يأجوج ومأجوج بعد فتح ردمهم وهي هي نهايتهم، لو صبح هذا الخبر. وحيث نعلم أن نزول عيسى عليه السلام، يكون قريباً أو مقارباً لظهور المهدي عليه السلام، فيكون خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم بدعوات المسيح عليه السلام، سابقاً على الظهور، أي في عهد القية الكبرى.

وإذا عضضا النظر عن التشدد السدي، كان المصمون العام لهذا الحديث

(١) ج ٨، ص ١٩٩

أمراً محتملاً، وقائلاً لتفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْتَ بِأُجُوحٍ وَمَاجُوحٍ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَسْأَلُونَ﴾. واقترب الوعد الحق، فإذا هي شاخصة أنصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا، بل كنا ظالمين ﴿١﴾... إذا أمكن تفسير الوعد الحق بظهور المهدي (ع) باعتباره ما قلناه من أن الفرص الأساسي لله تعالى من إيجاد خلقه، متمثل بتحقيقه.

روا صريح من الآية: أن فتح يأجوج ومأجوج سابق على الوعد الحق. سيكون سابقاً على الظهور تماماً كما فهمناه من الحديث. سيكون الحديث والمتصادقان على معنى واحد مشترك، مع عص النظر عن تفاصيل الأحداث التي أوردتها الحديث.

ويحس لا يريد أن يدخل في تفاصيل المراد من يأجوج ومأجوج وإثبات حقيقتهم وكيفية ساء السد صدهم وفتحه. فإن لذلك مجال آخر ويكفي هنا بهذا الصدد ظاهر القرآن الكريم. وهو حال من العجائب التي نست في عدد من المصادر إليهم.

فإن ما يدل عليه ظاهر الكتاب الكريم، هو أنهم قوم بذائبيون متوحشون كانوا يعيشون في الأرض الفساد، فكان السد الذي ساء ذو القربين سباً لجة الناس منهم وبقي هؤلاء وراء السد، حتى إذا بلغوا من الكثرة في المستوى العقلي والمحصاري، ما يستطيعون به السيطرة على هذا السد، فهم يجرحون إلى العالم مرة أخرى ويتحد صدهم، ويذوق الشر منهم الأمرين. كيف وهم أصبحوا حاقدين على البشر الآخرين من ساء السد صدهم

وسوف يصادف خروجهم من وراء السد، الزمان السابق على يوم الظهور بقليل، بمقتضى ما فهمناه من الآية الكريمة، والحديث وسوف تعرض أطروحة متكاملة عن فهم هؤلاء الناس في التاريخ القادم إن شاء الله تعالى

والاشكال المهم الذي يحول دون هذا الفهم هو احتمال أن يراد بالوعد الحق يوم القيامة. ولعمري أنه أمر محتمل وإن كان سياق الآية مناسباً تماماً مع افتراض كون المراد به يوم الظهور.

فان الاحتمالات الأولية في الوعد الحق في الآية ثلاثة

الأول أن يكون المراد به الوعد الالهي بفتح يأحوج ومأجوج، من ردمها كما قد يفهم من قوله تعالى قال ﴿ هذا رحمة من ربي ، فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً ﴾ .

الثاني: أن يكون المراد به يوم القيامة .

الثالث: أن يراد به الوعد مظهر المهدي (ع) في اليوم الموعود

أما الاحتمال الأول، فهو بعيد عن ظهور الآية التي نتكلم عنها، فان ظاهرها تأخر الوعد الحق عن فتح يأحوج ومأجوج، وإن فتحهم يكون عند اقتراب الوعد الحق، لا عند محاره ومن المعلوم أنه لو كان المراد بالوعد الحق الوعد بفتحهم، لكان فتحهم تحقيقاً لذلك الوعد، لا أنه يكون مقترناً

إذن فالوعد بفتح يأحوج ومأجوج لو كان مراداً من قوله تعالى ﴿ فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء ﴾ فهو غير مراد من قوله تعالى: ﴿ واقترب الوعد الحق ﴾ بل المراد به وعد آخر متأخر زماناً عن الفتح .

ومعه يبقى هذا الوعد الحق، مرتباً بين الاحتمالين الآخرين .

وقد يمكن أن يستدل للاحتمال الثاني، وهو أن يكون المراد من الوعد الحق الوعد بيوم القيامة يستدل عليه من سياق الآيات التي وردت هذه الآية في صميمها . وحيث يكون المساق متعرضاً إلى حوادث القيامة، فيعرف أن الوعد الحق يراد به الوعد بالقيامة أيضاً .

قال الله تعالى ﴿ واقترب الوعد الحق ، فإذا هي شاحصة أنصار الدين كفروا ، يا ويلنا قد كما في عملة من هذا بل كما ظالمين أنكم وما تعدون من دون الله ، حصب جهنم أنتم لها ووردون ﴾ وكل ذلك يحدث في يوم القيامة، فيكون دالاً على أن المراد من الوعد الحق هو ذلك .

إلا أنه يمكن هذا المستدل أن يتناول عن هذا الفهم، إذ علم إمكان حمل الوعد الحق على ظهور المهدي (ع) بالرغم من هذا السياق فان تطبيق الأطروحة العادلة الكاملة بعد الظهور، بصوغ المجتمع الشرعي بشكل جديد وقويم لا قبل للكافرين والمنحرفين به، ومعه يكون من الطبيعي أن تكون شاحصة أنصار الدين

كفروا. ومن الطبيعي أيضاً أن يقولوا في ذلك المجتمع الكريم: «يا ويلنا قد كنا في عصر الغيبة الكبرى - عصر العن والانحراف:» في غفلة من هذا، بل كنا ظالمين فاشلين في التمهيص الالهي.

والثبوت لا تكون مقولة من المحرفين الراسيين في التمهيص، بل سيادر الامام المهدي (ع) لفتلهم واستصالحهم جملة وتفصيلاً على ما سيأتي في التاريخ القادم. ومن هـا يذهبون بسرعة إلى جهنم طبقاً لقوله تعالى «أنكم وما تعدون» من أشخاص ومصالح، كانت مقدسة من عهد العن والانحراف، «ومن دون الله، حصب جهنم أنتم لها واردون».

ليس هذا فقط، بل يمكن أن يكون قوله تعالى ﴿إِذَا حَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَاةً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ لا يراد به الوعد بفتح يـأجوج ومـأجوج، بل الوعد بالظهور أيضاً. طفقاً لما فهماء من الآية والحديث من أن فتح يـأجوج ومـأجوج يكون قبيل الظهور ويكون المراد من عبثه في الآية الكريمة، المشرقة على المحجى، ولو بقريئة الآية الأخرى.

هذا الذي قلناه كله، بحسب الامكان والاحتمال. وأما صعود هذه الفكرة إلى مرتبة الاثبات التاريخي، فهو متوقف على استظهارها جلياً من الآية، ولا يكفي كونه مناسبة معها. فان تساوي الاحتمالين في معنى الوعد الحق، لا يعني إمكان استدلال على المطلوب. ومعه يكون تأييد الآية للحديث الشريف غير متحقق. فيبقى الحديث بدون قربة. ومعه لا يمكن أن يصمد أمام التشدد السدي ويسقط عن إمكان الاثبات التاريخي. ومعه يبقى جاهلين بتقدم خروج يـأجوج ومـأجوج على عهد الظهور.

يبقى التساؤل عن مدى صحة التفاصيل الموحودة في الحديث، ومدى إمكان الأخذ بها والصحيح أنها لا تكاد تصلح للاثبات التاريخي وهذا واضح إن أسقط الحديث تماماً. وأما إذا عصصا النظر عن ذلك واعتبرنا الآية قرينة عليه، وأحدنا به فاننا إنما نأخذ بالحديث بمقدار مطابقتها للآية، وهو دلالة على فكرة تقدم خروج يـأجوج ومـأجوج على الظهور. وأما التفاصيل، فتبقى غير ثابتة طفقاً للتشدد السدي، ومعه لا يكون من المهم أن ننظر في تمحيص هذه التفاصيل

\*\*\*

فهذه جملة مهمة من علائم الظهور، كما وردت في نصوص الأخبار.

تقى بعض العلامات الأخرى، التي يفهم من النصوص قريبا الشديد للظهور، كالداء باسم المهدي (ع) وبرول عيسى بن مريم عليه السلام وغيره .. فهذا ما ينبغي تأجيله إلى التاريخ القادم، تاريخ ما بعد الظهور.

الناحية الثانية. في محاولة إعطاء المفهوم العام المظم عن مجموع العلامات جهد الامكان، ننحو يرتبط بالقواعد العامة التي عرفناها من قانون المعجرات وقانون التمحيص وشرائط الظهور، وبحوها.

ويعكس التعرض إلى العلاقات على مستويات ثلاثة:

#### المستوى الأول:

ما يكون مندرجاً في ظواهر الانحراف العام، الناتج عن تمحيص عصر الغيبة الكبرى سواء ما وقع منه كدولة العباسيين والحروب الصليبية، وما لم يقع كظهور الدجال والسفلياني.

#### المستوى الثاني:

ما يكون مندرجاً في ظواهر الانحراف العام، الناتج عن تمحيص عصر تقويمه قبل عصر الظهور. سواء ما وقع منها كثورات الحسين في عصر الخلافة، أو عما لم يقع كحركة اليماني والنفس الركية، لو ثبت وجودها.

#### المستوى الثالث:

ما يكون على مستوى التنبيه الالهي الاعجازي على خطورة الانحراف وقرب الظهور، كالصبيحة والخسوف في آحر الشهر والكسوف في وسطه فلا بد من التكلم على كل هذه المستويات.

#### المستوى الأول:

ما يكون على مستوى الانحراف العام السائد في عصر الغيبة أسباباً له أو مسبات.

وسدرج في ذلك أكثر العلامات الواردة في الأخبار، سواء ما حدث منها أو ما

لم يحدث . فانها جميعاً تعبر عن أشكال السلوك المحرقة في المجتمع المحرف . سواء حملنا هذه العلامات على وجهها الصريح أو على وجهها الرمزي .

أما إذا حملناها على صراحتها ، فالأمر واضح ، ولا يحتاج إلى مزيد كلام . سواء في ذلك اسحراف القيادة الاسلامية ، بعد النبي (ص) أو حدوث دولة بني العباس أو خروج الرايات السود بقيادة أبي مسلم الخراساني أو اختلاف أهل المشرق والمغرب أو ثورة صاحب الزنج أو الحروب الصليبية أو مقاتلة الترك أو برول الترك بالخريرة أو نزول الروم الرملة أو قتل النفس الركية أو ظهور الدجال والقياني ، طبقاً للمفهم الكلاسيكي لها . . . إلى آخر ما عددها من أمثال هذه العلامات .

وأما إذا حملناها على أنها مسوقة مساق الرمز ، فهو المفهم الذي يستطيع به أن نقدم فيها متكاملًا لمجموع العلامات وإن كان سيكلفنا هذا المفهم الاستغناء عن بعض التفاصيل الواردة في الأحاديث وقد سبق أن قلنا أن شيئاً من التفاصيل لم يثبت بعد التشدد السني ، ولكنه بعد الحمل الرمزي ستكون أكثر التفاصيل قد تحققت في الخارج في التاريخ الشري . وكل ما تحقق في التاريخ فالأخبار عنه صادق كما سبق أن ذكرنا وكل شيء من التفاصيل لا يدخل في هذا المفهم الرمزي العام ، يبقى لا دليل على ثبوته وصدقه ، ومن ثم يقتضي التشدد السني بعبه .

وإن أهم وأعم ما يواجه في هذا الصدد ، مفهوم الدجال ، الذي يمثل الحركة أو الحركات المعادية للإسلام في عصر العية عصر الفس والاسحرف . . نادئاً بالأسباب الرئيسية وهي الحصار الأوربية عما فيها من بهارج وهبة وهيمة على الرأي العام العلمي ، ومعططات وسعة . . . ومتهب إلى التائع وهو خروج عدد من المسلمين عن الإسلام واعساقهم لدهاب المحرفة ، وما يعم الأفراد والمجتمعات من ظلم وفساد .

فليس هناك ما بين حلق آدم إلى يوم القيامة خلق محرف أكثر من الدجال . نعتد هبة الحصار لأورسة وعظمتها لمادته ومحتزعائها وأسمحتها الفتاكة ، وتطرفها لكثير نحو سيطرة الإنسان والاحداد بالقدرة الالهية . شكل لم يعهد له

مثيل في التاريخ، ولن يكون له مثيل في المستقبل أيضاً لأن المستقبل سيكون في مصلحة نصرة الحق والعدل.

ويؤيد هذا الفهم قوله في الخبر الآخر: «ليس ما بين خلق آدم إلى يوم القيامة أمر أكبر من الدجال» والتعير بالأمر واضح في أن الدجال ليس رجلاً نعيه وإنما هو انجاء حضاري معاد للإسلام.

«وان من فتته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، وأن يأمر الأرض أن تبت فتبت». وكل هذا وغيره مما هو أهم منه من أنحاء السيطرة على المرافق الطبيعية مما أنتجته الحصار الأوربية.

ولا يحصى ما في ذلك من الفتنة، فان أعداداً مهمة من أساء الاسلام حين يجدون حال المدينة الأوربية، فأهم سوف يتحولون صدق عقائدها وأفكارها وتكوينها الحضاري بشكل عام وهذا من أعظم العن والأوهم التي يعيشها الأفراد في العصور الحاصرة وهي غير قائمة على أساس صحيح إذ لا ملازمة بين التقدم التكنيكي المدني والتقدم العقائدي والعكري والأخلاقي. يعني لا ملازمة بين الحاح الحضاري والاحاح المدني في المجتمع فقد يكون المجتمع متقدماً إلى درجة كبيرة في الاحاح المدني ومتأخراً إلى درجة كبيرة في الاحاح الحضاري كما عليه المجتمع الأوربي كما قد يكون العكس موحوداً أحياناً في مجتمع آخر

«وان من فتته أن يمر بالحي فيكذبونه، فلا نفى لهم سائمة إلا هلكت، وان من فتته أن يمر بالحي فيصدفونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تبت فتبت، حتى يروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه، وأمنه خواصراً وأذره ضروعاً»

وهذا يعني على وجه التحين أن المكذب للحد المادي الأوربي والواقف أمام تياره يمي بمصاعب وعقبات ويكون المال والقوة إلى حاح السائرين في ركابها المتملقين لها المتعاطين معها والتعير بالحي يعني النظر إلى المجتمع على العموم وهذا هو الصحيح بالنسبة إلى المجتمع المؤمن في التيار المادي، إذ لو نظرنا إلى المستوى الفردي، فقد يكون في إمكان الفرد المعارض أن يبال تحت ظروف معينة قسماً من القوة والمال.

والدجال أيضاً يدعي الربوبية إذ ينادي بأعلى صوته بسمع ما بين  
الخافقين . يقول : «إليّ أوليائي، أنا الذي خلق فسوى وقدر فهدى أنا ربكم  
الأعلى»

وكل ذلك واضح جداً من سير الحصار الأوربية وأسلوبها . فها ملأت  
الخافقين بوسائل الاعلام الحديثة بماديتها، وعزلت الشر عن المصدر الالهي والعالم  
العلوي الميتافيزيقي، فحسرت بذلك العدل والأحلاق والفكر الذي يتكلفه هذا  
المصدر . وأعلنت عوضاً عن ذلك ولايتها على البشرية وفرصت ايدولوجيتها على  
الأفكار وقوانينها على المجتمعات، بدلاً عن ولاية الله وقوانينه . وهذا يعني ادعاءها  
الربوبية على الشر أي أنها المالكة لشؤونهم من دون الله تعالى .

ومن الملحوظ في هذا الصدد، أن الوارد في الخبر أن الدجال يدعي الربوبية،  
لا أنه يدعي الألوهية . . . والربوبية لا تحمل إلا المعنى الذي أشرب إليه .

وأما دعوتها، لأوليائها من أطراف الأرض، ليتم تثقيفهم الفكري وتربيتهم  
الأخلاقية والسلوكية تحت إشرافها، ولترتبط مصالحهم الاجتماعية والاقتصادية  
بها . . . فهذا أوضح من أن يذكر أو يسطر

ولا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه وهو ما حدث فعلاً بالنسبة  
إلى شمل التفكير الأوربي في كل البسيطة . فليس هناك دولة في العالم اليوم لا  
تعترف بالاتجاهات العامة للفكر والقانون الأوربي ويريد بأوربا كئي قسميها  
الراسمائي والشيوعي . فان كليهما معاد للإسلام، ومثل للدجال بأوضح صوره .

وأما استثناء مكة والمدينة من ذلك، فقد يكون محمولاً على الصراحة، وقد  
يكون محمولاً على الرمر . أما حملها على الصراحة، فيعني أن سكان هاتين المدينتين  
المقدسيتين سوف لن يعمهما الفكر الأوربي والمد الحضاري المادي . بل يبقى سكانها  
متمسكين بالإسلام، بمقدار ما يفهمونه، صامدين تجاه الاغراء الأوربي إلى حين  
ظهور المهدي عليه السلام .

وأما حملها على الرمزية، فهو يعني أن الفكرة الالهية المتمثلة بمكة، والفكرة  
الاسلامية المتمثلة بالمدينة المنورة، لا تحرف بتأثير المد الأوربي، بل تبقى صامدة،  
محفوظة في أدهان أهلها وإيمانهم وهذا يدل على انحفاظ الحق في الجملة بين



الشر، وإن الانحراف لا يشمل البشر أجمعين، وإن كانت نسبة أهل الحق إلى غيرهم، كنسبة مكة والمدينة إلى سائر مدن العالم كله.

وهذا مطابق لما عرفناه من نتائج التخطيط الإلهي، ببقاء قلة من المحصلين المحصلين المندفعين في طريق الحق. وأكثرية من الملحدين والكافرين. ويكون لأولئك القلة الميعة الكافية ضد التأثير بالأفكار المادية والشبهات المحرفة بل أن هذه الشبهات لتريدهم وعياً وإيماناً وإحلاصاً.

وهذا هو معنى ما ورد في بعض أحجار الدجال من منعه عن مكة والمدينة بواسطة ملك بيده سيف مصلت يصده عنها، وإن على كل نقب ملائكة يحرسونها. فإن تشبيه العقيدة الإسلامية بالملك وماعتها بالسيف مما لا يعمي لطفه. وأما كون الملائكة على كل نقب، فهو يعني الإدراك الواعي للمؤمن بأن للإسلام حلاً لكل مشكلة وجواً على كل شبهة، فلا يمكن لشبهات الآخرين أن نغزو فكره أو تؤثر على دهنه.

والدجال طويل العمر، باق من زمن النبي (ص) حين لم يؤمن برسالة من ذلك الحين، بل ادعى الرسالة دونه، ولا زال على هذه الحالة إلى الآن.

فإن الدجال أو المادية، تبدأ أسسها الأولى من زمن النبي (ص) حيث كان للمنافقين أثرهم الكبير في ادكاء أوارها ورفع شأنها. فكانوا النواة الأولى التي حددت تدريجاً سير التاريخ على شكله الحاضر، بانحسار الإسلام عن وجه المجتمع في العالم وسيطرة المادية والمصلحية عليه.

إذن فالمنافقون الذين لم يؤمنوا برسالة النبي (ص)، أولئك الذين كان مسلك الدجل والخداع مسلكهم إذ يطهرون غير ما يبطون، هم النواة الأولى للمادية المعاصرة التي تظهر غير ما تبط، وتبرقع قصايا بمهايم العدل والمساواة. فهذا هو الدجال، بوجوده الطويل.

ومن هنا نفهم معنى ادعائه للرسالة، فإن المادية كانت ولا زالت تؤمن بعرض ولايتها على الشر، غير أنها كانت في المجتمع السوي صعيقة التأثير جداً، لا تستطيع الارتباط بأي أسان ولكن حين أدن للدجال المادي بالخروج، في عصر النهضة الأوروبية، استطاعت المادية أن تعرض ولايتها وسلطانها على العالم.

ومن هذا المطلق نفهم بكل وضوح معنى أنه عند الدجال ماء ونار، وماؤه في الحقيقة هو النار، وناره هي الماء الزلال وقال النبي (ص) - في الحديث - «من أدرك ذلك فليقع في الذي يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب»

فإن ماء الدجال هو المعريات والمصالح الشخصية التي تتضمنها الحصاره المادية لم تانعها وتعاون معها وناره عبارة عن المصاعب والمتاعب والتصحيات الحسام التي يعاينها الفرد المؤمن الواقف بوجه تيار المادية الحارفة. وتلك المصالح هي النار أو الظلم الحقيقي، وهذه المصاعب هي الماء العذب أو العدل الحقيقي ومن الطبيعي أن النبي (ص) بصفته الداعية الأكر للآيمان الإلهي، يصحح المسمم بأن لا يحدع بماء الدجال ومهارج الحصاره ومزالق المادية، وأن يلقي نفسه فيما يراه ناراً ومصاعب، فإنه يدل بذلك طريق الحق والعدل

وستطيع في هذا الصدد أن نفهم أن نفس سياق الحديث ومحتة دل على ذلك فإن قوله : «فأما الذي يراه الناس ماء فإنا نحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً فإنه بارد عذب» يكاد يكون أيضاً واضحاً في أنه ليس المراد به الماء والنار على وجه الحقيقة، بل هو ماء ونار على وجه الرمز والا لرم نسبة المعجرات إلى المبطلين، وقد برهننا على خفاه.

ومن طريف ما يستطيع أن يلاحظه في المقام أن النبي (ص) لم يقل في الخبر: أن الناس جميعاً حين يقعون في الماء فأنهم يجدونه بارداً أو حين يقعون في النار، يجدونها ماء بل يمكن أن نفهم أن بعض الناس وهم المؤمنون خاصة هم الذين يجدون ذلك وإلا فإن أكثر الناس حين يقعون في ماء الدجال أو مهارج المادية لا يجدون إلا اللذة وتوفر المصلحة، كما أنهم حين يقعون في المصاعب والمتاعب لا يجدون إلا الصيق والكمد

والدجال أعور، نعم بكل تأكيد، من حيث أن الحصاره المادية تنظر إلى الكون بعين واحدة، تنظر إلى مادته دون الروح والخلق الرفيع والمثل العليا ومن يكون الأعور إلا غير المدرك للحقائق ربما صالحاً للولاية على البشرية . وإنما تكون الولاية خاصة من ينظر إلى الكون بعينين سليمين، بما فيه من مادة وروح ويعطي لكل راية حقها الأصل «وان ركنكم ليس بأعور»

والدجال كافر، لأنه مادي ومن أعداء الاسلام وأعداهم عن الحق

والصواب «مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب» فان هذه الكتابة ليست من جسس الكتابة! وإنما هي تعبر عن معرفة المؤمنين بكفر المنحرفين ونفاقهم، وهذا لا يتوقف على كون الانسان قارئاً وكاتباً أو لم يكن. ومن المعلوم اختصاص هذه المعرفة بالمؤمنين «يقرؤه كل مؤمن» لأنهم يعرفون الميزان الحقيقي العادل لتقييم الناس. وأما المنحرفون، فهم لا يقرأون هذه الكتابة، وإن كانوا على أعلى درجة كبيرة من الثقافة لأنهم مماثلون لعبيرهم في الكفر والاسحراف. ومن الطبيعي أن لا يرى الفرد أحياء في العقيدة كافرين

ومن أجل هذا كله حذر النبي (ص) مه أمته واستعاد من فتنه، لأجل أن يأخذ المسلمون حذرهم على مدى التاريخ من السعاق والاسحراف والمادية بل قد حذر كل الأشياء أهمهم من فتنه الدجال لما سبق أن فهمنا أن المادية السابقة على الطهور هي من أعقد وأعظم الماديات على مدى التاريخ الشرقي «ما بين خلق آدم إلى يوم القيامة» وتشكل خطراً حقيقياً على كل الدعوات المخلصة للأشياء أجمعين.

وهو بالرغم من ذلك كله - «أهون على الله من ذلك» باعتباره حقيراً أمام الحق والعدل. مهما كانت هيمنته الديوية وسعة سلطته. وليس وجوده قدراً قهرياً أو أثراً تكوينياً اضطرارياً، وإنما وجد من أجل التمحيص والاحتبار، بالتحطيط الإلهي العام، وسوف يرول، عندما يقتضي هذا التحطيط زواله، عند الطهور، وتطبيق يوم العدل الموعود.

ومن هنا نفهم أنه لا تعارض بين الخبر الدال على أن معه جبل خبز وسر ماء، والخبر الدال على أنه أهون على الله من ذلك. فان هو أنه عند الله لا ينال حصوله على السلطة والاعزاز، أحداً بقانون التمحيص والامهال الإلهي طبقاً لقوله تعالى: ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وأرمنت ووطن أهلها إهم قادرون عليها، اتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً، فجعلناها حصيداً كان لم تنس بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتمكرون﴾<sup>(١)</sup> فهذه هي الفكرة العامة الرمزية عن الدجال

وأما السعياي، فهو يمثل حط الاسحراف في داخل المعسكر الاسلامي، أو الفكرة الاسلامية العامة يندرج في ذلك كل الحركات والعقائد الخاطئة التي تدعي الانسحاب إلى الاسلام، بما كان أو يكون إلى يوم الطهور الموعود

ومن هنا اعتبر أبو طاهر القرمطي، في بعض الروايات. السفياي الأول، والسفياي الموعود هو الثاني مع أن هذا القرمطي لا يتسبب إلى أبي سفيان بحال. وإنما صفة الأساسية هو أنه قائد لحركة كبيرة من حركات الانحراف في المجتمع الاسلامي. إذن فهو يتسبب إلى أبي سفيان عقيدة وإن لم يتسبب سناً

وفي الامكان معرفة اتجاهه العسكري والعسكري، مستتجاً مما سب إليه في الأخبار من الأعمال والمشاغبات في المجتمع المسلم. يكون آخرها إرساله الجيش ضد الجماعة المثلين للحق المستجيبين بالبيت الحرام في مكة. وحينما يصل جيشه إلى البيداء يخسف بهم أحمرين، لا يسجد منهم إلا المحرر. حفظاً لحرمة البيت الحرام من ناحية، وحفظاً للجماعة المحصنين الذين يجب أن يقوموا بمهام اليوم الموعود. ولعل المهدي (ع) نفسه يكون من بينهم يومئذ

وهذه الحركة بالذات تقوم بها بعض السلطات المنحرفة في المجتمع المسلم، فهي أوضح أشكال الفكرة العامة للسفياي، بالشكل الذي فهمها

وحروج السفياي من الوادي الياس، عمول على المستوى العسكري الذي يتصف به، فانه يطلق فكراً عن ايدولوجية محملة وضحلة وخافتة. بمعنى أنها تتجلى الحق وتقوم على الفهم الخاطيء

وعلى أي حال، فكل من الدجال والسفياي، طبقاً لهذا الفهم، مما قد حدث في التاريخ فعلاً، وليس أمراً مستظراً. نعم، لم تصل حركة السفياي إلى نتائجها النهائية التي هي الخسف.

بقي علينا الحديث عن الفهم الرمزي لياحور وماجورج وهذا ما أجلاه، كما مقلنا، إلى التاريخ القادم، لانتائه على مقدمات لم تتوفر على عرضها في هذا التاريخ.



## المستوى الثاني

ما يكون على مستوى مكافحة الانحراف وجهاده ومحاولة تفريره  
يسدرج في ذلك ما حدث في التاريخ، كالثورات التي كانت تحصل في زمن

الأمويين والعباسيين وهي تعرف بمراجعة التاريخ العام ولما الآن تصدد تحليلها.

وإنما المهم محاولة فهم ما لم يحدث من ذلك. وهو أمران، بحسب ما حددته الروايات:

الأمر الأول:

خروج اليماني الذي رايته ودعوته قائمة على الحق، إن ثبت ذلك بالنسبة السني الذي تسير عليه.

وحينئذ، فاما أن نحمله على المعنى الوعي الرمزي أو نحمله على المعنى الشخصي الصريح.

فإن حملناه على المعنى الشخصي، بمعنى وجود شخص معين مناصر للحق منتصف هذه الصمات. فهو مما لم يعهد حدوثه في التاريخ، فيكون مستظراً. وهذا هو الأقرب إلى ظاهر التعبير، وخاصة مع انصافه بكونه بمتياً

وإن حملناه على المعنى الوعي الرمزي الدال على وجود حركات وثورات مخفية في عصر المتن والانحراف، ندعو إلى الحق وتلتزم به، وهذا مما حدث في التاريخ بكثرة... منها الثورات الداعية إلى الرضا من آل محمد (ص) في عصر الخلافة. ولمعله يوجد في مستقبل الزمان حركات أخرى شكل وأحر، تحدث فتزعزع الانحراف، ونثبت معنى الطولية والصمود في سبيل الحق

وهذا يندرج في الحقيقة، تحت معنى التمحيص الاختياري الذي سبق أن عرفناه، وهو المتضمن للأعلاء الإرادي إلى درجة الإخلاص والصبر في نفس الفرد والمجتمع. والثأر للحق دائماً يكون على هذا المستوى الرفيع

الأمر الثاني:

مقتل النفس الركية، فإنه أحد الشائرين في وجه الظلم والانحراف والطغيان ولا تكون ثورته باحثة، بل يكون ذلك سبباً لمقتله. وقد جعل مقتله علامة للظهور باعتباره أهميته وعمق فكرته.

سواء كان مما حدث فعلاً، كما رجحناه، أو مما لم يحدث، كما هو مقتضى المهم الكلاسيكي الذي تعصده بعض الروايات التي أخرجها في الحجاز، كما سمعنا

وإن كان مما حدث فيها سبق، فقد عرفنا أنه هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأنه أحد الثائرين بوجه الدولة العباسية في عصورها الأولى

وإن كان مما لم يحدث، فيكفينا مجرد التنبؤ بمقتله وأهميته لعرف أنه مقتول بين الظالمين المتحرفين لا محالة على أن مكان مقتله، وهو ما بين الركن والمقام يدلنا على أهمية مقتله وخطورته بنظر قاتليه والمعتدين عليه، حيث لا يكون بإمكانهم القصد عليه أو تأجيله أو إحراجه من المسجد الحرام، بل يكون من مصلحتهم استئجال قتله هناك، وهتك الحرمات الإسلامية الكبرى لذلك المسجد المقدس. وما ذلك إلا لعدم دعوته وصراحتها في الحق، ومحاماتها لمسالك الظلم والانحراف وسوف نفصل الكلام، طبقاً لهذا الفهم، في التاريخ القادم، وسعره أنه يصحح رسول المهدي (ع) إلى المسلمين، وأنه يقتل قبل ظهوره بقليل.

### المستوى الثالث:

ما كان على مستوى التنبؤ الإلهي الأعشاري على خطورة الانحراف وقرب الظهور.

وأهم ما يدرج في ذلك. الصبيحة والداء باسم المهدي (ع) وكسوف الشمس في وسط الشهر وحسوف القمر في آخره. وهي وإن كان بالإمكان حملها على الرمز، إلا أنه بعيد والمعتقد أن الدلالة عليها صريحة غير رمزية. وقد سبق أن عرفنا ما لها من التأثير في تنبيه المؤمنين المحصنين على قرب الظهور، ولروم المادرة إلى بصرة الامام المهدي عليه السلام.

وأما المعجرات الأخرى المروية، فليست على هذا المستوى الثالث. أما النار التي تخرج من الحجارة تضيء لها أعناق الأبل في بصرى، فقد حملناها على ظهور المهدي (ع) نفسه. ومعه لا معنى لادراجها في العلامات.

وأما النار التي تخرج من قعر عدن أو من اليمن، تسوق الناس إلى المحشر، فهي على تقدير ثبوتها بعد التشدد السدي، من علامات القيامة المتأخرة عن الظهور، لا من علامات الظهور نفسه. وكذلك خروج الشمس من مغربها، إلا إذا حملنا ذلك على الرمز إلى ظهور المهدي (ع) نفسه، كما سبق أن حاولنا أن نفهمه وعلى كلا التقديرين، فهو ليس من علامات الظهور.

وأما انحصار المرات عن كنز من ذهب، فقد تكلمنا عنه، وعرفنا كونه أمراً طبيعياً غير اعجازي.

وأما رجوع الأموات إلى الدنيا ووقوع المسخ، وظهور وجه وصدر في الشمس<sup>(١)</sup> وغيرها مما ذكرناه أو مما لم نذكره، فلم يثبت شيء منها بالتشدد السدي، ومعه لا حاجة إلى محاولة حملها على المعنى الرمزي، وإن كان ذلك في بعضها ممكناً.

فهذا هو الكلام، في الناحية الثانية، في تأسيس الفهم العام لعلامات الظهور وقد علمنا بكل تفصيل ووضوح مقدار ارتباطها بعصر الفتن والانحراف، وبالتالي بقانون التمهيص الإلهي.

وبهذا ينتهي الكلام في الجهة الخامسة في تعداد مقررات العلامات، ومحاولة فهمها فهماً منظماً شاملاً.

وبه ينتهي الكلام في الفصل الثاني في علامات الظهور.

وهو نهاية الحديث في القسم الثالث من هذا التاريخ.

وهذا غاية مقصودنا من بيان تاريخ الغيبة الكبرى تم على يد مؤلفه المحتاج إلى رحمة ربه الكريم محمد بن محمد صادق بن محمد مهدي بن إسماعيل الصدر الموسوي.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا ومولانا سيد الأسياء والمرسلين وحاتم السنين وآله الطيبين الطاهرين. وعمل الله فرح مهديهم بقية الله في أرضه أمل المظلومين ونقمة الله على الظالمين والمطبق لشريعة سيد المرسلين وجعلنا من المخلصين الْمُعَذِّينَ لغيرته في اليوم الموعود وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٨ رمضان ١٣٩٠

٩ تشرين الأول ١٩٧٠

محمد الصدر

---

(١) الارشاد، ص ٣٣٧

## أهم مصادر هذا التاريخ:

- ١ - الاحتجاج، تأليف أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مط.  
النعمان، التجف الأشرف، عام ١٣٨٦/١٩٦٦
- ٢ - الارشاد، للشيخ محمد بن العمان الملقب بالمفيد، ط طهران عام ١٣٧٧ هـ.
- ٣ - أعلام الوري بأعلام الهدى، تأليف أبي علي الفصل بن الحسن الطبرسي، ط  
طهران مط. الحيدري، عام ١٣٣٨ هجري شمسي.
- ٤ - إكمال الدين وإتمام النعمة للشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن  
موسى بن بابويه الملقب بالصدوق. نسخة مخطوطة في مكتبتنا الخاصة كتبت  
بيد أبي القاسم القاري في الصحف الأشرف انتهى منها في يوم الخميس سلح  
شهر ربيع المولود عام ١٢٧٩ هجرية.
- ٥ - بحار الأنوار، تأليف الشيخ محمد باقر بن محمد تقي المعروف بالمحلي. الجزء  
الثالث عشر. ط الحجر عام ١٣٠٥ هـ.
- ٦ - الرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم السيد سليمان بن السيد اسماعيل  
الحسيني البهراني. ط الحجر، إيران، عام ١٣٠٢ هـ.
- ٧ - تاريخ العية الصغرى للمؤلف، ط بيروت عام ١٩٧٢ م.
- ٨ - الجامع الصحيح للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، مط.  
الصحافة الحديثة، القاهرة عام ١٣٨٧/١٩٦٧
- ٩ - الخرائج والجرائج للشيخ قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله بن  
الحسين الرواندي، ط. الهند، على الحجر، عام ١٣٠١ هـ.
- ١٠ - دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً. تأليف الدكتور مصطفى حواد والدكتور  
أحمد سوسة، مطبوعات المجمع العلمي العراقي. مطبعة المجمع العلمي  
العراقي، بغداد عام ١٣٧٨/١٩٥٨.



- ١١ - مس أبي داود للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث بن اسحاق الأودي السجستاني، ط. مصر، الأولى عام ١٣٧١/١٩٥٢
- ١٢ - سنن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القروي ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، عام ١٣٧٣/١٩٥٣
- ١٣ - الغيبة، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ط النجف ط الثانية، عام ١٣٨٥ هـ
- ١٤ - العيبة للشيخ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الملقب بالنعماني، ط تبريز عام ١٣٨٣ هـ.
- ١٥ - صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المعيرة بن بردبذ البخاري الجعفي. مطابع الشعب، مصر ١٣٧٨ هـ
- ١٦ - صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. مطبعة محمد علي صبيح وأولاده. مصر
- ١٧ - الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والريقة. للمحدث شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي المكي، ط مصر عام ١٣١٢ هـ
- ١٨ - الفتوحات الإسلامية، بعد مصي الفتوحات السوية، للسيد أحمد بن ربي دحلان مفتي مكة، ط مصر، مهمل من التاريخ
- ١٩ - القاموس المحيط، لمحمد الدين الفيروز آبادي، ط مصر، مهمل من التاريخ
- ٢٠ - الكافي (الأصول) لثقة الاسلام، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، نسخة خطية في مكتبة الخاصة. وقع الفراغ من تحريرها في عصر يوم الثلاثاء من شهر ذي القعدة الحرام سنة ١٠٧٧ هـ بيد محمد طاهر بن آقاجان الشوشتری.
- ٢١ - الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بالنس الأثير، بيروت - لسان عام ١٩٦٧/١٣٨٧
- ٢٢ - كشف العمة في معرفة الأنمة، لأبي الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي ط قم - إيران عام ١٣٨١ هـ
- ٢٣ - معانيخ الجنان، تأليف الشيخ عباس القمي ترجمة السيد محمد رضا النوري النجفي، ط طهران عام ١٣٥٩ هـ.

- ٢٤- مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصبهاني، إصدار دار احياء علوم الدين، بيروت - لبنان ١٣٨٠/١٩٦١.
- ٢٥- منتخب الأثر في الامام الثاني عشر عليه السلام. تأليف لطف الله الصافي، ط طهران، الثانية، مهمل من التاريخ.
- ٢٦- منتهى الآمال، لنسب عساس القمي، ط طهران - إيران - ، عام ١٣٧١ هـ.
- ٢٧- انقب، لشقة الاسلام الميرزا حسين الطوسي النوري. ط إيران، عام ١٣٤٧ هجري شمسي.
- ٢٨- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، للشعب الحسن بن الحر العاملي، ط الحجر - طهران، عام ١٣١٤ هـ.
- ٢٩- ينابيع المودة، تأليف الخافظ سليمان بن إبراهيم القندوري الحنفي، الطعة السابعة، ط النجف الأشرف، الخيدريه، عام ١٣٨٤/١٩٦٥

# أهم محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة الباشر	٥
بحث شهيدى في اقسام العية	٦
المقدمة	١٩
القسم الأول تاريخ شحص الامام المهدي (ع)	٢٩
الفصل الأول : في السر الاسامي لعينة المهدي (ع)	٣١
الفصل الثاني : في التكليف الاسلامي للامام المهدي (٢) في عيته الكبرى . وما يقوم من اعماله	٤٥
الفصل الثالث : في الحياة الخاصة للمهدي (ع)	٦١
الفصل الرابع : في مقالاته خلال عيته الكبرى	٨٩
الفصل الخامس : مراسلته (ع) للشبيخ المعبد (ره)	١٣٧
القسم الثاني : في تاريخ الاسانية في عصر الغيبة الكبرى	١٧٣
الفصل الاول : في تمحيص احبار التسوء بالمستقل	١٧٥
الفصل الثاني : فيما دلت عليه الاحبار من التسوءات	٢٠١
الساحية الاولى : فيما تفتضيه القواعد العامة ( التخطيط الاهي	
اليوم الموعود)	٢٠١
الساحية الثانية : في ذكر النصوص الدالة على التسوء بالمستقل	٢٣٩
الفصل الثالث : في التكليف الاسلامي خلال عصر الغيبة الكبرى	٢٨٧
العرلة أو الجهاد	٣١٦
التقية	٣٥٢
الانتظار	٣٦٠
القسم الثالث : في شرائط الطهور وعلاماته	٣٩٣
الفصل الأول : في شرائط الطهور	٣٩٥
التخطيط الخاص بايجاد القائد	٤٠١

٤٣٦	المصل الثاني . في علامات الطهور .
٤٣٦	في تحديد المنهج العام .
٤٤٩	في الحوادث التي دلت التاريخ على حدوثها
	في ما دل على إقامة المعجرات أكثر مما يقتضيه
٤٨١	قانون المعجرات .
٥٠٢	في تعداد مقدرات العلامات .
٥١	في محاولة فهم العلامات فيها عاما منظم .
٥٤٢	أهم مصادر هذا التاريخ .
٥٤٥	المهرس . . . . .









32101 088432537



مكتبة جامعة القاهرة

الكتاب رقم

الكتاب ( الشريعة ) صفائيه

العدد ٢٢٩٤٤